سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١١٣٣)

الجمع بين قولين

في بعض مسائل السيرة

من مصنفات السيرة والشمائل

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها قوله فلم تطعمها أي لم تذق لها طعما وهو بطريق المبالغة قوله فقال أن فيكم غلولا هو السرقة من الغنيمة كما تقدم قوله فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت فيه حذف يظهر من سياق الكلام أي فبايعوه فلزقت قوله فلزقت يد رجلين أو ثلاثة في رواية أبي يعلى فلزقت يد رجل أو رجلين وفي رواية سعيد بن المسيب رجلان بالجزم قال بن المنير جعل الله علامة الغلول إلزاق يد الغال وفيه تنبيه على أنها يد عليها حق يطلب أن يتخلص منه أو أنها يد ينبغي أن يضرب عليها ويحبس صاحبها حتى يؤدي الحق إلى الإمام وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم القيامة قوله فيكم الغلول زاد في رواية سعيد بن المسيب فقالا أجل غللنا قوله فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم في رواية النسائي فقال رسول الله (عند ذلك أن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمناها وتخفيفا خففه عنا قوله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا في رواية سعيد بن المسيب لما رأى من ضعفنا وفيه اشعار بان إظهار العجز بين يدي الله تعالى يستوجب ثبوت الفضل وفيه اختصاص هذه الأمة بحل الغنيمة وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله لهم الغنيمة وقد ثبت ذلك في الصحيح من حديث بن عباس وقد قدمت في أوائل فرض الخمس أن أول غنيمة خمست غنيمة السرية التي خرج فيها عبد الله بن جحش وذلك قبل بدر بشهرين **ويمكن الجمع** بما ذكر بن سعد أنه (أخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر قال المهلب في هذا الحديث أن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها أو دخل بها وكان على قرب من ذلك فإن قلبه متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا وهو كما قال لكن تقدم ما يعكر على." (١)

"فالخوارج والمعتزلة ــ ومن شابههم وسار على منهجهم ــ لما كفروا أصحاب الكبائر في الدنيا ، فإنهم أتْبَعوا ذلك بأن أنكروا شفاعة النبي (– صلى الله عليه وسلم –) التي أدخرها لأصحاب الكبائر من أمته ، لأنهم إنْ أثبتوا الشفاعة للمذنبين والعصاة فإن هذا سينقض أصل عقيدتهم في أصحاب الذنوب من المسلمين ، فكيف **يمكن الجمع** بين إثبات الشفاعة وبين تكفيرهم لأصحاب الذنوب ، ولهذا لم يجدوا أسلم من أن يبقوا على أصلهم وينكروا الشفاعة التي تناقضه وتخالفه .

وقولهم هذا ظاهر الفساد والبطلان ، ونصوص الكتاب والسنة الصحيحة تشهد برده ودحضه .

---

(١) القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم، ٨٣/١

قال الإمام أبن أبي العز : ((والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا – صلى الله عليه وسلم – وغيره في أهل الكبائر))(١).

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي : ((الخوارج ينكرون شفاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأهل الكبائر من أمته في خروجهم من النّار ، لأنّهم يرون أنّ مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار ، لذلك فهم يجدون أن إثبات هذه الشفاعة يخالف معتقدهم الفاسد ، فهم ينكرونها .

وكذلك المعتزلة تابعوا الخوارج على القول بتخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار ، وتابعهم الشيعة على ذلك أيضًا .

وإثبات هذه الشفاعة فيه ردّ على المرجئة أيضًا ، لأن غلاة المرجئة يقولون : إنه لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

وهذه الفرق المذكورة وغيرها موجودة في أيامنا هذه ، فالشيعة موجودون بكثرة لا كثّرهم الله ، وهذه دولتهم إيران التي تدّعي أنّها (الجمهورية الإسلامية) تعلن أن مذهبها هو المذهب الإثنا عشري الجعفري ، فهم رافضة من غلاة الشيعة ، وقد أخذوا كثيرًا من مذاهب المعتزلة .

---

(١) ١٣٧) شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٢٩٤ .." (١)

"وبذلك انتهى النزاع والخصام وحل الصفاء والوئام.

وكانت الوثنية قد تسربت إلى مكة في عهد الخزاعيين، وكانت الأصنام تحيط ببيت الله المحرم على عدد قبائل العرب، فلما فتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة في العام الثامن الهجري، طهر الكعبة من الأصنام، وأعلن فيها كلمة التوحيد ومبادئ الإسلام.

ثم توالت الأحداث بعد ذلك على المسلمين، فأصيب المسجد الحرام في عهد يزيد بن معاوية على يدي الحصين بن نمير الذي رمى الكعبة بالمنجنيق حتى تناثرت حجارتها واشتعلت فيها النيران.

ولما مات يزيد وانفك الحصار عن مكة، بدأ عبد الله بن الزبير في بناء الكعبة من جديد١.

–

= أخرجه الحاكم في "المستدرك" ١/ ٤٥٨، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ٥٦ ورجاله ثقات.

وبهذا تكون القصة ثبتت.

---

(١) القول المبين في بيان منزلة رسول رب العالمين، ص/١١١

وانظر "فتح الباري" ٣/ ٤٤١-٤٤٢ فإنه ذكر الاختلاف في وقت حصول هذا البناء فقال:

فقال مجاهد: كان ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وكذا رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير بن مطعم، وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه. والقول الأول: وأنه كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- خمس وثلاثون -أو هو قبل المبعث بخمس سنين- هو الأشهر، وبه جزم ابن إسحاق، ويمكن أن يجمع بينهما بأن هدم الكعبة كان أولًا، ثم تم البناء في الوقت الآخر.

١ هذه الرواية لابن سعد، كما في "فتح الباري" ٣/ ٤٤٥.

وقد صح في البخاري "١٥٨٦" عن يزيد بن رومان قال: "شهدت ابن الزبير حين هدمه -للبيت- وبناه، وأدخل فيه الحجر وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنة الإبل".

وفي لفظ لمسلم: "لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام، فكان من أمره ما كان...".

وروى الفاكهي في كتاب مكة من طرق أبي أويسة، عن يزيد بن رومان وغيره: "لما أحرق أهل الشام الكعبة ورموها بالمنجنيق، وهت الكعبة".

ونحو هذا جاءت روايات متعددة مذكورة في "الفتح" ٣/ ٤٤٥، وذكر ابن حجر الخلاف في وقت البناء هل كان سنة أربع أو خمس وستين، ثم قال:

ويمكن الجمع بين الروايتين، بأن ابتدأ البناء سنة أربع، وانتهى سنة خمس -أي وستين- فامتد أمده إلى الموسم ليشنع بذلك على بني أمية.

قلت: وكان سبقه لهذا الجمع ابن الجوزي في "المنتظم" ص١٥٥٣ في حوادث سنة خمس وستين.." (١)

"مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليما

[ص ٣٩٦] قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال فلما بلغ محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم [ص ٣٩٧] ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ أي ثقل ما حملتكم من عهدي : ﴿ قالوا أقررنا قال

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص/٣٠

فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران ٨١] فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .sكتاب المبعث

[ص ٣٩٦] ذكر ابن إسحاق أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام وهذا مروي عن ابن عباس ، وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر وقد روي أنه نبئ لأربعين وشهرين من مولده وقيل لقباث بن أشيم من أكبر أنت أم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ فقال رسول الله أكبر مني ، وأنا أسن منه وولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل ويروى : خزق الطير فرأيته أخضر محيلا ، أي قد أتى عليه حول وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لبلال لا يفتك صيام يوم الاثنين فإني قد ولدت فيه وبعثت فيه وأموت فيه

إعراب لما آتيتكم

[ص ٣٩٧] وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ الآية . وما في هذه الآية اسم مبتدأ بمعنى : الذي ، والتقدير للذي آتيناكم من كتاب وحكمة ولا يصح أن تكون في موضع نصب على إضمار فعل كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله فلا يجوز أن يكون تفسيرا لما يعمل فيه وقد قيل إن ما هذه شرط . والتقدير لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به وهو ظاهر قول سيبويه لأنه جعلها بمنزلة إن وقول الخليل إنها بمنزلة الذي ، أي إنها اسم لا حرف **ويمكن الجمع** بين قوليهما على هذا ، فتكون اسما ، وتكون شرطا ، ويحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل خبرية في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وإن كان الضميران عائدين على الرسول لا على الذي ، ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ [البقرة ٢٣٤] خبره يتربصن بأنفسهن ولم يعد على المبتدإ شيء لتشبث الكلام بعضه ببعض وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد غير أنه قال ودخول اللام على ما ، كدخولها على إن يعني : في الجزاء ولم يرد أن يعمل ما جزاء وإنما تكلم على اللام خاصة والله أعلم .

النبوءة وأولو العزم

[ص ٣٩٨] وذكر قول ابن إسحاق والنبوءة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ووقع في رواية يونس عن ابن إسحاق في هذا الموضع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه وهو في مسجد منى – وذكر له يونس النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال كان عبدا صالحا ، وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوءة ولها أثقال تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فألقاها عنه وخرج هاربا ، وفي رواية عن ابن إسحاق إن أولي العزم من الرسل منهم نوح وهود وإبراهيم أما نوح فلقوله ﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ﴾ [يونس ٧١] وأما هود فلقوله ﴿ إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون ﴾ [هود ٥٤] وأما إبراهيم فلقوله هو والذين معه ﴿ إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء .." (١)

"قال ابن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد [بن عمير] : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذات الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به – إذا انصرف من جواره – الكعبة ، [ص ٤٠١] شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فجاءني جبريل وأنا نائم [ص ٤٠٢] [ص ٤٠٣] فقال اقرأ قال قلت : ما أقرأ ؟ قال فغتني به حتى ظننت [ص ٤٠٤] أرسلني ، فقال اقرأ قال قلت : ما أقرأ ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلني ، فقال اقرأ قال قلت : ماذا أقرأ ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال اقرأ قال فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ قال فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عني ، وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا [ص ٤٠٥] [ص ٤٠٦] مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني . وانصرفت راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ، فقالت يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة

(١) الروض الأنف، ٣٩٥/١

ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت أبشر يا بن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة [ص ٤٠٧] قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى . وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، [ص ٤٠٨] فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتله ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله . قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال " نعم " . قالت فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءه جبريل عليه السلام ، كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة " يا خديجة هذا جبريل قد جاءني " ، قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ، قال فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجلس عليها ، قالت هل تراه ؟ قال " نعم " ، قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى ، قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت هل تراه ؟ قال " نعم " ، قالت فتحول فاجلس في حجري ، قالت فتحول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجلس في حجرها ، قالت هل تراه ؟ قال " نعم " ، قال فتحسرت وألقت خمارها – ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها – ثم قالت له هل تراه ؟ قال " لا " ، قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان قال ابن إسحاق : وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا لملك وما هو بشيطان [ص ٤٠٩] [ص ٤١٠] [ص ٤١١]sكيفية الوحي

[ص ٤٠١] وذكر نزول جبريل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا ، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لأنها قالت في أول الحديث أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله إليه الخلاء – إلى قولها – حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي – عليه السلام – بالقرآن وقد **يمكن الجمع** بين الحديثين بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لأن أمر النبوءة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فعلى هذا كان نزول الوحي عليه – صلى الله عليه وسلم – في أحوال مختلفة فمنها : النوم كما في حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضا : أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرؤيا الصادقة وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال له ابنه ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ [الصافات ١٠٢] ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام كما يأتيهم في اليقظة . ومنها : أن ينفث في روعه الكلام نفثا ، كما قال عليه السلام إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب [ص ٤٠٢] مجاهد ، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾ [الشورى : ٥١] . قال هو أن ينفث في روعه بالوحي . ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى . ومنها : أن يتمثل له الملك رجلا ، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا ﴾ [الجمعة ١١] . قال كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله . ومنها : أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت . ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ

الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي وتجلى لي علم كل شيء وقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : في الكفارات فقال وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكريهات ونقل الأقدام إلى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات فمن فعل ذلك عاش حميدا ، ومات حميدا ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث . فهذه ستة أحوال وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحي قيل جبريل فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد – صلى الله عليه وسلم – لم أر أحدا جمعها كهذا الجمع وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية ، وقد أملينا أيضا في حقيقة رؤيته عليه السلام ربه في المنام على أحسن صورة ويروى : على صورة شاب مسألة بديعة كاشفة لقناع اللبس فلتنظر هنالك .

من تفسير حديث الوحي

[ص ٤٠٣] وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال بعض المفسرين في قوله وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاءه به جبريل حين قال اقرأ وفي الآية أقوال غير هذه منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه الم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله فهي كالترجمة له .

معنى ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾

وقوله ما أنا بقارئ أي إني أمي ، فلا أقرأ الكتب قالها ثلاثا فقيل له ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أي إنك لا تقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعدما خلقه فيك ، كما خلقه في كل إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد والآخرتان لأمته وهما قوله تعالى : الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم لأنها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين .

حول بسم الله

فصل وفي قوله { اقرأ باسم ربك ﴾ من الفقه وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح حتى جاء البيان بعد في قوله ﴿ بسم الله مجراها ﴾ [هود : ٤١] ثم قوله تعالى : ﴿ وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [النمل ٣٠] . ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك

وما ذكره البخاري من مصحف الحسن البصري ، فشذوذ فهي على هذا من القرآن إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن ولا يلتزم قول الشافعي أنها آية من كل سورة ولا أنها آية من الفاتحة بل نقول إنها آية من كتاب الله تعالى ، مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبي حنيفة ، وهو [ص ٤٠٤] فقالت قريش : سحر محمد الجبال ذكره النقاش وإن صح ما ذكره فلمعنى ما سبحت عند نزولها خاصة وذلك أنها آية أنزلت على آل داود ، وقد كانت الجبال تسبح مع داود ، كما قال الله تعالى : ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ [ص : ١٨] وقال ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [النمل ٣٠] . وفي الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب وفيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة وهو أن جبريل أتاه بدرنوك من ديباج منسوج بالدر والياقوت فأجلسه عليه غير أن موسى بن عقبة قال ببساط ولم يقل درنوك ، وقال في سير بن المعتمر إن الله تعالى أنزل عليه ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ الآيات كأنه يشير به فمسح جبريل صدره وقال اللهم اشرح صدره وارفع ذكره وضع عنه وزره ويصحح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ الآيات كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل والله أعلم .

الغط

وقوله في الحديث فغطني ، ويروى : فسأبني ، ويروى : سأتني ، وأحسبه أيضا يروى : فذعتني وكلها بمعنى واحد وهو الخنق والغم ، ومن الذعت حديثه الآخر أن الشيطان عرض له وهو يصلي قال فذعته حتى وجدت برد لسانه على يدي ثم ذكرت قول أخي [ص ٤٠٥] وقال ابن سلام في قوله تعالى : رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الحديث وكان في ذلك إظهار للشدة والجد في الأمر وأن يأخذ الكتاب بقوة ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهوينى ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضي من هذا : ألا يضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثا كما غط جبريل عليه السلام محمدا - صلى الله عليه وسلم - ثلاثا ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان يكون في تلك الغطات الثلاث من التأويل ثلاث شدائد يبتلى بها أولا ، ثم يأتي الفرج والروح وكذلك كان لقي هو وأصحابه شدة من الجوع في شعب الخيف ، حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم ولا يتركوا ميرة تصل إليهم وشدة أخرى من الخوف والإيعاد بالقتل وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ثم كانت العاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارئ

وقوله في حديث ابن إسحاق : اقرأ قال ما أقرأ يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد أي شيء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيا ، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي أي ما أحسن أن أقرأ كما تقدم من قوله ما أنا بقارئ .

رؤية جبريل ومعنى اسمه

[ص ٤٠٦] وذكر رؤيته لجبريل وهو صاف قدميه وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض ويروى : على عرش بين السماء والأرض وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي كان يأتي شواهق الجبال يهم بأن يلقي نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض يقول له أنت رسول الله وأنا جبريل . واسم جبريل سرياني ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضا ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو إيل وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيد زيد غلام فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس : جبريل وميكائيل كما تقول عبد الله وعبد الرحمن ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد والأسماء ألفاظها مختلفة . حول معنى إل وخرافة الرهبان وأما إل بالتشديد من قوله تعالى : ﴿ إلا ولا ذمة ﴾ [التوبة ١٠] فحذار حذار من أن تقول فيه هو اسم الله فتسمي الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى [ص ٤٠٧] نكرة وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة وإنما الأل كل ما له حرمة وحق ، فكل ما له حق ويجب تعظيمه القرابة والرحم والجوار والعهد وهو من أللت : إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه ولم تضيعه ومنه الأل في السير وهو الجد ، ومنه قول الكميت [يصف رجلا] :

وأنت ما أنت في غبراء مجدبة ... إذا دعت ألليها الكاعب الفضل

يريد اجتهدت في الدعاء وإذا كان الأل بالفتح المصدر فالإل بالكسر الاسم كالذبح في الذبح فهو إذا الشيء المحافظ عليه وقول الصديق [عن كلام مسيلمة] : هذا كلام لم يخرج من إل ولا بر أي لم يصدر عن ربوبية لأن الربوبية حقها واجب معظم وكذلك فسره أبو عبيد ، واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجميا ، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى ، وجبريل موكل بالوحي وفي الوحي إصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعداس ونسطور الراهب فقال

لها : قدوس قدوس أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سير التيمي لما ذكرناه قبل وفي كتاب المعيطي عن أشهب قال سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده فكره ذلك ولم يعجبه .

معنى الناموس

[ص ٤٠٨] كان يأتي موسى . الناموس صاحب سر الملك قال بعضهم هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر وقد فسره أبو عبيد وأنشد

فأبلغ يزيد إن عرضت ومنذرا ... عمهما والمستشز المنامسا

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى

[ص ٤٠٩] ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب لأن ورقة كان قد تنصر والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبي يأتيه جبريل إنما يقولون فيه إن أقنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول وهو أقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ويخبر بما في غد فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله المدعين المحال عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ، لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد عليه السلام وقد قدمنا حديث الترمذي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رآه في المنام وعليه ثياب بيض إلى آخر الحديث .

حول هاء السكت والفعل تدرك

وقول ورقة لتكذبنه ولتؤذينه ولا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت وليست بهاء إضمار . وقوله إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرا مؤزرا ، وقال في الحديث إن يدركني يومك وهو القياس لأن ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده كما جاء في الحديث أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي ، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجه لأن المعنى : أترى ذلك اليوم فسمى رؤيته إدراكا ، وفي التنزيل لا تدركه الأبصار أي لا تراه على أحد القولين . وقوله مؤزرا من الأزر وهو القوة والعون .

شرح أومخرجي ؟

فصل وفي حديث البخاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لورقة أومخرجي هم لا بد من تشديد الياء في مخرجي لأنه جمع ، والأصل مخرجوي فأدغمت الواو في الياء وهو خبر ابتداء مقدم ولو كان المبتدأ اسما ظاهرا لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك

، أخارج إخوتك فتفرد لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حسن في مذهب سيبويه والأخفش ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش فإنه يقول قائم الزيدون دون استفهام فإن كان الاسم المبتدأ من المضمرات نحو أخارج أنت [ص ٤٠١] وأقائم هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء لأن الفاعل إذا كان مضمرا لم يكن منفصلا لا تقول قام أنا ، ولا ذهب أنت وكذلك لا تقول أذاهب أنت على حد الفاعل ولكن على المبتدإ وإذا كان على حد المبتدإ فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول أمخرجي هم تريد مخرجون ثم أضيف إلى الياء وحذفت النون وأدغمت الواو كما يقتضي القياس .

حول اليافوخ والذهاب إلى ورقة

فصل وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام فقبل يافوخه قد تقدم ذكر اليافوخ وأنه يفعول مهموز وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وإنما يقال له الغاذية وذكرنا قول العجاج ضرب إذا أصاب اليآفيخ حفر . ولو كان يافوخ فاعولا ، كما ظن بعضهم لم يجز همزه في الواحد . ولا في الجمع وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر " . قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك . فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم . وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم ذكرت خديجة له ذلك فقالت يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذ أبو بكر بيده . فقال انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال " ومن أخبرك " ؟ قال خديجة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد يا محمد فأنطلق هاربا في الأرض فقال له لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك . ثم ائتني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ ولا الضالين . قل لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك . فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس في الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني : ورقة وفي رواية [ص ٤١١] قال لرجل سب ورقة أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار .

لقد خشيت على نفسي

فصل وفي الصحيح أنه قال لخديجة لقد خشيت على نفسي وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة فذهب أبو بكر الإسماعيلي إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذي جاءه ملك من عند الله وكان أشق شيء عليه أن يقال عنه مجنون ولم ير الإسماعيلي أن هذا محال في مبدإ الأمر لأن العلم الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدري أنظم هو أم نثر فإذا استمر الإنشاد علمت قطعا أنه قصد به قصد الشعر كذلك لما استمر الوحي واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعي حصل العلم القطعي ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ إلى قوله ﴿ وملائكته وكتبه ورسله ﴾ فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل كما وعد على سائر أفع ا له المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح وقد قيل في قوله لقد خشيت على نفسي أي خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة وقد قيل إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ولا غرو فإنه بشر يخشى من القتل والإذاية الشديدة ما يخشاه البشر ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية ويجلب إلى قلبه كل شجاعة وقوة وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها .." (١)

"قال [ص ٢٠٩] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ص ٢١٠] فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع عني عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشرا . ثم انصرفت ، فمررت على موسى ، فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع [ص ٢١١] قال فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني ، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة . ثم رجعت إلى [ص ٢١٢] موسى ، فقال لي مثل ذلك فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحييت منه فما أنا بفاعل " ، رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وابن جرير وابن أبي حاتم [ص ٢١٣] فمن أداهن منكم إيمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة . رواه . وفي الحديث غرابة ونكارةsفرض الصلاة

فصل وأما فرض الصلاة عليه هنالك ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تفرض إلا في الحضرة المقدسة

---

(١) الروض الأنف، ١/٤٠٠

ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب وأن الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول حمدني عبدي ، [ص ٢٠٧] زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه .

فرض الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين لدخول الخمس في العشر فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا ؟ على قولين فقال قوم هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين أحدهما البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها ، لأن ذلك عنده من البداء والبداء محال على الله سبحانه . الثاني : أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين قال وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشاني ، ليصحح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر ثم قال أبو جعفر إنما هي شفاعة شفعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأمته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا . قال المؤلف أما مذهبه في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها ، وأن ذلك بداء فليس بصحيح لأن حقيقة البداء أن يبدو للآمر رأي يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم وليس النسخ من هذا في شيء إنما النسخ تبديل حكم بحكم والكل في سابق علمه ومقتضى حكمته كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك وأيضا بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه [ص ٢٠٨] كان واجبا فإن نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان العزم واعتقاد الوجوب . وعلم الله ذلك منه فصح امتحانه له واختباره إياه وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ، فليس هو حقيقة النسخ لأن العبادة المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهي عن عملها لا عنها ، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمته أحد وجهين إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة ونسخ

عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان في كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به وقول أبي جعفر إنما كان شافعا ومراجعا ينفي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لأمته كانت سببا للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث . والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لا تعبدا ، وإذا كان خبرا لم يدخله النسخ ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ومعناه أنها خمسون في اللوح المحفوظ وكذلك قال في آخر الحديث هي خمس وهي خمسون والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أنها خمسون بالفعل فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل . فإن قيل فما معنى نقضها عشرا بعد عشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلي الصلاة فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرها ، ووقف فهي خمس في حق من كتب له عشرها ، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة

فصل وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا مالكا خازن جهنم وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ولا هو ضاحك لأحد ومصداق هذا في [ص ٢٠٩] قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ [التحريم ٦٠] وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدا ، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تبسم في الصلاة فلما انصرف سئل عن ذلك فقال " رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم على جناحيه الغبار فضحك إلي فتبسمت إليه " وإذا صح الحديثان فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيكون الحديث عاما يراد به الخصوص أو يكون الحديث الأول حدث به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه إليه والله أعلم ولم ير مالكا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أكلة الربا في رؤيا المعراج

وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة وهي العطاش والهيام شدة العطش وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة كما لا يقال معطوشة إنما يقال هائم وهيمان وقد يقال هيوم ويجمع على هيم ووزنه فعل بالضم لكن كسر من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ [الواقعة ٥٥] ولكن جاء في الحديث مهيومة كأنه شيء فعل بها كالمحمومة والمجنونة وكالمنهوم وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل فيقال مهيمة كما يقال مبيعة في معنى مبيوعة ولكن صحت الياء لأنها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى : تجاوروا ، وإنما رآهم منتفخة بطونهم لأن العقوبة مشاكلة للذنب فآكل الربا يربو بطنه كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حرم عليه فمحقت البركة من ماله وجعلت نفخا في بطنه حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وإنما جعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوا وعشيا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة كما قال سبحانه ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر ٤٦] . فخصوا بسبيلهم ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا يطئونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام [ص ٢١٠] فيكون خيرا لهم وبين أن يعودوا ويصروا ، فيدخلهم النار وهذه صفة من هو في طريق النار قال الله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ﴾ [البقرة ٢٧٥] . إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت يعني : أكلة الربا ، وفيها حيات ترى خارج البطون . فإن قيل هذه الأحوال التي وصفها عن أكلة الربا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة قال فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب وإنما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ فأي بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ، ومزقوا كل ممزق فالجواب أنه إنما رآهم في البرزخ لأنه حديث عما رأى ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت وفيها تصحيح لمن قال الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالأقدام ولا يستطيع من قيام وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد عذابا من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنهم يطؤهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ما داموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادي منادي الله ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر ٤٦] وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بثديهن يجوز أن يكون رأى أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ويحتمل أيضا أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة وذكر الذين

يدعون ما أحل الله من نسائهم ويأتون ما حرم عليهم وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ومن حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله هو الكفر وقول ابن عمر هو اللوطية الصغرى وأما الإجماع فإن المرأة ترد بداء الفرج ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج وقد مهدنا الأدلة على هذه المسألة مفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله . الولد لغير رشدة وقوله فأكل حرائبهم الحريبة المال وهو من الحرب وهو السلب يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نسب إلى الذي ولد على فراشه فيأكل من ماله صغيرا ، وينظر إلى بناته [ص ٢١١] أخواته ولسن بعمات له وإلى أمه وليست بجدة له وهذا فساد كبير وإنما قدم ذكر الأكل من حريبته وماله قبل الاطلاع على عوراته وإن كان الاطلاع على العورات أشنع لأن نفقته عليه أول من حال صغره ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته أو لا يبلغ وأيضا فإن الأم أرضعته بلبانه ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أبا له من الرضاعة وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة وفي ذلك نقصان من الشناعة فإن بلغ الصبي ، وتابت الأم ، وأعلمته أنه لغير رشدة ليستعف عن ميراثهم ويكف عن الاطلاع على عوراتهم أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا ، وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه هذا أقربها إلى الصواب لقوله عليه السلام أكل حرائبهم واطلع على عوراتهم ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيث من منشئه إلى وفاته فعمله شر عمل .

حكم الحاكم لا يحل الحرام

وفي هذا الحديث من الفقه أيضا أن حكم الحاكم لا يحل حراما ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراش إلا أن ينفى باللعان فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات وفي هذا رد لمذهب أبي حنيفة من قوله إن حكم الحاكم قد يحل ما يعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل فإذا بانت منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زورا ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام " إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من صاحبه فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار " ففي هذا الحديث مع الذي

تقدم رد لمذهبه ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين أحدهما : أن القياس أصل من أصوله وقياس المسألتين واحد الثاني : أنه قال من حق أخيه ولم يقل من مال أخيه وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف وعندي أن أبا حنيفة رحمه الله إنما بنى [ص ٢١٢] أصله في طلاق المكره فإنه عنده لازم فإذا أكره الرجل على الطلاق وقلنا يلزم الطلاق له فقد حرمت المرأة عليه وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره وقولهم يعضده الأثر وقول أبي حنيفة يعضده النظر والخوض في هذه المسألة يصدنا عما نحن بسبيله . مكان إدريس فصل وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ [مريم : ٥٧] ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان إدريس سأله أن يريه الجنة فأذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت أن أقبض روح أدريس الساعة في السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حيا إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء .

قول الأنبياء في كل سماء

فصل وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء مرحبا بالأخ الصالح وقول آدم لإبراهيم بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حجة لمن قال إن إدريس ليس بجد لنوح ولا هو من آباء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه قال مرحبا بالأخ الصالح ولم يقل بالابن الصالح .

خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد

وأما اعتناء موسى – عليه السلام – بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع لها ، ويسأل التخفيف عنها ، فلقوله – والله أعلم – حين قضي إليه الأمر بجانب الغربي ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح وجعل يقول إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا ، اللهم [ص ٢١٣] أمتي ، فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتني بالقوم من هو معهم لقوله اللهم اجعلني منهم والله أعلم .

بعض ما رأى

ومما جاء في حديث الإسراء مما لم يذكره ابن إسحاق في مسند الحارث بن أبي أسامة أنه – عليه السلام – ناداه مناد وهو على ظهر البراق يا محمد فلم يعرج عليه ثم ناداه آخر يا محمد يا محمد ثلاثا ، فلم يعرج

عليه ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول يا محمد يا محمد حتى تغشته فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره فقال أما المنادي الأول فداعي اليهود لو أجبته لتهودت أمتك ، وأما الآخر فداعي النصارى ، ولو أجبته لتنصرت أمتك ، وأما المرأة التي كان عليها من كل زينة فإنها الدنيا لو أجبتها لآثرت الدنيا على الآخرة." (١)

"١- ذكر ابن شهاب الزهري في مغازيه أن عدد الذين كانوا يحرسون قافلة أبي سفيان، سبعون راكباً، فقال رحمه الله: " فمكث رسول الله × بعد قتل ابن الحضرمي شهرين ثم أقبل أبو سفيان بن حرب في عير قريش من الشام ومعه سبعون راكباً من بطون قريش... " (١).

٢- ذكر ابن إسحاق أن عددهم ثلاثون أو أربعون، قال رحمه الله: "...ثم إن رسول الله × سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام(٢)...".

فرواية الزهري ذكرت أن عدد حراس القافلة سبعون، بينما رواية ابن إسحاق ذكرت ثلاثين أو أربعين.

ولم أجد كلاماً للعلماء في الجمع بين الروايتين، **ويمكن الجمع** بينهما بما يلي:

١- رواية ابن إسحاق ذكرت الأحرار من قريش فقط.أما رواية الزهري فذكرت ال‌أحرار والحلفاء والموالي.والله أعلم.

٢- لو نظرنا إلى الروايتين من حيث الصحة والضعف،لوجدنا رواية الزهري أقوى.

المسألة الثانية: في اختلاف الروايات الواردة حول حامل اللواء يوم بدر.

---

(١) مرويات الإمام الزهري [محمد بن مسلم ت ١٢٤هـ] في المغازي، ١/١٩٧- ١٩٨، جمع ودراسة: محمد بن محمد العواجي، ط: الأولى ١٤٢٥هـ منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. وانظر: مغازي [موسى بن عقبة ت١٤١هـ]، ١٢٢- ١٢٣، جمع ودراسة وتخريج: محمد با قشيش، نشر جامعة بن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب.

(٢) السيرة النبوية، لابن إسحاق [محمد بن إسحاق ت١٥١هـ](تهذيب ابن هشام)[عبد الملك بن

---

(١) الروض الأنف، ٢/٢٠٨

هشام ت٢١٨هـ]، ٦٠٦/١، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، ط الثانية ١٣٧٥هـ، مطبعة الحلبي، مصر.." (١)

"أما على القول بأن هناك فرقاً بين اللواء والراية، **فيمكن الجمع** بينهما على أن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – كان حاملاً اللواء حتى بدأ القتال ثم ناوله مصعب بن عمير – رضي الله عنه – بإذن من النبي ×، خاصة وأن علياً – رضي الله عنه – كان أحد الثلاثة(١) الذين نزلوا إلى أرض المعركة لمبارزة الثلاثة(٢) الذين نزلوا من قريش، وفي هذه الحالة لابد أن يحمله عنه رجل آخر لعله كان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ، أو أن مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ناوله علياً – رضي الله عنه – في فترة من فترات المعركة ليصلح من شأنه، فرآه الراوي فظن أنه لواء آخر. والله أعلم.

المسألة الثالثة: في تأريخ خروجه – صلى الله عليه وسلم – إلى بدر.

وردت روايات عدة في تاريخ خروجه × وأصحابه إلى بدر، وهي على النحو التالي:

١ – ذكر ابن إسحاق أنه × خرج في ليال من شهر رمضان(٣).

٢– ذكر ابن هشام أنه × خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان.(٤)

٣– ذكر الواقدي أنه × خرج يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان(٥).

٤–ذكر ابن سعد أنه × خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (٦) .

٥–ذكر الطبري أنه × خرج يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر رمضان(٧) .

---

(١) الآخران هما: حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – ، وعبيدة بن الحارث – رضي الله عنه – . السيرة النبوية، لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام، ٦٢٥/١).

(٢) الثلاثة الذين من قريش هم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. المصدر السابق.

(٣) السيرة النبوية، لابن إسحاق(تهذيب ابن هشام، ٦١٢/١) بدون إسناد.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مغازي الواقدي، ٢١/١.

(٦) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ١٢/٢، بدون إسناد.

---

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٣

(٧) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري[أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ]، ٤٣١/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارسويدان، بيروت لبنان.." (١)

"٩-الرواية التاسعة: أنهم كانوا (٣٠٥) رجلاً.(١)

١٠-الرواية العاشرة: أنهم كانوا(نيفاً(٢) على ثلاثمائة).(٣)

١١- الرواية الحادية عشرة: أنهم كانوا (٣٠٠) .(٤)

فهذه إحدى عشرة رواية كل واحدة منها تذكر رقماً مغايراً للأخرى.

ومن خلال استعراض كلام العلماء في عدد من شهد بدراً مع النبي × تبين لي أنه ليس بينها تعارض، بل **يمكن الجمع** بينها على النحو التالي:

(١) مغازي الواقدي، ٢٣/١-٢٤، ثم قال بعد قوله: " وهم ثلاثمائة وخمسة... ، وثمانية تخلفوا، فضرب لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بسهامهم وأجورهم... " وهو هنا يوافق رواية ابن إسحاق في روايته كما تقدم، وكذلك قال ابن سعد في الطبقات الكبرى، ١٢/٢.

(٢) النَّيِّف: بفتح النون وتشديد التحتانية، وقد تخفف: كل ما زاد على العقد فنيِّف حتى يبلغ العقد الثاني، القاموس المحيط.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٣٥٧/٧، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط: الأولى، ١٤١٦هـ. دار الكتب العلمية. وتفسيرالطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري، ١٢٧/٩، دار المعرفة، بيروت، ط: الثالثة، ١٣٩٨هـ.

(٤) المعجم الأوسط، للطبراني[أبو القاسم سليمان بن أحمد ت٣٦٠هـ]، ٦/ ٣٤، رقم الحديث(٥٧١٤)، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله محمد، وأبي الفضل عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، ١٤١٥هـ. وفيه يحيي بن عبد الحميدالحمَّاني، وهو ضعيف كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩٣/٦.." (٢)

"أما الواقدي فقد استعمل أسلوباً راقياً في تعامله مع الروايات التي تذكر عدد أفراس المسلمين فقال: "قالوا: وكان معهم فرسان، فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي، وفرس للمقداد بن عمرو البهراني، حليف بني

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٨

(٢) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/١٤

زهرة، ويقال: فرس للزبير، ولم يكن إلا فرسان، ولا اختلاف عندنا أن المقداد له فرس(١).

- لم أقف إلا على رواية واحدة- حسب اطِّلاعي- تذكر أن للمسلمين ثلاثة أفراس ذكرها ابن سعد في الطبقات ضمن سياقه لرواية يزيد بن رومان المتقدمة وفيها" ... قال قتيبة في حديثه: "كانت ثلاثة أفراس، فرس عليه الزبير بن العوام"(٢).

فيتلخص مما سبق أن هناك ثلاثة أقوال في قضية عدد خيالة المسلمين.

القول الأول: الروايات التي تذكر أنه لم يكن مع المسلمين يوم بدر إلا فرس واحد، وهي أصحها.

القول الثاني: الروايات التي تذكر أن للمسلمين فرسان: وهي من حيث الصحة تأتي في المرتبة الثانية.

وبالرغم من اتفاقهم في من كان يملك الأول واختلافهم في من كان يملك الثاني، إلا أنه **يمكن الجمع** بينهما كما سيأتي:

---

(١) مغازي الواقدي، ١/ ٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى، ٢/٢٤. والمراد بقتيبة: قتيبة بن بن سعيد بن جميل الثقفي، ت سنة ٢٤٠هـ، وهو ثقة ثبت. انظر: التقريب، لابن حجر، ٤٥٤.." [1]

"وقد جمع الحافظ ابن حجر(١)- رحمه الله- بين القولين فقال بعد ذكره لرواية مسلم التي تنص على أن القائل عن الأنصار سعد بن عبادة – رضي الله عنه – :...، وفيه نظر،لأن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – لم يشهد بدراً وإن كان يُعدُّ فيهم لكونه ممن ضُرب له بسهمه(٢)،

ويمكن الجمع بأن النبي × استشارهم في غزوة بدر مرتين:

الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بيِّن في رواية مسلم ولفظه:" أن النبي × شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان.

---

(١) فتح الباري،٧/٢٨٨.

(٢) السبب في كون النبي – صلى الله عليه وسلم – ضرب له بسهم مع أنه لم يشهد بدراً، ما ذكره ابن سعد من أ ن سعداً – رضي الله عنه – كان يتهيأ إلى الخروج إلى بدر... فنهش قبل أن يخرج فأقام، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " لئن كان سعداً – رضي الله عنه – لم يشهدها لقد كان عليها

---

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٢٢

حرصاً". ثم قال: " وروى بعضهم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضرب له بسهمه وأجره وليس ذلك بمجمع عليه ولا ثبت، ولم يذكره أحد ممن يروي المغازي في تسمية من شهد بدراً... "الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٣/ ٦١٤، وانظر أيضاً: مستدرك الحاكم، ٣/ ٢٥٢.." [١]

"وهذه الرواية تذكر أن أصحابه –من دون تحديد –هم الذين قالوا تلك المقولة.

فكيف يجمع بينها؟.والجواب على ذلك:

١– يمكن الجمع بين تلك الروايات بأن يُقال: إن القائل الأول لتلك المقولة العظيمة المقداد بن عمرو – رضي الله عنه – كما في رواية ابن مسعود في الصحيح، وبما أن هذه المقولة قد أعجب بها الرسول × وأصحابه كما قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : "لقد شهدت مشهداً من المقداد بن الأسود لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما عدل به..."، وقوله في نهاية الحديث: ... فرأيت النبي × أشرق وجهه وسره(١). فيكون سعد بن معاذ – رضي الله عنه – قالها لما أعجبته مقولة المقداد، وزاد عليها قوله: "ولئن سرت حتى تبلغ برك الغماد من ذي يمن..."(٢).

٢– أما الرواية التي تذكر أن الأنصار قالوا:... يا رسول الله والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل(٣)...". فليس معناها أن الأنصار كل واحد منه قال تلك المقولة، وإنما يمكن أن يقال إن مقولة سعد – رضي الله عنه – كانت عنه وعن الأنصار جميعاً، خاصة وأنه عبر بنون الجمع.

٣– أما الرواية الثالثة التي أخرجها الإمام أحمد والتي تدل على أن الذين قالوا تلك المقولة هم الصحابة دون تحديد، فليس فيها أنهم قالوا تلك المقولة في غزوة بدر(٤)، ولو سلمنا أنهم قالوها في غزوة بدر، فإن مقولة المقداد – رضي الله عنه – تعبر عن رأيه ورأي الصحابة جميعاً – رضي الله عنهم – .

---

(١) البخاري، رقم الحديث (٥٢٣٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٣٥٣–٣٥٤، رقم الحديث (٣٦٦٤٩).

(٣) مسند أحمد، ١٩/ ٧٩، رقم الحديث(١٢٠٢).

(٤) انظر: مسند أحمد، ١٩/ ١٩٠، رقم الحديث(١٧٦٤١).." [٢]

---

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٢٦

(٢) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٣٠

"والسَّيالة(١)، على المحجة، وكانت منزل ابن أُذينة الشاعر، وقدم كشد بعد ذلك، فأخبر النبي × سعيد وطلحة إجارته إياهما فحياه رسول الله × وأكرمه وقال: ألا أقطع لك ينبع؟ فقال: إني كبير وقد نفد عمري، ولكن اقطعها لابن أخي، فقطعها له.(٢)

الجمع بين الروايتين:

١- أنه في حال الأخذ بالروايتين دون طرح لأحدهما **يمكن الجمع** بينهما،بأن يكون طلحة وسعيد رضي الله عنهما كانا قد تجهزا للخروج إلى الشام للتجارة، وفي نفس الأمر يتحسسان خبر العير فلقيا أخبار العير فرجعا يخبران النبي × بذلك، لكنهما لم يدركاه بالمدينة، ثم حصل منهما طلب إشراكهما في الأجر والغنيمة،فتم لهما ذلك. والله أعلم.

٢- بالنظر إلى الروايتين نجد أن الرواية الأولى هي الأقوى وهي التي تفيد أن طلحة وزيداً كانا في تجارة لهما بالشام.

ويبدو لي أن رواية الواقدي هي الأقرب إلى الصواب من الناحية النظرية؛ لأن كثيراً من الصحابة ى كانوا غائبين عن المدينة وقت الوقعة ومع ذلك لم يقسم لهم النبي × من الغنيمة ولم يشركهم في الأجر، فكون طلحة وزيد – رضي الله عنه – ما خرجا في خدمة النبي × فكأنهما من الجيش، لذلك أشركهما في الأجر. أما إذا قبلنا الجمع المذكور فيمكن الأخذ بالروايتين. والله اعلم.

المسألة الخامسة عشرة: في عدد الملائكة الذين شهدوا بدراً مع المسلمين.

---

(١) السيالة: على وزن سحابة، موضع بين مكة والمدينة، يبعد(٤٧) عن المدينة في جنوبها الغربي. المصدر السابق.

(٢) مغازي الواقدي، ١/١٩-٢٠، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ٣/٢١٦عن شيخه الواقدي، وفيها اختلاف يسير في السياق، والمعنى واحد، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي، ٤/١٩، نقلاً عن عمر بن شبة، وزاد بعد قوله: فأ قطعها له: فا بتاعها منه عبد الرحمن بن أ سعد بن زرارة. و ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء، ١/١٣٦، نقلاً عن ابن سعد. وانظر: الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية، ١/٤٠٩.." (١)

---

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٤٥

"واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة،لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها والله أعلم.(١)اهـ. كلام الحافظ ابن حجر.

قلت: ويمكن أن يقال أيضاً أن من عمل عملاً من أهل بدر يستحق عليه العقوبة فإن الله – عز وجل – يهيئ له أسباب التوبة قبل الممات، أو يقام عليه الحد الذي يكفر الذنب، ومعلوم أن إقامة الحدود في الدنيا كفارة لصاحبها في الآخرة.(٢)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد: فالحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وسوف أو جزما توصلت إليه من خلال النقاط التالية:

١- إن المسائل المتعارضة بلغت ست عشرة مسألة.

٢- إن هذه المسائل تنقسم إلى قسمين:

أ- قسم لها علاقة بالأحكام التشريعية والعقائد، وقد بلغت خمس مسائل،هي: المسألة التاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة.

ب- وقسم ليس له علاقة بالأحكام التشريعية والعقائد، وهي بقية المسائل، وعددها إحدى عشرة مسألة.

٣- إن جميع تلك المسائل ظاهرها متعارض،لكن بعد محاولة الجمع بينها ظهر أنه لا تعارض فيها،إلا في روايتين: الأولى: رواية الطبراني في الأوسط في المسالة الرابعة رقم (١١)، ورواية الحاكم في المسألة الخامسة رقم (٨)، فإنهما مخالفتان لما هو أصح منهما.

٤- تبين أن الروايات الضعيفة التي تخالف الصحيحة ظاهراً يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة في أكثر المسائل، وسيجدها القارئ الكريم في ثنايا البحث.

٥- تبين أيضاً أن الروايات الضعيفة التي تخالف الروايات الصحيحة ظاهراً يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة، وبالتالي فلا ينبغي إهمالها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم الحديث (١٨).." (١)

."

وذكر ابن سعد والواقدي(١) أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر(٢): إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح؛ لأنه **يمكن الجمع** بين كونهم يتلقون عيرا لقريش ويقصدون حيا من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة، ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم(٣) أن البعث كان إلى أرض جهينة(٤).

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

١- حكمة أبي عبيدة - رضي الله عنه - حيث جمع الأزواد، وسوى بين المجاهدين في التوزيع ليستطيع تجاوز الأزمة بهم، وذلك درس تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عمليا أكثر من مرة.

٢- كرم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، في وقت عصيب، ليس بيده يومها ما يخفف عن الناس، ففي رواية الواقدي: «أن قيس بن سعد - رضي الله عنه - استدان هذه النوق من رجل جهني، وأن أبا عبيدة - رضي الله عنه - نهاه قائلا: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك» ٥)، فأراد أبو عبيدة الرفق به(٦). وقد بدأ سعد ينحر وينحر حتى نهاه أبو عبيدة، فقال له سعد: يا أبا عبيدة أترى أن أبا ثابت يقضي ديون الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، لا يقضي عني تمرا لقوم مجاهدين في سبيل الله(٧)، وقال ذلك قيس لأبي عبيدة؛ لأنه قد اتفق مع رجل من جهينة على أن يشتري منه نوقا ينحرها للجيش على أن يعطيه بدل ذلك تمرا بالمدينة وقد وافق الجهني على تلك الصفقة.

---

(١) انظر: المغازي (٧٧٤/٢)، السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص٤٨٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص٤٨٠.

(٣) مسلم (١٥٣٧/٣) رقم ١٩٣٥.

(٤) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص٤٨٠.

(٥) انظر: معين السرية، ص٣٢٣، السرايا والبعوث النبوية، ص١١٩.

---

(١) الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعا وتوثيقا، ص/٥١

(٦) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص١١٩.

(٧) انظر: معين السيرة، ص٣٢٣ نقلا عن الزرقاني في شرحه (٢/٢٨٢).." [١]

"وعندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء(١)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»(٢) ثم زجرها فوثبت ثم عدل عن دخول مكة، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد —بئر– قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، فجاش لهم بالري فارتووا جميعا(٣)، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر(٤). **ويمكن الجمع** بأن يكون الأمران معا وقعا، كما ذكر ابن حجر(٥)، ويؤيده ما ذكره الواقدي(٦)، وعروة(٧) من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمضمض في دلو وصبه في البئر، ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت(٨).

وفي بروك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه بعد ذلك دروس وعبرمنها:

١– كل شيء في هذا الكون يسير بأمر الله ومشيئته، ولا يخرج في سيره عن مشيئته وإرادته، فتأمل في ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين بركت، وكيف كره الصحابة بروكها وحاولوا إنهاضها لتستمر في سيرها فيستمروا في سيرهم إلى البيت العتيق مهما كانت النتائج، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك(٩).

---

(١) بركت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

(٢) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٨٤.

(٣) نفس المصدر، ص٤٨٤. (٨) الفتح (١٤/٧٥٨) رقم ٣٥٧٧.

(٥) الفتح (١١/١٦٤) رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢. (١٠) المغازي (٢/٥٨٨).

(٧) من رواية أبي الأسود عنه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١١/١٦٤).

(٨) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٨٤.

(٩) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص٤٣.." [٢]

---

[١] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٣/٣٩١

[٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٣/٤٢٣

"[قلت: **ويمكن الجمع** بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين، وهو أن خالدا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة.

فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم] (١).

* * * وقد قال (٢) ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر، عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر.

فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه (٣)] فجعلوا يحثون عليهم التراب

ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عزوجل).

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

[وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه، فما كان المسلمون ليسمونهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التأنيب وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما] (٤).

[وقد (٥)] قال الامام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، حدثنا يزيد بن أبي زياد،

---

(١) سقطت من أ.

(٢) أ: لكن قال.

(٣) من ابن هشام.

(٤) سقطت من أ.

(٥) من أ.

(*)".[١]

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ٤٦٩/٣

"طوافين ويسعى سعيين، ونقلوا ذلك عن على موقوفا.

وروى عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد قدمنا الكلام على ذلك كله عند الطواف، وبينا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للاحاديث الصحيحة.

والله أعلم.

فصل ثم رجع عليه السلام إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة، كما دل عليه حديث جابر.

وقال ابن عمر: رجع فصلى الظهر بمنى.

رواهما مسلم كما تقدم قريبا.

ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى والله أعلم.

وتوقف ابن حزم في هذا المقام فلم يجزم فيه بشئ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه.

فالله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرات إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة.

رواه أبو داود منفردا به.

وهذا يدل على أن ذهابه عليه السلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال.

وهذا ينافى حديث ابن عمر قطعا وفى منافاته لحديث جابر نظر.

والله أعلم.

فصل وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت." (١)

"فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عز وجل فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى الحمد لله الذى أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتى خير أمة وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ٣٨٧/٤

الأولون وهم الآخرون وشرح لى صدري ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم.

وفى حديث ابن مسعود وانتهى بى الى سدرة المنتهى وهى في السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليهخا ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب وفى رواية أبى هريرة من

(قوله وهى في السماء السادسة) وفى بعض الروايات أنها في السابعة، قال المصنف وكونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين والذى يقتضيه تسميتها بالمنتهى قال النووي: **ويمكن الجمع** بأن أصلها في السماء السادسة ومعظمها في السابعة (قوله فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء وتخفيف الراء، وفى آخره شين معجمة: الطائر المعروف الذى يلقى نفسه في ضوء السراج (*)."(١)

"يكن لنبى دعوة عامة إلا لنبيا صلى الله عليه وسلم، ولا حجة أيضا للآخر في قوله (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) ولا للآخرين في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فمحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف ابن يعقوب على قول من يقول إنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا **يمكن الجمع** بينها، فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال

بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه، ومن قال بالوقف فعلى أصله، ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبى فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكلف، وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوضائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلا غ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما." (٢)

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١/١٨٢

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢/١٤٩

"فِيهِ الْوَاقِدِيُّ ، وَسُلَيْمَان لَا يُعْرَف حَاله ، وَأَبُو غَطَفَانَ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة ثُمَّ الْمُهْمَلَة اِسْمه سَعْد وَهُوَ مَشْهُور بِكُنْيَتِهِ ، وَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ . وَأَخْرَجَ الْحَاكِم فِي " الْإِكْلِيل " مِنْ طَرِيق حَبَّة الْعُرَنِيّ عَنْ عَلِيّ : أَسْنَدْته إِلَى صَدْرِي فَسَالَتْ نَفْسه وَحَبَّة ضَعِيف . وَمِنْ حَدِيث أُمّ سَلَمَة قَالَتْ : عَلِيّ آخِرهمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَدِيث عَنْ عَائِشَة أَثْبَت مِنْ هَذَا ، وَلَعَلَّهَا أَرَادَتْ آخِر الرِّجَال بِهِ عَهْدًا . **وَيُمْكِن الْجَمْع** بِأَنْ يَكُون عَلِيّ آخِرهمْ عَهْدًا بِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُفَارِقهُ حَتَّى مَالَ فَلَمَّا مَالَ ظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ ثُمَّ أَفَاقَ بَعْد أَنْ تَوَجَّهَ فَأَسْنَدَتْهُ عَائِشَة بَعْده إِلَى صَدْرهَا فَقُبِضَ . وَوَقَعَ عِنْد أَحْمَد مِنْ طَرِيق يَزِيد بْن بَابَنُوس بِمُوَحَّدَتَيْنِ بَيْنهمَا أَلِف غَيْر مَهْمُوز وَبَعْد الثَّانِيَة الْمَفْتُوحَة نُون مَضْمُومَة ثُمَّ وَاو سَاكِنَة ثُمَّ سِين مُهْمَلَة فِي أَثْنَاء حَدِيث " فَبَيْنَمَا رَأْسه ذَات يَوْم عَلَى مَنْكِبِي إِذْ مَالَ رَأْسه نَحْو رَأْسِي فَظَنَنْت أَنَّهُ يُرِيد مِنْ رَأْسِي حَاجَة فَخَرَجَتْ مِنْ فِيهِ نُقْطَة بَارِدَة فَوَقَعَتْ عَلَى ثُغْرَة نَحْرِي فَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي ، وَظَنَنْت أَنَّهُ غُشِيَ عَلَيْهِ فَسَجَّيْته ثَوْبًا " .

وقال البخاري =... عن عائشة قالت : مات النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لبين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم ...

- رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ...
- وأخرجه النسائي ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب ...." (١)

"وتخصيص قسم خاص، أو إضافة مواد تختص بعملية النقد الباطني (النقد التاريخي) والنقد الخارجي (نقد الأسانيد وفق منهج المحدثين)؛ لأننا بحاجة ماسّة وشديدة للمختصين في هذا المجال الهام والنافع إن شاء الله تعالى لكي نركّز جهودنا في عملية تحرير تاريخنا الإسلامي مما شابه واعتراه من الشوائب والترّهات التي استغلها أعداؤنا الحاقدون، ولعبوا بها كأورق رابحة يلوحون بها في وجوهنا كلما شاءوا.

ومن المصاعب التي واجهتها عدم وجود تراجم لبعض الرواة (جهالة عين)، أو خلو تراجمهم من الجرح والتعديل الموضح لحال الرواة (جهالة حال)، "وربما كان ذلك راجعا إلى أن رواياتهم قد اقتصرت على الأخبار دون الحديث، فكانوا يقولون عن أحدهم "إخباري"، ولعلّ في التعبير حطّ من شأنه عن مرتبة المحدّث، وقد نشأ علم الرجال أصلا لخدمة علم الحديث"١ .

لذلك لم يهتم بهم مصنفو كتب الرجال فلم يوردوا تراجمهم، أو أوردوها م وجزة خالية من الجرح والتعديل، فأصبح الجهل فيهم وفي أحوالهم كثير، يقول السبكي: "والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح

(١) الشهر الأخير من حياة البشير النذير، ص/٢٥

والتعديل"٢.

إن وجود الكثير من التناقضات والاضطرابات حول الواقعة الواحدة نتيجة تعدّد النصوص والروايات حولها جعلني أقف محتارا بينها، أيها أرجح؟ أو كيف أجمع بينها؟ وهل **يمكن الجمع** أم لا؟ وقد كنت أتوقف عند بعض النصوص حوالي الشهر أو الشهرين متأنيًّا لعلِّي أستنبط منه تفسيرا واقعيّا مناسبا أو حكما ما، وكنت أستعين في كثير من الأحيان بآراء النقاد والبارزين في هذا المجال ممَّن سبقني من جهابذة النقاد المسلمين أمثال: ابن القيّم، وابن حجر، والزرقاني، والشامي، وابن كثير، وغيرهم ممَّا أكسبني بعض الخبرة البسيطة في مجال النقد والتحليل.

---

١ أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (٥٨).

٢ السبكي، عبد الوهاب بن علي، قاعدة الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين (٩٥).." [1]

"وعلى كل حال فقد حشد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعة من رجاله المخلصين في (دورية قتال اعتراضية قوتها) ثلثمائة صحابي١ من المهاجرين والأنصار٢ وأسند قيادتها إلى أمين الأمه أبي عبيدة بن الجراح٣، وحدد لهم الهدف المنشود وهو رصيد عير المشركين٤ ربما قافلة تجارية مساحلة عن طريقها المعتاد، وقد تمر بمنطقة نفوذ قبيلة جهينة على ساحل البحر الأحمر.

ونظرا للضائقة الاقتصادية التي كان يمر بها المسلمون في ذلك الوقت، فقد كان تموين هذا الجيش ضعيفا بحيث لم يجد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غير

=عندما توقفوا بادىء الأمر في الأكل من الحوت، وهو الذي مر بتجربة مماثلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بواط وعلم الحكم. انظر النووي على مسلم (١٨/١٤٦-١٤٧). هل كانت هذه السرية قبل غزوة بواط ربما، والله أعلم بالصواب؟ا.

١ في رواية النسائي ثلاثمائة وبضعة عشر. انظر النسائي، سنن (٤/٢٠٩).

٢ وضحت ذلك رواية الواقدي وكاتبه ابن سعد نصا "ثلثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمر بن الخطاب. انظر الواقدي، مغازي (٢/٧٧٤)، وابن سعد، طبقات (٢/١٣٢) واللفظ له بينما اتضحت مشاركة الجانبين من خلال سياق روايات الصحيحين. انظر ابن حجر، فتح (٨/٧٧)، والنووي على مسلم

---

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص/١٩

(١٣/٨٩).
٣ وقع في روايات شاذة أن قائد السرية كان قيس بن سعد بن عبادة. انظر ابن حجر ، فتح (٨/٧٩-٨١). والطبري، تاريخ (٣/٣٣)، وابن سيد الناس، عيون (٢/٢٠٦) ثم ينقل ابن سيد الناس قول أحد رواته للخبر. "قال إبراهيم: لم يكن قيس بن سعد أمير هذا الجيش، إنما كان أبو عبيدة، وقيس معه، كذا أخبرني محمد بن صالح، عن محمد بن عمر، عيون الأثر (٢/٢٠٦-٢٠٧)، أما ابن حجر فقال معقبا على ذلك: "والمحفوظ ما اتفقت عليه روايات الصحيحين".
٤ ذكر الواقدي وابن سعد أن هذه السرية كانت موجهة لحيٍّ من جهينة. انظر الواقدي، مغازي (٢/٧٧٤)، وابن سعد، طبقات (٢/١٣٢) وهو مخالف لما في الصحيحين. وقد حاول بعض المتأخرين الجمع بين القولين، فذكر أنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش ويقصدون حيًّا من جهينة لمحاربتهم. انظر القسطلاني، المواهب اللدنية (١/١٤٧).
قلت: البعث للمقصدين لا يستقيم لأنه يصعب على دورية قوتها ثلثمائة فرد أن تقوم بمهمة مزدوجة في آن واحد، وعلى فرض إمكانية ذلك فإنه لم يقع شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحدا، بل فيه أنهم أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد، والله أعلم. ابن حجر فتح (٨/٧٨). بل إن الواقدي الذي انفرد بهذا القول ساق في روايته تعامل أحد أفراد السرية التجاري مع بعض أفراد قبيلة جهينة. الواقدي، مغازي (٢/٧٧٥). أما ابن حجر فذكر في صدد الجمع بين القولين أنه يحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ابن حجر، فتح (٨/٧٨) وهذا الاحتمال بعيد لأن قبيلة جهينة هي من القبائل الداخلة ضمن الإيلاف الصيفي مع قريش، ولم يرد في أخبار المغازي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد حلفا معها ضد قريش كما فعل مع القبائل الأخرى كبني مدلج وغيرهم، فليس لجهينة مصلحة في نقض حلفها مع قريش، وعلى فرض أنهم فعلوا ذلك من أجل المسلمين. فلماذا يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية تحمي عير قريش منهم. والله تعالى أعلم بالصواب.." (١)

"العرب، أنرهنك نساءنا، قال له: ترهونني أولادكم قال: يُسب ابن أحدنا، فيقال: رهن في وسقين من تمر، ولكن نرهنك اللأمة (يعني السلاح)، قال: نعم"١.
وواعده أن يأتيه ومعه أبو نائلة —وهو أخو كعب من الرضاعة– ٢ وذلك زيادة لاطمئنانه، وثلاثة نفر من الأوس كانوا هم قوة السرية التي توجهت لقتله. وقد اختلفت المصادر في تسميتهم، وعددهم٣.

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص/١١٧

١ من رواية مسلم. مسلم بشرح النووي (١٢/١٦١-١٦٢) وعند أهل المغازي أن الذي جاءه هو أبو نائلة أخوه من الرضاعة. انظر ابن إسحاق، سيرة (٢٩٨)، وابن هشام، سيرة (٣/٥٥)، والواقدي، مغازي (١/١٨٧)، وابن سعد، طبقات (٢/٣٢).

قال الشامي: وجلّ أهل المغازي على أنه أبو نائلة، ورجح ذلك الدمياطي. الصالحي، سبل (٦/٤٨)، وقال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون كلا منهما كلّمه في ذلك. وفي مرسل عكرمة: في الكل بصيغة الجمع؛ قالوا". ابن حجر، فتح (٧/٣٣٨).

٢ اسمه سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي أخو سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل: اسمه سعد، وسلكان لقب وهو مشهور بكنيته، شهد أحدا وغيرها، وكان شاعرا ومن الرماة المذكورين. ابن عبد البر، استيعاب هامش الإصابة (٤/١٩٦)، وابن حجر، إصابة (٤/١٩٥).

قلت: اسمه واسم آبائه ورضاعه مع كعب يعطي إشارة ولو غير مباشرة إلى الاندماج الشديد الذي كان بين الأوس وحلفائهم من اليهود.

٣ اختلفت المصادر في قوة السرية، فغالبية أهل المغازي، ومسلم، والبخاري عن غير عمرو بن دينار ذكروا أنهم كانوا خمسة مغاوير أَوْسِيُّون هم محمد بن مسلمة، وأبو نائلة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبير. انظر البخاري، الصحيح (٥/٢٦)، ومسلم بشرح النووي (١٢/١٦٢)، عبد الرزاق، المصنف (٥/٢٠٣)، وابن إسحاق، سيرة (٢٩٨)، والواقدي، مغازي (١/١٨٧)، وابن سعد، طبقات (٢/١٩٧-١٩٨).

ويذكر ابن حجر في روايات يشير إليها في الفتح أن عددهم كان ثلاثة فقط، ثم إنه رجح روايات أهل المغازي، وبعد ذلك يحاول الجمع فيقول **ويمكن الجمع** بأنهم كانوا مرة ثلاثة، وفي الأخرى خمسة. ابن حجر، فتح (٧/٣٣٨-٣٣٩).

أما الطبراني فيروي لنا روايتين الأولى موصولة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: يذكر فيها أنهم كانوا ثلاثة. الهيثمي، مجمع (٦/١٩٦)، وقال عنها: وإسحاق بن يحيى لم يدرك عبادة، وبقية رجاله ثقات، والثانية مرسلة عن عروة وفيها أن سعد بن معاذ بعث الحرث بن أوس مع محمد بن مسلمة. الهيثمي، مجمع (٦/١٩٦)، وقال عنها: رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. هذا بالنسبة لعددهم. أما أسماؤهم

وصلتهم بكعب فإضافة إلى ما ذكرناه سابقا حول هذا الموضوع يضيف البلاذري معلومة أخرى فيذكر أن عباد بن بشر أخا لكعب من الرضاعة أيضا مستدلا بقصيدته التي يقول فيها:

قعدت له فقال: من المنادي؟

فقلت: أخوك عباد بن بشر=." (١)

"البعوث التعليمية والدعوية

مقدمة

...

مقدمة

كان الأعراب حول المدينة يتحينون الفرص المواتية للنيل من المسلمين والقضاء عليهم إما بغزو المدينة قاعدتهم، أو الانتقام ممن ظفروا به منهم خارجها.

ولما عجزوا عن تحقيق هدفهم الأول نتيجة السرايا التعرُّضية التي كان يرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأديبهم ومباغتتهم في ديارهم أو قتل زعمائهم، كما حدث لخالد بن سفيان الهذلي، لذلك سعوا للهدف الثاني لسهولته.

أما قريش فكانت تعد العدة للكرة مرة أخرى على المسلمين تكون فيها استئصال شأفتهم والقضاء عليهم نهائيًّا.

ولم يغب كل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائد العسكري العبقري –فكانت الدوريات الاستطلاعية إضافة إلى عيونه المبثوثين تأتيه بالأخبار والمعلومات عن تحركات أعدائه من قريش والأعراب أوّلاً بأوَّل. وهو ما يسمى الآن بنظام الاستخبارات العسكرية.

وذلك يؤكد أن المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعده لم يخوضوا حربًا عشوائية غير مخطَّطٍ لها مع أعدائهم، إنما حربًا ذات خطط "سوقية وتعبوية" منظمة. وكان من تلك السرايا والدوريات سرية استطلاعية لجمع المعلومات عن قريش وتحركاتها، وعن الأعراب وتجمعاتهم.

وإن كانت المصادر التاريخية تجزم بأنها كانت بعثة تعليمية أُرسلت بطلب من بعض الأعراب المدَّعين الإسلام والذين غدروا وأوقعوا بأصحاب السرية عند ماء الرجيع –الذي عرفت السرية به فيما بعد- **ويمكن الجمع** بين المهمتين كما أوضح البعض١.

---

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص/١٤٤

١ كالزرقاني، شرح (٢/٦٥)، وأكرم العمري: المجتمع المدني (ص ٨٨).." [1]

"وقد اختلفت الروايات في تحديد واجب السرية، فرواية الصحيح تذكر أن السرية كانت استطلاعية، كما يفيده اللفظ "عينًا"١، بينما تذكر بعض الروايات أنها كانت عبارة عن دورية قتال هدفها بنو لحيان٢، ويكاد يجمع أهل المغازي على أن مهمة السرية كانت تعليمية بحتة٣، وينفرد الواقدي منهم بتوضيح سبب ذلك٤.

وقد حاول بعض المتأخرين الجمع بين الروايات وجعل م

همة السرية ازدواجية مع إمكانية ذلك٥، فهي استطلاعية لرصد نشاط قريش والأعراب

---

١ انظر البخاري. الصحيح (٥/٤٠)، ابن حجر. فتح (٦/١٦٦، ٧/٣٨٧).

كما أخرج البيهقي رواية عن الواقدي بمثل ذلك. انظر البيهقي، دلائل (٣/٣٢٣).

٢ أخرجه أبو نعيم عن عروة من طريق ابن لهيعة. دلائل (٣/٣٢٣).

كما أخرجه بطريق أخرى عن بريدة بن سفيان الأسلمي. دلائل (٢/٥٠٩).

كما أخرجه من نفس الطريق البيهقي، دلائل (٣/٣٣١) وبريدة هذا قال عنه ابن حجر: ليس بالقوي وفيه رفض. ابن حجر، تقريب (١٢١).

٣ روى ذلك ابن إسحاق مفصلا. انظر ابن هشام، سيرة (٣/١٦٩)، والبيهقي، دلائل (٣/٣٢٨).

كما أخرجه البيهقي عن موسى بن عقبة. انظر البيهقي، دلائل (٣/٣٢٧).

ورواه كل من الواقدي، مغازي (١/٣٥٤)، وابن سعد من طريقين أحدهما من طريق ابن إسحاق والأخرى من طريق الزهري عن عمرو بن أسيد مرسلا. ابن سعد، طبقات (٢/٥٥) ورواه البلاذري، أنساب (٣٧٥) ولكنه يضيف أنهم بُعثوا مزكّين ومعلمين في وقت واحد، وابن حزم، جوامع (١٧٦)، وابن عبد البر، درر (١٦٨).

٤ يذكر الواقدي في روايته أنه تم التمهيد لهجوم بني لحيان الغادر على أصحاب السرية بتآمرهم مع عضل والقارة وذلك انتقاما لمقتل زعيمهم خالد بن سفيان الهذلي. انظر الواقدي، مغازي (٢/٣٥٤).

ويذكر البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] رواية

---

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص/٢٢٣

بصيغة التمريض عن ابن عباس والضحاك أنها نزلت في سرية الرجيع، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة بإسلامهم وطلبوا منه معلمين يفقهونهم في الدين. البغوي، معالم التنزيل (١/١٨٠-١٨١).

وهذه الرواية على ضعفها البالغ لا تتفق مع سياق الأحداث قبلها، فأُحد كانت قريبة العهد وذكراها لا زالت عالقة في الأذهان، والوضع متوتر بين الطرفين ويتطلب الحذر واليقظة منهما، فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينخدع بمثل هذه السهولة بدعوى قريش. وإن كان حريصا على إسلامهم متمنيا ذلك. والله تعالى أعلم.

٥ قال الزرقاني: ويجمع بأنه لما أراد بعثهم عيونا، وافق مجيء النفر في طلب من يفقههم، فبعثهم في الأمرين. الزرقاني، شرح (٢/٦٥). وقال الدكتور أكرم ضياء العمري بعد سياقه لرواية ابن إسحاق: ولكن البخاري يقول: إن مهمة الوفد استطلاعية في حين يذكر ابن إسحاق أنهم معلمون، **ويمكن الجمع** بين المهمتين. المجتمع المدني (٨٨).." (١)

"الْعَاصِ،وَهُوَ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِر يُعَارِض حَدِيث عَمْرو لَكِنْ يُرَجَّح حَدِيث عَمْرو أَنَّهُ مِنْ قَوْل النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - وَهَذَا مِنْ **تَقْرِيره،وَيُمْكِن الْجَمْع** بِاخْتِلَافِ جِهَة الْمَحَبَّة:فَيَكُون فِي حَقّ أَبِي بَكْر عَلَى عُمُومه بِخِلَافِ عَلِيّ،وَيَصِحّ حِينَئِذٍ دُخُوله فِيمَنْ أَبْهَمَهُ عَمْرو،وَمَعَاذ اللَّه أَنْ نَقُول كَمَا تَقُول الرَّافِضَة مِنْ إِبْهَام عَمْرو فِيمَا رَوَى لِمَا كَانَ بَيْنه وَبَيْن عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا،فَقَدْ كَانَ النُّعْمَان مَعَ مُعَاوِيَة عَلَى عَلِيّ وَلَمْ يَمْنَعهُ ذَلِكَ مِنْ التَّحْدِيث بِمَنْقَبَةِ عَلِيّ،وَلَا اِرْتِيَاب فِي أَنَّ عَمْرًا أَفْضَل مِنْ النُّعْمَان،وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي الْحَدِيث جَوَاز تَأْمِير الْمَفْضُول عَلَى الْفَاضِل إِذَا اِمْتَازَ الْمَفْضُول بِصِفَةٍ تَتَعَلَّق بِتِلْكَ الْوِلَايَة،وَمَزِيَّة أَبِي بَكْر عَلَى الرِّجَال وَبِنْته عَائِشَة عَلَى النِّسَاء،وَقَدْ تَقَدَّمَتْ الْإِشَارَة إِلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَاقِب،وَمَنْقَبَة لِعَمْرِو بْن الْعَاصِ لِتَأْمِيرِهِ عَلَى جَيْش فِيهِمْ أَبُو بَكْر وَعُمَر وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي أَفْضَلِيَّته عَلَيْهِمْ لَكِنْ يَقْتَضِي أَنَّ لَهُ فَضْلًا فِي الْجُمْلَة.وَقَدْ رَوَيْنَا فِي"فَوَائِد أَبِي بَكْر بْن أَبِي الْهَيْثَم"مِنْ حَدِيث رَافِع الطَّائِيّ قَالَ:"بَعَثَ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - جَيْشًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمْرو بْن الْعَاصِ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْر"قَالَ:وَهِيَ الْغَزْوَة الَّتِي يَفْتَخِر بِهَا أَهْل الشَّام.وَرَوَى أَحْمَد وَالْبُخَارِيّ فِي الْأَدَب وَصَحَّحَهُ أَبُو عَوَانَة وَابْن حِبَّانَ وَالْحَاكِم مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْن رَبَاح عَنْ عَمْرو بْن الْعَاصِ قَالَ:"بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرنِي أَنْ آخُذ ثِيَابِي وَسِلَاحِي فَقَالَ:يَا عَمْرو،إِنِّي أُرِيدَ أَنْ أَبْعَثك عَلَى جَيْش فَيُغْنِمك اللَّه وَيُسَلِّمك،قُلْت:إِنِّي لَمْ أُسْلِم رَغْبَة فِي

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ص/٢٢٨

الْمَال.قَالَ:نِعْمَ الْمَال الصَّالِح لِلْمَرْءِ الصَّالِح"وَهَذَا فِيهِ إِشْعَار بِأَنَّ بَعْثه عَقِب إِسْلَامه،وَكَانَ إِسْلَامه فِي أَثْنَاء سَنَة سَبْع مِنْ الْهِجْرَة (١)

د- عَنْ أَبِى الأَحْوَصِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – أَنَّهُ قَالَ « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنَّهُ أَخِى وَصَاحِبِى وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً » أخرجه مسلم . (٢)

---

(١) – فتح الباري لابن حجر – (ج ١٠ / ص ٤٦٠)

(٢) – برقم(٦٣٢٢)." [١]

"٧٨- عن قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِىَّ – صلى الله عليه وسلم – صَعِدَ أُحُداً فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ « اسْكُنْ نَبِىٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ ».أخرجه أحمد (١)

٧٩- عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسًا – رضى الله عنه – حَدَّثَهُمْ قَالَ صَعِدَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – أُحُدًا،وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ،فَرَجَفَ وَقَالَ « اسْكُنْ أُحُدُ – أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ – فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِىٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » أخرجه البخاري (٢)

٨٠-عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِىِّ قَالَ لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ ثُمَّ قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – "اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِىٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ ». قَالُوا نَعَمْ. قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ فِى جَيْشِ الْعُسْرَةِ « مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً ». وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ قَالُوا نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بِئْرَ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ بِثَمَنٍ فَابْتَعْتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِىِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا.أخرجه الترمذي (٣)

٨١- عَنِ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِالْبَقَرَةِ إِلَى الْمَائِدَةِ،وَبِالأَنْعَامِ إِلَى هُودٍ،وَيُوسُفَ إِلَى مَرْيَمَ،وَبِطَهَ إِلَى طسم فِرْعَوْنَ وَبِالْعَنْكَبُوتِ إِلَى ص،وَتَنْزِيلَ إِلَى الرَّحْمَنِ،ثُمَّ يَخْتَتِمُ،فَيَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَخْتِمُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ. أخرجه عبد الله (٤)

---

(١) – برقم(١٢٤٣٥) وأبو يعلى برقم(٣١٧١) وهو صحيح – رجف : تحرك واضطرب

---

(١) المهذب في فضائل الخلفاء الراشدين، ص/٥٧

(٢) – برقم(٣٦٩٩)
" أُسْكُنْ أُحُد "بِضَمِّ الدَّال عَلَى أَنَّهُ مُنَادَى مُفْرَد ، وَحُذِفَ مِنْهُ حَرْف النِّدَاء ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَام عَلَيْهِ فِي مَنَاقِب أَبِي بَكْر ، وَمَنْ رَوَاهُ بِلَفْظِ حِرَاء ، وَأَنَّهُ يُمْكِن الْجَمْع بِالْحَمْلِ عَلَى التَّعَدُّد ، ثُمَّ وَجَدْت مَا يُؤَيِّدهُ : فَعِنْد مُسْلِم مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : "كَانَ رَسُول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – عَلَى حِرَاء هُوَ وَأَبُو بَكْر وَعُمَر وعُثْمَان وَعَلِيّ وَطَلْحَة وَالزُّبَيْر ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَة ، فَقَالَ رَسُول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – " فَذَكَرَهُ ، وَفِي رِوَايَة لَهُ " وَسَعْد " وَلَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن زَيْد عِنْد التِّرْمِذِيّ وَآخَر عَنْ عَلِيّ عِنْد الدَّارَقُطْنِيّ . فتح الباري لابن حجر – (ج ١٠ / ص ٤٩٦)
(٣) –برقم(٤٠٦٤) والمستدرك برقم(١٤٧٦) وابن حبان برقم(٧٠٤٢) وهو صحيح
(٤) – برقم (١٤٣) حسن." (١)

"لكل أمة رسول

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) [يونس/٤٧]

مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ رَسُولاً مِنْهَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ : مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ ، وَمِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ الذِي يُنْجِيهِمْ مِنَ العِقَابِ فِي الآخِرَةِ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي مُخَالَفَتِهِ ، وَيَوْمَ الحِسَابِ فِي الآخِرَةِ يَأْتِي كُلُّ رَسُولٍ لِيَشْهَدَ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ رِسَالَتَهُ ، فَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَهُمْ بِالعَدْلِ التَّامِّ ، فَلاَ يَظْلِمُ أَحَداً شيْئاً مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ .

إنه يقال للرسول – صلى الله عليه وسلم – إن أمر هذه العقيدة ، وأمر القوم الذين يخاطبون بها . كله لله ، وأن ليس لك من الأمر شيء . دورك فيها هو البلاغ ، أما ما وراء لك فكله لله . وقد ينقضي أجلك كله ولا ترى نهاية القوم الذين يكذبونك ويعاندونك ويؤذونك ، فليس حتماً على الله أن يريك عاقبتهم ، وما ينزله بهم من جزاء . . هذا له وحده سبحانه! أما أنت – وكل رسول – فعليك البلاغ . . ثم يمضي الرسول ويدع الأمر كله لله . . ذلك كي يعلم العبيد مجالهم ، وكي لا يستعجل الدعاة قضاء الله مهما طال عليهم في الدعوة ومهما تعرضوا فيها للعذاب!!

---
(١) المهذب في فضائل الخلفاء الراشدين، ص/٢١٠

ـ

الرسول يرسل بلسان قومه

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) [إبراهيم/٤]

مِنْ لُطْفِ اللهِ بِخَلْقِهِ أَنَّهُ لاَ يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَى النَّاسِ إِلاَّ بِلِسَانِهِمْ ، لِيَفْهَمُوا مِنْهُمْ مَا يُرِيدُونَ قَوْلَهُ لَهُمْ ، وَلِيُوَضِحُوا لَهُمْ مَا أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ بِهِ ، لِتَقُومَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، وَيَنْقَطِعَ العُذْرَ . وَبَعْدَ أَنْ يَقُومَ الرُّسُلُ بِمُهِمَّةِ الدَّعْوَةِ وَالإِيضَاحِ وَالبَلاَغِ ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ ، يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ وَجْهِ الحَقِّ وَالهُدَى ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ ، وَاللهُ هُوَ العَزِيزُ الذِي لاَ يُقْهَرُ ، مَا شَاءَ كَانَ ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَأَفْعَالِهِ .

وهذه نعمة شاملة للبشر في كل رسالة . فلكي يتمكن الرسول من إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، لم يكن بد من أن يرسل بلغتهم ، ليبين لهم وليفهموا عنه ، فتتم الغاية من الرسالة .

وقد أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – بلسان قومه وإن كان رسولاً إلى الناس كافة لأن قومه هم الذين سيحملون رسالته إلى كافة البشر . وعمره – صلى الله عليه وسلم – محدود . وقد أمر ليدعو قومه أولاً حتى تخلص الجزيرة العربية للإسلام . ومن ثم تكون مهداً يخرج منه حملة رسالة محمد إلى سائر بقاع الأرض . والذي حدث بالفعل وهو من تقدير الله العليم الخبير أن اختير الرسول إلى جوار ربه عند انتهاء الإسلام إلى آخر حدود الجزيرة ، وبعث جيش أسامة إلى أطراف الجزيرة ، الذي توفي الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم يتحرك بعد . . وحقيقة إن الرسول قد بعث برسائله إلى خارج الجزيرة يدعو إلى الإسلام ، تصديقاً لرسالته إلى الناس كافة . ولكن الذي قدره الله له ، والذي يتفق مع طبيعة العمر البشري المحدود ، أن يبلغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – قومه بلسانهم ، وأن تتم رسالته إلى البشر كافة عن طريق حملة هذه الرسالة إلى الأصقاع . . وقد كان . . فلا تعارض بين رسالته للناس كافة ، ورسالته بلسان قومه ، في تقدير الله ، وفي واقع الحياة .﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ . . ﴿ فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ . .إذ تنتهي مهمة الرسول كل رسول عند البيان . أما ما يترتب عليه من هدى ومن ضلال ، فلا قدرة له عليه ، وليس خاضعاً لرغبته ، إنما هو من شأن الله . وضع له سنة ارتضتها مشيئته المطلقة . فمن سار على درب الضلال ضل ، ومن سار على درب الهدى وصل . . هذا وذلك يتبع مشيئة

الله ، التي شرعت سنته في الحياة .
﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ . .القادر على تصريف الناس والحياة ، يصرفهم بحكمة وتقدير فليست الأمور متروكة جزافاً بلا توجيه ولا تدبير .

—

أكثر الناس لا يؤمنون بالرسل ويسخرون منهم

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) [الحجر/١٠-١٥]
يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ – صلى الله عليه وسلم – عَنْ تَكْذِيبِ الكُفَّارِ لَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى الأُمَمِ الخَالِيَةِ التِي كَانَتْ تَكْفُرُ بِرَبِّهَا ، وَتُكَذِّبُ رُسُلَهُ ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ ، لأَنَّهُمْ أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ .
وَلَمْ يَأْتِ أُمَّةً رَسُولٌ إِلاَّ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ ، لأَنَّ حَمْلَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ ، وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ ، مُسْتَثْقَلٌ عَلَى النُّفُوسِ ، كَمَا أَنَّ حَمْلَ النَّاسِ عَلَى تَرْكِ مَا أَلِفُوهُ مِنَ المُعْتَقَدَاتِ هُوَ ثَقِيلٌ أَيْضاً .
وَكَذَلِكَ يُلْقِي اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ، وَيَسْلُكُهُ فِيها مُكَذَّباً بِمَا فِيهِ ، مُسْتَهْزَأً بِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ لَدَيْهِمْ لأَنَّهُ لَيْسَ فِي نُفُوسُهُمْ اسْتِعْدَادٌ لِتَلَقِّي الحَقِّ ، وَلاَ تُضِيءُ نُفُوسُهُمْ بِمَصَابِيحِ هِدَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ ، فَلَكَ يَا مُحَمَّدُ أُسْوَةٌ بِمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ .
وَقَوْمُكَ ، يَا مُحَمَّدُ ، لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَذا القُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا بِمَا فَعَلَهُ اللهُ بِمَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ مِنَ العَذَابِ وَالاسْتِئْصَالِ ، وَكَيْفَ نَجَّى رُسُلَهُ وَالذِينَ آمَنُوا لَهُمْ ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ ، وَسَيَحِلُّ بِهؤُلاَءِ الذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مَا حَلَّ بِالمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ ، وَنَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ حِينٍ .
إِنَّ هؤُلاَءِ الكَفَرَةَ المُعَانِدِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ لِيُؤْمِنُوا لَكَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا ، حَتَّى إِنَّنا لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَظَلُّوا يَصْعَدُونَ فِي ذَلكَ البَابِ فَيَرَوْنَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ المَلاَئِكَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ العَجَائِبِ لِمَا صَدَّقُوا بِذَلِكَ

وَلَقَالُوا : لَقَدْ سُدَّتْ أَبْصَارُنا ، وَحُبِسَتْ عَنِ النَّظَرِ ، وَشُبِّهَ عَلَيْنَا (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنا) ، وَسُحِرْنَا ، فَمَا نَرَاهُ هُوَ تَخَيُّلٌ لاَ حَقِيقَةَ لَهُ ، وَقَدْ سَحَرَنَا مُحَمَّدُ بِمَا يَظْهَرُ عَلى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ . فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ يَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ؟

يكفي تصورهم على هذا النحو لتبدو المكابرة السمجة ويتجلى العناد المزري . ويتأكد أن لا جدوى من الجدل مع هؤلاء . ويثبت أن ليس الذي ينقصهم هو دلائل الإيمان . وليس الذي يمنعهم أن الملائكة لا تنزل . فصعودهم هم أشد دلالة وألصق بهم من نزول الملائكة . إنما هم قوم مكابرون . مكابرون بلا حياء وبلا تحرج وبلا مبالاة بالحق الواضح المكشوف!

إنه نموذج بشري للمكابرة والاستغلاق والانطماس يرسمه التعبير ، مثيراً لشعور الاشمئزاز والتحقير . .

وهذا النموذج ليس محلياً ولا وقتياً ، ولا هو وليد بيئة معينة في زمان معين . . إنه نموذج للإنسان حين تفسد فطرته ، وتستغلق بصيرته ، وتتعطل في كيانه أجهزة الاستقبال والتلقي ، وينقطع عن الوجود الحي من حوله ، وعن إيقاعاته وإيحاءاته .

هذا النموذج يتمثل في هذا الزمان في الملحدين وأصحاب المذاهب المادية التي يسمونها « المذاهب العلمية! » وهي أبعد ما تكون عن العلم؛ بل أبعد ما تكون عن الإلهام والبصيرة . .

إن أصحاب المذاهب المادية يلحدون في الله؛ ويجادلون في وجوده سبحانه وينكرون هذا الوجود .

. ثم يقيمون على أساس إنكار وجود الله ، والزعم بأن هذا الكون موجود هكذا بذاته ، بلا خالق ، وبلا مدبر ، وبلا موجه . . يقيمون على أساس هذا الزعم وذلك الإنكار مذاهب اجتماعية وسياسية واقتصادية و « أخلاقية! » كذلك . ويزعمون أن هذه المذاهب القائمة على ذلك الأساس ، والتي لا تنفصل عنه بحال . . « علمية » . . هي وحدها « العلمية »!

وعدم الشعور بوجود الله سبحانه ، مع وجود تلك الشواهد والدلائل الكونية ، هو دلالة لا تنكر على تعطل أجهزة الاستقبال والتلقي في تلك الجبلات النّكدة . كما أن اللجاجة في هذا الإنكار لا تقل تبجحاً عن تبجح ذلك النموذج الذي ترسمه النصوص القرآنية السابقة :﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا : إنما سكّرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون! ﴾ . .

فالشواهد الكونية أظهر وأوضح من عروجهم إلى السماء . وهي تخاطب كل فطرة غير معطلة خطاباً هامساً وجاهراً ، باطناً وظاهراً ، بما لا تملك هذه الفطرة معه إلا المعرفة والإقرار .

إن القول بأن هذا الكون موجود بذاته؛ وفيه كل تلك النواميس المتوافقة لحفظه وتحريكه وتدبيره؛ كما أن

فيه كل تلك الموافقات لنشأة الحياة في بعض أجزائه . . وهي موافقات لا تحصى . . إن هذا القول بذاته يرفضه العقل البشري ، كما ترفضه الفطرة من أعماقها . وكلما توغل « العلم » في المعرفة بطبيعة هذا الكون وأسراره وموافقاته؛ رفض فكرة التلقائية في وجود هذا الكون وفي حركته بعد وجوده؛ واضطر اضطرارا إلى رؤية اليد الخالقة المدبرة من ورائه . . هذه الرؤية التي تتم للفطرة السوية بمجرد تلقي إيقاعات هذا الكون وإيحاءاته . قبل جميع البحوث العلمية التي لم تجئ إلا أخيرا!

إن الكون لا يملك أن يخلق ذاته ، ثم يخلق في الوقت نفسه قوانينه التي تصرف وجوده . كما أن نشأة الحياة لا يفسرها وجود الكون الخالي من الحياة . وتفسير نشأة الكون ونشأة الحياة بدون وجود خالق مدبر تفسير متعسف ترفضه الفطرة كما يرفضه العقل أيضا : كما أخذ يرفضه العلم المادي نفسه أخيرا :

يقول عالم الأحياء والنبات « رسل تشارلز إرنست » الأستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا : « لقد وضعت نظريات عديدة لكي تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات؛ فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين ، أو من الفيروس ، أو من تجمع بعض الجزيئات البروتينية الكبيرة . وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات . ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية ، قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع الذرات والجزيئات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية .

وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده! ولكنه إذ يفعل ذلك ، فإنما يسلم بأمر أشد إعجازا وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذي خلق الأشياء ودبرها .

« إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها . وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق . ولذلك فإنني أومن بوجود الله إيماناً راسخا »

وهذا الذي يكتب هذا التقرير لم يبدأ بحثه من التقريرات الدينية عن نشأة الحياة . إنما بدأ بحثه من النظر الموضوعي لنواميس الحياة . والمنطق السائد في بحثه هو منطق « العلم الحديث » بكل خصائصه لا منطق الإلهام الفطري ، ولا منطق الحس الديني . ومع ذلك فقد انتهى إلى الحقيقة التي يقررها الإلهام الفطري ، كما يقررها الحس الديني . ذلك أن الحقيقة متى كان لها وجود ، اعترض وجودها كل سالك

إليها من أي طريق يسلكه إليها : أما الذين لا يجدون هذه الحقيقة فهم الذين تعطلت فيهم أجهزة الإدراك جميعا!

والذين يجادلون في الله مخالفين عن منطق الفطرة وعن منطق العقل ، وعن منطق الكون . . أولئك كائنات تعطلت فيها أجهزة الاستقبال والتلقي جميعا . . إنهم العُمْي الذين يقول الله تعالى فيءم ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ وإذا كانت هذه حقيقتهم؛ فإن ما ينشئونه من مذاهب « علمية! » اجتماعية وسياسية واقتصادية؛ وما ينشئون من نظريات عن الكون والحياة والإنسان والحياة والإنسانية والتاريخ الإنساني؛ يجب أن ينظر إليها المسلم كما ينظر إلى كل تخبط ، صادر عن أعمى ، معطل الحواس الأخرى ، محجوباً عن الرؤية وعن الحس وعن الإدراك جميعاً على الأقل فيما يتعلق بالحياة الإنسانية وتفسيرها وتنظيمها . وما ينبغي لمسلم أن يتلقى عن هؤلاء شيئاً؛ فضلاً على أن يكيف نظرته ، ويقيم منهج حياته ، على شيء مقتبس من أولئك العمي أصلاً!

إن هذه قضية إيمانية اعتقادية ، وليست قضية رأي وفكر! إن الذي يقيم تفكيره ، ويقيم مذهبه في الحياة ، ويقيم نظام حياته كذلك ، على أساس أن هذا الكون المادي هو منشئ ذاته ، ومنشئ الإنسان أيضا . . إنما يخطئ في قاعدة الفكرة والمذهب والنظام؛ فكل التشكيلات والتنظيمات والإجراءات القائمة على هذه القاعدة لا يمكن أن تجيء بخير؛ ولا يمكن أن تلتحم في جزيئة واحدة مع حياة مسلم ، يقيم اعتقاده وتصوره ، ويجب أن يقيم نظامه وحياته على قاعدة ألوهية الله للكون وخلقه وتدبيره .

ومن ثم يصبح القول بأن ما يسمى « الاشتراكية العلمية » منهج مستقل عن المذهب المادي مجرد جهالة أو هراء! ويصبح الأخذ بما يسمى « الاشتراكية العلمية » وتلك قاعدتها ونشأتها ومنهج تفكيرها وبناء انظمتها عدولاً جذرياً عن الإسلام : اعتقاداً وتصوراً ثم منهجا ونظاما .. حيث لا **يمكن الجمع** بين الأخذ بتلك « الاشتراكية العلمية » واحترام العقيدة في الله بتاتاً . ومحاولة الجمع بينهما هي محاولة الجمع بين الكفر والاسلام . . وهذه هي الحقيقة التي لا محيص عنها . .

إن الناس في أي أرض وفي أي زمان؛ إما أن يتخذوا الإسلام ديناً ، وإما ان يتخذوا المادية ديناً . فإذا اتخذوا الإسلام دينا امتنع عليهم أن يتخذوا « الاشتراكية العلمية » المنبثقة من « الفلسفة المادية » ، والتي لا يمكن فصلها عن الأصل الذي انبثقت منه ، نظاما . . وعلى الناس أن تختار . . إما الإسلام ، وإما المادية ، منذ الابتداء!

إن الإسلام ليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمير . إنما هو نظام قائم على عقيدة . . كما أن « الاشتراكية

العلمية » بهذا الاصطلاح ليست قائمة على هواء ، إنما هي منبثقة انبثاقاً طبيعيا من « المذهب المادي » الذي يقوم بدوره على قاعدة مادية الكون وإنكار وجود الخالق المدبر اصلا ، ولا يمكن الفصل بين هذا التركيب العضوي . . ومن ثَمَّ ذلك التناقض الجذري بين الإسلام وما يسمى « الاشتراكية العلمية » بكل تطبيقاتها!

ولا بد من الاختيار بينهما . . ولكل أن يختار وأن يتحمل عند الله تبعة ما يختار!!!

وقال تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) [يس/٣٠-٣٢]

يَا حَسْرَةَ مُكَذِّبِي الرُّسُلِ ، وَيَا نَدَامَتَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَمَا يُعَايِنُونَ العَذَابَ الذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ ، فَإِنَّهُمْ مَا جَاءَهُمْ مِنْ رَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَإِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ إِلاَّ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوا ، وَجَحَدُوا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الحَقِّ .

- أَلَم يَتَّعِظُ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبُونَ الكَافِرُونَ بِمَا حُلَّ بِمَنْ أَهَلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى قَبْلَهُمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ ، وَيَعْتَبِرُوا بِمَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَيُدْرِكُوا أَنَّهُمْ لاَ رَجْعَةَ لَهُمْ إِلَى الحَيَاةِ الدُّنْيَا؟

وَإِنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ والآتِيَةِ سَتَحضُرُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلحِسَابِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيا ، إِنْ خَيْراً فَخَيراً ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً .

والحسرة انفعال نفسي على حال مؤسفة لا يملك الإنسان شيئاً حيالها ، سوى أن يتحسر وتألم نفسه . والله سبحانه وتعالى لا يتحسر على العباد؛ ولكنه يقرر أن حالة هؤلاء العباد مما يستحق حسرة المتحسرين! فهي حال بائسة مؤسفة تنتهي بأصحابها إلى شر وخيم وبلاء عظيم!

يا حسرة على العباد تتاح لهم فرصة النجاة فيعرضون عنها ، وأمامهم مصارع الهالكين قبلهم لا يتدبرونها ولا ينتفعون بها . ويفتح الله لهم أبواب رحمته بإرسال الرسل إليهم الحين بعد الحين؛ ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة ويسيئون الأدب مع الله : ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ .

﴿ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴾ . .

ولقد كان في هلاك الأولين الذاهبين لا يرجعون ، على مدار السنين وتطاول القرون . . لقد كان في هذا عظة لمن يتدبر . ولكن العباد البائسين لا يتدبرون . وهم صائرون إلى ذات المصير . فأية حالة تدعو إلى الحسرة كهذا الحال الأسيف؟!

إن الحيوان ليرجف حين يرى مصرع أخيه أمامه؛ ويحاول أن يتوقاه قدر ما يستطيع . فما بال الإنسان يرى المصارع تلو المصارع ، ثم يسير مندفعاً في ذات الطريق؟ والغرور يملي له ويخدعه عن رؤية المصير المطروق! وهذا الخط الطويل من مصارع القرون معروض على الأنظار ولكن العباد كأنهم عمي لا يبصرون! وإذا كان الهالكون الذاهبون لا يرجعون إلى خلفائهم المتأخرين ، فإنهم ليسوا بمتروكين ولا مفلتين من حساب الله بعد حين . .﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ .

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) [الزخرف/٤٦، ٤٧]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ عَبْدَهُ مُوسَى رَسُولاً إِلَى فِرْعَونَ وَقوْمِهِ ، وَأَيَّدَهُ بِآيَاتٍ وَمُعْجِزَاتٍ تَأْيِيداً لَهُ فِي دَعْوَتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى : إِنَّهُ رَسُولٌ رَبِّ العَالَمِينَ إِلَيهِمْ ، كَمَا قُلْتَ أَنْتَ لِقَوْمِكَ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَيهِمْ .فَلَمَا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالمُعْجِزَاتِ التِي أَيَّدَهُ اللهُ بَهَا كَاليَدِ والعَصَا . . فَإِذَا بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ يَضْحَكُونَ مِنْ تِلْكَ المُعْجِزَاتِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ مُوسَى دُونَ أَنْ يَتَأَمَّلُوا فِيهَا ، كَمَا يَسْخَرُ اليومَ قَوْمُكَ مِمّا جِئْتَهُمْ بِهِ

—

إلقاء الشيطان في أمنيات الرسل

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) [الحج/٥٢-٥٤]

أَوْرَدَتْ بَعْضُ كُتُب التَّفْسِيرِ فِي أَسْبَاب نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ قِصَّةً غَرِيبَةً تُعْرَفُ بِقِصَّةِ الغَرَانِيق . والغُرْنُوقُ طَائِرٌ أَبْيَضُ . . وَتَقُولُ القِصَّةُ إِنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَرَأَ في مَكَّةَ سُورَةَ النَّجْمِ في حُضُور جَمْعٍ مِنَ المُسْلِمينَ والمُشْرِكِينَ فَلَمّا بَلَغَ في قِراءَتِهِ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى وَمَنَاةَ الثالثة الأخرى ﴾ أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ (تِلْكَ الغَرَانِيْقُ العُلَى وإنّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى) فَقَالَ المُشْرِكُونَ مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بخَيْر قَبْلَ اليَوْم .

فَلَمَّا خَتَمَ السّورَة سَجَدَ وَسَجَدُوا . فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله (– صلى الله عليه وسلم –) فَنَزَلَ تَسْلِيَةً لَهُ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ . . الآيَةَ ﴾ .." (١)

"–قوله أخبرني عمرو هو بن الحارث وبكير بالتصغير هو بن عبد الله بن الأشج وعبيد الله هو بن الأسود وفي هذا الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق بكير وعاصم وعبيد الله وثلاثة من أوله مصريون وثلاثة من آخره مدنيون وفي وسطه مدني سكن مصر وهو بكير فانقسم الإسناد إلى مصري ومدني قوله عند قول الناس فيه وقع بيان ذلك عند مسلم حيث أخرجه من طريق محمود بن لبيد الأنصاري وهو من صغار الصحابة قال لما أراد عثمان بناء المسجد كره الناس ذلك وأحبوا أن يدعوه على هيئته أي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وظهر بهذا أن قوله في حديث الباب حين بنى أي حين أراد أن يبني وقال البغوي في شرح السنة لعل الذي كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة لا مجرد توسيعه انتهى ولم يبن عثمان المسجد إنشاء وإنما وسعه وشيده كما تقدم في باب بنيان المسجد فيؤخذ منه إطلاق البناء في حق من جدد كما يطلق في حق من أنشأ أو المراد بالمسجد هنا بعض المسجد من إطلاق الكل على البعض قوله مسجد الرسول كذا للأكثر وللحموي والكشميهني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله إنكم أكثرتم حذف المفعول للعلم به والمراد الكلام بالإنكار ونحوه تنبيه كان بناء عثمان للمسجد النبوي سنة ثلاثين على المشهور وقيل في آخر سنة من خلافته ففي كتاب السير عن الحارث بن مسكين عن بن وهيب أخبرني مالك أن كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجد لوددت أن هذا المسجد لا ينجز فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان قال مالك فكان كذلك قلت **ويمكن الجمع** بين القولين بأن الأول كان تاريخ ابتدائه والثاني تاريخ انتهائه قوله من بنى مسجدا التنكير فيه للشيوع فيدخل فيه الكبير والصغير ووقع في رواية أنس عند الترمذي صغيرا أو كبيرا وزاد بن أبي شيبة في حديث الباب من وجه آخر عن عثمان ولو كمفحص قطاة وهذه الزيادة أيضا عند بن حبان والبزار من حديث أبي ذر وعند أبي مسلم الكجي من حديث بن عباس وعند الطبراني في." (٢)

"بدل فلم توافقه وهي بمعنى تصادفه وفي رواية أبي الورد فأتته فوجدت عنده حداثا بضم المهملة وتشديد الدال وبعد الالف مثلثة أي جماعة يتحدثون فاستحيت فرجعت فيحمل على ان المراد انها لم تجده في المنزل بل في مكان آخر كالمسجد وعنده من يتحدث معه قوله فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء

---

(١) النبوة والأنبياء في القرآن والسنة، ص/٥٥

(٢) اليواقيت العشرية من كلام خير البرية، ٤/٤٨

أخبرته في رواية القطان أخبرته عائشة زاد غندر عن شعبة في المناقب بمجيء فاطمة وفي رواية بدل فذكرت ذلك عائشة له وفي رواية محاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عند جعفر الفريابي في الذكر والدارقطني في العلل وأصله في مسلم حتى أتت منزل النبي صلى الله عليه وسلم فلم توافقه فذكرت ذلك له أم سلمة بعد ان رجعت فاطمة ويجمع بان فاطمة التمسته في بيتي أمي المؤمنين وقد وردت القصة من حديث أم سلمة نفسها أخرجها الطبري في تهذيبه من طريق شهر بن حوشب عنها قالت جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو اليه الخدمة فذكرت الحديث مختصرا وفي رواية السائب فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك يا بنية قلت جئت لأسلم عليك واستحيت ان تسأله ورجعت فقلت ما فعلت قالت استحييت قالت وهذا مخالف لما في الصحيح **ويمكن الجمع** بأن تكون لم تذكر حاجتها اولا على ما في هذه الراوية ثم ذكرتها ثانيا لعائشة لما لم تجده ثم جاءت هي وعلي على ما في رواية السائب فذكر بعض الرواة ما لم يذكر بعض وقد اختصره بعضهم ففي رواية مجاهد الماضية في النفقات ان فاطمة اتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال الا أخبرك ما هو خير لك منه وفي رواية هبيرة فقالت انطلق معي فانطلقت معها فسألناه فقال الا ادلكما الحديث ووقع عند مسلم من حديث أبي هريرة ان فاطمة اتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما وشكت العمل فقال ما الفيته عندنا وهو بالفاء أي ما وجدته ويحمل على ان المراد ما وجدته عندنا فاضلا عن حاجتنا اليه لما ذكر من انفاق اثمان السبي على أهل الصفة قوله فجاءنا وقد اخذنا مضاجعا زاد في." (١)

"- قوله عن سعد بن إبراهيم أي بن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن سعد شيخه هو خاله لأن أم سعد بن إبراهيم هي أم كلثوم بنت سعد بن أبي وقاص وسعد وعامر زهريان مدنيان تابعيان ووقع في رواية مسعر عن سعد بن إبراهيم حدثني بعض آل سعد قال مرض سعد وقد حفظ سفيان اسمه ووصله فروايته مقدمة وقد روى هذا الحديث عن عامر أيضا جماعة منهم الزهري وتقدم سياق حديثه في الجنائز ويأتي في الهجرة وغيرها ورواه عن سعد بن أبي وقاص جماعة غير ابنه عامر كما سأشير إليه قوله جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة زاد الزهري في روايته في حجة الوداع من وجع اشتد بي وله في الهجرة من وجع أشفيت منه على الموت واتفق أصحاب الزهري على أن ذلك كان في حجة الوداع الا بن عيينة فقال في فتح مكة أخرجه الترمذي وغيره من طريقه واتفق الحفاظ على أنه وهم فيه وقد أخرجه البخاري في الفرائض من طريقه فقال بمكة ولم يذكر الفتح وقد وجدت لابن عيينة مستندا فيه وذلك فيما أخرجه أحمد

---

(١) اليواقيت العشرية من كلام خير البرية، ٥/٨٥

والبزار والطبراني والبخاري في التاريخ وابن سعد من حديث عمرو بن القارئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم فخلف سعدا مريضا حيث خرج إلى حنين فلما قدم من الجعرانة معتمرا دخل عليه وهو مغلوب فقال يا رسول الله إن لي مالا وإني أورث كلالة أفأوصي بمالي الحديث وفيه قلت يا رسول الله أميت أنا بالدار الذي خرجت منها مهاجرا قال لا إني لأرجو أن يرفعك الله حتى ينتفع بك أقوام الحديث فلعل بن عيينة انتقل ذهنه من حديث إلى حديث **ويمكن الجمع** بين الروايتين بأن يكون ذلك وقع له مرتين مرة عام الفتح ومرة عام حجة الوداع ففي الأولى لم يكن له وارث من الأولاد أصلا وفي الثانية كانت له ابنة فقط فالله أعلم." (١)

"- قوله حدثني طلحة بن عبد الله أي بن عوف وكذا هو عند أحمد عن أبي اليمان زاد الحميدي في مسنده من وجه آخر في هذا الحديث وهو بن أخي عبد الرحمن بن عوف قوله عبد الرحمن بن عمرو بن سهل هو المدني وقد ينسب إلى جده وقد نسبه المزي أنصاريا ولم أر ذلك في شيء من طرق حديثه بل في رواية بن إسحاق التي سأذكرها ما يدل على أنه قرشي وقد ذكر الواقدي فيمن قتل بالحرة عبد الملك بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر العامري القرشي وأظنه ولد هذا وكانت الحرة بعد هذه القصة بنحو من عشر سنين وليس لعبد الرحمن هذا في صحيح البخاري سوى هذا الحديث الواحد وفي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق وقد أسقط بعض أصحاب الزهري في روايتهم عنه هذا الحديث عبد الرحمن بن عمرو بن سهل وجعلوه من رواية طلحة عن سعيد بن زيد نفسه وفي مسند أحمد وأبي يعلى وصحيح بن خزيمة من طريق بن إسحاق حدثني الزهري عن طلحة بن عبد الله قال أتتني أروى بنت أويس في نفر من قريش فيهم عبد الرحمن بن سهل فقالت: إن سعيدا انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه قال فركبنا إليه وهو بأرضه بالعقيق فذكر الحديث **ويمكن الجمع** بين الروايتين بأن يكون طلحة سمع هذا الحديث من سعيد بن زيد وثبته فيه عبد الرحمن بن عمرو بن سهل فلذلك كان ربما أدخله في السند وربما حذفه والله أعلم." (٢)

"؟ وإذا كان الصلب قد حط عن البشر خطاياهم فما فائدة تعاليم المسيح والرسل من قبله إذا كان تكفير خطايا البشر مضمون و أكيد لهذه الدرجة ؟ ولماذا قال المسيح إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس، سوف يؤدون عنها الحساب في يوم الدينونة. فإنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان؟[٥٣] وما الذي سيمنع

---

(١) اليواقيت العشرية من كلام خير البرية، ٢٦/٩

(٢) اليواقيت العشرية من كلام خير البرية، ٨/١٠

الإنسان أن يرتكب أكبر الفواحش وأعظم المنكرات إذا علم أن الخلاص مضمون؟ ولماذا الحاجة إلى التعميد الذي تفعله الكنيسة بكل مولود إذا كانت حادثة الصلب المزعومة هذه قد غفرت للإنسان خطيئته [٥٤]؟ وإذا كان كل مولود يرث نصيبا من هذه خطيئة أبيه آدم فهل ورثت مريم وابنها عليهما السلام أيضا هذه الخطيئة من أبيهما آدم عليه السلام ؟ وماذا عن ظلم البشر بعضهم لبعض هل يتحملها الصليب أيضا فلا قصاص بينهم ولا عدل أم أن هذه خارج الموضوع؟ وماذا عن الذنوب التي ارتكبتها البشرية بعد المسيح إلى اليوم من يكفرها؟ أم تـراها تحتاج لمسيح جديد لكي يقتله أحد الأشقياء فتسقط عن البشر بقية خطاياهم؟ إننا نفهم أن الذي يضحي بشيء فإنه يضحي به من أجل شخص آخر أو لاسترضاء من هو أعلى منه وأقدر كما ذبح إبراهيم الكبش فداء لإسماعيل وتقربا إلى الله بذلك فإذا كان الله نفسه هو الذي ضحى بولده –تعالى الله عما يصفون– فمن أجل من يا ترى فعل ذلك وليس في الكون من هو أعظم منه؟ (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) ؟ إن من يقرأ الروايات المختلفة لحادثة الصلب في الأناجيل سيجد بينها تناقضات لا **يمكن الجمع** بينها فمثلا من يقارن تفاصيل المحاكمة والصلب والقيامة واكتشاف قبره ومن رآه عند قيامته وماذا قال على الصليب ومن حمل الصليب وغير ذلك في الروايات المختلفة سيجد." (١)

"؟ وإذا كان الصلب قد حط عن البشر خطاياهم فما فائدة تعاليم المسيح والرسل من قبله إذا كان تكفير خطايا البشر مضمون و أكيد لهذه الدرجة ؟ ولماذا قال المسيح إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس، سوف يؤدون عنها الحساب في يوم الدينونة. فإنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان؟[٥٣] وما الذي سيمنع الإنسان أن يرتكب أكبر الفواحش وأعظم المنكرات إذا علم أن الخلاص مضمون؟ ولماذا الحاجة إلى التعميد الذي تفعله الكنيسة بكل مولود إذا كانت حادثة الصلب المزعومة هذه قد غفرت للإنسان خطيئته [٥٤]؟ وإذا كان كل مولود يرث نصيبا من هذه خطيئة أبيه آدم فهل ورثت مريم وابنها عليهما السلام أيضا هذه الخطيئة من أبيهما آدم عليه السلام ؟ وماذا عن ظلم البشر بعضهم لبعض هل يتحملها الصليب أيضا فلا قصاص بينهم ولا عدل أم أن هذه خارج الموضوع؟ وماذا عن الذنوب التي ارتكبتها البشرية بعد المسيح إلى اليوم من يكفرها؟ أم تـراها تحتاج لمسيح جديد لكي يقتله أحد الأشقياء فتسقط عن البشر بقية خطاياهم؟ إننا نفهم أن الذي يضحي بشيء فإنه يضحي به من أجل شخص آخر أو لاسترضاء من هو

(١) إقامة الحجة على العالمين بنبـوة خاتم النبيين، ٤٦٠/٢

أعلى منه وأقدر كما ذبح إبراهيم الكبش فداء لإسماعيل وتقربا إلى الله بذلك فإذا كان الله نفسه هو الذي ضحى بولده –تعالى الله عما يصفون– فمن أجل من يا ترى فعل ذلك وليس في الكون من هو أعظم منه؟ (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) ؟ إن من يقرأ الروايات المختلفة لحادثة الصلب في الأناجيل سيجد بينها تناقضات لا يمكن الجمع بينها فمثلا من يقارن تفاصيل المحاكمة والصلب والقيامة واكتشاف قبره ومن رآه عند قيامته وماذا قال على الصليب ومن حمل الصليب وغير ذلك في الروايات المختلفة سيجد." (١)

"ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءا فرواه، وحفظ آخر جزءا غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي، والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقا بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعا لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس غريبا على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه فيساويه بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفسه رضي الله عنه ونزل درجة عن مكان الصديق رضي الله عنه(٣٨٨)، وفي رواية أخرى أنه بعد يومين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته، وبطشه، وأدرك عمر أنه لابد من تجليه الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنهم مع النبي وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال: ... ثم إني قد وليت أم‌وركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها؛ لكم علي أن لا أجتبي شيئا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم(٣٨٩) في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني،

(١) إقامة الحجة على العالمين بنب‌وة خاتم النبيين، ٧٩/٣

وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم(٩٠٣)، وجاء في رواية: إنما مثل العرب مثل أنف اتبع." (١)

"وهذا حديث عظيم وقصة جليلة، تدل كيف أن القرابات لم تكن حائلاً بين المسلمين الأوائل والانتصار لنبيهم صلى الله عليه وسلم، فمحمد بن مسلمة رضى الله عنه الذي تولى أمر هذه المهمة كان ابن أخت كعب بن الأشرف، وأبو نائلة الرجل الثاني من هذه المهمة كان أخو كعب من الرضاعة، أم "كعب بن الأشرف" فقد كان من أشد أعداء الإسلام في المدينة النبوية حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين لقتله، روى أبو داود في سننه: أن كعب بن الأشرف كان شاعرا ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط. فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم استصلاحهم ، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر . فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه" .

وذكر ابن حجر في فتح الباري أن كعب بن الأشرف قدم على مشركي قريش فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين، ومن طريق أبي الأسود عن عروة "أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويحرض قريشا عليهم، وأنه لما قدم على قريش قالوا له: أديننا أهدى أم دين محمد؟ قال: دينكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من لنا بابن الأشرف فإنه قد استعلن بعداوتنا"

ووجدت في " فوائد عبد الله بن إسحاق الخراساني " من مرسل عكرمة بسند ضعيف إليه لقتل كعب سببا آخر ، وهو أنه صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوليمة فإذا حضر فتكوا به ، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه ، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه ، فقام فستره جبريل بجناحه فخرج ، فلما فقدوه تفرقوا ، فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب . **ويمكن الجمع** بتعدد الأسباب" أ.هـ.." (٢)

"وعند مسلم أيضا أنه قال – صلى الله عليه وسلم –: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فيفتحون القسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذا صاح فيهم الشيطان المسيح قد خلفكم في أهليكم فيرجعون وذلك

---

(١) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ١١١/١

(٢) إنا كفيناك المستهزئين، ص/٨٩

باطل فإذا جاؤو الشام خرج – أى الدجال-".

ويمكن الجمع أن الفتح فتحان، أحدهما قد حدث والآخر سيأتي بإذن الله بالتكبير والتهليل وجيش يخرج من المدينة.

فما الواجب علينا؟

الجهاد والاعداد والبناء والتربية على هذا الفهم العميق للإسلام، وعلى تحديد مواطن العمل، والتحرر من التبعية للحدود الأرضية، والإنطلاق نحو الفهم الموسع للجهاد ، والثقة بموعود الله ورسوله، فان عجزنا فهذا لا يعنى أنا عاجزون عن توريث هذا الدين لأبنائنا، ولندع ما علق بأفكارنا فلا نجعله مرجع لأبنائنا، ولنحررهم من التبعية لأفكارنا، وليستمدوا من قول نبيهم وسيرة سلفهم ما يعينهم على مهمة فتح القسطنطينية ورومية.

- عز الأمة وملكها سيبلغ ما بلغ الليل والنهار:

عند أحمد عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض".

وعند مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض".." (١)

"أخرج الحاكم بسند صحيح عن الشعبي قال: فاتفق أن خرج إلى الشام في تجارة فلما كان بقرب المدينة أراد بعض المسلمين أن يخرجوا إليه فيأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا؟ قال: نعم، قالت: فاشهد أني أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرجوا إليه عزلا بغير سلاح فقالوا له: يا أبا العاص إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصهره فهل لك أن تسلم فتغتنم ما معك من أموال أهل مكة؟ قال: بئسما أمرتموني به أن أنسخ ديني بغدرة فمضى حتى قدم مكة فدفع إلى كل ذي حق حقه ثم قام فقال: يا أهل مكة أوفت ذمتي؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قدم المدينة مهاجرا.

قال ابن حجر: هذا مع صحة سنده إلى الشعبي مرسل وهو شاذ خالفه ما هو أثبت منه، ففي المغازي لابن إسحاق: عن عائشة – رضي الله عنها وغضب على من يبغضها – قالت: لما بعث أهل مكة في

---

(١) إرشاد السؤول إلى حروب الرسول، ٤١/١

فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص فلما رآها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها ففعلوا.

وساق ابن إسحاق قصته أطول من هذا وأنه شهد بدرا مع المشركين وأسر فيمن أسر، ففادته زينب، فاشترط عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يرسلها إلى المدينة ففعل ذلك، ثم قدم في عير لقريش فأسره المسلمون وأخذوا ما معه، فأجارته زينب فرجع إلى مكة فأدى الودائع إلى أهلها، ثم هاجر إلى المدينة مسلما فرد النبي – صلى الله عليه وسلم – إليه ابنته **ويمكن الجمع** بين الروايتين.." (١)

" قلت : قول أبي عمر عن ابن إسحاق إنه لم يذكره فيمن هاجر الهجرة الأولى وقال : إنه هاجر الهجرة الثانية مع النبي صلى الله عليه و سلم فقول أبي عمر يدل أنه اراد الهجرتين هجرة الحبشة وهجرة المدينة لأنه قال : هاجر الهجرة الثانية مع النبي صلى الله عليه و سلم والنبي إنما هاجر إلى المدينة فحينئذ يناقض ما نقله ابن منده وأبو نعيم عن ابن إسحاق لنهما نقلا عنه أنه هاجر الالحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وإنما أراد ابن إسحاق أنه لم يهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة لأن المسلمين هاجروا إلى الحبشة هجرتين أولى وثانية والثانية كان فيها جعفر وهو معه فحينئذ **يمكن الجمع** بين ما نقله أبو عمر وبين ما نقله ابن منده وأبو نعيم عن ابن إسحاق لولا قوله : هاجر الثانية مع النبي صلى الله عليه و سلم فإن النبي صلى الله عليه و سلم لم يهاجر إلى الحبشة ولعل قوله : " مع النبي صلى الله عليه و سلم " وهم وغلط فإن كان كذلك فقد صح قولهم واتفق . والصحيح أن ابن إسحاق ذكره فيمن هاجر مع جعفر إلى الحبشة

أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن السمين بإسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق في تسمية من هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية قال : " ومن بني عامر بن لؤي . . . و عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود " . وكذلك روى سلمة والبكائي عن ابن إسحاق . فبان بهذا أن قوله مع النبي صلى الله عليه و سلم وهم وغلط والله أعلم

عبد الله بن مخمر

" د ع " عبد الله بن مخمر . من أهل اليمن عداده في الشاميين مختلف في صحبته

---

(١) إرشاد السؤول إلى حروب الرسول، ٢٨/٢

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء بإسناده عن أبن أبي عاصم قال : حدثنا محمد بن إدريس حدثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن ايوبن حدثنا عبد الله – هو ابن قرط – : أنه سمع عبد الله بن مخمر – رجل من أهل اليمن – يحدث أن س صلى الله عليه و سلم قال لعائشة : " احتجبي من النار ولو بشق تمرة "

أخرجه ابن منده وأبو نعيم هكذا بالخاء المعجمة وآخره راء وأخرجه أبو عمر بالحاء المهملة وآخره دال وقل ابن منده وأبو نعيم تصحيف

عبد الله بن مربع الأنصاري

" ب " عبد الله بن مربع الأنصاري . روى عنه يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مربع فقال : إني رسول رسول الله صلى الله عليه و سلم إليكم بقول : "كونا على مشاعركم هذه فإنكم على غرث من إرث أبيكم إبراهيم "

وقيل : يزيد بن مربع وقيل : زيد بن مربع

أخرجه أبو عمر هكذا وأخرج له هذا المتن . وأخرج ابن منده وأبو نعيم هذا المتن في الترجمة التي تتلو هذه ويرد ذكرها والكلام عليها إن شاء الله تعالى

عبد الله بن مربع بن قيظي

" ب د ع " عبد الله بن مربع بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارث بن الحارث الأنصاري والحارثي

شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم وقتل هو وأخوه عبد الرحمن يوم جسر أبي عبيد ولهما أخوان لأبيهما وأمهما أحدهما زيد والآخر مرارة صحبا النبي صلى الله عليه و سلم ولم يشهدا أحدا . وكان أبوهم مربع بن قيظي منافقا وكان أعمى وهو الذي سلك النبي صلى الله عليه و سلم حائطه لما سار إلى أحد فجعل يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول : " إن كنت نبيا فلا تدخل حائطي . هذا كلام أبي عمر

وأما ابن منده وأبو نعيم فنسباه كذلك ورويا عن عبد الله بن صفوان الجمحي : أنه سمع رجلا من أخواله يقال له : يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مربع فقال : إني رسول رسول الله صلى الله عليه و سلم إليكم . . الحديث . ورويا أيضا عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن عبد الرحمن بن محمد قال : سمعت عبد الله بن مربع بن قيظي الحارثي قال : رأيت النبي صلى الله عليه و سلم زمزم فشرب من مائها

أخرجه الثلاثة

قلت : أخرج ابن منده وأبو نعيم هذين الحديثين في هذه الترجمة وأخرج أبو عمر الحديث الأول في الترجمة الأولى فجعلهما أبو عمر اثنين وجعلهما ابن منده وأبو نعيم واحدا ولو ارتفع نسب الأول لعلمنا هل هما واحد أو اثنان والله أعلم

مربع : بالميم المكسورية والباب الموحدة

عبد الله بن مرقع

" د ع " عبد الله بن مرقع . وقيل : عبد الرحمن ." (١)

" " ب د ع " عبد الرحمن بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري قاله أبو عمر

هو ابن وليدة زمعة الذي قضى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الولد للفراش وللعاهر الحجر " . حين تخاصم أخوه عبد بن زمعة وسعد بن أبي وقاص . ولم يختلف النسابون لقريش : مصعب والزبير والعدوي فيما ذكرناه قالوا : أمه أمة كانت لأبيه يمانية وأبوه زمعة . وأخته سودة زوج النبي صلى الله عليه و سلم ولعبد الرحمن عقب وهم بالمدينة . هذا كلام أبي عمر

وقال ابن منده : عبد الرحمن بن زمعة بن المطلب أخو عبد الله وعبد ابني زمعة . روى حديثه هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الرحمن بن زمعة : أنه خاصم في غلام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال : أخي ولد على فراش أبي . وقال : هكذا رواه وقال غيره : عبد بن زمعة

وقال أبو نعيم : عبد الرحمن بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي أمه قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عمر بن مخزوم . وروى عن هشام مثل حديث ابن منده وزاد في النسب . " الأسود "

أخبرنا فتيان بن أحمد بن محمد الجوهري المعروف بابن سمينة بإسناده إلى القعنبي عن مالك عن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم أنها قالت : "كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص : أن ابن وليدة زمعة مني فاقبضه إليك

قالت : فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن أخي قد كان عهد إلي فيه . فقام إلهي عبد بن زمعة فقال : أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه . فتساوقا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال سعد : يا رسول الله إن أخي قد كان عهد إلي فيه . وقال عبد بن زمعة : أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه .

---

(١) أسد الغابة، ص/٦٧٠

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " هو لك يا عبد بن زمعة " . ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الولد للفراش وللعاهر الحجر " . ثم قال لسودة بنت زمعة : " احتجبي منه " لما رأى من شبهه بعتبة بن أبي وقاص . قالت . فما رآها حتى لقي الله عز و جل "

قلت : أخرجه الثلاثة واختلفوا في نسبه اختلافا كبيرا لا يمكن الجمع بين أقوالهم . والصحيح هو الذي قاله أبو عمر ودليله أن أبا نعيم ذكر في عبد بن زمعة بن الأسود أنه أخو سودة بنت زمعة . وذكر ابن منده في عبد بن زمعة أيضا : أنه أخو سودة وذكرا في نسب سودة أنها بنت زمعة بن قيس كما سقناه أولا فبان بهذا أن عبد الرحمن الذي قالا : إنه أخو عبد بن زمعة هو ابن زمعة بن قيس العامري لا زمعة بن الأسود الأسدي . ومما يؤيد هذا القول أن النبي صلى الله عليه و سلم لما اختصم سعد وعبد بن زمعة زوجته : " احتجبي منه والولد للفراش " فلو لم يكن أخاها لأنه ولد على فراش أبيها لما أمرها بالاحتجاب منه لما رأى فيه من شبهة عتبة والله أعلم

وإنما كان الوهم من ابن منده أولا حيث رأى زمعة وأنه قرشي فسبق إلى قلبه أنه زمعة بن الأسود الأسدي لأنه أشهر وتبعه أبو نعيم ولو علما أن بني عامر بن لؤي قرشيون ايضا لما قالا ذلك وهم هريش الظواهر وبنو كعب بن لؤي قريش البطاح

وقد ذكر الزبير بن بكار فقال : " ولد قيس بن عبد شمس يعني العامري : زمعة ثم قال : فولد زمعة عبد بن زمعة و عبد الرحمن بن زمعة وهو الذي خاصم فيه أخوه عبد بن زمعة عام الفتح سعد بن أبي وقاص . ثم قال : وسودة بنت زمعة كانت عبد السكران بن عمرو فتزوجها بعده رسول الله صلى الله عليه و سلم فهذا يؤيد ما قلناه والله أعلم

عبد الرحمن بن زهير

" ب د ع " عبد الرحمن بن زهير الأنصاري يكنى أبا خلاد . له ذكر في الصحابة

روى يحيى بن سعد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد - ويقال : اسمه عبد الرحمن بن زهير - وكان له صحبة من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا وقلة المنطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة "

أخرجه الثلاثة

قلت : قد أخرج ابن منده وأبو نعيم عبد الرحمن أبا خلاد ترجمة أخرى تقدم ذكرها قبل هذه ويغلب على ظني أنهما واحد وسمى أبوه في هذه الترجمة ولم يسم في تلك فلهذا أخرج أبو عمر هذه ولم يخرج الأولى والله أعلم

عبد الرحمن بن زيد ." (١)

" قاله هشام بن الكلبي بتقديم " السين " على " الحاء " . وقاله أبو موسى : " قيس بن مسحل اليعمري " آخره لام وقال اليعمري نسبة إلى يعمر الشداخ بن عوف الكناني الليثي وهو أخو كلب بن عوف وكثيرا ما ينسبون إلى الأخ المشهور وقال : كان مع زيد بن حارثة في غزوة جذام من أرض جسمى وشهد مؤتة وقال يومئذ شعرا ذكره ابن إسحاق في المغازي وسماه مسحرا مثل ابن الكلبي

أخرجه أبو موسى

قلت : وقد أخرج أبو عمر : " قيس بن المحسر " بتقديم الحاء على السين وذكر فيه أنه غزا مع زيد بن حارثة أم قرفة وقتلها . وذكره أبو موسى وقال : " مسحل " وقد وافق ابن ماكولا أبا عمر كما ذكرناه وقاله ابن إسحاق وابن الكلبي مسحر بتقديم " السين " على " الحاء " ولا شك أنهم قد اختلفوا فيه وذكر أبو موسى أنه غزا جذام بأرض حسمى . وليس بشيء وإنما الصحيح أنه غزا مع زيد بني فزارة لما قتلت أم قرفة وأمر زيد قيسا فقتلها وكانتا غزوتين في وقتين ومكانين لا **يمكن الجمع** بنهما والله أعلم

قيس بن معبد :

قيس بن معبد الحنفي أخو يزيد بن معبد . له ذكر في حديث أخيه يزيد

أخرجه ابن منده وأبو نعيم مختصرا

قيس بن المكشوح :

قيس بن المكشوح أبو شداد . واختلف في اسم أبيه فقيل : عبد يغوث . وقيل : هبيرة بن هلال . وهو الأكثر وقيل : اسمه عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن الأحمس بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي حليف مراد قاله أبو عمر

وقال أبو موسى : " قيس بن عبد يغوث بن مكشوح " . ولم يزد

وقال ابن الكلبي : قيس بن المكشوح واسمه هبيرة بن عبد يغوث بن الغزيل بن بدا بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد فجعله من مراد صلبية

---

(١) أسد الغابة، ص/٦٩٦

وقال أبو عمر : إنما قيل له المكشوح لأنه كوي . وقيل : لأنه ضرب على كشحه . قيل : له صحبة وقيل : لا صحبة له باللقاء والرؤية . وقيل : لم يسلم إلا في أيام أبي بكر . وقيل : في أيام عمر

وهو الذي أعان على قتل الأسود العنسي مع فيروز فقتله الأسود يدل على إسلامه في حياة سول الله صلى الله عليه و سلم

وكان فارس مذحج غير مدافع وسار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص وله آثار صالحة في قتال الفرس بالقادسية وغيرها وشهد مع النعمان بن مقرن نهاوند ثم قتل بصفين مع علي . وكان فارسا بطلا شاعرا وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب

وكان يناقضه في الجاهلية وكانا في الإسلام متباغضين وهو القائل لعمرو بن معد يكرب :

فلو لا قيتني لا قيت قرنا ... وودعت الحبائب بالسلام

الأبيات

وكان سبب قتله أن بجيلة قالوا له : يا أبا شداد . خذ رايتنا اليوم . فقال : غيري خير لكم !

قالوا : ما نريد غيرك !

قال : فوالله لئن أخذتها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب - وكان الترس مع رجل على رأس معاوية - فأخذ الراية وحمل وقاتل حتى وصل إلى صاحب الترس فحمل قيس عليه فاعترضه رومي لمعاوية فضرب رجله فقطعها وقتله قيس . وأشرعت إليه الرماح فقتل

أخرجه أبو عمر وأبو موسى إلا أن أبا موسى قال : قيس بن عبد يغوث . وهو هذا

الغزيل : بضم الغين المعجمة وفتح الزاي وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره لام

قيس بن المنتفق :

قيس بن المنتفق . روى المغيرة بن عبد الله اليشكري عن أبيه : أنه دخل مسجد الكوفة قال : فرأيت قيس ابن المنتفق وهو يقول : وصف لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فطلبته بمكة وبمنى وبعرفات فأتيته فانتهيت إليه . . وذكر الحديث

وهذا الرجل مختلف في اسمه روى على عدة وجوه

أخرجه أبو موسى مختصرا

قيس بن نشبة :

قيس بن نشبة السلمي

روى أبو معشر بإسناده قال : لما كان من أهل بدر ما كان اشتد على العرب لا سيما أهل نجد فلما كان يوم الخندق ورجع المشركون إلى بلادهم جاء قيس بن نشبة إلى النبي صلى الله عليه و سلم فسأله عن السموات فذكر له النبي صلى الله عليه و سلم السموات السبع والملائكة وعبادتهم وذكر الأرض وما فيها فأسلم ورجع إلى قومه فقال : يا بني سليم قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاول حمير وما كلام محمد يشبه شيئا من كلامهم فأطيعوني في محمد فإنكم أخواله فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا وإن تكن الأخرى لم تقدم العرب عليكم ." (١)

" عجلون عن أخيه شيخ الإسلام نجم الدين ابن قاضي عجلون لنفسه

(لقد كان يفتي في زمان نبينا ** مع الخلفاء الراشدين أيمة)

(معاذ وعمار وزيد بن ثابت ** أبي ابن مسعود ابن عوف حذيفة)

(ومنهم أبو موسى وسلمان حبرهم **كذاك أبو الدرداء وهو تتمة)

(وأفتى بميراث أبو بكر الرضى ** وصدقه فيها وتلك مزية)

وانظر كتاب العلم من شرح الأحياء ونقل السيوطي في تدريب الراوي عن ابن حزم أكثر الصحابة فتوى مطلقا ستة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعائشة قال ويمكن الجمع من فتوى كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم قال ويليهم عشرون أبو بكر وعثمان وأبو موسى ومعاذ وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص وسلمان وجابر وأبو سعيد والزبير وعبد الرحمان بن عوف وعمران بن حصين وأبو بكرة وعبادة بن الصامت ومعاوية وابن الزبير وأم سلمة قال ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير قال وفي الصحابة نحو من مائة وعشرين نفسا يقلون في الفتيا جدا ه ذكر من كان يتوسط بين المصطفى وبين الصحابة إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء

ترجم في الإصابة لثابت بن معاذ الأنصاري فقال جاء ذكره في حديث لأنس ضعيف السند ذكره الخطيب في المؤتلف من طريق القاسم بن خليفة حدثنا أبو يحيى التميمي عن إسماعيل بن إبراهيم عن مطين بن خالد عن أنس بن مالك قال كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم

". (٢)

(١) أسد الغابة، ص/٩٢٦

(٢) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ٥٨/١

" من تاريخ الخلفاء للسيوطي في فصل أولياته ومنها أنه أول من اتخذ بيت المال أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي خيثمة وغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسنح ليس يحرسه أحد فقيل له ألا تجعل عليه من يحرسه قال عليه قفل فكان يعطي ما فيه حتى يفرغ فلما انتقل إلى المدينة حوله فجعله في داره فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القسم وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعله في سبيل الله واشترى قطائف أوتي بها من المدائن ففرقها في أرامل المدينة فلما توفي أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بهم في بيت أبي بكر منهم عبد الرحمان بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا لا دينارا ولا درهما

قلت

وبهذا الأثر يرد قول العسكري في الأوائل إن أول من اتخذ بيت المال عمر وقد رددت عليه في كتابي الذي صنفته في الأوائل ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال إن أول من ولي بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبي بكر قلت **ويمكن الجمع** بأن أبا بكر أول من اتخذ بيت المال من غير احصار ولا تدوين وعمر أول من دون مثلا

وفي تاريخ الكامل لإبن الأثير وفي سنة ١٥ من الهجرة فرض عمر الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا وفي الأحكام السلطانية للماوردي أقوال في السبب الذي حمل عمر على ذلك منها أن أبا هريرة قدم إليه بمال من البحرين فقال عمر ماذا جئت به قال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فصعد

---

(١) ".

" فأناخ فدعا فيها بالبركة ثم دعا صلى الله عليه وسلم ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من الدقيق والعسل والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد أن ينضج ثم أنزله فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام في فوائده والطبراني في معجمه قال الحافظ ابن حجر وتبعه الحافظ الشامي رجال الاوسط والصغير ثقات وقد أخرجه الحاكم وصححه بقي بن مخلد هوقال الزرقاني في شرح المواهب ومقتضاه ان اول من خبص في الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم فخالف قوله اولا اول من خبص في الاسلام عثمان ويحتمل أن نسبته اليه لكونه كان سببا في فعله باهدائه اليه لاكن روى الحرث

---

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ٢٢٦/١

بسند منقطع صنع عثمان خبيصا بالعسل والسمن والبر وأتى به في قصعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذا شيء تصنعه الاعاجم تسميه الخبيص فأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم **ويمكن الجمع** ايضا بتكرر ذلك فيكون عثمان فعله بنفسه ثم عرضه على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أن يصنع له منه ففعل هقال شيخنا الاستاذ الوالد في تحديد الاسنة عقب حديث اكله صلى الله عليه وسلم خالص الدقيق المذكور فان قلت خرج الترمذي في الشمائل عن سهل بن سعد أنه قيل أأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي يعني الحوار قال سهل ما رأى صلى الله عليه وسلم النقي حتى لقي الله عز وجل قلت أخبر رضي الله عنه بحسب اطلاعه ومنتهى علمه والا فالمثبت مقدم على النافي ومن أثبت حجة على من نفى ولم يحط احد باحوال النبي صلى الله عليه وسلم هوفي طبقات ابن سعد أن ابن عمر كان يستحب

---

(١) ".

" فسألت عنها فقال هذه الصادقة فيها ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها احد انظر ص ١٢٥ ج ٢ من القسم ٣ وعن ابي هريرة قال ما كان احد اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو قال كان يكتب بيده ويعيه بقلبه وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي واستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتابة فأذن له رواه احمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح واصله في الصحيح وبوب عليه الترمذي في كتاب العلم من الجامع تحت باب الرخصة في كتابة العلم ولفظ البخاري فانه كان يكتب ولا أكتب قال الحافظ في الفتح على قوله ولا أكتب قد يعارضه ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو بن أمية قال تحدث عند ابي هريرة بحديث فأخذ بيدي الى بيته فأراني كتبا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا هو مكتوب عندي قال ابن عبد البر **ويمكن الجمع** بانه لم يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده واقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوبا عنده أن يكون بخطه وقد ثبت أنه لم يكن يكتب فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه همنه وقال الحافظ السيوطي في تدريب الراوي وأباح كتابة الحديث طائفة وفعلوها منهم عمر وعلي وابنه الحسن وابن عمرو وانس وجابر وابن عباس وعمرو وحكاه عياض عن اكثر الصحابة والتابعين هوأخرج

---

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ١٦٠/٢

البيهقي في المدخل وابن عساكر عن الحسن بن علي قال لبنيه وبني اخيه إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار اخرين فتعلموا العلم فمن لم يحسن منكم أن يؤديه او يحفظه

---

(١) ".

" ثم تصدي بعد ذلك لتحرير قواعدها ودفع الشكوك عنها والشبه ابو الاسود الدؤلي ومن ثم جعله الشريشي في شرح المقامات والازهري في التصريح تبعا لغيرهما واضعا لهذا الفن وهو تابعي مات بالبصرة سنة ٦٩ عن ٨٥ والى هذا أشار ابن شعبان في الفيته بقوله اول من أفادنا النحو علي وحكى الفخر الرازي أن علينا رسم لابي الاسود باب الاضافة وباب الامالة ثم صنف ابو الاسود باب العطف وباب النعت ثم باب التعجب وباب الاستفهام هبخ وفي سعود المطالع للابياري واشتهر أن اول من وضعه ابو الاسود الدؤلي من الصحابة بامر من الامام علي او عمر لاسباب مختلفة **يمكن الجمع** بينهما بتعدد الوقائع هاستظهر الشيخ الابياري المذكور في اول كتابه القصر المبني في حواشي المغني أن قواعد هذا العلم وأصوله التي بها يعرف وجوه الكلام كانت معروفة بين الصحابة او بين افراد منهم وأن امر علي لابي الاسود بوضع النحو يدل على أن هذا ا لعلم معروف معلوم لدى الامر والناهي انظر الحاشية المذكورة وذكر ابن الانباري في ترجمة ابي الاسود من نزهة الالباء في طبقات الادباء أنه وضع مختصرا في النحو منسوبا له وأن سببه أن زياد بن ابيه قال له لو وضعت للناس شيئا انظر ص ١١ منه وقد ذكر ابن النديم في فهرسته مما شاهده بعينه في عرض كلامه عن خزانة كتب أطلعه عليها احد جماعي الكتب فكان من جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلجاب وصكوك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود ادم وورق خراساني وبينهما اربع اوراق قال أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل

---

(٢) ".

"٣ ـ عن الحكم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحي بن زكريا عليهما السلام(١) ، وقد قام الشيخ عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روي عن ستة عشر صحابياً(٢) ،

---

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ٢/٢٤٦

(٢) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، ٢/٢٧٤

وقال والحديث سئل عنه أحمد بن حنبل ، فقال صحيح(٣) ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وقال : في أسانيده كلها ضعف(٤) ، وقال الذهبي : روِيَ من وجوه يُقوِّي بعضها بعضاً(٥) . ثم قال عثمان الخميس : والذي يظهر لي أنه **يمكن الجمع** بين أقوال هؤلاء الأئمة ، فهو كما قال الحافظ ابن كثير : في أسانيده كلها ضعف . انتهى ، وبعضها حسن وبعضها حسن لغيره ، فيقويّ بعضها بعضاً ، كما قال الحافظ الذهبي وبالتالي فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره(٦) والله أعلم .

رابعاً : هما ريحانتايَ من الدنيا :

---

(١) الشريعة للآجري (٥/٢١٤٤) إسناده حسن .

(٢) الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ٢١١ .

(٣) السؤال رقم ١٢٤ المنتخب من العلل للخلال ، لابن المقدسي .

(٤) البداية والنهاية (٨/٢٠٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٢٨٣) .

(٦) الأحاديث الواردة شأن السبطين صـ ٢١٢ .." [١]

"وتشعبت من هؤلاء اثنتا عشرة قبيلة، سكنت كلها في مكة مدة من الزمان، وكانت جل معيشتهم إذ ذاك التجارة من بلاد اليمن إلى بلاد الشام ومصر، ثم انتشرت هذه القبائل في أرجاء الجزيرة بل وإلى خارجها، ثم أدرجت أحوالهم في غياهب الزمان، إلا أولاد نابت وقيدار .

وقد ازدهرت حضارة الأنباط ـ أبْناء نابت ـ في شمال الحجاز، وكونوا دولة قوية عاصمتها البتراء ـ المدينة الأثرية القديمة المعروفة في جنوب الأردن، وقد دان لهذه الدولة النبطية من بأطرافها، ولم يستطع أحد أن يناوئها حتى جاء الرومان وقضوا عليها .

وقد جنحت طائفة من المحققين من أهل العلم بالأنساب إلى أن ملوك آل غسان وكذا الأنصار من الأوس والخزرج إنما كانوا من آل نابت بن إسماعيل، وبقاياهم في تلك الديار .

وإليه مال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه، فقد عقد بابًا عنوانه : [نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام] ، واستدل عليه ببعض الأحاديث، ورجح الحافظ ابن حجر في شرحه أن قحطان من آل نابت بن إسماعيل عليه السلام .

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص/٨٤

وأما قيدار بن إسماعيل فلم يزل أبناؤه بمكة، يتناسلون هناك حتى كان منه عدنان وولده مَعَدّ، ومنه حفظت العرب العدنانية أنسابها . وعدنان هو الجد الحادى والعشرون في سلسة النسب النبوى، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب فبلغ عدنان يمسك ويقول : (كذب النسابون) ، فلا يتجاوزه، وذهب جمع من العلماء إلى جواز رفع النسب فوق عدنان؛ مضعفين للحديث المشار إليه، ولكنهم اختلفوا في هذا الجزء من النسب اختلافا لا **يمكن الجمع** بين أقوالهم، وقد مال المحقق الكبير العلامة القاضى محمد سليمان المنصورفورى ـ رحمه الله ـ إلى ترجيح ما ذكره ابن سعد ـ والذي ذكره الطبرى والمسعودى وغيرهما في جملة الأقوال ـ وهو أن بين عدنان وبين إبراهيم عليه السلام أربعين أبا بالتحقيق الدقيق . وسيأتى .

وقد تفرقت بطون مَعَدّ من ولده نَزَار ـ قيل : لم يكن لمعد ولد غيره ـ فكان لنزار أربعة أولاد، تشعبت منهم أربعة قبائل عظيمة : إياد وأنمار وربيعة ومُضَر، وهذان الأخيران هما اللذان كثرت بطونهما واتسعت أفخاذهما، فكان من ربيعة : ضُبَيْعَة وأسد، ومن أسد : عَنْزَة وجَدِيلة، ومن جديلة : القبائل الكثيرة المشهورة مثل : عبد القيس، والنَّمِر، وبنو وائل الذين منهم بكر وتَغْلِب، ومن بنى بكر : بنو قيس وبنو شيبان وبنو حنيفة وغيرها . أما عنزة فمنها آل سعود ملوك المملكة العربية السعودية في هذا الزمان .

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين : قَيْس عَيْلان بن مضر، وبطون إلياس ابن مضر، فمن قيس عيلان : بنو سليم، وبنو هوازن، وبنو ثقيف، وبنو صَعْصَعَة، وبنو غَطَفان . ومن غطفان : عَبْس، وذُبْيان، وأشْجَع،وأعْصُر .

ومن إلياس بن مُضَر : تميم بن مرة، وهُذَيْل بن مُدرِكة، وبنو أسد بن خزيمة، وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة قريش، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وانقسمت قريش إلى قبائل شتى، من أشهرها : جُمَح وسَهْم وعَدِىّ ومخزوم وتَيْم وزُهْرَة، وبطون قُصَىّ بن كلاب، وهي : عبد الدار بن قصى،وأسد بن عبد العزى بن قصى، وعبد مناف بن قصى .

وكان من عبد مناف أربع فصائل : عبد شمس، ونَوْفَل، والمطلب، وهاشم، وبيت هاشم هو الذي اصطفي الله منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفي من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفي من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفي من بنى كنانة قريشًا، واصطفي من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم) .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير القبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير

بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا) . وفي لفظ عنه : (إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا) .

ولما تكاثر أولاد عدنان تفرقوا في أنحاء شتى من بلاد العرب متتبعين مواقع القطر ومنابت العشب .

فهاجرت عبد القيس، وبطون من بكر بن وائل، وبطون من تميم إلى البحرين فأقاموا بها .

وخرجت بنو حنيفة بن على بن بكر إلى اليمامة فنزلوا بحُجْر، قَصَبة اليمامة، وأقامت سائر بكر بن وائل في طول الأرض من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر، فأطراف سواد العراق فالأُبُلّةُ فَهِيت .

وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية، ومنها بطون كانت تساكن بَكْرًا . وسكنت بنو تميم ببادية البصرة .

وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة، من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين، إلى ما ينتهي إلى الحرة .

وسكنت بنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة، بينهم وبين تيماء ديار بُحْتُرٍ من طيئ، وبينهم وبين الكوفة خمس ليال .." (١)

"(وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. وقيل: خمس وستين. وقيل ستين، والأول أصح.وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين اشتد الضحى لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: لاستهلال شهر ربيع الأول. ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء)

السن التي مات فيها صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثًا وستين، هذه هي الروايات الصحيحة، وتوجد روايات في الصحيح أنه كان ابن خمسٍ وستين، لكن الصواب أن هذه روايةٌ شاذة في متنها وإن كانت مثبتةٌ في أحد الصحيحين، قال هذا بعض العلماء، وقال بعضهم إنه **يمكن الجمع** بأن العرب تتجاوز عن الكسر، هذه العبارة أن العرب تتجاوز عن الكسر يمكن إمرارها على القول في رواية بأنه مات ابن ستين سنة، يمكن أن نقول إن من قال إنه مات وهو ابن ستين لم يقصد بها. أما القول على أنه مات وهو ابن خمس وستين صلوات الله وسلامه عليه فلا يمكن تخريجها إلا أن ترد الرواية، لأنه لا **يمكن الجمع** ما بين القول بأنه مات وهو ابن ثلاث وستين ومات وهو ابن خمس وستين، وأكثر الروايات الصحيحة والتي دلت عليها الروايات المتعددة وأشياء أخرى وقرائن كُثر على أنه مات صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة.

(وكانت مدة علته اثني عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر يومًا.وغسله علي بن أبي طالب، وعمه العباس،

---

(١) الرحيق المختوم، ص/١٠

والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولياه، وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري) هذا ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم، واعلم أن الأمة لم تُصب بشيءٍ أعظم من وفاته عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال (تعزوا عن مصائبكم بمصيبتي)، والحديث عن وفاته صلى الله عليه وسلم يحرك القلوب ويثير الشجون، ولكنني مُلزمٌ بالحديث عنه وفق المتن، ثم أتكلم عن الحديث عنه إجمالا.." (١)

"وهذا بيان واضح لمعرفة أسباب الاختلاف والتعارض بين بعض الأحاديث ليعلم الناس ذلك، ويكون حجة في وجوه المغرضين الذين يثيرون مسألة التعارض بوصفها مسألة أحاديث صحيحة وغير صحيحة.

وإذا وجد تعارض، بيّن أهلُ العلم حَلَّ هذا التعارض وفق قواعد معلومة لدى أئمة الحديث، عرفت بـ (مختلف الحديث). وخلاصتها أن ينظر في الأحاديث المتعارضة هل **يمكن الجمع** بينهما؟ فإن كان كذلك فيحمل كل واحد منهما على محمل خاص؟ فإن لم **يمكن الجمع** بينهما نظر في التاريخ، هل أحدهما متأخر والآخر متقدم، فيكون المتأخر ناسخاً، والمتقدم منسوخاً وإن لم يعلم المتأخر من المتقدم عمل بترجيح أحدهما على الآخر وفق المرجحات المعروفة عند المحدثين(١)، وإن لم يمكن الترجيح بحيث تساوت طرق الحديثين فيتوقف فيه -إن وجد- وهو الذي يسمّى بالحديث المضطرب إلى حين يتبين الترجيح.

د – زعمهم أن الأحاديث النبوية هي نتيجة التطور الديني

يقول جولد تسيهر: "إن القسم الأكبر من الحديث ليس صحيحًا ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عهد النضوج"(٢).

ويقول بروكلمان: "كان محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه يصلون مرتين في اليوم في مكة، أو ثلاث مرات في المدينة كاليهود، ثم جعلت الطقوس المتأخرة المتأثرة بالفرس عدد الصلوات في اليوم خمسًا"(٣).

ويقول أيضًا: "القسم الأعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعين اصطناعه مصدراً لعقيدة النبي نفسه"

---

(١) انظر علوم الحديث لابن الصلاح /٢٨٤-٢٨٦.

---

(١) الأيام النضرة والسيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ص/٣٤

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص١٩٠.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧٣.." (١)

"عن الأنصار وأجيب عنهم يا رسول الله، فاظعن١ حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذته منا أحب إلينا مما تركت علينا، وما ائتمرت من أمر فأمرنا لأمرك فيه تبع، فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك٢من غمد ذي يمن لسرنا معك٣.

فلما قال ذلك سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيروا على اسم الله عز وجل؛ فإني قد رأيت مصارع القوم. فعمد لبدر.

---

١ ظعن بالتحريك، ذهب وسار. انظر: لسان العرب ٦٤٤/٢، مادة ظعن.

٢ المراد: برك الغماد: وهو بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد بالضم، والكسر أشهر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، انظر: معجم البلدان ٣٩٩/١، وهي الآن بلدة صغيرة بين حلي والقنفذة على الساحل، وتبعد عن مكة (٦٠٠)كيل تقريبا، المعالم الجغرافية ٤٢.

٣ أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس أن القائل هو: سعد بن عبادة رضي الله عنه، انظر: مسلم بشرح النووي ١٢٤/١٢.

قال الحافظ ابن حجر: "وفيه نظر، لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدرا، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهم، ثم قال: **ويمكن الجمع** بأن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم في غزوة بدر مرتين:

الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان.

والثانية: كانت بعد أن خرج، ثم قال: ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب" فتح الباري ٢٨٨/٧.." (٢)

"أول قتيل١ قتل. ثم أقبل الأسود بن عبد الأسد المخزومي يحلف بآلهته ليشربن من الحوض الذي صنع محمد وليهدمنه، فشد فلما دنا من الحوض لقيه حمزة بن عبد المطلب، فضرب رجله فقطعها، فأقبل يحبو حتى وقع في جوف الحوض فهدم منه، واتبعه حمزة حتى قتله.

---

(١) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ص/٤٨

(٢) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٢١١/١

فلما قتل الأسود بن عبد الأسد نزل عتبة بن ربيعة عن جمله حمية لما قال له أبو جهل، ثم نادى: هل من مبارز؛ فوالله ليعلمن أبو جهل أينا أجبن وألأم، ولحق أخوه شيبة، والوليد ابنه، فناديا يسألان المبارزة فقام إليهم ثلاثة من الأنصار فاستحيى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه كان أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد معهم، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الشوكة لبني عمه، فناداهم النبي صلى الله عليه وسلم: أن ارجعوا إلى مصافكم، وليقم إليهم بنو عمهم٢، فقام حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن

---

١ ورد عند البيهقي في الدلائل ١٢٧/٣، من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة أن أول قتيل من المسلمين، هو: مهجع مولى عمر بن الخطاب، وورد أيضا عند البيهقي ١٢٣/٣-١٢٤، من طريق عقيل عن الزهري أن أول قتيل هو مهجع، وفي سنده أبو صالح كاتب الليث، وهو صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، انظر: التقريب لابن حجر ٣٠٧ رقم (٣٣٨٨).

ويمكن الجمع بين القولين: بأن أول من استشهد من المهاجرين: مهجع مولى عمر، وأول من استشهد من الأنصار: عمير بن الحمام. والله أعلم.

٢ انظر قصة المبارزة في: ابن هشام ١/ ٦٢٥، ومغازي الواقدي ١/ ٦٨، ومغازي الأموي كما عند ابن كثير في السيرة ٢/ ٤١٣، ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٦٤، ومسند أحمد ٢/ ٢٥٩ رقم [٩٤٨] أرناؤوط، وسنن أبي داود رقم (٢٦٦٥)، والطبري في التاريخ ٢/ ٤٢٤، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٦٣ و٧١، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٩٤.

وقد ذكر البخاري قصة المبارزة ولكن باختصار، انظر أرقام الأحاديث عنده (٣٩٦٥، ٣٩٦٦، ٣٩٦٧، ٣٩٦٨، ٣٩٦٩، ٤٧٤٤)، ومسلم بشرح النووي باختصار أيضا ١٨/ ١٦٦- ١٦٧.." (١)

"يطيعوه، وأبوا أن يخفروا١ ملاعب الأسنة، قال: فاستجاش عليهم بني سليم٢ فأطاعوه، فاتبعوهم بقريب من مائة رام، فأدركوهم ببئر معونة، فقتلوهم إلا عمرو بن أمية الضمري٣، فأرسلوه"٤.

---

١ يقال: خفرت الرجل: أجرته وحفظته، وخفرته إذا كنت له خفيرا، أي حاميا وكفيلا، وأخفرت الرجل، إذا نقضت عهده وذمامه. النهاية (٢/ ٥٢).

---

(١) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٢٢٣/١

٢ هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. انظر: جمهرة النسب للكلبي (٣٩٤-٣٩٥)، ونهاية الأرب للقلقشندي (٢٧١) ومعجم قبائل الحجاز للبلادي (ص: ٢٢٦).

٣ وكان عددهم: سبعين رجلا. انظر: البخاري مع الفتح (٦/ ١٨- ١٩ رقم (٢٨٠١) و (٧/ ٣٨٥ رقم (٤٠٨٨) ورقم (٤٠٩٠)، ومسلم بشرح النووي (١٣/ ٤٧) ومسند أحمد، انظر: فتح الرباني (٣/ ٢٩٧ و ٢١/ ٦٣- ٦٤)، وابن سعد (٢/ ٥٢)، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٤٦-٥٤٩)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٤٣) وهو الصحيح.

أما ابن إسحاق فقد ذكر أنهم كانوا أربعين رجلا. ابن هشام (٢/ ١٨٤)، وتبعه الواقدي، المغازي (٢/ ٣٤٦). ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ذكره لرواية ابن إسحاق التي تذكر الأربعين: "ويمكن الجمع بينه وبين الذي في الصحيح بأن الأربعين كانوا رؤساء، وبقية العدة أتباعا". الفتح (٧/ ٣٨٧).

٤ ذكر ابن إسحاق أن عمرا كان في سرح القوم فنجا من القتل، ثم ذكر رجلا آخر هو: كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل بالخندق، ثم ذكر رجلا ثالثا من الأنصار، قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح، انظر ذلك عند ابن هشام (٢/ ١٨٥).

أما رواية البخاري ففيها: "...فقتلوا جميعا غير الأعرج" ويظهر أن المراد بالأعرج: حرام أخو أم سليم، كما في روايته في الصحيح، وليس كذلك، بل هو: كعب بن زيد من بني دينار بن النجار، كما نبه على ذلك الحافظ". انظر: الفتح (٧/ ٣٨٦- ٣٨٧).

وهو موافق لرواية ابن إسحاق المتقدمة. أما الواقدي فقد ذكر بأن الذي نجا مع عمرو بن أمية: الحارث بن الصمة. المغازي (٢/ ٣٤٨).

وقال ابن سيد الناس بعد ذكره لبعض من استشهد: "والمختلف في قتله في هذه الواقعة مختلف في حضوره، فأرباب المغازي متفقون على أن الكل قتل إلا عمرو ابن أمية الضمري، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن عبد الأشهل بن حارثة ابن دينار، فإنه جرح يوم بئر معونة ومات بالخندق". عيون الأثر (٢/ ٧١).

وقد ذكر أصحاب المغازي أن عمرا أسره عامر بن الطفيل فجز ناصيته ثم أعتقه على رقبة كانت على أمه. انظر: ابن هشام (٢/ ١٨٥) ومغازي الواقدي (١/ ٣٤٨)، والطبقات الكبرى (٢/ ٥٢)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٤٢).." (١)

---

(١) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٤٢٢/١

"الله علي، فلم يزل كذلك حتى ما يسمع الصوت من الجهد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه بكرة وعشية، ثم تاب الله تعالى عليه، فنودي أن الله تعالى قد تاب عليك، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق عنه بيده١، فقال أبو لبابة حين أفاق: يا رسول الله، إني أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأنتقل إليك فأساكنك، وإني أختلع٢ من مالي صدقة إلى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فقال صلى الله عليه وسلم: "يجزئ عنك الثلث". فهجر أبو لبابة دار قومه، وساكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصدق بثلث ماله، ثم تاب فلم ير منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرا حتى فارق الدنيا٣.

---

١ أخرج نحو هذه الرواية الواقدي في المغازي ٢/ ٥٠٨ من طريق الزهري مرسلا.

٢ أختلع: أي أخرج. النهاية ٢/ ٦٥.

٣ وقد أخرج هذه الرواية الواقدي في المغازي ٢/ ٩٥٠ و٢/ ٥٠٨، ٥٠٩، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٩/ ١٤٦، فقد أخرج من طريق معمر عن الزهري هذه الرواية مختصرة. وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠.

وقد أخرج ابن جرير الطبري رواية البيهقي من طريق معمر، عن الزهري، إلا أنه ذكر فيها أن سبب ربط أبي لبابة وتوبته إنما كانت بسبب تخلفه عن غزوة تبوك، ولم تذكر الرواية شيئا عن بني قريظة. انظر: تفسير الطبري ٥/ ١١ ط شاكر.

وهذه الرواية التي أخرجها البيهقي عن الزهري، عن سعيد بن المسيب أقوى من رواية ابن جرير الطبري التي أخرجها عن الزهري، لأن مراسيل سعيد أقوى من مراسيل الزهري.

ويمكن الجمع بين الروايتين: بأن تخلفه عن غزوة تبوك ضاعف من ذنبه، فأدى به ذلك إلى المبادرة بالتوبة النصوح من الذنبين معا. والله أعلم.." (١)

"إليه"، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها للحطة١ التي عرضت على بني إسرائيل، فلم يقولوها]٢.

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش٣ في طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم؛ رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت الناقة، قال: ما خلأت وما هو

---

(١) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٥٣٥/١

لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا.

قيل: له يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا٤ من أصحابه فنزل به في قليب من تلك

---

١ يريد قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿قولوا حطة﴾ قال المفسرون: معناه: اللهم حط عنا ذنوبنا. المصدر السابق.

٢ ما بين المعقوفتين: رواية مستقلة أدخلها ابن إسحاق في رواية الزهري الطويلة.

٣ بين ظهري الحمش: - بإهمال الحاء وسكون الميم - تقع شمال ثنية المرار. معجم المعالم الجغرافية للبلادي ١٠٦، ثم قال: وأرى صوابه (الحمض) لأن تلك الأرض تسمى الحمض لكثرة نبات العصلاء فيها. المصدر السابق.

٤ عند ابن إسحاق أنه: ناجية بن جندب بن عمير، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن هشام ٢/ ٣١٠.

وذكر الواقدي: أن الرجل ناجية بن الأعجم، المغازي ٢/ ٥٨٧، وقال في مكان آخر: أن الرجل اسمه خالد بن عبادة، المغازي ٢/ ٥٨٩، وروى البيهقي عن موسى بن عقبة أنه: خالد بن عبادة، دلائل البيهقي.

وذكر الواقدي: أنه البراء بن عازب، المغازي ٢/ ٥٨٩، وقيل: بريدة بن الخصيب، ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٢/٣، وقال في الفتح ٥/ ٣٣٧: ويمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره وعند البخاري رقم (٤١٥٠) من حديث البراء بن عازب في قصة الحديبية: (فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض، ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا).

وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع، انظر: مسلم بشرح النووي ١٧٥/١٢، قال الحافظ في الفتح: ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معا وقعا، وقد روى الواقدي (المغازي ٢/ ٥٨٨- ٥٨٩) من طريق أويس بن حولي: (أنه صلى الله عليه وسلم توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها،

وهكذا ذكره أبو الأسود في روايته عن عروة أنه صلى الله عليه وسلم تمضمض في دلو وصبه في البئر، ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت). الفتح ٥/ ٣٣٧.." (١)

"يا رسول الله – بنفسك، قال : "اقتادوا"١ فاقتادوا رواحلهم شيئا، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال : "من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾٢".

---

١ اقتادوا: أي جروا رواحلكم خلفكم. النهاية ٤/ ١١٩.

٢ الآية من سورة طه رقم (١٤).

والحديث أخرجه أيضا أبو داود رقم (٤٣٥) في الصلاة: باب من نام عن الصلاة أو نسيها. ومن طريقه أخرجه أبو عوانة ٢/ ٢٥٣، والبيهقي في السنن ١/ ٤٠٣ و٢/ ٢١٧، وفي الدلائل ٤/ ٢٧٢.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٥/ ٤٢٢ رقم (٢٠٦٩)، وأخرجه ابن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلا، ابن هشام ٢/ ٣٤٠، وأخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٣، كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلا، ومن طريقه أخرجه الشافعي في المسند ١/ ٥٥ رقم (١٦٢).

وقد وردت روايات أخرى من غير طريق الزهري أن ذلك كان زمن الحديبية، انظر: سنن أبي داود رقم (٤٤٧)، ومسند أحمد ٦/ ١٧٠، رقم [٣٦٥٧] أرناؤوط، وابن أبي شيبة ٢/ ٦٤، والطبري في تفسيره ٢٦/ ٦٩، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٢٧٤- ٢٧٥.

وورد أيضا أن ذلك كان في غزوة تبوك، انظر: مغازي الواقدي ٣/ ١٠١٥، عن عقبة بن عامر، ودلائل البيهقي ٤/ ٢٧٥.

ويمكن الجمع بين الروايات بالقول بتعدد القصة، انظر: شرح النووي على مسلم ٥/ ١٨١- ١٨٢، وفتح الباري ١/ ٤٤٩، وانظر: مرويات غزوة الحديبية للحكمي ص ٢٤٣ وما بعدها.." (٢)

"

حسن. وانظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٤٠ رقم ٢٤٢٦)، وحكم عليه بالصحة. وأخرجه الحاكم

---

(١) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٢/٥٧٩

(٢) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٢/٦٦١

أيضا في المستدرك (٢/ ٢٣٥) وصححه.

وروى البزار من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى، قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير، فقال له: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف لك بلا إله إلا الله غدا. وأنزل الله هذه الآية". الفتح (٨/ ٢٥٨) وهذه القصة **يمكن الجمع** بينها وبين التي قبلها بالتعدد.

قال الحافظ ابن حجر: "ويستفاد منها تسمية القاتل، وأما المقتول فروى الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد من طريق قتادة نحوه، واللفظ للكلبي أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل: أسامة بن زيد". الفتح (٨/ ٢٥٨).

قلت: قد أخرج البخاري في صحيحه مع الفتح (٧/ ٥١٧) رقم (٤٢٦٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟" قلت: كان متعوذا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم".

وهذه السرية كانت في رمضان سنة سبع كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٥٨/٧) وكان أميرها غالب بن عبد الله الليثي، وقتل أسامة لهذا الرجل في هذه السرية يدل على تعدد القصة. والله أعلم.." (١)

"كما عزاها ابن حجر إلى أبي يعلى وقال عنها: " وهذا إسناد حسن إلا أنه يخالف المشهور إن إسلام عمرو كان على يد النجاشي نفسه"(١).

وهي التي نقلها لنا الذهبي على النضر بن شميل (٢).

وأمام هذه المرويات الصحيحة **يمكن الجمع** بين ما يبدوا منه الاختلاف ظاهراً وذلك باعتبار بداية إسلام عمرو في الحبشة على يد جعفر ونهايته وإعلانه كانت على يد النجاشي.

أو اختيار المشهور من كون إسلام عمرو على يد النجاشي، والله أعلم، وأيًاما كان الأمر، فهو دليل على أثر الهجرة والمهاجرين، لا على أهل الحبشة فحسب، بل وعلى الوافدين إليهم والمتصلين بهم، وهذا ما أردت بيانه والاستدلال له بنموذج عمرو بن العاص – رضي الله عنه – .

---

(١) مرويات الإمام الزهري في المغازي، ٢/٦٩٠

هل تنصر أحدٌ من المهاجرين؟

تتضافر المرويات على ذكر تنصر عبيد الله بن جحش بعد هجرته إلى الحبشة، وموته على النصرانية، فمن هوعبيد الله بن جحش؟وكيف تنصر. وما دلالة ذلك؟ وهل كان لتنصره أثر على المهاجرين؟

هو عبيد الله بن جحش بن رياب أو ثارب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف حرب بن أمية (٣).

أسلم وزوجته (أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان قديماً ، وهاجرا معاً إلى الحبشة (٤).

وقد نقل ابن سعد أن إسلامه وأخويه (أبي أحمد، وعبد الله) قبل أن يدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دار الأرقم يدعو فيها (٥).

كما ذكر ابن سعد أن هجرته وزوجه للحبشة كانت في الهجرة الثانية (٦).

---

(١) المطالب العالية ١٩٨/٤، وانظر: أحاديث الهجرة، د. سليمان السعود ص ٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٦١-٦٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٩٦/٨، ابن حبيب ، المحبّر ص ٨٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة ١١٥/٧.

(٥) الطبقات ١٠٢/٤.

(٦) الطبقات ٩٦/٨.." [1]

"نزلت بالسهم يومئذ في البئر١.

وهذا الحديث ضعيف أيضاً لمجيئه من طريق الواقدي.

ونقل البيهقي٢ عن موسى بن عقبة أن خالداً هذا هو الذي نزل بالسهم.

وقال ابن عبد البر في ترجمته: وهو الذي دلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته في البئر يوم الحديبية فماح في البئر فكثر ماؤها حتى روى الناس٣ الخ.

وقيل الذي نزل بالسهم البراء بن عازب:

(٦٠) قال الواقدي: حدثني سفيان٤ بن سعيد عن أبي إسحاق٥ الهمداني قال: سمعت البراء٦ بن عازب يقول: أنا نزلت بالسهم٧.

---

(١) مرويات الهجرة، ص/١٢٨

وهذا الحديث أيضاً ضعيف لمجيئه من طريق الواقدي.

وقيل أن الذي نزل بالسهم يومئذ بريدة بن الحصيب، نقل ذلك ابن حجر٨ ولم يعزه لأحد.

رأينا فيما مضى أن كل واحد من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم يحكي أو يحكى عنه أنه قد نزل بالسهم يومئذ، لكن لم يرد عن واحد منهم خبر صحيح يمكن الاعتماد عليه وترجيحه على ما عداه، ومن ثم لا يمكن الجزم بأن واحداً منهم فعل ذلك دون الآخر، بل يحتمل أن الجميع قد اشتركوا في القضية.

وإلى ذلك جنح ابن حجر حيث قال: **ويمكن الجمع** بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره٩ ا.هـ

---

١ المغازي للواقدي ٢/٥٨٩.

٢ دلائل النبوة ٢، لوحة: ٢٢٠.

٣ الاستيعاب ٣/١٧٤ مع الإصابة.

٤ هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري.

٥ هو: عمرو بن عبد الله الهمداني أبو إسحاق السبيعي - بفتح المهملة وكسر الموحدة - مكثر ثقة عابد اختلط بآخره، مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك: ع. تقريب: ٢٦٠.

٦ البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة، استصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لدة، مات سنة اثنتين وسبعين: ع. تقريب: ٤٢.

٧ مغازي الواقدي ٢/٥٨٩.

٨ الإصابة ٣/٦٢.

٩ فتح الباري ٥/٣٣٧.." (١)

"(٧٧) قال: قال١ هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال٢: يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فوجدهم يبايعون، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع٣.

والشجرة المشار إليها هي سمرة، كما صرح بذلك حديث جابر٤ وغيره.

وقد ورد ذكر الشجرة في حديث سعيد بن المسيب عن أبيه، وبين فيه أنهم قد نسوا مكانها من السنة التي

---

(١) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، ص/١٠٤

تلي عام الحديبية:

(٧٨) قال البخاري: حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون قلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل، نسيناها فلم نقدر عليها.

فقال سعيد: "إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم!"٥.

وأخرجه من طريق أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه: "أنه كان ممن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها من العام المقبل فعميت علينا"٦.

وأخرجه مسلم من طريق أبي عوانة عن طارق بن سعيد بن المسيب قال: "كان أبي ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الشجرة، قال: فانطلقنا في قابل حاجين

---

١ هكذا أخرجه البخاري معلقاً، وذكر ابن حجر أن الإسماعيلي قد وصله، انظر فتح الباري ٧/٤٥٦.

٢ يظهر أن سبب إرسال عمر لابنه في هذا الحديث غير السبب المذكور في حديث نافع السابق، وقد جمع بينهما ابن حجر فقال: **ويمكن الجمع** بينهما بأنه بعثه يحضر له الفرس، ورأى الناس مجتمعين فقال له: انظر ما شأنهم فبدأ بكشف حالهم فوجدهم يبايعون فبايع وتوجه إلى الفرس فأحضرها وأعاد حينئذ الجواب لأبيه. فتح الباري ٧/٤٥٦.

٣ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي: ٤١٨٧.

٤ انظر الحديث رقم (٢٣ - ٢٤).

٥ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي: ٤١٦٣.

٦ صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي ٤١٦٤.." (١)

"فعرض لهم حيان١ من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة ... الخ"٢.

قال الحافظ: "**ويمكن الجمع** بأن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة أتباعاً ووهم من قال كانوا ثلاثين فقط"٣.

قال الحافظ٤: "وذكر بني لحيان في هذه القصة وهم وإنما كان بنو لحيان في قصة خبيب في غزوة الرجيع التي قبل هذه، وكانت نتيجة هذه السرية أن غدر بهم عامر بن الطفيل وقد أسف الرسول صلى الله عليه

---

(١) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، ص/١٣٦

وسلم والمسلمون على هذه النخبة من المؤمنين ومكث صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو على رعل وذكوان"٥

---

١ حيان تثنية وهو القبيلة من القوم.

٢ صحيح البخاري ٤١/٥، كتاب المغازي.

٣ فتح الباري ٣٨٧/٧ قلت: وفي نفسي من هذا الجمع شيء لأنه لا يعقل أن يكون الرؤساء بهذا العدد، إذاً لاضطرب الأمر، مع سابق علمنا بغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، ولم نر أنه أرسل أكثر من أمير في أي من ذلك، والله أعلم.

٤ فتح الباري ٣٨٧/٧.

٥ رعل بكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن مالك بن عوف قبيلة من سليم بن منصور من العدنانية. اللباب في تهذيب الأنساب ٣١/٢، معجم قبائل العرب ٤٣٧/٢.

وذكوان: بطن كبير من سليم بن منصور من قيس عيلان من العدنانية – المصدر السابق.." (١)

"إبراهيم بن يوسف١ قال حدثني أبي٢ عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يحدث قال: "لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر٣ فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

قال:" ثم يمد صوته بآخرها"٤.

هكذا جاء أيضاً في هذه الرواية مباشرته صلى الله عليه وسلم لنقل التراب الناتج من الحفر فلقد كان صلى الله عليه وسلم مدرسة للأخلاق الكريمة الفاضلة المستقاة من القرآن

---

١ إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي صدوق يهم من السابعة مات سنة ١٩٨هـ، روى له (خ م د ت س) التقريب ٢٤.

٢ يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي وقد ينسب لجده – ثقة – من السابعة مات سنة ١٥٧هـ،

---

(١) مرويات غزوة الخندق، ص/٣٠

روى له (ع) التقريب ٣٨٨.

٣ قال الحافظ: "وليس كذلك فإن صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان دقيق المسربة – أي الشعر– الذي في الصدر إلى البطن. قال **فيمكن الجمع** بأنه كان مع دقته كثيراً أي لم يكن منتشراً بل كان مستطيلاً والله أعلم". فتح الباري ٤٠١/٧.

٤ صحيح البخاري ٤٧/٥، والفتح ٣٩٩/٧.." (١)

"وهذا الخلاف الذي ساقه الحافظ قد أغفل ما ذكره أصحاب المغازي والسير وقد ذكروا أن الوفد الذي تم إرساله هو السعدان ومن معهما.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال:

بأن الزبير بن العوام رضي الله عنه ذهب للاستكشاف العام والملاحظة، وهل عند بني قريظة استعداد ظاهر يدل على نقضهم العهد أو لا؟، وقد عاد يقول بأنهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم. أما السعدان ومن معهما فكان استكشافهم خاصاً حيث دار الحوار بينهم وبين اليهود وظهر للعيان نقضهم للعهد وخبثهم.

وقد ذكر المقريزي١ : "أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خوات بن جبير لينظر غرة لنبي قريظة فكمن لهم فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأخبره. وفيه غرابة. ووجه الغرابة – أن اليهود وبعد نقضهم العهد ووضوح خبثهم والوقت ليس هزل بل هو وقت خوف وشدة على الجانبين وكلاهما يتمنى أن يقتل من الجانب الآخر من ظفر به فكيف

---

١ إمتاع الأسماع ٢٢٧/١- ٢٢٨.." (٢)

"قال الحافظ١ : "وقد اختلف في سبب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ذلك اليوم؟. فقيل كان ذلك نسياناً واستبعد أن يقع ذلك من الجميع ويمكن أن يستدل له بما رواه أحمد من حديث أبي جمعة٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما سلم قال: "هل علم رجل منكم أني صليت العصر؟ قالوا لا يارسول الله فصلى العصر ثم صلى المغرب": قال: "وفي صحة هذا الحديث نظر لأنه مخالف لما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم لعمر "والله ما صليتها". **ويمكن الجمع** بينهما

---

(١) مرويات غزوة الخندق، ص/١٦٢

(٢) مرويات غزوة الخندق، ص/٢٥٤

بتكلف.

وقيل كان عمداً لكونهم شغلوه فلم يمكنوه من ذلك وهو أقرب لاسيما وقد وقع عند أحمد٣ والنسائي٤ من حديث أبي سعيد أن ذلك كان قبل أن ينزل الله في صلاة الخوف ﴿فرجالاً أو ركبانا﴾ ٥.

---

١ فتح الباري ٢/٦٩.

٢ أبو جمعة الأنصاري أو الكناني اسمه حبيب بن سباع ويقال جنبذ بضم الجيم والموحدة بينهما نون ساكنة ابن سباع صحابي سكن الشام ثم مصر مات بعد السبعين. التقريب ٣٩٩، الاستيعاب ٤/١٨٧.

٣ مسند أحمد ٣/٤٩.

٤ سنن النسائي ٢/١٧.

٥ سورة البقرة جزء من آية ٢٣٩.." (١)

"أما المذهب الثالث القائل بعدم الإنذار مطلقاً، فهو مذهب ضعيف ترفضه الأحاديث المتقدمة. وقد صرح بضعفه المازري والقاضي عياض وغيرهما من العلماء. والراجح في هذه المسألة هو مذهب جماهير العلماء القائلين بالتفصيل بين من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام فتجب دعوته،وبين من بلغته الدعوة فلا تجب،وبه **يمكن الجمع** بين الأحاديث،ومتى أمكن الجمع فلا يصار إلى غيره،لأن العمل بجميع الأحاديث أولى من رد بعضها١.وقد وردت السنة بجواز الإغارة على من بلغته الدعوة إلى الإسلام،من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم:

١- كما هو في حديث عبد الله بن عمر وأنس بن مالك المتقدمين٢.

٢- ومن تقريره صلى الله عليه و سلم كما في حديث الصعب بن جثامة الليثي: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال: "هم منهم" ٣.

٣- ومن قوله صلى الله عليه وسلم كما هو في حديث أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان عهد إليه فقال: "أغر على أبنى ٤ صباحاً وحرق" ٥.

---

١ انظر: الاعتبار للحازمي ص٢١١-٢١٢، شرح معاني الآثار للطحاوي٣/٢٠٧ و٢٠٨و٢١٠،وشرح مسلم للنووي٤/٣٣٠و٣٤٣،ونصب الراية للزيلعي٣/٣٧٩ و٣٨٢، وفتح الباري ٦/١١٢ و٧/٤٧٨، وسبل

---

(١) مرويات غزوة الخندق، ص/٣٤٣

السلام للصنعاني ٤/٤٥، ونيل الأوطار للشوكاني ٧/٢٤٤ و٢٤٦ و٢٤٧.

٢ انظر: ص.

٣ البخاري ٤/٤٨ كتاب الجهاد، باب أهل الدار يبيتون، ومسلم ٥/١٤٤ فيه واللفظ له (ويبيتون) مبني للمفعول.

٤ أبنى: بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حبلى. موضع بالشام من جهة البلقاء، معجم البلدان لياقوت ١/٧٩.

٥ رواه أبو داود في ٢/٣٦ من كتاب الجهاد باب الحرق في بلاد العدو وابن ماجه فيه ٢/٩٤٨ كلاهما من طريق صالح بن أبي الأخضر، قال فيه ابن حجر: "ضعيف يعتبر به" التقريب ١/٣٥٨ والحديث رواه الشافعي أيضاً في الأم ٤/١٧٤ من غير طريق صالح بن أبي الأخضر،ولفظه: قال الشافعي: أخبرنا بعض أصحابنا عن عبد الله بن جعفر الأزهري، قال: سمعت ابن شهاب يحدث عن عروة عن أسامة بن زيد قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أن أغزو صباحاً على أهل أبنى وأحرق".." (١)

"قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: "دعوها١ فإنها منتنة ٢ "، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟٣ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق٤، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".

وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

قال سفيان: فحفظته من عمرو، وقال عمرو: "سمعت جابرا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم"٥.

---

١ دعوها: قال ابن حجر: أي دعوى الجاهلية، وقيل الكسعة، والأول هو المعتمد وأبعد من قال: المراد الكسعة. فتح الباري ٦/ ٥٤٧ و ٨/ ٦٤٩. قلت: وقد ورد عند أحمد "دعوا الكسعة فإنها منتنة" من طريق عمرو بن دينار البصري الأعور المعروف بقهرمان، وهو ضعيف، انظر الحديث في المسند ٣/ ٣٨٥.

٢ منتة: أي مذمومة في الشرع، مجتنبة مكروهة، كما يجتنب الشيء النتن، غريب الحديث لابن الأثير ٥/ ١٤ وقال ابن حجر: قبيحة خبيثة وقد ثبت في بعض روايات فتح الباري ٨/٦٤٩. قلت ثبت عند البخاري دعوها فإنها خبيثة)). انظر: ص ١٨٤ من رواية ابن جريج.

---

(١) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، ص/٨٠

٣ في رواية ابن جريج عن عمرو بن دينار "أقد تداعوا علينا". انظر: ص ١٨٤.
٤ وفي رواية ابن جريج فقال عمر: "ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث" انظر ص ١٨٤ وعند ابن إسحاق قال عمر بن الخطاب: مر به عباد بن بشر فليقتله. انظر ص ١٨٨ ويمكن الجمع: "بأن عمر بن الخطاب أولا طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له بقتله فلما لم يأذن له، قال: إن لم تأذن لي بقتله، فمر عباد بن بشر يقتله".
٥ البخاري ٤/ ١٤٦، كتاب المناقب و٦/ ١٢٨، ومسلم ٨/ ١٩ كتاب البر والصلة والآداب والترمذي ٥/ ٩٠ في التفسير، والحميدي ٢/ ٥١٩ وأحمد ٣/ ٣٩٢.." [1]

"بمكة خمس عشرة، ثم غدا يوم السبت لست ليال خلون من شهر شوال، وانتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال١.

وتابعه ابن سعد٢.

هذه هي أقوال العلماء في هذا الباب، والذي يظهر لي ما يأتي:

أ- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى حنين في شهر شوال من السنة الثامن للهجرة، بغض النظر عن كونه خرج في خامس شوال أوسادسه.

ب- يترجح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهما في سادس شهر شوال، لأنه يمكن الجمع بينه وبين القول بأن الخروج إلى حنين كان في الخامس شوال.

قال الزرقاني - بعد إن ذكر هذين القولين - وهذا الخلاف: إما أنه للاختلاف في هلال الشهر، أو أن من قال لست ليال عد ليلة الخروج، ومن قال لخمس لم يعدها، لأنه خرج في صبيحتها فكأنه خرج فيها.

وجمع بعضهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بالخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، ووصل إليها في عاشره٣.

إذا أخذنا برواية ابن عباس - رضي الله عنهما - التي أخرجها أحمد وأبو داود بإسنادين أحدهما صحيح "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقام بمكة عام الفتح سبع عشرة" ٤.

مع ذكره النووي وابن حجر: من أن المشهور في كتب المغازي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج في غزوة الفتح من المدينة لعشر خلون من رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة خلت منه٥.

كان خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة حنين في اليوم السادس من شهر شوال.

---

(١) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، ص/١٧٦

١ (الواقدي: المغازي ٣/٨٨٩ و٨٩٢).
٢ (الطبقات الكبرى ٢/١٥٠، وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٤/٣٢٢، والقسطلاني: المواهب اللدنية ١/١٦١، والزرقاني: شرح المواهب اللدنية ٣/٦، والسفاريني: شرح ثلاثيات مسند أحمد ٢/٧٨، ٧٩٣).
٣ (الزرقاني: شرح المواهب اللدنية ٣/٦، وابن حجر: فتح الباري ٨/٢٧).
٤ (أحمد: المسند ١/٣١٥، وأبو داود: السنن ١/٢٨٠. كتاب صلاة السفر، باب متى يتم المسافر).
٥ (النووي: شرح مسلم ٣/١٧٦، وابن حجر: فتح الباري ٤/١٨١ و٨/٤).." (١)

"فهذا الحديث على اختلاف ألفاظه وكذا حديث أنس بن مالك وجابر بن عبد الله والعباس بن عبد المطلب وغيرهم من الصحابة تدل دلالة واضحة على شجاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المتناهية، ولقد نفى البراء بن عازب نفيل قاطعا كون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فر أو خطر بباله الفرار، فقال: "كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذى به" .

وفي حديث العباس عند مسلم وغيره... قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يركض بغلته قبل الكفار.

وقد أوضح ابن حجر سبب نفي البراء الفرار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإثباته لبعض الصحابة. فقال: قول السائل: "يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين".

وفي رواية: "أوليتم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين" وفي رواية: "أفررتم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ - " وكلها بمعنى.

وقوله: "أما انا فأشهد على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يول"١.

تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي صلى الله عليه وسلم لظاهر رواية "أوليتم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - " ويمكن الجمع بين هذه الرواية، ورواية "أفررتم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " بحمل المعية ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك، وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه - صلى الله عليه وسلم - .

ثم قال: قال النووي: هذا الجواب الذي أجاب به البراء من بديع الأدب؛ لأن تقدير الكلام: "فررتم كلكم"، فيدخل فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال البراء: لا والله ما فر رسول الله - صلى الله عليه وسلم

(١) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، ١/١٠٤

- ، ولكن جرى كيت وكيت، فأوضح ان فرار من فر لم يكن على نية الاستمرار في الفرار، وإنما انكشفوا من وقع السه١م.

ثم قال ابن حجر: "وكأنه يستحضر رواية "أوليتم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - "، وقد ظهر من الأحاديث الواردة في هذه القصة أن الجميع لم يفروا، ويحتمل أن البراء فهم من

---

١ تقدم الحديث برقم (٥٩).." (١)

"ثم عقب ابن حجر على هذا بقوله: "**ويمكن الجمع** بينهما، ولا يلزم منه ما ذكر بأن يكون معنى "الصلاة في الرحال" رخصة لمن أراد أن يترخص، ومعنى هلموا إلى الصلاة ندب لمن أراد أن يستكمل الفضيلة ولو تحمل المشقة".

ويؤيد ذلك حديث جابر عند مسلم قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فمطرنا، فقال: "ليصل من شاء منكم في رحله" ١.

ولعل ما ذهب إليه ابن حجر من الجمع بين الأحاديث أولى، للعمل بجميع الأحاديث، لأنه إذا أمكن الجمع بين الأحاديث بحمل كل على محمل صحيح تعين المصير إليه".

---

١ فتح الباري ٢/ ٩٨ و ١١٣، وانظر صحيح ابن خزيمة ١٢/٣ حيث قال: "باب أمر الإمام المؤذن بحذف حي على الصلاة، والأمر بالصلاة في البيوت بدله".

وحديث جابر المشار إليه عند مسلم، تقدم في ص ٥٥١ تعليقة (٣).." (٢)

"المشهور١، ولا يصح قول من حمله على حجة الوداع، وزعم أنه صلى الله عليه وسلم كان متمتعا، لأن هذا غلط فاحش، فقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: "ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت؟ فقال: "إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر الهدي" ٢.

وأورد ابن كثير حديث معاوية المذكور، ثم قال: "والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة بل صد عنها، وأما عمرة القضاء

---

(١) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، ١٩٣/١

(٢) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، ٥٧٠/٢

فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق".

فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا٣".إهـ.

وجمع ابن حجر بين قول من قال بأن الذي حلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الجعرانة: "أبو هند عبد بني بياضة، وقول من قال الذي حلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة هو معاوية بن أبي سفيان".

فقال: "أخرج الحاكم في "الإكليل" في آخر قصة غزوة حنين أن الذي حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الجعرانة أبو هند٤ عبد بني بياضة، فإن ثبت هذا وثبت أن معاوية كان حينئذ معه، أو كان بمكة فقصر عنه بالمروة أمكن الجمع بأن يكون معاوية

---

١ قال ابن حجر: "والذي رجحه النووي من كون معاوية إنما أسلم يوم الفتح صحيح من حيث السند، ولكن يمكن الجمع بأنه كان أسلم خفية وكان يكتم إسلامه ولم يتمكن من إظهاره إلا يوم الفتح، وقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة معاوية تصريح معاوية بأنه أسلم بين الحديبية والقضية وأنه كان يخفي إسلامه خوفا من أبويه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة في عمرة القضية خرج أكثر أهلها عنها حتى لا ينظرونه وأصحابه يطوفون بالبيت، فلعل معاوية كان ممن تخلف بمكة لسبب اقتضاءه". (فتح الباري ٥٦٥/٣ وفي الإصابة ٤٣٣/٣ نسب القول بإسلام معاوية بعد الحديبية للواقدي وابن سعد ذكر ذلك بدون إسناد فقال: "وكان يذكر أنه أسلم عام الحديبية وكان يكتم إسلامه، إهـ، فعل عمدة ابن عساكر هو الواقدي". (انظر مغازي الواقدي ٩٥٩/٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ٤٠٦/٧).

٢ شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨٧/٣".

((٣البدايةوالنهاية٤/٣٦٧-٣٦٨وزادالمعاد٢/١٣٦-١٣٨،وفتح الباري٣/٥٦٥-٥٦٦".

٤ تقدم تحت حديث (٣٠٦) أن هذا قول الواقدي، ولعل الحاكم رواه عنه".." (١)

---

(١) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، ٧٤٠/٢

"دروس وعبر من قصة أبي ذر

إننا لو نظرنا -نحن المسلمين- إلى حياة الصحابة، وكيف كانوا يُبلُون لأجل نصرة الدين وانتشار الإسلام؛ لما وجد هذا الذل والاضطهاد من قبل أعداء الله المشركين. وإن قصة أبي ذر رضي الله عنه لتشهد لنا حقيقة وتبين لنا كيف كانت هممهم في طلب الحق واعتناقه، ثم إذا اعتنقوه دافعوا وبذلوا النفس رخيصة من أجله، وقاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون خوف من أحد.

جيل الصحابة كون مجتمعاً مسلماً متكاملاً ...

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحييكم في هذه الليلة التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بما سنسمع فيها، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يثيبكم خيراً على حضوركم واستماعكم، ونسأل الله أن يجعل مجلسنا هذا من المجالس التي تثقل فيها أعمالنا يوم القيامة، إن دراسة قصص الصحابة رضوان الله عليهم لها أهمية كبيرة؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أولئك الجيل الذي رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه، ولقنهم مبادئ الوحي ومضامين الرسالة التي أنزلت عليه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم هذه الأمة قاطبة جنها وإنسها، ولذلك فإن هذا المربي العظيم عندما يربي ذلك الجيل على تلك التعليمات الإلهية، كتاباً وسنة، فإن ذلك الجيل لا بد أن يكون جيلاً عظيماً، جيلاً تستفيد منه البشرية إلى قيام الساعة، وهذا الجيل -أيها الإخوة- عبارة عن أفراد تجمعوا وآمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وانصهروا في تلك البوتقة الإيمانية التربوية، حتى خرجت تلك النماذج، وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يتفاوتون في ميزاتهم، وصفاتهم الشخصية، ولذلك نجد أن أرأف الأمة: أبا بكر وأشدها في أمر الله: عمر ، وأكثرها حياءً: عثمان ، وأحسنهم قضاء بين الخصوم: علي بن أبي طالب ، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض: زيد بن ثابت ، وأكثرهم أمانة: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأعلمهم بالقراءة -قراءة القرآن- أبي بن كعب ، فإذاً الصحابة رضوان الله عليهم كانت صفاتهم الشخصية واستعداداتهم وقدراتهم تتفاوت، ومن مجموع هذه القدرات وتنوع هذه الشخصيات، تكون ذلك المجتمع المسلم.......

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ترجمته وحياته ...

ونحن اليوم سنلقي الضوء في هذا الليلة إن شاء الله عن شخصية من تلكم الشخصيات العظيمة التي نشأت في ظل النبوة نشأة إيمانية، فالصحابة رضوان الله عليهم كثير منهم دخلوا في الإسلام وهم كبار السن، ومع

أن تشكل الكبير على أمر جديد صعب، ولكن عندما يسلم الإنسان تسليماً كاملاً وينقاد فإن ذلك التشكل يكون سهلاً، والرجل الذي سنتكلم عنه في هذه الليلة، هو: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، هذه الشخصية التي لا يعلم عنها الكثيرون، وبعض من يعلم عنها شيئاً يعلمون عنها أشياء مشوهة، قد أخذوا عنها فكرة غير كاملة وصحيحة، فمن الناس من يعتقد أن أبا ذر شخصية ضعيفة مهزوزة، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنك لضعيف) ولكن الحقيقة غير ذلك كما سنبين إن شاء الله.......

اسمه ونسبه وفضله ... فأما أبو ذر فإن اسمه: جندب بن جنادة –جُندُب أو جُندَب لغتان صحيحتان– ابن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار وغفار يرجع أصلهم إلى بني كنانة، قال الذهبي رحمه الله في السير : هو أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كان يفتي في خلافة أبي بكر و عمر و عثمان ، وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم بالعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه. وقال عليه الصلاة السلام مبيناً فضائل ذلك الرجل في الحديث الصحيح: (ما أقلت الغبراء – الأرض– ولا أظلت الخضراء – السماء– من رجل أصدق لهجة من أبي ذر). أما بالنسبة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيح الذي يقول: (يا أبا ذر ! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تتأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم) فهذا التعليم منه عليه الصلاة والسلام والإرشاد لأبي ذر ذلك لأن أبا ذر كانت تعتريه حدة في كثير من الأحيان، مما قد لا يكون مع تلك الحدة جيداً في الإمارة، وكان يرى أن إبقاء المال هو كنز للمال، ولا بد من إنفاقه كله، ولذلك لو تولى مال يتيم قد ينفق مال اليتيم في سبيل الله.فأما أبو ذر فإن اسمه: جندب بن جنادة –جُندُب أو جُندَب لغتان صحيحتان– ابن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار وغفار يرجع أصلهم إلى بني كنانة، قال الذهبي رحمه الله في السير : هو أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كان يفتي في خلافة أبي بكر و عمر و عثمان ، وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم بالعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه. وقال عليه الصلاة السلام مبيناً فضائل ذلك الرجل في الحديث الصحيح: (ما أقلت الغبراء – الأرض– ولا أظلت الخضراء – السماء– من رجل أصدق لهجة من أبي ذر). أما بالنسبة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيح الذي يقول: (يا أبا ذر ! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تتأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم) فهذا التعليم منه عليه الصلاة والسلام والإرشاد لأبي ذر ذلك لأن أبا ذر كانت تعتريه حدة في كثير من الأحيان، مما قد لا يكون مع تلك الحدة جيداً في الإمارة، وكان يرى أن إبقاء المال هو كنز للمال، ولا بد من إنفاقه كله، ولذلك لو تولى مال يتيم قد ينفق مال اليتيم في سبيل

الله.قصة إسلام أبي ذر في الرواية المتفق عليها ...

وأما من ناحية شخصية الرجل، فإنها عظيمة، وموضوعنا الذي سنتحدث عنه في هذه الليلة هو عن جزء من حياة أبي ذر وهذا الجزء هو قصة إسلامه، إن قصة إسلام أبي ذر -أيها الإخوة- من القصص الشيقة الممتعة التي تحتوي على دروس عظيمة، وهذه القصة رواها الإمام البخاري رحمه الله والإمام مسلم في صحيحيهما ، وغيرهما، وهناك رواية اتفق على إخراجها البخاري و مسلم ورواية أخرى أخرجها مسلم وغيره، وبين الروايتين تغاير واضح في السياق، حتى إن بعض أهل العلم قالوا: إنه يتعذر الجمع بين بعض التفاصيل الواردة في السياقين، وبعضهم قال: يمكن الجمع، والمسألة فيها دقة وفيها صعوبة شديدة، ولذلك نحن سنقتصر إن شاء الله على إيراد الروايتين، وشرحهما، مع ذكر الفوائد فيهما، ونبدأ بذكر رواية الصحيحين التي رجحها بعض أهل العلم، على رواية مسلم ، وإن كانتا من ناحية صحة السند ثابتتين، فأما رواية البخاري و مسلم فهي عن عبد الله بن عباس أنه كان في مجلس فقال لمن حوله: ألا أخبركم بإسلام أبي ذر ؟ قلنا: بلى. قال ابن عباس : قال أبو ذر : (كنت رجلاً من غفار -قبيلة غفار- فبلغنا أن رجلاً خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره). وفي رواية: أن ابن عباس قال: (لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، - مكة ، لأنها في وادي- فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق -أي الأخ- حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر ، فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر) وفي رواية: فقال: (رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر -ليس شعراً- فقال أبو ذر : ما شفيتني -أي ما أتيت لي بالكلام الذي يلبي حاجتي في نفسي، ما شفيتني فيما أردت- فتزود أبو ذر وحمل شنة له فيها ماء وجراباً وعصا حتى قدم مكة -الآن أبو ذر يذهب ليبحث عن هذا الرجل وعن حقيقة الأمر، هل هو حق أم لا؟- حتى قدم مكة ، فأتى المسجد، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه -لكن لا يعرف من هو الرسول صلى الله عليه وسلم- وكره أن يسأل عنه) لماذا كره أبو ذر أن يسأل عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ هناك أسباب ذكرها ابن حجر رحمه الله قال: لأنه عرف أن السؤال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذي السائل، أو أن السؤال عن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤذي المسئول عنه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن كفار قريش لن يدلوا السائل على الرسول صلى الله عليه وسلم لعداوتهم له، أو يمنعونه من الاجتماع به، أو يخدعونه حتى يرجع عنه ولا يقابله، ولذلك كان أبو ذر رحمه الله حكيماً عندما لم يسأل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أدركه الليل. وفي

رواية: أنه قال: (وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد -يعني: أجلس في المسجد الحرام، وأشرب من ماء زمزم- فاضطجع رضي الله عنه، فرآه علي بن أبي طالب ، فعرف أنه غريب من هيئته ومظهره، فقال علي رضي الله عنه: كأن الرجل غريب؟ -يقول: لأبي ذر كأن الرجل غريب؟- قال: قلت: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل -أي حتى أضيفك- فلما رآه تبعه فلم يسأل الواحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ذهب أبو ذر مع علي وما سأل علياً عن شيء ولم يسأله علي عن شيء، حتى صار الصباح، ثم احتمل قربته -وفي رواية: قريبته، تصغير- وزاده إلى المسجد، خرج من بيت علي ورجع في الصباح إلى المسجد، فظل ذلك اليوم، ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي للمرة الثانية، فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟). أي: كأنه يريد أن يضيفه مرة أخرى، يعرض عليه الضيافة، وفيها تلميح إلى أنه ما هو قصدك؟ ماذا تريد؟ (أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه فذهب به معه، قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره بشيء حتى إذا كان اليوم الثالث، فعل مثل ذلك -أخذه معه إلى منزله في المساء، ويرجع أبو ذر رضي الله عنه في الصباح إلى المسجد- فقال علي في المرة الثالثة: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟) وفي رواية: فقال: (ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ فقال أبو ذر رضي الله عنه: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت) لو أعطيتني العهد والميثاق أن تخبرني عما أنا جئت بسببه، أخبرتك، وفي رواية: أنه قال لعلي : (إن كتمت علي أخبرتك، قال علي: فإني أفعل) أعطاه وعداً أن يفعل -الآن علي مسلم وليس بكافر- وقال ابن حجر : والراجح أنه أسلم وهو ابن عشر سنين ولذلك يقول: فالراجح أن هذه القصة وقعت بعد البعثة بسنتين على الأقل، بسنتين فأكثر، أي: يحتمل أنه كان سن علي في ذلك الوقت بين اثنتي عشرة سنة وبين عشرين سنة تقريباً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هاجر بعد البعثة، أو أكثر، المهم أنه فوق أثنتي عشرة سنة، لماذا؟ لأن اثني عشر سنة هو السن المعقول في أن رجلاً مثل علي يخاطب رجلاً ويضيفه، ولذلك فإن هذه القصة على الراجح كما سيمر معنا بعد قليل أنها حصلت قبيل الهجرة إلى المدينة - (فقال أبو ذر لعلي رضي الله عنه: سمعنا أنه ظهر نبي في مكة ، وأتيت أتحقق من الأمر وأسأل، فأخبره أبو ذر ، فقال علي رضي الله عنه: إنه حق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: أنه قال له: أما إنك قد رشدت) أي: قد أصبحت على الرشد، أنت فعلاً جئت لشيء صحيح وحق (وهذا وجهي إليه) علي يقول لأبي ذر ، إنني متوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول علي رضي الله عنه: (فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء) يقول علي : هناك مشكلة وهي أن كفار قريش يقومون بضغط شديد على الدعوة ومحاربة عظيمة جداً، وتتبع مستمر

لكل رجل يحاول الالتحاق بركب الدعوة، ولذلك فعلي بن أبي طالب كان لا بد أن يلجأ إلى طريقة لا تشعر الناس أن أبا ذر سيتبعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال علي لأبي ذر : (فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك، قمت كأني أريق الماء). وفي رواية: (قمت كأني أصلح نعلي -في هيئة الذي يصلح نعله- فإذا أنا فعلت ذلك فأمض أنت دون أن تلتفت) معناها: أن تتابع سيرك فيما بعد، قال ابن حجر رحمه الله: ويحتمل أنه قالهما جميعاً، قال: كأني أريق الماء، أو كأني أصلح نعلي (فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فمضى ومضيت معه، حتى دخل ودخلت معه، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه، فقلت له: اعرض عليّ الإسلام، فعرضه الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي ذر ، فسمع من قوله، فأسلم أبو ذر مكانه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك). وفي رواية: (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل -إذا بلغك أننا ظهرنا على أعدائنا فتعال إلي من بلدك- فقال: والذي بعثك بالحق، وفي رواية: والذي نفسي بيده، لأصرخن بها بين ظهرانيهم) يقول: لا أكتم الأمر، ولا أكتم إسلامي، وسأذهب وأصرخ بالشهادتين بين ظهرانيهم، أي: بين ظهراني المشركين في مكة ، (فخرج فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فنادى بأعلى صوته، يا معشر قريش! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ الذي غير دينه، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فرآهم وهم يضربونه فأكب على أبي ذر وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار؟). وفي رواية قال: (ويلكم تقتلون رجلاً تعلمون أنه من غفار وهي طريق تجاركم إلى الشام) انظر إلى ذكاء العباس يقول: أنتم الآن تريدون أن تقتلوا رجلاً من غفار وطريق تجارتكم تمر من بلادهم، فيمكن أن يثأروا له عن طريق تجارتكم؛ فأنقذه منهم (فأقلعوا عني -أي كفوا عني- ثم أصبحت الغد، فرجعت فقلت مثلما قلت بالأمس! فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فصنع بي مثلما صنع بالأمس -ثاروا إليه، فضربوه- فأكب عليه العباس فأنقذه)، هذه الرواية في البخاري و مسلم ، أما رواية الإمام مسلم رحمه الله ففيها زيادة تفاصيل في بداية القصة وفي نهايتها، وفيها طريقة أخرى لمقابلة أبي ذر للرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة.......

قصة إسلام أبي ذر في رواية مسلم ....." (١)

"غزوة خيبر

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية برد من المدينة تمشي ثلاثة أيام إلى جهة الشمال.

---

(١) مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، ص/١٣٠

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع، وقيل كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم. قال الحافظ ابن حجر: "والراجح ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول" انتهى.

وكان الله وعده إياها بالحديبية بقوله ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة فتح خيبر، فخرج صلى الله عليه وسلم مستنجزا ميعاد ربه واثقا بكفايته ونصرته، وكان معه ألف وأربعمائة راجل ومائتا فرس، ومعه أم سلمة زوجته، وأمر ألا يخرج معه إلا من رغب في الجهاد، لا من غرضه عرض الدنيا. واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.

وفي البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما أبقينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

وفي رواية أحمد زيادة:." (١)

"واختلف في مقدار عمره عليه السلام: فقدمنا في الحديث عن ابن

عباس وأبى هريرة مرفوعا: أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة.

وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لان قولهم هذا مطعون فيه مردود، إذا خالف الحق الذى بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم.

وأيضا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث ؛ فإن ما في التوراة إن (١) كان محفوظا - محمول على مدة مقامة في الارض بعد الاهباط، وذلك تسعمائة [سنة] (٢) وثلاثون سنة شمسية، وهى بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره، فيكون الجميع ألف سنة.

وقال عطاء الخراساني: لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام، رواه ابن عساكر.

---

(١) مختصر سيرة الرسول: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص/٣٤٢

فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الامر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث الذى رواه ابن حبان في صحيحه، عن أبى ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش (٣) فقام بالامر بعده، ثم بعده ولده قينن (٤) ثم من بعده ابنه مهلاييل - وهو الذى يزعم الاعاجم

---

(١) ا: إذا (٢) من ا.

(٣) ا: يانش.

(٤) ط: قاين.

(*)."[١]

"ويزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب [في (١)] السفينة -كان عمره ستمائة سنة.

وقدمنا عن ابن عباس مثله، وزاد: وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة، وفى هذا القول نظر.

ثم إن لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض.

فإن القرآن يقتضى أن نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.

ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك ؟ فإن كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس - من أنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة - فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير والازرقي عن عبد الرحمن ابن سابط أو غسيره من التابعين مرسلا، أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام.

وهذا أقوى وأثبت من الذى يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكر.

والله أعلم.

---

(١) قصص الأنبياء، ١/٦٩

(١) من ا (٢) ا: سبعمائة.

(*)."(١)

"أَيْ نُشِير عَلَيْهِ بِالصُّلْحِ ، وَهَذَا ظَاهِره أَنَّهُمَا بَدَآ بِذَلِكَ ، وَالَّذِي فِي كِتَاب الصُّلْح أَنَّ مُعَاوِيَة هُوَ الَّذِي بَعَثَهُمَا ، **فَيُمْكِن الْجَمْع** بِأَنَّهُمَا عَرَضَا أَنْفُسهمَا فَوَافَقَهُمَا.

(فَقَالَ مُعَاوِيَة:اِذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُل فَاعْرِضَا عَلَيْهِ) أَيْ مَا شَاءَ مِنْ الْمَال (وَقُولَا لَهُ) أَيْ فِي حَقْن دِمَاء الْمُسْلِمِينَ بِالصُّلْحِ (وَاطْلُبَا إِلَيْهِ) أَيْ اُطْلُبَا مِنْهُ خَلْعه نَفْسه مِنْ الْخِلَافَة وَتَسْلِيم الْأَمْر لِمُعَاوِيَةَ وَابْذُلَا لَهُ فِي مُقَابَلَة ذَلِكَ مَا شَاءَ.

(فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ:«إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا».

قَالَا:« فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ».

قَالَ:« فَمَنْ لِي بِهَذَا؟».

قَالَا:«نَحْنُ لَكَ بِهِ».

فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا:« نَحْنُ لَكَ بِهِ» ، فَصَالَحَهُ).

قَالَ اِبْن بَطَّال:هَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَة كَانَ هُوَ الرَّاغِب فِي الصُّلْح وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَى الْحَسَن الْمَال وَرَغَّبَهُ فِيهِ وَحَثَّهُ عَلَى رَفْع السَّيْف وَذَكَّرَهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ جَدّه ص مِنْ سِيَادَته فِي الْإِصْلَاح بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَن:إِنَّا بَنُو عَبْد الْمُطَّلِب أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَال ، أَيْ إِنَّا جُبِلْنَا عَلَى الْكَرَم وَالتَّوْسِعَة عَلَى أَتْبَاعنَا مِنْ الْأَهْل وَالْمَوَالِي وَكُنَّا نَتَمَكَّن مِنْ ذَلِكَ بِالْخِلَافَةِ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ لَنَا عَادَة.." (٢)

"وقد بالغ النوويُّ هنا في الرد على من زعمَ أن ذلك كان في حجة الوداع فقال [شرح صحيح مُسلم ٢٣١/٨-٢٣٢]: "هذا الحديث محمولٌ على أن معاويةَ قصَّر عن النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة الجِعْرانَة، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كان قارِناً، وثَبَتَ أنه حَلَقَ بمِنى وفَرَّقَ أبو طلحة شَعرَهُ بين الناس، فلا يَصحُّ حَملُ تَقصير معاويةَ على حجَّة الوَداع، ولا يَصحُّ حمله أيضا على عمرة القضاء الواقعةِ سنة سبعٍ، لأن معاويةَ لم يكن يومئذٍ مُسلما، إنما أسلم يومَ الفتح سنة ثمان، هذا هو الصحيح المشهور، ولا يصح قولُ مَن حَمَله على حجة الوداع؛ وزعم أن النبَّي صلى الله عليه وسلم كان متمتِّعا، لأن

---

(١) قصص الأنبياء، ١١٩/١

(٢) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ص/٨٥

هذا غلطٌ فاحشٌ، فقد تظاهرت الأحاديثُ في مُسلمٍ وغيرِه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قيل له: ما شأنُ الناس حَلُّوا من العُمرة ولم تحلَّ أنتَ من عمرتك؟ فقال: إني لبّدتُ رأسي وقلَّدتُ هَدْيي، فلا أُحِلُّ حتى أَنْحَر". [انتهى كلام النووي، قال ابن حجر:]

"قلت: ولم يذكر الشيخُ هنا ما مرَّ في عمرة القضيَّة، والذي رجَّحه من كون معاوية إنما أسلمَ يوم الفتح صحيحٌ من حيث السند، لكن **يمكن الجمعُ** بأنه كان أسلمَ خفيةً، وكان يكتُم إسلامَه، ولم يتمكن من إظهارِ إلا يومَ الفتح، وقد أخرج بن عساكر في تاريخ دمشق من ترجمة معاوية [٥٩/٦٦ و٦٧ وانظر ص٥٧ و٦٠ و٦٢ وقد ذكره غير واحد قبله] تصريحَ معاويةَ بأنّهُ أسلمَ بين الحُدَيبية والقضيَّة، وأنه كان يُخفي إسلامَه خوفا من أبويه، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم لما دَخَل في عُمرة القضيَّة مكة خرجَ أكثرُ أهلِها عَنها حتى لا ينظرونَه وأصحابَه يطوفونَ بالبيت، فلعلَّ معاويةَ كان ممّن تخلَّفَ بمكة لسَبَب اقتَضاه.." (١)

"ج- وفي رواية أخرى عن أنس أيضا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلا فقلت: والله لأسوءنك، إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض(٣٧٤). فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضي الله عنه، وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما أنه قد تقدم في فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله × من الحسن بن علي، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجر رحمه الله حيث جمع بينهما فقال: **ويمكن الجمع** بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبها بالنبي × من أخيه الحسين، وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه في الشبه ما عدا الحسن، ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبها في بعض أعضائه، فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال: الحسن أشبه النبي × ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي × ما كان أسفل من ذلك(٣٧٥)، فهذه بعض الأحاديث الواردة في الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

٣- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

أ- ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر أنه قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله × وقال النبي ×:"هما ريحانتاي من الدنيا"(٣٧٦).

---

(١) من فضائل وأخبار معاوية دراسة حديثية، ص/١٩

قال ابن حجر: والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين(٣٧٧).

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: "من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني".يعني حسنا وحسينا(٣٧٨).

ج- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله × أبصر حسنا وحسينا فقال: "اللهم إني أحبهما فأحبهما"(٣٧٩).." (١)

"هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ×، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقريء(٢٩٦٥) وقد أسلم أبو موسى بمكة قديما، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديما وهاجر إلى أرض الحبشة(٢٩٦٦)، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدا النبي × بخيبر.. **ويمكن الجمع** بأن يكون أبو موسى هاجر أولا إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي × مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي × وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد(٢٩٦٧).

١- أوسمه الشرف التي وضعها رسول الله × على صدر أبي موسى:

أ- لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي: عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رهم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ×: "لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي"(٢٩٦٨)، وعن أنس قال: قال رسول الله ×: "يقدم عليكم غدا قوم هم أرق قلوبا للإسلام منكم".

فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غدا نلقي الأحبة

محمدا وحزبه

---

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ١/١١٤

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة(٢٩٦٩).

ب- هم قومك يا أبا موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت: +فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" [المائدة:٥٤]. قال رسول الله ×: "هم قومك يا أبا موسى"، وأومأ إليه(٢٩٧٠).." (١)

"فأضيف إليهما بناؤه.

قال: وقد ينسب هذا المسجد الأقصى إلى إيلياء، فيحتمل إن يكون هو بانيه أو غيره ولست أحقق لم أضيف إليه.

قال الحافظ: الاحتمال الذي ذكره أولا موجه.

وقد رأيت لغيره أن أول من أسس المسجد الأقصى آدم صلى الله عليه وسلم.

وقيل: الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقيل: سام بن نوح صلى الله عليه وسلم

وقيل: يعقوب صلى الله عليه وسلم فعلى الأولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديدا كما وقع في الكعبة.

وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم صلى الله عليه وسلم أو يعقوب صلى الله عليه وسلم أصلا وتأسيسا، ومن داود صلى الله عليه وسلم تجديدا لذلك أو ابتداء بناء، فلم يكمل على يديه حتى كمله سليمان.

لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أوجه.

وقد وجدت ما يشهد له.

ويؤيده قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين.

وذكر ابن هشام (١) في كتاب التيجان أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله تءالى بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه.

وبناء آدم البيت مشهور.

وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجدا وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته.

وأما ظن الخطابي أن إيلياء اسم رجل ففيه نظر، بل هو اسم البلد فأضيف إليه المسجد كما يقال مسجد المدينة ومسجد مكة.

وقال أبو عبيد البكري في معجم البلدان إن إيلياء مدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات: مد آخره.

وقصره.

---

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ١٦١/٢

وحذف الياء الأولى.

وعلى ما قاله الخطابي يمكن الجمع بأن يقال إنها سميت باسم بانيها كغيرها.

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب.

ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر.

أشهر كتبه " السيرة النبوية " المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق.

وله " القصائد الحميرية " في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و " التيجان في ملوك حمير " رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و " شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب " وغير ذلك.

توفي ٢١٣ هـ.

الأعلام ٤ / ١٦٦.

(*)."(١)

"الثاني: وقع في زيادات المسند لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (١)، عن علي رضي الله تعالى عنه: أبيض شديد الوضح.

وفي حديث أبي هريرة عند البزار ويعقوب بن سفيان بسند قوي: كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض.

وهذا مخالف لقول أنس أول الباب: وليس بالأمهق.

ولرواية مسلم عنه: أبيض مشربا بحمرة: وهما أصح منهما.

ويمكن الجمع بحمل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يلقى الشمس.

الثالث: وقع عند أبي زيد المروزي أحد رواة الصحيح عن أنس: أمهق ليس بالأبيض واعترض الداودي الشارح هذه الرواية.

وقال القاضي إنها وهم.

وقال: لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدم.

قال الحافظ: وهذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم الشديد الأدمة وإنما

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١/١٤٥

يخالط بياضه الحمرة.

والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر.

ولهذا جاء في حديث أنس أي السابق: كان صلى الله عليه وسلم أسمر.

قال الحافظ: وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزي: (أمهق ليس بالأبيض) مقلوبة على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته.

فقد نقل عن رؤبة أن المهق خضرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء في عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

الرابع: نقل القاضي عن أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون رحمهما الله تعالى أن من قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أسود.

يقتل.

انتهى.

قال بعضهم: وهذا يقتضي أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل.

وليس كذلك، بل لا بد من ضميمة ما تشعر بنقص كما في مسألتنا هذه فإن السواد

مفصول.

الخامس: في بيان غريب ما سبق: الأزهر: الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أي ليس بالشديد البياض.

الآدم: الشديد السمرة.

الأمهق: الشديد البياض الذي لا يخالطه شئ من الحمرة وليس بنير كلون الجص أو نحوه.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الرحمن، ولد الإمام، ثقة، من الثانية عشرة مات سنة تسعين، وله بضع وسبعون [انظر التقريب ١ / ٤٠١].

(*)."(١)

"وروى ابن عساكر من طرق عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون الحاجبين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٣/٢

ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم كان أولا بغير قرن أو من جهة الرائي من قرب ومن بعد، وبأنه لم يكن بالأقرن حقيقة ولا بالأزج حقيقة بل كان بين الحاجبين فرجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها. كما ذكر في صفة أنفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال: يحسبه من لم يتأمله أشم ولم يكن أشم.

الثاني: في بيان غريب ما سبق.

مفاض الجبين – بميم مضمومة ففاء فألف فضاد معجمة مخففة أي واسعة، يقال درع مفاضة أي واسعة.

الجبين ما فوق الصدغ.

والصدغ ما بين العين إلى الأذن، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة.

الزجج: وتقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد.

قاله في النهاية.

وقال غيره: الزجج دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس.

سوابغ – حال من المجرور وهو الحواجب جمع سابغ وهو التام الطويل أي أنها دقت في حال سبوغها.

وضع الحواجب موضع الحاجبين لأن التثنية جمع.

القرن – بالتحريك: اتصال شعر الحاجبين.

يدره – بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه: أي يحركه ويظهره، كان صلى الله عليه وسلم إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما كما يمتلئ الضرع لبنا إذا درفيظهر ويرتفع.

الصلت الجبين: أي واسعة، وقيل الصلت الأملس وقيل البارز.

والله أعلم.." (١)

"الباب الثالث والعشرون في معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تقرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم

وهم: آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم.

ذكره صاحب (استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف).

وإبراهيم نبي الله ورسوله وخليله صلى الله عليه وسلم: جاء في غير ما حديث صحيح أنه كان يشبهه صلى الله عليه وسلم.

ومن أمته: أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين ابنا علي رضي الله تعالى عنهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢٢/٢

روى البخاري عن ابن سيرين عن أنس قال: كان الحسن بن علي أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البخاري أيضا عن الزهري عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسين بن علي.

وفي لفظ لغيره: كان أشبههم وجها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ: قوله أشبههم أي أشبه أهل البيت.

وقول أنس في رواية ابن سيرين يعارض قوله في رواية الزهري.

ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما قال في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه كان يومئذ أشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين.

وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه والمراد: من فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن.

ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به في بعض أعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال: الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك.

وفي رواية عن أنس: كان الحسن أشبههم وجها.

وهو يؤيد حديث علي انتهى.

* وأم الحسن، السيدة فاطمة الزهراء أمهما رضي الله تعالى عنهم.

* وأخوها إبراهيم ابن سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم.

روى الخرائطي في (اعتلال القلوب) عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية وهي حامل منه بإبراهيم فذكر حديثا فيه أن جبريل صلى الله عليه وسلم بشره أنه أشبه الخلق به.

* وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال له: أشبهت خلقي وخلقي (١).

---

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٢٤٢ الترمذي (٣٧٦٥) وأحمد في المسند ١ / ٩٨ والبيهقي في السنن ٨ / ٥

والحاكم ٣ / ١٢٠ وعبد الرزاق (٢٠٣٩٤).

(*)."[١]

"فقيل: كان ابن خمس وثلاثين.

وقدمه في (الإشارة).

وحكى الأزرقي قولا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بنيت الكعبة كان غلاما.

قال الحافظ: ولعلن عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وكذا رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه.

والذي جزم به ابن إسحاق أن بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين.

قال الحافظ: وهو أشهر قال: **ويمكن الجمع** بينهما بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء.

وقيل: ابن خمس وعشرين، وغلط قائله.

الثاني: في بيان غريب ما سبق.

تجمرها (١): بضم المثناة الفوقية وإسكان الجيم وكسر الميم يقال أجمر وجمر لغتان، أي تبخرها.

شرارة: واحدة الشرار وهو ما يتطاير من النار.

وكذا واحدة الشرر: شررة.

المجرمة: بفتح الميم الأولى.

دويك: تصغير ديك.

مليح: بضم الميم وفتح اللام وبالحاء المهملة.

باقوم بباء موحدة فقاف فواو.

العتلة: الهرواة الغليظة.

تنقضت: بمثناة فوقية فنون مفتوحتين فقاف فضاد معجمة.

ساقطة: أي اهتزت.

مرسى السفينة: مكان وقوفها بالبر.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢/١١٥

الرضم: الحجارة يجعل بعضها على بعض.

تشرق: بمثناة فوقية فشين معجمة فراء مفتوحات فقاف، أي تبرز للشمس.

اخزألت (٢) بخاء معجمة فزاي فهمزة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيث أي رفعت ذنبها والمخزئل: المرتفع.

كشت (٣): صوتت.

ويقال: الكشيش صوت جلدها.

البغي: الفاجرة.

---

(١) انظر المصباح المنير ١٠٨، ومختار الصحاح ١٠٧.

(٢) لسان العرب ٢ / ٨٥٩.

(٣) لسان العرب ٤ / ٣٨٨١.

(*)."[1]

"الخامس: قوله: فرأى بمكة أن آت أتاه.

الخ قال السهيلي رحمه الله تعالى: ليس ذكر النوم حديث عائشة، بل يدل ظاهرة عى أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ قد كان في اليقظة وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا الفرض ويصححه.

قال في (الزهر): والأنبياء صلوا ت الله وسلامه عليهم هذا شأنهم، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله: وقد يمكن الخ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها.

وبسط الكلام على ذلك.

السادس: قال السهيلي: في كون الكتاب في نمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم وبه ينال أيضا ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

السابع: يؤخذ من قول عائشة رضي الله تعالى عنها: (فجاءه الملك فيه) - كما في الكتاب التعبير من الصحيح - أي في الغار، دفع توهم من يظن: أن الملك لم يدخل إليه الغار بل كلمه والنبي صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٧٣/٢

وآله وسلم داخل الغار والملك خارجه على الباب.
قال الحافظ: وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبئ في شهر رمضان.
ويعكر على قول ابن إسحاق أنه بعث على رأس الأربعين مع قوله: إنه ولد في شهر ربيع.
ويمكن أن يكون المجئ في الغار كان أولا في شهر رمضان وحينئذ نبئ وأنزل عليه: (اقرأ باسم ربك) [العلق ١] ثم كان المجئ الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه: (يأيها المدثر ثم فأنذر) [المدثر: ١] فيحمل قول ابن إسحاق: على رأس الأربعين: أي عند المجئ بالرسالة.
الثامن: فإن قيل: لم كرر: (أقرأ) ثلاث مرات ؟ أجاب الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى بأنه يحتمل أن يكون قوله أولا: (ما أنا بقارئ) على الامتناع، وثانيا على الإخبار بالنفي المحض، وثالثا على الاستفهام.
ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة إنه قال: كيف أقرأ.
وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا أقرأ.
وفي مرسل الزهري عند البيهقي كيف أقرأ وكل ذلك يؤيده أنها استفهامية.
وقال الحافظ: لعل الحكمة في تكرير (اقرأ) الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية، وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد والأحكام والقصص.." (١)
"وفي حديث ابن الصامت فقال أبو بكر: يا رسول الله ايذن لي في طعامه الليلة.
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلت بها.
ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني وجهت لي أرض ذات نخل
ولا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ قال: فأتيت أنيسا فقال ما صنعت ؟ قلت: قد أسلمت وصدقت.
فقال: ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت.
فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا.
فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢/٢٣٩

نسلم على الذي أسلموا عليه.

فأسلموا.

فقال رسول الله صلى ا الله عليه وسلم: (غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله).

تنبيهات الأول: قال الحافظ: قول أبي ذر لأخيه: ما شفيتني مغاير في الظاهر لما في حديث ابن الصامت.

ويمكن الجمع بأنه أراد منه أن يأتيه بتفاصيل من كلامه وأخباره فلم يأته إلا بمجمل.

وفي حديث ابن عباس أن لقياه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بدلالة علي، وفي حديث ابن الصامت أن أبا ذر لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر في الطواف بالليل، كما هو مذكور في القصة، وكثره يغاير ما في حديث ابن عباس هذا عن أبي ذر، ويمكن التوافق بينهما بأنه لقيه أولا مع علي ثم لقيه في الطواف، أو بالعكس، وحفظ كل منهما ما لم يحفظ الآخر.

الثاني: قال في المفهم: في التوفيق بين الروايتين تكلف شديد لاسيما أن في حديث عبد الله بن الصامت أن أبا ذر أقام ثلاثين لا زاد له.

وفي حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة ماء إلى غير ذلك.

قال الحافظ: ويحتمل الجمع بأن المراد بالزاد في حديث ابن عباس ما تزوده لما خرج من أرض قومه.

ففرغ لما أقام بمكة.

والقربة التي كانت معه كان فيها الماء حال السفر، فلما أقام بمكة لم يحتج إلى ملئها ولم يطرحها.

ويؤيده أنه وقع في رواية أبو قتيبة عن البخاري: فجعلت لا أعرفه - يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في

المسجد.

الثالث: في بيان غريب ما سبق." (١)

"وقال تعالى فيما سألوه من الروح الذي يحيا به البدن: (قل) لهم (الروح من أمر ربي) أي علمه لا تعلمونه.

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) بالنسبة إلى علمه تعالى.

وكلام ابن إسحاق يدل على أن هذه الآية مكية.

ورواه الترمذي عن ابن عباس، ورجاله رجال مسلم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢/٣١٦

وفي الصحيحين أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأن يتعدد النزول ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح.

قال ابن إسحاق: فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عروفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيب حين سألوه عنه، حال الحسد منهم له بينهم فقال قائلهم: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) أي اجعلوه لغوا باطلا وهزؤا (لعلكم تغلبون) بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم بذلك.

فقال أبو جهل يوما، هو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أتى به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد إنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم الناس عددا وكثرة، فيعجز كل مائة منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى في ذلك: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) فلا يطاقون كما تتوهمون (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة) ضلالا (للذين كفروا) بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب (إيمانا) تصديقا لموافقة ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم.

(ولا يرتاب) يشك (الذين أوتو الكتاب والمؤمنون) من غيرهم في عدد الملائكة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك بالمدينة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا) العدد (مثلا) سموه مثلا لغرابته وأغرب حالا. (كذلك) أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء، وما يعلم جنود ربك) أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (إلا هو) سبحانه وتعالى.

تنبيه في بيان غريب ما سبق: النضر: بنون وضاد معجمة.

مكث: مرفوع فاعل أحزن.." [١]

"عبد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي الزهري (١).

عبد الله بن عبد أسد بن هلال القرشي المخزومي، أبو سلمة، هاجر الهجرتين، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة هو وامرأته.

عبد الله بن عرفطة – بضم العين وإسكان الراء ففاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢/٣٥٠

عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري.
ذكره فيهم ابن إسحاق.
قال أبو عمر: ليس كذلك ولكنه خرج في طائفة من قومه من أرضهم باليمن يريد المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر.
قلت: وقد روى البيهقي وغيره بسند صحيح عن أبي موسى في حديث الهجرة إلى الحبشة وفيه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ننطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة.
فذكر الحديث.
قال البيهقي: وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب ألى أرض الحبشة.
والصحيح ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج الـنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن باليمن فخرجنا فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين افتتح خيبر، الحديث.
وقال الحافظ في الفتح: ويؤيد ما ذكره ابن إسحاق ما رواه الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري.
فذكر الحديث.
وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحضروا مع جعفر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بخيبر.
ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولا إلى مكة فبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلمن مع من بعث
إلى الحبشة فتوجه هو إلى بلاد قومه وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحققوا استقرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة هاجر وهو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة.
فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار.
فليعتمد والله أعلم

(١) عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري وهو الذي قبله وهو جد الزهري من قبل أمه...وكان من السابقين ذكره الزهري والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل هجرة المدينة.

[الإصابة ٤ / ٨٥].

(*)."(١)

"كما تقدم وأخبار مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها.

فمن المقيدة ما رواه مسلم عن أبي العالية في قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم: ١١]، (ولقد رآه نزلة أخرى) [النجم: ١٣]، قال: (رآه بفؤاده مرتين).

وروى أيضا عن طريق عطاء عنه قال: (رآه بقلبه).

وروى ابن مردويه من طريق عطاء عنه أيضا في الاية قال: (لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه).

وروى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الاية قال: (رآه بقلبه ولم يره بعينه).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيد عن محمد بن كعب القرظي - بالظاء المعجمة المشالة وبالتحتية - قال ابن جرير عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: يا رسول الله، هل رأيت ربك ؟ قال: لم أره بعيني، رأيته بفؤادي مرتين)، ثم تلا (ثم دنا فتدلى) [النجم: ٨] وموسى ضعيف.

الثاني: قال الحافظ: المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام.

بل مراد من أنه أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، زاد صاحب السراج: (بخلاف غيره من الاولياء، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لانفسهم، فإنهم إنما يريدون (المعرفة) فاعلمه، فإنه من الامور المهمة التي يغلط فيها كثير من الناس).

انتهى.

والرؤية لا يشترط لها شئ مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين.

قال الواحدي: (وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤٠٢/٢

ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين).

الثالث: على هذه الاثار المقيدة عن ابن عباس **يمكن الجمع** بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباتها على رؤية القلب.

الرابع: قال ابن كثير: [فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي عز وجل)، فإنه حديث إسناده صحيح.

على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس.

الخامس: قال ابن كثير: من روى عن ابن عباس أنه رآه ببصره فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شئ عن الصحابة.

وقول البغوي: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر.

قلت: سبق البغوي إلى ذلك الامام أبو الحسن الواحدي وقول ابن كثير: إنه لم يصح في ذلك شئ عن الصحابة فليس بجيد، قال: فقد روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول: نظر محمد إلى ربه مرتين: مرة ببصره ومرة بفؤاده.." (١)

"لم يقع الاقتصار في الاية على حكاية (وتله للجبين) (الصافات: ١٠٣) ولكان ذكر الذبح أوقع في الابتلاء ولسقطت فائدة ا لفداء.

فبطل ما قالوه، وتعين القول بجواز النسخ قبل التمكن بدليل وقوعه في قصة الذبيح، فلا يمكنهم ترديد مثلها في قصة الاسراء إذ لا خفاء بأنه صلى الله عليه وسلم أمر في حق الامة بخمسين صلاة ثم نسخ ما نسخ قبل أن يدخل وقت ا لصلاة فضلا عن أن يمضي زمان يسعها.

قال شيخنا السهيلي: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس.

وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم في هذا ا لنقص من الفريضة أهو نسخ أم لا ؟ على قولين.

فقال قوم: هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين:

أحدهما: البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل لها لان ذلك عنده من البداء،

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٦٣/٣

والبداء محال على الله سبحانه.
الثاني: أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الارض وهبوطها إلى المخاطبين...إنما هي شفاعة شفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا).
أما مذهب أبي جعفر النحاس في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وأن ذلك بداء فليس بصحيح لان حقيقة البداء أن يبدو للامر رأي يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه، وهذا محال في حق من يعلم الاشياء بعلم قديم.
وليس النسخ من هذا في شئ، إنما النسخ تبديل حكم بحكم، والكل سابق في علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك، وأيضا بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الامر إليه ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الامر، واعتقاد ا لوجوب إن كان واجبا، فإن نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان: العزم، واعتقاد الوجوب، وعلم الله تعالى ذلك منه علم مشاهدة.
فصح امتحانه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته والذي لا يجوز إنما هو نسخ الامر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به.
والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ليس هو حقيقة النسخ لان العبادة المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها.
وقولنا في الخمس والاربعين صلاة الموضوعة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.
أحد وجهين إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها، ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب.
وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ما وجب." (١)

"قتله كالزنديق، قال القاضي: " وبقول مالك قال أحمد، وجماعة من الصحابة والتابعين ".
انتهى.
وإلى ذلك جنح البخاري.
الرابع: قال الحافظ: " أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين: إما لتميز ما فيه من كفر من غيره، وإما

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٣/١٥١

لإزالته عمن وقع / فيه.

فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشئ معرفة مجردة لا تستلزم منعا، كمن يعرف عبادة أهل الأوثان، لأن كيفية ما يعرفه الساحر إنما هي حكاية قوله وفعل، بخلاف تعاطيه والعمل به، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا، وإلا جاز

للمعنى المذكور، ولهذا مزيد بسطا يأتي إن شاء الله في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم.

الخامس: لبيد - بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم مهملة - ابن الأعصم بوزن أحمر بمهملتين - وصف في رواية بأنه من يهود بني زريق.

وفي رواية (أخرى) بأنه رجل من بني زريق حليف يهود، وكان منافقا.

ويجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقا نظر إلى ظاهر أمره.

قال أبو الفرج: وهذا يدل على أنه أسلم نفاقا وهو واضح.

السادس: في مدة مكثه صلى الله عليه وسلم مسحورا: وقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم مكث أربعين ليلة.

وفي رواية وهيب عن عشام عند الإمام أحمد ستة أشهر.

ويمكن الجمع بينهما بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوما من استحكامه.

قال السهيلي: لم أقف على شئ من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها من السحر، حتى ظفرت به في جامع معمر (بن راشد) عن الزهري قال: " سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة (يخيل إليه أنه يفعل الفعل ولا يفعله) وقد وجدناه موصولا بإسناد صحيح فهوا المعتمد.

السابع: قوله: " فدعا الله عز وجل ثم دعا الله عز وجل ": قال الإمام النووي: " فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره وحسن الالتجاء إلى الله تعالى في رفع ذلك ".

قال الحافظ: " سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه، واحتسب الأجر في صبره على بلائه.

ثم لما تمادى ذلك وخشى من تماديه أن يضعف عن عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء.

وكل من المقامين غاية " في الكمال ".

الثامن: وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل عليا وعمارا لاستخراج السحر.

وفي رواية عائشة في الصحيح: أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى البئر مع جماعة.

وعند." (١)

"قلت: رواه ابن سعد وابن قانع.

انتهى.

وفي رواية ابن وهب: فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، كنت نهيتنا عن التطير، فقال صلى الله عليه وسلم: " ما تطيرت، ولكن آثرت الاسم الحسن "، أو كما قال صلى الله عليه وسلم (١).

الرابع: وقع في صحيح مسلم عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لاخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا، وذكر الحديث.

قال في العيون: وهذا القول إنما يعرف عن سعد بن معاذ، كذلك رواه ابن عقبة وابن إسحاق وابن سعد وابن عائذ وغيرهم، والصحيح أن سعد بن عبادة لم يشهد بدرا، فإن سعدا كان متهيئا للخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام.

وذكر الحافظ في الفتح نحوه، ثم قال: **ويمكن الجمع** بأن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم في غزوة بدر مرتين: الاولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم، والثانية: بعد أن خرج كما في حديث ابن مسعود في الصحيح، وحيئذ قال سعد بن معاذ ما قال.

ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية وهذا أولى بالصواب، ولهذا مزيد بيان يأتي.

الخامس: قال السهيلي: معنى يضحك الرب أي يرضيه غاية الرضا، وحقيقته أنه رضا معه تبشير وإظهار كرامة، وذلك أن الضحك مضاد للغضب، وقد يغضب السيد ولكنه يعفو ويبقى العتب، فإذا رضي فذلك أكثر من العفو، فإذا ضحك فذلك غاية الرضا، إذ قد يرضى ولا يظهر ما في نفسه من الرضا، فعبر عن الرضا وإظهاره بالضحك في حق الرب تبارك وتعالى مجازا وبلاغة وتضمينا في هذه المعاني في لفظ وجيز،

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤١٣/٣

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في طلحة بن البراء:
" اللهم الق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه ".
فمعنى هذه: القه لقاء متحابين مظهرين لما في أنفسهما من رضا ومحبة، فإذا قيل: ضحك الرب إلى فلان فهي كلمة وجيزة، تتضمن رضا مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليها، فهي من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم.
وقال في المطالع: هذا وأمثاله من الاحاديث، طريقها الايمان بها من غير كيف ولا تأويل

---

(١) ذكره الهيثمي مختصرا ٨ / ٥٠ وعزاه للطبراني باسناد حسن.
(*)."[١]

"اليمان، كما رويناه عن طريق ابن إسحاق وغيره.
قال الحافظ رحمه الله: وهذا الحصر مردود، فإن القصة التي ذهب الزبير لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها، فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة: هل نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك محمد بن عمر، وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالت عليهم الطوائف، ووقع بين الاحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الاخرى، وأرسل الله تعالى عليهم الريح، فندب النبي صلى الله عليه وسلم، من يأتيه بخبر قريش، فانتدب حذيفة، كما تقدم بيان ذلك في القصة.
الخامس: قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إن العيش عيش الآخرة " إلخ، قال ابن بطال: هو مقول ابن رواحة تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ولو كان ذلك من لفظه لم يكن بذلك شاعرا لعدم القصد، كما سيأتي تحقيقه في الخصائص.
وقوله: " فاغفر للمهاجرين والانصار "، وفي رواية بتقديم الانصار على المهاجرين، وكلاهما غير موزون، ولعله صلى الله عليه وسلم تعمد ذلك، وقيل.
أصله " فاغفر للانصار والمهاجرة " بجعل الهمزة همزة وصل.
وقوله: " والعن عضلا والقارة " إلخ غير موزون، ولعله كان: والعن إلهي عضلا والقارة وقوله: " إن الالى بقد بغوا علينا " ليس بموزون، وتحريره: إن الذين قد بغوا علينا فذكر الراوي " الالى " بدل " الذين "، قد قاله

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٨٠/٤

الحافظ.

وقال ابن التين: والاصل: " إن الالى هم قد بغوا علينا ".

السادس: ظاهر قول البراء: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كثير الشعر: أنه كان كثير شعر الصدر وليس كذلك، فإن في صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان دقيق المسربة، أي الشعر الذي في الصدر إلى البطن، **فيمكن الجمع** بأنه كان مع دقته كثيرا، أي لم يكن منتشرا، بل كان مستطيلا، وتقدم ذلك مبسوطا في أبواب صفاته.

السابع: سبق في القصة عن ابن إسحاق وغيره وصف حسان بن ثابت رضي الله عنه بالجبن، وأنه روي عن عروة بسند صحيح، وأنه روي عن أبيه الزبير، وصرح بذلك خلائق.

وأنكر ذلك أبو عمر وجماعة، واحتجوا لذلك بأن ما ذكره ابن إسحاق منقطع الاسناد، وبأنه لو صح لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار بن الخطاب، وابن الزبعرى، وغيرهما." (١)

"ودعا ثم صبه فيها، وفي حديث المسور، ومروان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، **ويمكن الجمع** بان الامرين وقعا معا، ويؤيد ذلك ما رواه محمد بن عمر من طريق أوس بن خولى أنه – صلى الله عليه وسلم – توضأ في الدلو ثم افرغه فيها وانتزع السهم ثم وضعه فيها، وهكذا ذكر أبو الاسود عن عروة أنه – صلى الله عليه وسلم – تمضمض في الدلو وصبه في البئر، ونزع سهما من كنانته فالقاه فيها ففارت.

الثاني عشر: اختلف في النازل بالسهم، فعند ابن اسحاق عن رجال من أسلم: أنه ناجية بن جندب.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض أهل العلم أنه البراء بن عازب.

وروى محمد بن عمر عن خالد بن عبادة الغفاري قال: أنا الذي نزلت بالسهم، ويمكن الجمع بانهم تعاونوا على ذلك.

الثالث عشر: في حديث جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان بين يديه بالحديبية ركوة فتوضأ فيها ثم أقبل الناس نحوه فقال " ما لكم ؟ فقالوا: يا رسول الله: ليس عندنا ما نتوضا ولا نشرب إلا ما في ركوتك.

قال: فوضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون، قال: فشربنا وتوضانا.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٣٩٨/٤

وجمع ابن حبان بين حديث جابر هذا وبين ما تقدم بان ذلك وقع مرتين في وقتين، وقال ما تقدم في حديث البراء والمسور ومروان غير ما في حديث جابر، وكان حديثه قبل قصة البئر، وقال في موضع آخر في حديث جابر في الاشربة من كتاب البخاري أن نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لارادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن الماء انفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضأ كلهم وشربوا، وأمر حينئذ بصب الماء الذي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها.

الرابع عشر: اقتصر بديل بن ورقاء على قوله: تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي، ولم يكن بمكة منهم أحد، وكذلك قريش الظواهر، وتقدم بيانهم في من اسمه القريشي.

قال هشام بن الكلبي: بنو عامر بن لؤي وكعب بن لؤي هما الصريحان لا شك فيهما، بخلاف سامة وعوف، أي ففيهما خلاف، قال: وهم قريش البطاح، بخلاف قريش الظواهر وفي موالاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

الخامس عشر: قوله – صلى الله عليه وسلم – " إن أظهر فان شاءوا " إلخ إنما ردد – صلى الله عليه وسلم – الامر مع أنه جازم بان الله سينصره ويظهره، لوعده – تعالى – له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على ما زعم الخصم، ولهذه النكتة حذف القسم الأول وهو التصريح بظهور غيره، وقوله." (١)

"فاعطاه الله فيها خيبر بقوله: (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) [الفتح ٢٠] ويعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فاقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

وذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أنه – صلى الله عليه وسلم – أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر.

وعند ابن عائذ عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال.

وعند سليمان التيمي خمسة عشر يوما.

قال الامام مالك رحمه الله – تعالى –: كان فتح خيبر سنة ست.

والجمهور – كما في زاد المعاد: أنها في السابعة، وقال الحافظ: إنه الراجح قالا: **ويمكن الجمع** بان من أطلق سنة ست بناه على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي، وهو ربيع الاول.

وابن حزم – رحمه الله – يرى أنه من شهر ربيع الاول.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٧٣/٥

الثالث: قال الحافظ: نقل الحاكم عن الواقدي، وكذا ذكره ابن سعد أنها كانت في جمادى الاولى.

فالذي رايته في مغازي الواقدي: أنها كانت في صفر، وقيل: في ربيع الاول، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد، وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: خرجنا إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، الحديث.

وإسناده حسن، إلا أنه خطا، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت، وتوجيهه بان غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها في رمضان جزما، وذكر الشيخ أبو حامد – رحمه الله – تعالى، في التعليق: أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر، وأجاب بعضهم بانه أسقط سنة المقدم أي وقطع النظر وقطع النظر عن سنة الغزوة.

الرابع: قول عامر: اللهم لو لا أنت ما اهتدينا، قال الحافظ في هذا: القسم زحاف الخزم بالمعجمتين، وهو زيادة سبب خفيف، وهو الصحيح في الجهاد عن البراء بن عازب: أنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

الخامس: استشكل قول عامر: " فداء " بانه لا يقال في حق الله – تعالى، إذ معنى " فداء "

نفديك بانفسنا، فحذف متعلق الفعل للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء، وأجيب عن ذلك بانها كلمة لا يراد ظاهرها، بل المراد بها المحبة والتعظيم، مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ، وقيل: المخاطب بهذا الشعر النبي – صلى الله عليه وسلم – والمعنى، لا تؤاخذنا بتقصيرنا في." (١)

"دخل مرة أخرى، فقام يدعو ولم يصل.

رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: فيه أبو مريم،

روى عن صغار التابعين، ولم أعرفه، وبقية رجاله موثقون، وفي بعضهم كلام.

وروى الازرقي عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال: بلغني أن الفضل ابن عباس دخل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ – أي يوم الفتح – فقال: لم أره صلى فيها، قال أبي: وذلك فيما بلغني أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعانه في حاجة فجاء وقد صلى ولم يره.

قال عبد المجيد: قال أبي، وذلك أنه بعثه فجاء بذنوب من ماء زمزم يطمس به الصور التي في الكعبة، فلذلك لم يره صلى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٥٣/٥

قلت: وأيضا أنه – صلى الله عليه وسلم – أرسله وأسامة في ذلك – كما تقدم في أسامة – واعتمد الامام تقي الدين الفاسي في تاريخه من هذه الاجوبة ما رواه أبو داود الطيالسي عن أسامة، وتعقب ما سواه بكلام نفس جدا فراجعه فانك لا تجده في غير كتابه، وذكره هنا ليس من غرضنا.

التاسع عشر: تقدم أنه – صلى الله عليه وسلم – صلى في الكعبة، وأنه جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه، وفي رواية جعل عمودا عن يساره وعمودين عن يمينه وفي أخرى عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه وفي رواية بين العمودين اليمانيين، وفي أخرى بين العمودين تلقاء وجهه، وبين العمودين المقدمين، قال المحب الطبري في الاحكام الكبرى: وهذا يؤيد رواية من روى أنه جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره لان الباب قريب من الحجر الاسود، جانح إلى جهة اليمين، ويفتح في جهة المشرق فإذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين والبيت يومئذ على ستة أعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره، وثلاثة أعمدة وراءه، وصلى إلى جهة المغرب، وقوله اليمانيين قد يشكل فانها ثلاثة صف وجعل اثنين منها يمانيين ليس باولى من جعلهما شاميين، والجواب: أنه إنما جعل اثنين منهما يمانيين لان مقر الثلاثة بصفة يماني وبصفة شامي، فمن وقف بين المتمحض يمانيا وبين المشترك بين اليمن والشام جاز أن يقال فيه: وقف بين اليمانيين باعتبار ما نسب منه إلى اليمن تجوزا ومن وقف بين المتمحض شاميا وبين المشترك جاز أن يقال فيه: وقف بين الشاميين لما ذكرناه، أو تقول لما وقف بينهما كان هو إلى جهة اليمن أقرب، فاطلق عليهما يمانيين اعتبارا به، والأول أظهر، ولا تضاد بين هذا وبين قوله عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره،

فان من ضرورة جعل عمودين عن يمينه أن يكون عمودا عن يمينه والاخر مسكوتا عنه، وليس في اللفظ ما ينفيه، وقال الحافظ: ليس بين رواية: جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره مخالفة، لكن قوله في رواية مالك: وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل، لانه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، **ويمكن الجمع** بين الروايتين بانه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إلى ذلك." (١)

"بالقتال، وإعداد العدة والقوة، ورباط الخيل، والاخذ بالجد والحذر، والاحتراس من عدوه، ومحاربته بانواع الحرب، والتورية، فكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها، وذلك لانه إخبار من الله – تعالى – عن عاقبة حاله وماله فما يتعاطاه من الاسباب التي جعلها الله – تعالى – بحكمته موجبة لما وعده به من النصر

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٥/٢٧٢

والظفر، وإظهار دينه وغلبته عدوه انتهى.

الثالث: اختلف العلماء في العارية هل تضمن إذا تلفت، فقال الشافعي وغيره يضمن، وقال أبو حنيفة وغيره: لا يضمن، وفي بعض طرق الحديث " بل عارية مضمونة، وقد اختلفوا في هذا القيد وهو مضمونة، أنه صفة موضحة أو مقيدة، فمن قال بالأول قال: تضمن، ومن قال مقيدة قال: لا إلا بشرط، قاله في النور.

الرابع: تضمن قول السائل للبراء في الرواية الثانية أوليتم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي الثالثة أفررتم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقول البراء رضي الله عنه – فاشهد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه لم يول، وقوله في الرواية الثانية " لكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يقر إثبات الفرار، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي – صلى الله عليه وسلم – بظاهر الرواية الثانية، **ويمكن الجمع** بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك وختم حديثه بانه لم يكن أحد يومئذ أشد من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويحتمل أن البراء فهم أن السائل اشتبه عليه حديث سلمة بن الاكوع، ومررت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهزما، فلذلك حلف البراء أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يول، ودل ذلك على أن منهزما حال من سلمة، ولهذا وقع في طريق أخرى " ومررت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهزما وهو على بغلته " فقال: لقد راى ابن الاكوع فزعا، ويحتمل أن يكون السائل أخذ العموم من قوله تعالى: (ثم وليتم مدبرين) [التوبة ٢٥] فبين البراء من العموم الذي أريد به الخصوص.

الخامس: يجمع بين قول أنس – رضي الله عنه –: بقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحده وبين الاخبار الدالة أنه بقي معه جماعة بان المراد بقي وحده متقدما مقبلا على العدو، والذين ثبتوا كانوا وراءه، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة، ونحو ذلك.

السادس: لا تخالف بين قول ابن عمر، لم يبق مع النبي – صلى الله عليه وسلم – مائة رجل، وبين قول ابن مسعود، ثبت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثمانون من المهاجرين والانصار فان ابن عمر نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين.

وذكر النووي أن الذين ثبتوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اثنا عشر رجلا، ووقع في شعر." (١)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٣٤٨/٥

"كل منهما كلمه في ذلك لان ابا نائلة اخوه من الرضاعة، ومحمد بن مسلمة هو ابن اخت كعب كما رواه عبد الله بن اسحاق الخراساني في فوائده.

الرابع: وقع في الصحيح عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ان محمد بن مسلمة جاء معه برجلين، قال سفيان.

وقال غير عمرو: وأبو عبس بن جبر، والحارث بن أو س، وعباد بن بشر.

قال الحافظ: فعلى هذا كانوا خمسة وهو أولى من رواية من روى انهم كانوا ثلاثة فقط **ويمكن الجمع** بأنهم كانوا مرة ثلاثة وفي أخرى خمسة.

الخامس: في بيان غريب ما سبق: الاشرف: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الراء وبالفاء.

النضير: بالضاد المعجمة وزن عليم.

نائلة: بنون وبعد الالف تحتية.

طيئ: بفتح الطاء وتشديد التحتية وآخر همزة.

اليقين: العلم وزوال الشك.

مقرونين: مجعولين قرنا بالشد والاثبات، يقال قرنهما تقرينا أي جعلهما قرنين.

كبت: بضم أوله وكسر الموحدة: أذله الله وصرفه عن مراده .

أبو وداعة: اسمه الحارث بن صبيرة بضم الصاد المهملة.

السهمي: بفتح السين المهملة وسكون الهاء.

العيص: بكسر العين المهملة وسكون التحتية وبالصاد المهملة، واد من ناحية ذي المروة على أربع ليال من المدينة.

القليب: البئر.

فشبب بنساء المسلمين: تقول فيهن وذكرهن بسوء.

من لكعب ؟: أي من الذي ينتدب لقتله ؟.

يعلق به نفسه: مأخوذ من العلقة والعلاق أي بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء يعني ما يسد به رمقه من الغذاء.

ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبناء للمفعول.

الجهد: بفتح الجيم وضمها: الطاقة.

عباد: بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة.

ابن بشر: بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة.." (١)

"الثاني: في الصحيح ان القراء كانوا سبعين رجلا وعند ابن اسحاق أربعين قال الحافظ: ووهم من قال انهم ثلاثين، وما في الصحيح هو الصحيح.

ويمكن الجمع بأن الاربعين كانوا رؤساء، وبقية العدة كانوا أتباعا وجرى على ذلك في الغرر وزاد أن رواية القليل لا تنافي رواية الكثير وهو من باب مفهوم العدد وكذا قول من قال ثلاثين.

الثالث: انفرد المستغفري (١) بذكر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي في الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قال الحافظ: (وهو خطأ صريح فان عامرا مات كافرا وقصته معروفة (٢) أي كما سيأتي بيان ذلك.

وقال في النور: أجمع أهل النقل على أن عامر بن الطفيل مات كافرا وما ذكره المستغفري خطأ).

انتهى.

الرابع: قول أنس: (ثم نسخ بعد) قال السهيلي: (فثبت هذا في الصحيح وليس عليه رونق الاعجاز.

فيقال انه لم ينزل بهذا النظم معجز كنظم القرآن، فان هذا خبر، وا لخبر

لا يدخله النسخ.

قلنا لم ينسخ منه الخبر وانما نسخ منه الحكم فان حكم القرآن أن يتلى به في الصلاة وألا يمسه الا طاهر، وان يكتب بين اللوحين، وان يكون تعلمه من فروض الكفاية.

فكل ما نسخ ورفعت منه هذه الاحكام وان بقي محفوظا فانه منسوخ (فان تضمن حكما جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولا به)، وان تضمن خبرا جاز أن يبقى ذلك الخبر مصدقا به وأحكام التلاوة منسوخة عنه).

الخامس: وقع في الصحيح في رواية أنس: (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا، على رعل ولحيان وعصية (٣) إلى آخره.

قال الحافظ أبو محمد الدمياطي وتبعه في العيون كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوهم ان بني لحيان كانوا ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك، وانما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٣٠/٦

واما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع.
وانما أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا الصحابة في الموضعين دعاء واحدا.
وذكر محمد بن عمر ان خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة.

---

(١) جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي أبو العباس فقيه له اشتغال بالتاريخ من رجال الحديث كان خطيب نسف (من بلاد ما وراء النهر) وتوفي بها له (الدعوات) في الحديث والتمهيد في التجويد وغير ذلك ورجال الحديث يأخذونه عليه رواية الموضوعات من غير تنبيه.
الاعلام ٢ / ١٢٨.
(٢) أخرجه البخاري ٧ / ٤٤٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه...كان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير - النبي صلى الله عليه وسلم - بين ثلاث خصال فقال: (يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغز وك بأهل غطفان بألف وألف) فطعن عامر في بيت فلان فقال: (غدة كغدة البكر...).
(٣) أخرجه البخاري ٧ / ٤٤٦ (٤٠٩١).
(*)."[١]

"ابن سعد عن نافع عن ابن عمر قال: (التمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية).
فظهر ذلك التخالف، قال الحافظ: ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام فان ذلك لم يذكر في الرواية الاولى أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شئ في دبره أي ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، وانما هو محمول على ان الرمي جاءه من جهة قفاه أو جانبيه، ولكن يريد الأول ان في رواية العمري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده بعد أن ذكر العدد بضعا وتسعين.
ووقع في رواية البيهقي في الدلائل بضع وسبعون - بتقديم السين على الموحدة - وأشار أن بضعا وتسعين بتقديم الفوقية على السين أثبت.

---

(١) سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد، ٦/٦٥

السادس: قوله: (فأثابه الله تعالى جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء).

أي عوضه الله تعالى جناحين عن قطع يديه في تلك الوقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل.

وروى البيهقي أحد رواة الصحيح عن البخاري انه قال: يقال لكل ذي ناحيتين جناحان، أشار بذلك الى أن الجناحين ليس على ظاهرهما.

وقال السهيلي: ((ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين انهما) ليسا كما يسبق الى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه، لان الصورة الادمية أشرف الصور وأكملها...فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر (كما أعطيتها الملائكة) وقد عبر القرآن عن العضد بالجناح توسعا في قوله تعالى: (وضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) (طه ٢٢) وقال العلماء في أجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة.

فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعد للطائر ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فيؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها).

انتهى.

قال الحافظ: (وهذا الذي جزم به في مقام المنع والذي نقله عن العلماء ليس صريحا في الدلالة على ما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو من قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية)، وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ان جناحي جعفر من ياقوت وجاء في جناحي جبريل انهما من لؤلؤ، أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة بن نوفل من كتاب المعرفة.

السابع: أكثر الاثار تدل على ان المسلمين هزموا المشركين، وفي بعضها ان خالدا انحاز بالمسلمين، وقد تقدم بيان ذلك.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأن يكون المسلمون." (١)

"هزموا جانبا من المشركين وخشي خالد ان يتكاثر الكفار عليهم.

فقد مر أنهم كانوا أكثر من مائتي ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين الى المدينة.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية **يمكن الجمع** بان خالدا لما انحاز بالمسلمين بات ثم

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٥٨/٦

أصبح وقد غير بقية العسكر كما تقدم، وتوهم العدو انهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى.

الثامن: انما رد صلى الله عليه وسلم السلب الى خالد بعد الامر الأول باعطائه للقا تل نوعا من النكير، ودعا له، لئلا يتجرأ الناس على الائمة، وكان خالد مجتهدا في صنيعه ذلك، فأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهاده لما رأى في ذلك من المصلحة العامة بعد أن خطأه في رأيه الاول، ويشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عوض المددي من الخمس الذي هو له وأرضى خالدا بالصفح عنه وتسليم الحكم له في السلب.

التاسع: في بيان غريب ما سبق: أدنى البلقاء من أرض الشام: أي أقرب.

البلقاء: بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف وألف تأنيث مقصورة كورة ذات قرى ومزارع من أعمال دمشق.

لهب: بكسر اللام وسكون الهاء وبالموحدة: بطن من الازد.

تلك بصرى: اسمه: (الحارث بن أبي شمر الغساني).

عرض له: تصدى له ومنعه من الذهاب.

شرحبيل: بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة: اسم أعجمي لا ينصرف.

الغساني: بفتح الغين المعجمة وبالسين المهملة المشددة.

قتل صبرا: أمسك حيا ثم رمي بشئ حتى مات.

ندب الناس: دعاهم.

الجرف: بضم الجيم والراء كما قال الحازمي وأبو عبيد البكري والقاضي وقال ياقوت وتبعه المجد اللغوي بالضم فالسكون: على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام.

رواحة: بفتح الراء وتخفيف الواو وبالحاء المهملة.." (١)

"الزاد الخ).

انه كان لهم زاد بطريق العموم وزاد بطريق الخصوص.

فلما فني الذي بطريق العموم اقتضى رأى ابي عبيدة ان يجمع الذي بطريق الخصوص لقصد المساواة بينهم ففعل فكان جميعه مزودا واحدا.

ووقع عند ملسلم في رواية الزبير عن جابر: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا ابا عبيدة نتلقى

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٥٩/٦

عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره.

فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة (١)).

وظاهره مخالف لهذه الرواية.

ويمكن الجمع بأن الزاد العام كان قدر جراب.

فلما تعدد وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص اتفق انه صار قدر جراب، ويكون كل من الراويين ذكر ما لم يذكر الاخر.

واما تفرقة ذلك تمرة تمرة، فكان في ثاني الحال.

وقد روى البخاري في الجهادمن طريق وهب بن كيسان عن جابر: (خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني ز ادنا حتى كان الرجل منا يأكل (كل يوم) تمرة).

واما قول عياض: (يحتمل انه لم يكن في أزوادهم تمر غير الجراب المذكور) فمردود لان حديث جابر الذي صدر به البخاري صريح في ان الذي اجتمع من أزوادهم كان مزود تمر.

ورواية ابي الزبير صريحة في ان النبي صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فيصح ان التمر كان معهم من غير الجراب.

وأما قول غيره يحتمل ان يكون تفرقته عليهم تمرة تمرة كان من الجراب النبوي صلى الله عليه وسلم قصدا للبركة، وكان يفرق عليهم من الازواد التي اجتمعت أكثر من ذلك فبعيد من ظاهر السياق، بل في رواية هشام بن عر وة عند ابن عبد البر.

فقلت أزوادنا حتى كان يصيب الرجل منا التمرة.

السادس: في رواية وهب بن كيسان عن جابر: (فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة).

وفي رواية عمرو بن دينار: (فأكلنا منه نصف شهر).

وفي رواية ابي الزبير: (فأقمنا عليها شهرا).

ويجمع بين هذا الاختلاف بأن الذي قال: ثماني عشرة، ضبط ما لم يضبط غيره أو أن من قال نصف شهر ألغى الكسر الزائد وهو ثلاثة أيام، ومن قال شهرا جبر الكسر وضم بقية

المدة التي كانت قبل وجدانهم الحوت إليها.

ورجح النووي رواية ابي الزبير لما فيها من الزيادة.

قال ابن التين: احدى الروايتين وهم.

ووقع في رواية الحاكم: اثنا عشر يوما، وهي شاذة وأشذ منها رواية الخولاني: أقمنا قبلها ثلاثا.

ولعل الجمع الذي ذكرته أولى.

السابع: لا تخالف رواية ابي حمزة الخولاني رواية ابي الزبير في لحم الحوت لان رواية ابي حمزة تحمل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ازديادا منه بعدأن أحضروا له منه ما ذكر، أو قال ذلك قبل أن يحضروا له منه، وكان الذي أحضروه معهم لم يروح فأكل منه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) اخرجه مسلم ٣ / ١٥٣٥ (١٧ – ١٩٣٥).

(*)."[١]

"وقال الحافظ: (ومنهم عقبة بن جورة، وجويرية العبدي، الجهم بن قثم، ورسيم العبدي).

وما ذكره من الوفد كانوا أربعة عشر راكبا، لم يذكر دليلهم.

وفي المعرفة لابن مندة من طريق هود (بن عبد الله) العصري – بعين وصاد مهملتين مفتوحتين نسبة الى عصر بطن من عبد القيس – عن جده لامه مزيدة قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم: (سيطلع لكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق).

فقام عمر رضي الله تعالى عنه فلقي ثلاثة عشر راكبا فرحب وقرب وقال: من القوم ؟ قالوا: وفد عبد القيس.

فيمكن أن يكون أحد المذكورين كان غير راكب أو مردوفا.

وأما ما رواه الدلابي وغيره من طريق ابي خيرة – بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية وبعد الراء هاء – الصباحي – وهو بضم الصاد المهملة بعدها موحدة خفيفة وبعد الالف حاء مهملة – قال: (كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم – من وفد عبد القيس – وكنا أربعين راكبا).

فيمكن الجمع بينه وبين الرواية الاخرى، وبأن الثلاثة عشر كانوا رؤوس الوفد فلهذا كانوا ركبانا وكان الباقون أتباعا، ومنهم أخو الزارع، واسمه مطر، وابن اخته لم يسم، وجابر بن الحارث، وخزيمة بن عبد عمرو، وجارية بن جابر، وهمام بن ربيعة، ونوح بن مخلد جد أبي جمرة.

وانما أطلت في هذا الفصل لقول صاحب المحرر انه لم يظفر بعد طول التتبع على غير ما ذكره، وما ذكره ابن سعد من أنهم عشرون مجمع عليه وليس ثلاثة عشر، فان البقية أتباع.

الثالث: قولهم: الا في شهر حرام، وفي لفظ: الشهر الحرام، والمراد به شهر رجب وكانت مضر تبالغ في

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٦/١٨٠

تعظيمه ولذا أضيف إليهم في حديث ابي بكرة حيث قال: رجب مضر.
والظاهر انهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم مع تحريمهم القتال في الاشهر الثلاثة الاخر، ولذا ورد في بعض الروايات: الاشهر الحرم، وفي بعضها: الا في كل شهر حرام.
الرابع: قال الحافظ: كيف قال آمركم بأربع ؟ والمذكورة خمس.
وقد أجاب عنه القاضي عياض تبعا لابن بطال: كان الاربع ما عدا أداء الخمس.
قال: وكأنه أراد ا علامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم اخراجه إذا وقع لهم جهاد، لا نهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد، ولكن الجهاد إذ ذاك كان فرض عين.
قال: وكذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض.
ثم قال بعد أن ذكر غير ذلك، وما ذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى المعتمد، والمراد شهادة ألا اله الا الله، أي مع وأن محمدا رسول الله، كما صرح به في رواية عباد بن عباد في المواقيت.
الخامس: قال الحافظ: انما أخبرهم ببعض الاوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد اعلامهم بجميع." (١)
"تنبيهات الأول: تقدم في أسمائه صلى الله عليه وسلم أن منها الضحوك.
روى ابن الفارس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسمه في التوراة أحمد الضحوك، قال ابن الفارس: وإنما سمي الضحوك لأنه صلى الله عليه وسلم كان طيب النفس فكها، على كثرة من ينتابه ويفد عليه من جفاة العرب، وأجلاف أهل البوادي، لا يراه أحد ذا ضجر، ولا قلق، ولا جفاء، ولكن لطيفا في المنطق، رفيقا في المساءلات.
الثاني: وروى أبو الحسن بن الضحاك عن ابن مسعود، وأبو الحسن بن الضحاك عن...قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذه، وفي لفظ، إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه وروى ابن عدي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تبسم وضع يده على فيه، ويقول: (سمعت جبريل عليه السلام يقول ما ضحكت منذ خلقت جهنم)، قال: فما رأيت نواجذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك بعد ذلك، حتى قبضه الله عز وجل.
وروى أيضا عن أبي برزة رضي الله تعالى عنه قال: أكثر ما كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٣٧١/٦

حتى تبدو رباعيته أو ترى.

الثالث: قال أبو الحسن بن الضحاك رحمه الله تعالى: صحت الأخبار، وتظاهرت، بضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير موطن، حتى تبدو نواجذه، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يضحك إلا تبسما، ويمكن الجمع بينهما بأن يقال: إن التبسم كان الأغلب عليه، فيمكن أن يكون الناقل عنه أنه كان لا يضحك إلا متبسما لم يشاهد من النبي صلى الله عليه وسلم غير ما أخبر عنه، ويكون من روى أنه ضحك، حتى بدت نواجذه قد شاهد ذلك في وقت ما فنقل ما شاهد، فلا اختلاف بينهما، لاختلاف المواطن والأوقات ويمكن أن يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه في الأوقات النادرة، وكان آخر أمره لا يضحك إلا متبسما، وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث تدل على ذلك، ويمكن أن يكون من روى عنه أنه كان لا يضحك إلا متبسما شاهد ضحكه، حتى بدت نواجذه نادرا، فأخبر عن الأكثر، وغلبته على القليل النادر، على أن أهل اللغة قد اختلفوا في النواجذ ما هي ؟ فقال جماعة: إن النواجذ أقصى الأضراس من الفم، موضعا، فعلى هذا تتحقق المعارضة، ويمكن الجمع بين الأحاديث بما قلناه، ومنهم من قال: النواجذ: هي الأنياب، وقال آخرون: هي الضواحك، فعلى هذا لا يكون في ظاهر الأخبار معارضة، لأن المتبسم يلزمه ذلك، قال في النهاية: النواجذ بكسر الجيم، وبالذال المعجمة، وهي من الأسنان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأنسان، والمراد الأول لأنه ما كان يبلغ به الضحك حتى تبدو أضراسه، كيف وتقدم أن جل." (١)

"(أتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بغلام فبال عليه فأمر به فنضح، وأتي بجارية فبالت عليه فأمر به فغسله) (١).

وروى ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان نائما عندها، فجاء حسين حين درج، فقلت اعبر، فدخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجلس على بطنه فبال، فانطلقت لآخذه، فاستيقظ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (دعيه)، فتركته حتى فرغ، ثم دعا بماء، فقال: (إنه يصب من بول الغلام، ويغسل من الجارية) (٢).

وروى الإمام عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – (أن أم الفضل بنت الحارث – رضي الله تعالى عنها – جاءت بأم حبيبة بنت عباس فوضعتها في حجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبالت فاختلجتها أم الفضل ثم لكمت بين كتفيها، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (أعطني قدحا من

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٢٤/٧

ماء فصبه على مبالها) (٣).

الثاني في دم الحيض:

روى البخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة – رضي الله تعالى عنها – قالت: كنت أنا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – نبيت في الشعار الواحد وأنا طامث، فإن أصابه مني شئ غسل مكانه، لم يعده، ثم صلى فيه) (٤).

= حجاج بن أرطاة عن عطاء عن عبيد بن عمير عنها وقيل عن حجاج عن عطاء عن ميسرة بن أبي حبيب عنها وقيل عن أبي الزبير ومنصور بن زاذان وقيس بن سعد ومطر الوراق أربعتهم عن عطاء بلا واسطة وزاد حماد بن سلمة عن قيس عن عطاء طاوسا ومجاهدا ثلاثتهم عن ام كرز ولم يذكر الواسطة وقيل عن قيس بن سعد عن عطاء عن أم عثمان بن خيثم عن أم كرز وقيل عن يزيد بن أبي زياد عن عطاء عن سبيعة بنت الحارث كما تقدم في حرف السين المهملة وقيل عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن عطاء عن جابر وقيل عن محمد بن أبي حميد عن عطاء عن جابر وأقواها رواية ابن جريج ومن تابعه وصححها ابن حبان ورواية حماد بن سلمة عند النسائي ورواه عبيد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عنها نحوه وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه قلت ووقع عند اسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق عن ابن جريج بسنده فقال عن أم بني كرز الكعبيين وكذا أخرجه ابن حبان من طريقه **ويمكن الجمع** بأنها كانت تكنى أم كرز وكان زوجها يسمى كرزا والمراد بيني كرز بنو ولدها كرز كانوا ينسبون إلى جدتهم هذه فالله أعلم ولها حديث آخر من رواية عبد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عن أم كرز قالت أتيت النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وهو بالحديبية أسأله عن لحوم الهدي فسمعته يقول أقروا الطير على مصافها اخرجه النسائي بتمامه وأبو داود مختصرا وكذا الطحاوي وصححه ابن حبان وزاد بعضهم في السند عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه وأخرج ابن ماجه بهذا السند عنها حديث ذهبت النبوات وبقيت المبشرات وصححه ابن حبان أيضا الإصابة ٨ / ٧١٢، ٢٧٢.

(١) أحمد في المسند ٦ / ٤٢٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي ليلى ١ / ١٢٠.

(٣) أحمد في المسند ١ / ٣٠٢.

(٤) أخرجه أبو داود (١ / ٧٠) حديث (٢٦٩) والنسائي (١ / ١٥٤).

(*)."[١]

"السابع عشر: في امتناعه - صلى الله عليه وسلم - من قراءة القرآن وهو جنب.

روى الإمام أحمد، والأربعة، والدارقطني عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجزه وربما قال: لا يحجبه من القرآن شئ ليس الجنابة) (١).

وروى الترمذي وقال: حسن صحيح عنه قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرئنا القرآن على كل حال، ما لم يكن جنبا) (٢).

تنبيهات الأول: نقل أبو عمر: اتفاق أهل السير إن غسل الجنابة فرض ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة، كما افترضت الصلاة وأنه لم يصل قط إلا بوضوء، قال: لا يجهله عالم.

الثاني: ما رواه البخاري عن ميمونة ثم نحى رجليه فغسلهما، فيه التصريح بتأخير الرجلين في وضوء الغسل إلى آخره، وهو مخالف لظاهر رواية عائشة، ويمكن الجمع بينهما بأن يحمل رواية عائشة على المجاز، وإما بحالة أخرى، وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلاف

العلماء، فذهب الجمهور إلى استحباب تأخير الرجلين.

وعن مالك: إن كان المكان غير نظيف فالمستحب تأخير هما، وإلا فالتقديم.

وعند الشافعية في الأفضل قولان.

قال النووي أصحهما، وأشهر هما، ومختار هما: أنه يكمل وضوءه).

الثالث: قول عائشة - رضي الله تعالى عنها - وتوضأ وضوء الصلاة، أي وضوءه كما للصلاة أي وضوءا شرعيا لا لغويا.

الرابع: لا يتيمم عند إرادة النوم.

يحتمل أن يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء، وقيل: غير ذلك.

الخامس: في بيان غريب ما سبق.

الحلاب بكسر الحاء وتخفيف اللام وموحدة، قال الخطابي والمنذري هو: إناء يسع قدر حلب ناقة، ويقال له: المحلب بكسر الميم، وترجم البخاري عليه: باب من بدا بالحلاب والطيب عند الغسل، فدل على أن

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢٣/٨

عنده جراب من الطيب وهذا لا يعرف في الطيب،

(١) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٨٣ وأبو داود ١ / ٥٩ (٢٢٩) والترمذي ١ / ٢٧٣ (١٤٦) والنسائي ١ / ١١٨ وابن ماجه ١ / ١٩٥ (٥٩٤) والطحاوي في معاني الآثار ١ / ٨٧ وابن الجارود ص ٥٢، ٥٣ والحاكم ٤ / ١٠٧ وأحمد ٥ / ١٨٧.

(٣) الترمذي ١ / ٢٧٤.." [١]

"شريعته من كان بعدها، إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى - صلى الله عليه وسلم - فلا يلزم شريعته من جاء بعدها لعدم أمرهم باتباعها، بل الصحيح أنه لم يكن لنبي من الأنبياء - صلوات الله سلامه عليهم - دعوة عامة لكافة الناس إلا لنبينا - صلى الله عليه وسلم - وأما من قال: إنه - صلى الله عليه وسلم - كان على شريعة إبراهيم وليس له شرع متعبد به وأن المقصود من بعثته - صلى الله عليه وسلم - إحياء شرع إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وعول في إثبات مذهبه على قوله تبارك وتعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) [النحل ١٢٣] فهذا قول ساقط مردود، ولا يصدر مثله إلا عن سخيف العقل كثيف الطبع.

وإنما المراد بهذه الآية: الاتباع في التوحيد.

لأنه لما وصف إبراهيم عليه الصلاة و السلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: اتبع كان المراد ذلك.

ولا حجة أيضا للقائل باتباعه شرع نوح - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) [الشورى ١٦] فحمل هاتين الآيتين، على اتباعهم

في التوحيد، لأنه لما وصف إبراهيم في الآية الأولى - بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: أن اتبع، كان المراد بذلك، بشهادة تفسير المشرع في الآية الثانية الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من الرسل، بقوله تعالى: (أن أقيموا الدين) أي: دين الإسلام، الذي هو توحيد الله تعالى، وطاعته، والإيمان به وبرسله وكتبه وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون به المكلف مكلفا إلا المشروع الذي هو مصالح الأمم لاختلاف أحوالهم وتفاوتها المؤذن به قوله تعالى: (لكل أمة جعلنا شرعة ومنهاجا).

وقوله تعالى: (أولئك) أي الذين ذكروا من الرسل وغير هم (هدى الله فبهداهم) أي بطريقتهم لا بطريقة

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٦٧/٨

غيرهم بشهادة الإضافة في الإيمان بالله وتوحيده، وأصول الدين (اقتده) دون الشرائع لاختلافها، وهي هدى ما لم تنسخ، فإذا نسخت لم تبق هدى.

بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا، وقد سمى الله تعالى في آية الأنعام في الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب - صلى الله عليه وسلم - وعلى آبائه على قولة من يقول: إنه ليس برسول.

فدل الأمر باقتدائه بهداهم، أن المراد به أصول الشرائع لا الشرائع نفسها.

وسمى جماعة من الأنبياء فيها شرائعهم مختلفة، لا **يمكن الجمع** بينها فدل اختلافها أن المراد بهداهم ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى.

قال القاضي: وهل يلزم من قال: بمنع اتباعه - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يوحى إليه بشرع قبله هذا القول في سائر الأنبياء، فلا يكون أحد منهم قبل أن يوحى إليه بشرع قبله غير نبينا - صلى الله عليه وسلم - أو." (١)

"التاسعة والاربعون: وبأن الصلاة على الجنازة، في حقه صلى الله عليه وسل فرض عين كما يؤخذ من قول بعض الحنفية أن في عهده لا يسقط فرض الجنازة الا بصلاته.

الخمسون: وبوجوب حفظ أقوال المسلمين.

قاله أبو سعيد النيسابوري في (الشرف).

النوع الثاني من الواجبات فيما يتعلق بالنكاح وفيه مسألة واحدة: خص صلى الله عليه وسلم بتخيير بعض نسائه في فراقه واختياره على الصحيح، قال الله - سبحانه وتعالى -: (يا أيها النبيى قل لازواجك: ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) (الاحزاب / ٢٨) الاية، والامر في ذلك للوجوب، ولا يجب ذلك على غيره.

وسبب نزول هذه الاية قد اختلف فيه، فقيل: ان أزواجه سألنه النفقة وطلبن منه ما لا يقدر عليه صلى الله عليه وسلم، كما في حديث مسلم من حديث جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل أبو بكر وعمر - رضي الله تعالى عنهما - على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله نساؤه يسألنه وهو ساكت فقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٧٢/٨

وقال:

هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر الى عائشة ليضربها، وقام عمر الى حفصة ليضربها كلاهما يقولان: تسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ؟ وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال: اني ذاكر لك أمرا، فأحب أن لا تعجلي منه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو ؟ فتلا عليها: (يا أيها النبي قل لازواجك: ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) (الاحزاب / ٢٨) الاية، قالت عائشة: أفيك استأمر أبوي بل أختار الله ورسوله.

ولا مخالفة بين هذا الحديث وما في صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنه سأل عمر بن الخطاب عن قصة المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة مؤاخذته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة، دخل على عائشة فبدأ بها فقالت عائشة: يا رسول الله، انك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علي شهرا، وانما أصبحت من تسع وعشرين،.

أعدها عدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين، قالت عائشة – رضي الله تعالى عنها –: ثم نزلت بعد آية التخيير).

الحديث.

لانه يمكن الجمع، كما قال الحافظ: بأن تكون القصتان جميعا سبب الاعتزال، والاعتزال سبب التخيير.

فان قصة المتظاهرتين خاصة بهما، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة، وهو مفهوم من سياق الحديث.." (١)

"ابليس أن يظهر بصورة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ان ابليس اللعين قد تراءى لكثيرين وخاطبهم بأنه الحق طلبا لاضلالهم، وقد أضل جماعة بمثل هذا – حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه.

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن كل عاقل يعلم أن الحق – سبحانه وتعالى – ليست له صورة معينة توجب الاشتباه بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم، فانه ذو صورة معينة معلومة مشهورة.

والثاني: أن مقتضى حكم الله تعالى أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه متصف بصفة الهداية، وظاهر بصورتها فوجب عصمة صورة النبي صلى الله عليه وسلم من أن يظهر بها شيطان لبقاء الاعتماد، وظهور حكم الهداية فيمن شاء الله هداية به صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤٠٦/١٠

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: المراد بقوله: (من رآني في المنام فقد رآني) أن رؤياه صحيحة، لا تكون اضغاثا، ولا تكون من تشبيهات الشيطان قال: ويعضده قوله في بعض طرقه (فقد رأى الحق) وفي قوله: (فان الشيطان لا يتمثل بي) اشارة الى أن رؤياه لا تكون أضغاثا.

وقال القاضي عياض: يحتمل ان يكون معنى الحديث إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته لا على صفة مضادة لحاله فان رآه على غيرها كانت تأويلا لا رؤيا حقيقية، فان من الرؤيا ما يخرج على وجهه ومنها ما يحتاج الى تأويل.

قال النووي: وهذا الذي قاله ضعيف، بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها كنا ذكره المازري قال الحافظ: وهذا الذي رده النووي روي عن ابن سيرين أمام المعبرين اعتباره فقد روى: اسماعيل بن اسحاق بسند صحيح عن أيوب قال: كان محمد – يعني – ابن سيرين إذا قص رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال: صف الذي رأيته فان وصف له صبغة لم يعرفها قال لم تره والذي قاله القاضي توسط حسن **ويمكن الجمع** بينه وبين ما قاله المازري، بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج الى تعبير، وان كان على غير صورته كان النقص من جهة الرأى لتخيله الصفة على غير ما هي عليه ويحتاج ما يراه في ذلك المنام الى التعبير وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يسأل عن صفته فان وافق الصفة المرئية والا

فلا يقبل منه.

قال الحافظ: وذهب الشيخ ابن أبي جمرة الى ما اختاره النووي فقال بعد أن حكى الخلاف، ومنهم من قال ان الشيطان لا يتصور على صورته أصلا فمن رآه في صورة حسنة فذلك حسن، في دين الرائي، وان كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص، فذلك خلل في الرائي من الدين، قال: وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أولا لانه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة." (١)

"وفي رواية : لعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٠/٤٦١

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وابشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.(١)

وكانت هذه الاستشارة الثانية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ويمكن الجمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم في غزوة بدر مرتين الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان وذلك بين في رواية مسلم ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان والثانية كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب.(٢)

قال القرطبي رحمه الله: مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان، وإعراضه عن تكليم المهاجرين إنما كان ليستخرج ما عند الأنصار من خروجهم معه للحرب، وذلك أنهم إنما كانوا بايعوه ليمنعوه من الأحمر والأسود ولم يأخذ عليهم أن يخرجوا معه، فأراد أن يعلم ما عندهم من ذلك.(٣)

قلت: كانت كلمات سعد بن معاذ رضي الله عنه مشجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملهبة لمشاعر الصحابة رضي الله عنهم، فقد رفعت من معنوياتهم وشجعتهم على القتال والجهاد في سبيل الله.

وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على استشارة أصحابه في الغزوات كان لتأكيد أهمية مبدأ الشورى في الإسلام.

إشارته لرسول الله يوم بدر ببناء العريش:

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة (٢/١٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/٤٦٩)، وذكره ابن كثير في البداية (٣/٢٦٢) وقال : له شواهد من وجوه كثيرة.

(٢) فتح الباري (٧/٢٨٨).

(٣) المفهم (٣/٦٢٥-٦٢٦).." (١)

"فالتعارض بين الروايتين ظاهر، وبين ولا يمكن الجمع بينهما فلا بد من ترجيح إحداهما على الأخرى، وكأن ابن حجر رحمه الله مال إلى ترجيح قول الطبري رحمه الله تعالى قال: وروى الطيالسي والبخاري في تاريخه من طريق أيوب بن عبد الله بن يسار عن عمرو(١) بن أبي عقرب سمعت عتاب أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول: والله ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان. وإسناده حسن، ومقتضاه أن يكون عتاب عاش بعد أبي

---

(١) سكب الرذاذ على سيرة سعد بن معاذ، ص/٩

بكر، ويؤيد ذلك أن الطبري ذكره في عمال عمر في سني خلافته كلها إلى سنة اثنتين وعشرين، ثم ذكر أن عامل عمر على مكة سنة ثلاث وعشرين كان نافع بن عبد الحارث، فهذا يشعر بأن عتابا مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه(٢).

٢- محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى القرشي(٣).

---

(١) عمرو بن أبي عقرب، سمع عتاب بن أسيد روى عنه سرليط وأيوب ابنا عبد الله بن يسار حديثه عن أهل مكة، وليست له صحبة. البخاري/ التاريخ الكبير ٣٥٦/٦، ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل ٢٥٢/٦.

(٢) الإصابة ٤٥١/٢.

ولعل وجه الدلالة من كلام ابن حجر أن عمرو بن أبي عقرب لقي عتابا وسمع منه وعمرو لا صحبه له فهذا يدل على صغر عمره في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكونه يلقي عتابا ويسمع منه يدل على أنه كان كبير السن حين لقي عتابا، وفي هذا دليل على أن عتابا عاش بعد خلافة أبي بكر طويلا حتى لقيه عمرو ابن أبي عقرب وسمع منه وهو شاب كبير. وفي هذا ترجيح للقول بأن عتابا تولى إمارة مكة معظم خلافة عمر رضي الله عنه، لأن مدة خلافة أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم سنتان.

(٣) محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، قتل يوم الجمل. ابن عبد البر/ الاستيعاب ٢٣/٤.." (١)

"فالتعارض بين الروايتين ظاهر، وبين ولا يمكن الجمع بينهما فلا بد من ترجيح إحداهما على الأخرى، وكأن ابن حجر رحمه الله مال إلى ترجيح قول الطبري رحمه الله تعالى قال: وروى الطيالسي والبخاري في تاريخه من طريق أيوب بن عبد الله بن يسار عن عمرو١ بن أبي عقرب سمعت عتاب أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول: والله ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان. وإسناده حسن، ومقتضاه أن يكون عتاب عاش بعد أبي بكر، ويؤيد ذلك أن الطبري ذكره في عمال عمر في سني خلافته كلها إلى سنة اثنتين وعشرين، ثم ذكر أن عامل عمر على مكة سنة ثلاث وعشرين كان نافع بن عبد الحارث، فهذا يشعر بأن عتابا مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه٢.

---

(١) شخصية عمر بن الخطاب وأحداث خلافته، ٣٩/٦

١ عمرو بن أبي عقرب، سمع عتاب بن أسيد روى عنه سليط وأيوب ابنا عبد الله بن يسار حديثه عن أهل مكة، وليست ﻟﻪ صحبة. البخاري/ التاريخ الكبير ٣٥٦/٦، ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل ٢٥٢/٦.
٢ الإصابة ٤٥١/٢.
ولعل وجه الدلالة من كلام ابن حجر أن عمرو بن أبي عقرب لقي عتابا وسمع منه وعمرو لا صحبه له فهذا يدل على صغر عمره في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكونه يلقي عتابا ويسمع منه يدل على أنه كان كبير السن حين لقي عتابا، وفي هذا دليل على أن عتابا عاش بعد خلافة أبي بكر طويلا حتى لقيه عمرو ابن أبي عقرب وسمع منه وهو شاب كبير. وفي هذا ترجيح للقول بأن عتابا تولى إمارة مكة معظم خلافة عمر رضي الله عنه، لأن مدة خلافة أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم سنتان.." (١)

"دور علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
في غزوات وسرايا النبي – صلى الله عليه وسلم –
« دراسة تاريخية توثيقية »

د. عبدالعزيز سليمان السلومي
الجامعة الإسلامية، قسم التاريخ

مقدمة

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فإن التاريخ الإسلامي فيه صفحات مشرقة، ومواقف عظيمة لصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ومن هؤلاء الصحابة الكرام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، كانت له مواقف عظيمة في تاريخ الإسلام منذ أسلم – رضي الله عنه – وقد دُوِّنَت هذه المواقف في كتب السير، والمغازي، والتاريخ، والحديث ونحوها،وكثير من الدراسات الحديثة عن الخلفاء الراشدين؛ ركّزت على مرويات خلافة علي – رضي الله عنه – ، والأحداث التي وقعت في عهده؛ وخاصة أحداث الفتن، وقد أردت بهذا البحث دراسة جانب من المواقف العظيمة لعلي في عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهذا الجانب هو الحوادث التاريخية المتعلقة بعلي – رضي الله عنه – ؛ الواردة في غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم – وسراياه، وهي دراسة تحليلية .

---

(١) دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب، ٦٧٣/٢

ويتلخص منهجي في هذا البحث فيما يلي:
١-جمع الروايات المختلفة في الحادثة الواحدة من مصادر السيرة والحديث وغيرهما.
٢-محاولة الجمع بين الروايات المختلفة في الحدث الواحد. وخاصة بين رواية المحدثين ورواية الإخباريين .

٣-إذا لم يمكن الجمع بين الروايات المختلفة حاولت الترجيح بحسب الاستطاعة.

الحوادث غير القتالية لعلي – رضي الله عنه – في المغازي والسرايا

كلف النبي – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بأن يحمل راية الجيش في أكثر من غزوة.

غزوة بدر الأولى:
ذكرابن سعد غزوة بدر الأولى، وقال في سياقه للغزوة: (وحمل لواءه علي بن أبي طالب وكان لواءً أبيض..)(١).

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٩.." (١)

"لما وضعت الحرب أوزارها في غزوة أحد، وتجهَّز المشركون للرجوع، بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – علياً في آثار القوم، وقال له: انظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم، قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنّبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة(١).
هكذا ورد في رواية ابن إسحاق أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث علياً خلف القوم، وتبع ابن إسحاق عددٌ من أهل السير مثل: الطبري(٢)، وابن الأثير(٣)، وابن القيم(٤)، وابن كثير(٥) وغيرهم.
وقد زاد الطبري بسنده ما يفيد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر علياً أن يخفي الجواب في كلا

---

(١) دور علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في غزوات وسرايا النبي -، ص/١

الحالتين، قال علي: فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به الرسول – صلى الله عليه وسلم – ،لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة.

وأما الواقدي فذكر أن الذي بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – خلف القوم: هو سعد بن أبي وقاص(٦)، وذكر البيهقي مثل ذلك عن عروة بن الزبير(٧)، وأما ابن سيد الناس(٨)، والصالحي(٩)،فذكرا القولين ولم يرجحا بينهما.

قلت: **يمكن الجمع** بين القولين بأن يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث علياً أولاً، ثم بعث سعد ثانياً، والله أعلم.

(١٠)

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٩٤.

(٢) تاريخ ٢/٥٢٧.

(٣) الكامل ٢/١١١.

(٤) زاد المعاد ٣/٢٤١.

(٥) البداية ٥/٤٢١.

(٦) المغازي ١/٢٩٨.

(٧) دلائل النبوة ٣/٢٨٢.

(٨) عيون الأثر ١/٤٢٥.

(٩) سبل الهدى والرشاد ٤/٣٢٥.

(١٠) حسمى: –بالكسر ثم السكون آخره ألف–: من سلسلة جبال شرقي الأردن وتقع جنوبي جبال الشراة وتمتد حتى حدود الحجاز، المعالم الأثيرة، ص١٠٠.." (١)

"دور علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –

في غزوات وسرايا النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) دور علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في غزوات وسرايا النبي –، ص/١٦

« دراسة تاريخية توثيقية »

د. عبدالعزيز سليمان السلومي
الجامعة الإسلامية، قسم التاريخ

مقدمة

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن التاريخ الإسلامي فيه صفحات مشرقة، ومواقف عظيمة لصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ومن هؤلاء الصحابة الكرام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، كانت له مواقف عظيمة في تاريخ الإسلام منذ أسلم – رضي الله عنه – وقد دُوِّنَت هذه المواقف في كتب السير، والمغازي، والتاريخ، والحديث ونحوها،وكثير من الدراسات الحديثة عن الخلفاء الراشدين؛ ركّزت على مرويات خلافة علي – رضي الله عنه – ، والأحداث التي وقعت في عهده؛ وخاصة أحداث الفتن، وقد أردت بهذا البحث دراسة جانب من المواقف العظيمة لعلي في عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهذا الجانب هو الحوادث التاريخية المتعلقة بعلي – رضي الله عنه – ؛ الواردة في غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم – وسراياه، وهي دراسة تحليلية .

ويتلخص منهجي في هذا البحث فيما يلي:

١–جمع الروايات المختلفة في الحادثة الواحدة من مصادر السيرة والحديث وغيرهما.

٢–محاولة الجمع بين الروايات المختلفة في الحدث الواحد. وخاصة بين رواية المحدثين ورواية الإخباريين .

٣–إذا لم يمكن الجمع بين الروايات المختلفة حاولت الترجيح بحسب الاستطاعة.

الحوادث غير القتالية لعلي – رضي الله عنه – في المغازي والسرايا

كلف النبي – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بأن يحمل راية الجيش في أكثر من غزوة.

غزوة بدر الأولى:

ذكرابن سعد غزوة بدر الأولى، وقال في سياقه للغزوة: (وحمل لواءه علي بن أبي طالب وكان لواءً أبيض..) . (١)

---

(١) الطبقات الكبرى ٩/٢.." [1]

"لما وضعت الحرب أوزارها في غزوة أحد، وتجهَّز المشركون للرجوع، بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – علياً في آثار القوم، وقال له: انظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم، قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنّبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة (١) .

هكذا ورد في رواية ابن إسحاق أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث علياً خلف القوم، وتبع ابن إسحاق عددٌ من أهل السير مثل: الطبري (٢) ، وابن الأثير (٣) ، وابن القيم (٤) ، وابن كثير (٥) وغيرهم.

وقد زاد الطبري بسنده ما يفيد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر علياً أن يخفي الجواب في كلا الحالتين، قال علي: فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به الرسول – صلى الله عليه وسلم – ،لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة.

وأما الواقدي فذكر أن الذي بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – خلف القوم: هو سعد بن أبي وقاص (٦) ، وذكر البيهقي مثل ذلك عن عروة بن الزبير (٧) ، وأما ابن سيد الناس (٨) ، والصالحي (٩) ،فذكرا القولين ولم يرجحا بينهما.

قلت: **يمكن الجمع** بين القولين بأن يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث علياً أولاً، ثم بعث سعد ثانياً، والله أعلم.

(١٠)

---

(١) سيرة ابن هشام ٩٤/٢.

---

[1] دور علي بن أبي طالب في غزوات وسرايا النبي صلى الله عليه وسلم، ص/١

(٢) تاريخ ٢/٥٢٧.

(٣) الكامل ٢/١١١.

(٤) زاد المعاد ٣/٢٤١.

(٥) البداية ٥/٤٢١.

(٦) المغازي ١/٢٩٨.

(٧) دلائل النبوة ٣/٢٨٢.

(٨) عيون الأثر ١/٤٢٥.

(٩) سبل الهدى والرشاد ٤/٣٢٥.

(١٠) حسمى: -بالكسر ثم السكون آخره ألف-: من سلسلة جبال شرقي الأردن وتقع جنوبي جبال الشراة وتمتد حتى حدود الحجاز، المعالم الأثيرة، ص١٠٠.." (١)

"قال الخطابي: "فيه دليل على أن المرأة إذا قاتلت قتلت؛ ألا ترى أنه جعل العلة في تحريم قتلها أنها لا تقاتل، فإذا قاتلت دل على جواز قتلها" (١)

وفي قتل دريد بن الصمة، وعدم إنكار النبي - ^ - ذلك دليل على جواز قتل شيوخ المشركين، إذا كان فيهم منفعة للكفار كرأي أو مشورة ونحوه، فإن دريد ابن الصمة كان حين قتل ابن عشرين ومئة سنة، وقيل ابن ستين ومئة سنة. (٢)

وقد جاء في الحديث أن رسول الله - ^ -كان إذا بعث جيشاً قال«انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً. .. » (٣)

لكن جاء في حديث سمرة بن جندب مرفوعاً: "اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم" (٤)

وفي كلا الحديثين كلام، غير أنهما إن صحا **فيمكن الجمع** بينهما كما قال الشوكاني: "بأن الشيخ المنهي عن قتله في الحديث الأول هو الفاني الذي لم يبق فيه نفع للكفار، ولا مضرة على المسلمين، وقد وقع التصريح بهذا الوصف بقوله شيخاً فانياً، والشيخ المأمور بقتله في الحديث الثاني هو ما بقي فيه نفع للكفار ولو بالرأي كما في دريد بن الصِّمة" (٥)

٥٧- الإلحاح في الدعاء وقت الأزمات:

يقول جل ذكره: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (٦) قال ابن

---

(١) دور علي بن أبي طالب في غزوات وسرايا النبي صلى الله عليه وسلم، ص١٦/

القيم : "سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله لماذا ذكر الله الدعاء والذكر وقت الأزمات ووقت التحام الصفوف؟

قال ابن تيمية : من عادات العرب والناس ذكر محبوبيهم وقت الأزمات؛ فأراد الله أن يخبرهم أن أحب محبوب عندهم هو الله، فليذكروه في تلك الأزمة أو الضائقة، ثم قال ابن تيمية أما سمعت قول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

---

(١)) المصدر السابق

(٢)) [فتح الباري: (٤٢/٨( ]

(٣))] أخرجه أبو داود (٢٦١٤) من حديث أنس.

(٤) (أخرجه أبو داود (٢٦٧٠) والترمذي (١٥٣٨)

(٥) (نيل ال أوطار: (٢٦٢/٧(

(٦)) [الأنفال:٤٥]." (١)

"الوجه الثاني: ويؤيد ما تقدم أنه جاء عن أنس بإسناد صحيح ما قد يخالف ما رواه موسى السيلاني، روى البخاري في «صحيحه» (٤٤٨٩): ثنا علي بن عبد الله ثنا معتمر عن أبيه عن أنس قال: لم يبق ممن صلى القبلتين غيري. اهـ .

... قلت: هذا الخبر قد يخالف ما رواه السيلاني؛ لأنه يفيد أن هناك من الصحابة من كان موجوداً(١)عندما ذكر أنس ذلك، فكلام أنس يفيد إثبات الصحبة لهم، ولكن يبين أنه لم يبق أحد من الصحابة ممن صلى القبلتين سواه، فظاهر هذا يخالف ما رواه عنه موسى السيلاني، والله أعلم.

ولا شك أن سليمان التيمي وهو من الحفاظ المشاهير من أصحاب أنس مقدم على موسى السيلاني(٢).

الوجه الثالث: يحمل كلام أنس هذا لو ثبت عنه على الصحبة الخاصة كما تقدم في قصة خالد بن الوليد مع عبد الرحمن بن عوف، وقصة أبي بكر مع عمر.

الوجه الرابع: أنه قد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ما قد يخالف هذا.

---

(١) غزوة حنين دروس وعبر، ص/٦٧

وأما ما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال: الصحابة لا تعدهم إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين. رواه الخطيب في «الكفاية» (ص: ٥٠) من طريق ابن سعد عن الواقدي أخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن سعيد به.

... قلت: هذا لا يصح عن سعيد، لا من جهة الإسناد، ولا من جهة المتن.

... أما الإسناد: ففيه محمد بن عمر الواقدي، والكلام فيه معروف.

وفيه أيضاً: محمد بن سعيد بن المسيب وفيه جهالة، ترجم له البخاري (١/٩٢) وابن أبي حاتم (٧/٢٦٢) وسكتا عليه، وذكره ابن حبان في «الثقات» كعادته (٧/٤٢١).

---

(١) انظر: «الفتح» (٨/١٧٣) .

(٢) يمكن الجمع بين خبر سليمان التيمي وخبر السيلاني، لكن يذهب إلى هذا لو كان خبر السيلاني ثابتاً ثبوتاً واضحاً، والله أعلم.." [1]

"ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءا فرواه، وحفظ آخر جزءا غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي، والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقا بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعا لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس غريبا على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه فيساويه بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفسه رضي الله عنه ونزل درجة عن مكان الصديق رضي الله عنه(١)، وفي رواية أخرى أنه بعد يومين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته، وبطشه، وأدرك عمر أنه لابد من تجليه الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال: ... ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها؛ لكم علي أن لا أجتبي شيئا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي

---

(١) فتح الواحد العلي في الدفاع عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ص/٢٠

أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم(٢) في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر

---

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين ص١٢٠ .

(٢) أجمركم أي لا أبقيكم على جبهات القتال بعيدا عن أهليكم مدة طويلة.." (١)

"وقال في مكانٍ آخر محاولاً الجمع بين القولين: "ويجمع بتعدُّد السبب بأن يكون لما صحَّ١ ذهب للتجارة فنهبوه، فرجع وأخبره صلى الله عليه وسلم"٢.

قلت: ذلك يقتضي أنَّ زيد بن حارثة – رضي الله عنه – خرج ثلاث مرَّات خلال شهرين، وهو أمر متعذّر لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت، ومشقة السفر خاصّةً وأنه قد ذكر أنَّ زيد قد جرح جراحاً بليغة في المرَّة الأولى حتى اعتقد بنو فزارة بأنَّه قد مات، وشفاؤه من تلك الجراح يتطلب وقتاً ليس بالقصير، كما أنه من المستبعد أن يخرج للتجارة مارّاً بديار أولئك القوم الذين بدت عداوتهم للمسلمين وخاصّةً أنَّ زيداً – رضي الله عنه – قد غزاهم في المرّة الأولى، فخروجه لمجرَّد التجارة يُعَدُّ مجازفة عظيمة، ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يوافقه عليها أبداً.

لذلك أرى أنه لا **يمكن الجمع** بين القولين، بل لابدَّ من ترجيح أحدهما على الآخر، وهو في نظري قول ابن إسحاق، فهو بالإضافة إلى كونه أقوى إسناداً مدعوماً بالواقع، فالمسلمون في تلك الفترلم يفرضوا سلطانهم على تلك المنطقة بَعْدُ، حتَّى تصبح طريقاً سالكةً لتجارتهم إلى الشام، بل كانوا في موقف المواجهة مع القبائل القاطنة في تلك المنطقة خاصّةً وأنَّها حليفة قوية ليهود

---

١ يعني: زيد بن حارثة رضي الله عنه.

٢ شرح المواهب ٢/١٦٤.." (٢)

"..

....

---

(١) فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ١/١٣١

(٢) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، ص/٥١

كلاهما من حديث عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبي قيس، مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وقال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية. قال: فيه فتيمم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والذي عنده أنهما علاه بحديث جرير بن خازم عن يحيى بن أيوب عن يزيد عن عمران عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص قال: "احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم. فقال: يا عمرو! صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال. وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً". ووافقه الذهبي في التلخيص.

قلت: أصل الحديث أخرجه البخاري (الصحيح ١/٩٠)، مُعَلَّقاً، وقال ابن حجر (فتح الباري ١/٤٥٤): هذا التعليق وصله أبو داود. (انظر: عون المعبود ١/٥٣٠-٥٣١)، والحاكم (المستدر ١/٢٨٥)، من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص، ثُمَّ ذكره مثله. وذكر أنَّ سنده قوّي وأنَّ البخاري علَّقه بصيغة التمريض لكونه اختصره ثُمَّ ذكر عن البيهقي (السنن ١/٢٢٦) أنه يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثُمَّ تيمم عن الباقي.." (١)

"صلاة الصحابة على النبي أفرادا والعلة في ذلك

ثم صلي عليه، وقد صلوا عليه أفذاذا كما قال المؤلف، وأفذاذا يعني أفرادا، فكل إنسان يدخل ويصلي وحده، والمشهور أن أول من صلى عليه هو عمه العباس، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس.

وقد اختلف العلماء في العلة التي من أجلها صلي على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة على أقوال عدة، ومن أشهرها: أن هذا من باب التعبد، وقيل: حتى تصل صلاة كل فرد ممن صلى عليه مباشرة له صلى الله عليه وسلم من دون إمام، وقيل: حتى تكثر الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه، وقيل غير ذلك،

(١) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، ص/٤١٧

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال كلها.

وقلنا: إن الأمر المتفق عليه أنهم لم يصلوا عليه خلف إمام واحد.." (١)

"تحديد مكان الروضة وذكر فضلها

ثم قال البارودي: وليس لي روضة ألهو بزهرتها ثم قال: إلا روضة الحرم، الروضة: اسم مكان، وقد أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عندما قال: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)، وفي حديث آخر قال: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)، فلا يمكن حمل كلمة روضة هنا على أنها مجالس الذكر فقط؛ لأن هذا ينطبق على كل مكان، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)، ويمكن حمل ذلك -وهو الذي عليه أكثر العلماء- على أن هذه القطعة من المسجد النبوي إنما هي تكون يوم القيامة في الجنة، أو أنها مأخوذة الآن من الجنة.

وهنا قبل أن نشرع في تحديدها نذكر لطيفة قالها بعض أهل التفسير: الله جل وعلا: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها﴾ [الكهف:١٠٧ - ١٠٨] أي: الجنة ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ [الكهف:١٠٨]، فأهل الجنة -رزقنا الله وإياكم دخولها- لا يبغون حولا عن الجنة؛ لأنه لا يوجد بديل أفضل من الجنة، ويرزقهم الله القناعة التامة لذلك الموطن، وأهل المدنية اليوم وكل من يأتيها، وهذا أمر شائع ذائع بين الناس فيمن صفت نيته وخلصت سريرته أنهم لا يرغبون في النقلى عن المدينة ويشق عليه أن يغادرها، قال بعض أهل العلم: إن سبب ذلك الشيء المتواتر بين الناس أن في المدينة قطعة من الجنة وهي الروضة، فهناك بعض القاسم المشترك ما بين حال أهل الجنة وحال من يسكن المدينة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.

والمنبر كان بينه وبين جدار الحرم مسافة مقدارها ممر شاة، ثم يوجد مكان كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه وهو المحراب النبوي، لكن المحراب النبوي لم يكن مبنيا كما هو اليوم، وإنما هو موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم وهو يؤم الناس بالصلاة، فالمسجد النبوي اليوم فيه ثلاثة محاريب: المحراب الذي في جهة القبلة، وهو الذي يصلي فيه الأئمة المعاصرون اليوم، وهذا المحراب هو موضع إمامة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أي: أنه من التوسعة الجنوبية القبلية التي أحدثها عثمان رضي الله عنه ونعم ما فعل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فـ عثمان كانت توسعته للمسجد من جهة القبلة، واتخذ المحراب في وسط المسجد، فأقره الصحابة على فعله هذا وصلوا وراءه، وكون الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) الأيام النضرة في السيرة العطرة، صالح المغامسي ١٤/٥

وأرضاهم يصلون وراء عثمان هذا إقرار وإجماع منهم على حسن صنيع عثمان، ثم في الروضة نفسها اليوم محراب مبني وهو موضع محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي جهة الغرب من الروضة خارج حدود الروضة الآن يوجد محراب، وهذا المحراب لا يتعلق به أمر تعبدي وإنما هو باق لأمور تاريخية، وهذا المحراب بناه أحد سلاطين آل عثمان في زمانه، ومكتوب على المحراب تاريخ بناءه.

فهذا المحراب بناه أحد سلاطين آل عثمان أيام كان الحجاز تحت ولاية دولة آل عثمان، وأما الحراب النبوي فبدهي أن نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس إماما فيه، فهذه هي المحاريب الثلاثة، وأما الروضة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما بين بيتي ومنبري)، وكلمة بيت: عامة لكن رواية (قبري) خاصة، فنحتاج إلى التوفيق بين الروايتين وهذا أمر لا بد أن نعمد إليه؛ لأننا إذا جعلنا رواية (بيتي) هي الحاكمة فالأمر يختلف، وإن جعلنا رواية (قبري) خاصة معلمة لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري) فالأمر يختلف في تحديد الروضة، وتحديد الروضة إنما يفهم جليا إذا استطعنا أن نحرر العام والخاص بين قوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري) وقوله: (ما بين قبري ومنبري)، وهذا ما سيتضح إن شاء الله تعالى لنا بعد قليل في بيان تحديد الروضة، وإن كان الذي عليه العمل الآن عمل قول الجمهور، وهو الذي تعارف عليه الناس منذ قديم الزمان.

لا خلاف أن المنبر حد، فإن جعلنا رواية (قبري) مخصصة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري) عرفنا بعد ذلك أن بيت عائشة هو المقصود؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبره في بيت عائشة رضي الله تعالى عنه وأرضاها إذا جعلنا رواية قبري مخصصة لحديث بيتي فعرفنا أن الحدود من المنبر إلى القبر، وهذا قول مالك رحمه الله وعليه عمل الناس اليوم، فالحدود الموجودة الآن في المسجد النبوي الشريف الذي تحدد الروضة وتميز فرشها عن بقية المسجد هو المعمول به على هذه الرواية على أن المقصود: رواية (قبري) مخصصة لرواية (بيتي)، فيصبح المقصود بيت عائشة رضي الله تعالى عنه وأرضاها؛ لأن بيت عائشة هو الذي احتوى الجسد الشريف الطاهر.

وإذا أطلقنا رواية (بيتي) فلا يخصص بيت عائشة دون غيرها من أمهات المؤمنين، فنجد أن لـ صفية رضي الله عنها وأرضاها بيتا في الجهة الغربية من المسجد عند خوخة أبي بكر اليوم بجوار باب الرحمة، وهذا في الجهة الغربية من المسجد، لأن حجرة عائشة في الشرق من المسجد، وعلى هذا تصبح المسافة أكبر بكثير مما هي عليه اليوم، فتصبح حجرة حفصة في الشمال الغربي وحجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها في الجنوب الغربي، والمنبر هذا المثلث يكون الروضة، وهو لا يمكن أن يكون مثلثا بطريقة ظاهرة

لكنه أشبه بالمعين في ما يقول أهل الرياضيات، والذي يعنينا الآن أن الروضة الشريفة صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفيها اسطوانات، ومكانها باق إلى اليوم، فخلفاء المسلمين وملوكهم وسلاطينهم عبر الدهور إلى هذه الدولة المباركة -أيدها الله بنصره- يحافظون على الأسطوانة نفسها، فقد يتغير البناء لكن الموقع هو هو.

ومكتون على كل اسطوانة: ما تعارف الناس عبر التاريخ عليه كاسطوانة التوبة التي تاب عندها الصحابي أبو لبابة رضي الله تعالى عنه، واسطوانة الوفود التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقابل عندها الوفود إلى غير ذلك من الاسطوانات.

والذي يعنينا هنا: أنه كان في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر **يمكن الجمع** بين فضيلتين: فضيلة الصلاة بالصف الأول، وفضيلة الصلاة في الروضة، وأما بعد ولاية عثمان رضي الله عنه وأرضاه وتوسعة المسجد إلى الجنوب فإنه لا يمكن للمرء أن يصلي بالصف الأول، وفي ذات الوقت يصلي في الروضة لبعد المسافة؛ لأن الصف الأول الآن ليس في الروضة، فعندما نصلي فرضا نتقدم للصلاة في الصف الأول، ونحرص على فضيلة الصف الأول، وإما إذا جئنا نصلي نفلا إذا دخلنا المسجد في أي ساعة من ليل أو نهار، فإننا نصلي في الروضة ما اسطعنا؛ لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) هذا فيه بيان لفضل الروضة عن غيرها من المسجد، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحدد ذلك الفضل ولم يذكر الجزاء المعين عليه.

وكان للمدينة إمام يصلي التراويح وهو شيخنا الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله تعالى، وقد ظل إماما للمسجد النبوي خمسة وأربعين عاما رحمة الله تعالى عليه، وهذا الرجل المبارك لم يكن يأخذ أجرا على إمامته فكان يقول: أنا إلى الأجر أحوج مني إلى الأجرة، والذي يناسب ذكره في الحديث عن الشيخ ابن صالح في هذه القضية أن الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمة الله تعالى عليه كان يصلي في صلاة التهجد في رمضان في محراب النبي صلى الله عليه وسلم إماما، فيمكن حينها لمن عاصر الشيخ أن يصلي بالصف الأول وبالروضة، فيجمع ما بين الفضيلتين: الصلاة في الصف الأول، والصلاة في الروضة.

وقد من الله جل وعلا على كثير ممن عاصر الشيخ من تحقيق هذا الأمر، هذا الآن لا يعمل به لازدحام الناس فيما يبدو فيصلي الإمام التراويح والتهجد والفروض الخمس كلها في محراب عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وبقي أن نقول: إن هذه الروضة المباركة شهدت تعليم النبي صلى الله عليه وسلم، فالأصل في مقام التعليم

للعظات والوصايا المحمدية أنها كانت تنطلق من روضته صلى الله عليه وسلم في مسجده، والروضة على وجه الأخص هي مجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.." (١)

"وفاته صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.

وقيل: خمس وستين.

وقيل: ستين، والأول أصح.

وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين اشتد الضحى لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: لاستهلال شهر ربيع الأول.

ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء].

السن التي مات فيها صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وستين، هذه هي الرواية الصحيحة، وتوجد روايات في الصحيح أنه كان ابن خمس وستين، لكن الصواب أن هذه رواية شاذة في متنها وإن كانت في أحد الصحيحين، قال هذا بعض العلماء.

وقال بعضهم: إنه يمكن الجمع بأن العرب تتجاوز عن الكسر، لكن هذا القول يمكن قوله في رواية أنه مات ابن ستين سنة، يمكن أن نقول: من قال: إنه مات وهو ابن ستين لم يعد الكسر، أما على القول بأنه مات صلوات الله وسلامه عليه وهو ابن خمس وستين صلوات الله وسلامه عليه فلا يمكن تخريجها إلا أن ترد الرواية، لأنه لا يمكن الجمع بين القول بأنه مات وهو ابن ثلاث وستين وبأنه مات وهو ابن خمس وستين.

وأكثر الروايات الصحيحة والتي دلت عليها الروايات المتعددة وقرائن كثر على أنه مات صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكانت مدة علته اثني عشر يوما، وقيل: أربعة عشر يوما.

وغسله علي بن أبي طالب وعمه العباس والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولياه، وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري].

هذا ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم، واعلم أن الأمة لم تصب بشيء أعظم من وفاته عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال: (تعزوا عن مصائبكم بمصيبتي).

---

(١) شرح المدائح النبوية، صالح المغامسي ٤/٩

والحديث عن وفاته صلى الله عليه وسلم يحرك القلوب ويثير الشجون، ولكنني ملزم بالحديث عنه وفق المتن، ثم أتكلم عن الحديث عنه إجمالا ذكر المصنف رحمه الله تعالى الاختلاف في مدة مرضه عليه الصلاة والسلام، وذكر منها ثلاثة عشر يوما أو أربعة عشر يوما أو اثني عشر يوما.

والحق أن مدة مرض الوفاة عشرة أيام، وإن كان الأمر في هذا واسع بغير التحديد في بداية المرض، والمحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم كان أول ما اشتكى وهو راجع من جنازة من البقيع، شعر بصداع في الرأس وحمى أصابته معها، (ثم لما دخل بيته وجد عائشة قد عصبت رأسها تقول: وارأساه، قال: بل أنا وارأساه) هذا أول ما اشتكى المرض صلوات الله وسلامه عليه، وهذا في آخر صفر وأول ربيع الأول.." (١)

"الموت، ثم أرسلني [١] ، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم.

علم الإنسان ما لم يعلم ٩٦: ١- ٥. قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من [٢] نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، قال:

فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال:

فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

(رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه) :

وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا [٣] إليها:

فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة

---

[١] لعل الحكمة في تكرير: «اقرأ ١٧: ١٤» الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ عنه الوحي بسببه

---

(١) التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، صالح المغامسي ٤/١٠

في ثلاث:

القول، والعمل، والنية، وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد. والأحكام. والقصص. (راجع شرح المواهب)

.

[٢] قال السهيلي: «قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة «اقرأ» كان في اليقظة، لأنها قالت في أول الحديث: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء ... إلى قولها: حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل. فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، وقد **يمكن الجمع** بين الحديثين بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة، توطئة وتيسيرا عليه، ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبئها ثقيل، والبشر ضعيف» .

[٣] مضيفا: ملتصقا، يقال: أضفت إلى الرجل، إذا ملت نحوه ولصقت به، ومنه سمى الضيف ضيفا.." (١)

"سريعا، حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان، وغران واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال. فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ما أراد، قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم [١] ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا [٢] .

(مقالة الرسول في رجوعه) :

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا: آئبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء [٣] السفر، وكآبة [٤] المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا عبد الملك بن هشام ٢٣٧/١

(شعر كعب في غزوة بني لحيان) :

والحديث في غزوة بني لحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك، فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق [٥]

لقوا سرعانا يملأ السرب روعه ... أمام طحون كالمجرة فيلق [٦]

---

[١] كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال. (عن معجم البلدان) .

[٢] وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عسفان بعث أبا بكر مع عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا. قال الزرقاني: «**ويمكن الجمع** بأنه بعثهما ثم بعث أبا بكر في العشرة، أو عكسه» .

[٣] وعثاء السفر: مشقته وشدته.

[٤] الكآبة: الحزن.

[٥] تناظروا: انتظروا. والعصب: الجماعات

[٦] السرعان: أول القوم. والسرب (بفتح السين) : الطريق. والسرب (بكسر السين) : النفس وكلا المعنيين محتمل. والروع: الفزع. والطحون: الكتيبة تطحن كل ما تمر به. والمجرة: نجوم كثيرة يختلط ضوءها في السماء، والفيلق: الكتيبة الشديدة.." (١)

"قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "فجاءني جبريل، وأنا نائم١، بنمط من ديباج٢ فيه

---

١ قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: "أول ما بدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب الله إليه الخلاء -إلى قولها- حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه جبريل"، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل

---

(١) سيرة ابن هشام ت السقا عبد الملك بن هشام ٢/٢٨٠

على النبي –عليه السلام– بالقرآن، وقد **يمكن الجمع** بين الحديثين بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به؛ لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه، صلى الله عليه وسلم، في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق.

ومنها: أن ينفث في روعه الكلام نفثا، كما قال، عليه السلام: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت، حتى تستكمل أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب".

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه. وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يلقى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلا، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة.

ومنها: ينتشر منها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: "أتاني ربي في أحسن صورة....".

٢ فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم، وبه أيضا ينال ملك الآخرة، ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.." (١)

"قالوا: لا. فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيا كريما، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئا١ بعد ست سنين.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة: أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد عبد الملك بن هشام ١/٢٢٠

له: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدثني عبد الوارث بن سعيد التنوري، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، بنحو من حديث أي عبيدة عن أبي العاص.

قال ابن إسحاق: فكان ممن سمى لنا من الأسارى ممن من عليه بغير فداء، من بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه. ومن بني مخزوم بن يقظة: المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن مخزوم، كان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله. فلحق بقومه.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاري، أخو بني النجار.

قال ابن إسحاق: وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ترك في أيدي أصحابه، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه، فخلوا سبيله، فلم يف لهم بشيء فقال حسان بن ثابت في ذلك:

وما كان صيفي ليوفي ذمة ... قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

---

١ ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردها عليه بنكاح جديد، **ويمكن الجمع** بينهما أنه ردها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلا.." (١)

"بالناس، قال: ثم أغمي عليه فأفاق فقال حضرت الصلاة فقالوا: نعم، فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف «١» إذا قام ذلك المقام «٢» بكى فلا يستطيع؛ فلو أمرت غيره. قال ثم أغمي عليه فأفاق، فقال: مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب أو صواحبات «٣» يوسف. قال فأمر بلال فأذن وأمر أبو بكر فصلى بالناس، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة فقال: انظروا لي من أتكىء عليه فجاءت بريرة «٤» ورجل آخر «٥» فاتكأ عليهما، فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص «٦» فأومأ إليه أن يثبت مكانه حتى قضى أبو بكر صلاته «٧»

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد عبد الملك بن هشام ٢١٩/٢

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فقال عمر: والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض إلا ضربته بسيفي هذا.

قال: وكان الناس أميين «٨» لم يكن فيهم نبي قبله فأمسك الناس، فقالوا يا سالم انطلق إلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعه، فأتيت أبا بكر وهو في المسجد فأتيته أبكي دهشا فلما رآني قال: أقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبض إلا ضربته بسيفي هذا. فقال لي: انطلق فانطلقت معه فجاء والناس قد دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال أيها الناس أفرجوا لي فأفرجوا له فجاء حتى أكب ومسه فقال إنك ميت وإنهم ميتون «٩» ، ثم قالوا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أسيف أي حزين، يغلب عليه الحزن.

(٢) وهو مقام الامامة في محل النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) أي مثلهن في اظهار خلاف ما يبطن.

(٤) وهي قبطية أو حبشية، مولاة عائشة.

(٥) في رواية الصحيحين خرج بين عباس ورجل آخر وهو علي بن أبي طالب. وقيل العباس، وولده الفضل ويجمع بين الروايات بتعدد خروجه (صلى الله عليه وسلم) .

(٦) أي يرجع.

(٧) في رواية الشيخين كان أبو بكر يصلي قائما ورسول الله والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. **ويمكن الجمع** بتعدد الواقعة، فتكون رواية الشيخين في حادثة أخرى/ والله أعلم/.

(٨) لا يقرأون ولا يكتبون.

(٩) سورة الزمر الآية: ٣٠.." (١)

"أبي قبيس-، فأجابه من في أصلاب الرجال، ومن في أرحام النساء، فمن أجاب مرة واحدة من التلبية فيحج حجة واحدة، ومن أجاب مرتين فيحج حجتين، وكذلك ثلاثة وأربعة، فلما ثقل عليه الوحي خالف بين قدميه.

٤٤٩- ومنهم من قال: إن إبراهيم لما زار إسماعيل من الشام، وكانت سارة حلفته أن لا ينزل عند هاجر،

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذي ط إحياء التراث الترمذي، محمد بن عيسى ص/٢٢٤

وطلبت إليه هاجر أن يغسل رأسه ولحيته، فأخرج إبراهيم عليه السلام رجليه حتى غسلت رأسه.

٤٥٠- ومنهم من قال: إن امرأة إسماعيل سألت إبراهيم أن ينزل عليها لتغسل رأسه، فلم ينزل؛ لما عهدت إليه سارة أن لا ينزل حتى يرجع، فبركت ناقته، ودلى رجليه، فغسلت شقه الأيمن، ثم حولت الحجر إلى شقه الأيسر، وغسلت شقه الآخر.

قال أبو سعد: عبد الملك بن محمد صاحب الكتاب أعانه الله على طاعته: سألت الزمازمة حتى أتوا إلي بماء زمزم، ثم سألت بني شيبة أن يكشفوا لي عن المقام فكشفوا في البيت، وسكبوا الماء موضع- ٣١٨٠، وابن جرير في تفسيره [١٧/ ١٤٤] ، وابن أبي حاتم كذلك [٨/ ٢٤٨٦] رقم ١٣٨٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ١٧٦] ، جميعهم من حديث قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس بنحوه، وصححه الحاكم في المستدرك [٢/ ٣٨٨] ، وقال البوصيري في الإتحاف: قابوس مختلف فيه، وباقي رجاله ثقات.

(٤٤٩) - قوله: «حتى غسلت رأسه» :

أورد الخبر التقي الفاسي في شفاء الغرام [١/ ٢٠٢] ، ذكر أنه في خبر طويل ضعفه سعيد بن جبير، قال: **ويمكن الجمع** بين هذه الأقوال بأن يكون الخليل وقف على ذلك لهذه الأمور كلها، والله أعلم.." (١)

"..........

- وأخرج أبو داود من حديث ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة، رقم ١٢٣١، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٥١] ، ضعفها الإمام النووي، فتعقبه الحافظ في الفتح، باب ما جاء في التقصير بقوله: وليس بجيد منه لأن رواتها ثقات، قال: ولم ينفرد بها ابن إسحاق فقد أخرجها النسائي [برقم ١٤٥٣] عن عبيد الله كذلك. اه.

قال أبو عاصم: فات الحافظ رحمه الله بأن في رواية ابن إسحاق علة ذكرها من أخرج حديثه؛ فقد قال أبو داود- في إثر حديث ابن إسحاق بذكر ابن عباس-: روى هذا الحديث عبدة بن سليمان، وأحمد بن خالد الوهبي، وسلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق؛ لم يذكروا فيه ابن عباس. اه. يعني أنهم رووه عن عبيد الله مرسلا.

كذلك أخرجه ابن سعد في الطبقات [٢/ ١٤٣] من طريق يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق.

نعم، وأما حديث عراك بن مالك الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر فقد اختلف عليه فيه: فرواية النسائي

---

(١) شرف المصطفى الخركوشى ٢٤٣/٢

من طريق يزيد بن أبي حبيب عنه، وأخرجها ابن سعد في الطبقات [٢/ ١٤٣- ١٤٤] من طريق بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك بن مالك مرسلا.

فمثل هذا الاختلاف يضعف الاحتجاج به، ولذلك لم يذكر الحافظ البيهقي رواية ابن إسحاق ولا رواية عراك بن مالك عند جمعه بين الروايات المتقدمة، إذ قال في السنن الكبرى [٣/ ١٥١] : **ويمكن الجمع** بين رواية من روى تسع عشرة، ورواية من روى سبع عشرة، ورواية من روى ثمان عشرة، بأن من رواها تسع عشرة عد يوم الدخول ويوم الخروج، ومن روى ثمان عشرة لم يعد أحد اليومين، ومن قال: سبع عشرة لم يعدهما. اه. -." (١)

"المغيرة، وقيل: أبو وهيب بن عمرو بن عائذ.

وقال في دخول رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا بما قضى بيننا. وكان رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يسمى في الجاهلية: الأمين قبل أن يوحى إليه. وزعم أن ذلك بعد الفجار. بخمس عشرة سنة، ورسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة. كذا قال ابن إسحاق، وخالفه غيره: زعموا أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، كان إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة، وذلك قبل البعث بخمس عشرة سنة [(١١٣)] .

* أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، قال:

حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني سلمة، قال: حدثني عبد الرزاق، قال: قال ابن جريج، قال: مجاهد: بني البيت قبل مبعث النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، بخمس عشرة سنة.

قلت: وكذا روي عن عروة بن الزبير ومحمد بن جبير بن مطعم وغيرهما.

______

[(١١٣)] اختلف في سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ. فقيل: كان ابن خمس وثلاثين.

وحكى الازرقي قولا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بنيت الكعبة كان غلاما.

قال الحافظ ابن حجر: «ولعل عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمرت امرأة الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فذكر القصة.

وروى عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن مجاهد، ان ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وكذا ابن عبد البر

(١) شرف المصطفى الخركوشى ٣/٧٣

من طريق محمد بن جبير، وبه جزم موسى بن عقبة في المغازي.

والذي جزم به ابن إسحق ان بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين.

ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء.." [١]

"من سنة ست [(٥)] . وبإسناده قال حدثنا يعقوب قال حدثنا الحسن بن الربيع قال حدثنا ابن إدريس عن ابن إسحاق قال فحدثني عبد الله ابن أبي بكر، قال: كان افتتاح خيبر

[()] التمر. وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: ما شبعنا من التمر حتى فتحت خيبر، وتوصف خيبر بكثرة الحمى، قدم خيبر أعرابي بعياله فقال:

قلت لحمي خيبر استقري ... هاك عيالي فاجهدي وجدي

وباكري بصالد وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات، وبقي عياله.

قال أبو عبيد البكري- رحمه الله- في معجمه وفي الشق عين تسمى الحمة، وهي التي سماها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قسمة الملائكة، يذهب ثلثا مائها في فلج، والثلث الآخر في «فلج» والمسلك واحد وقد اعتبرت منذ زمان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات فتذهب اثنتان في الفلج الذي له ثلثا مائها، وواحدة في الفلج الثاني، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث، ومن قام في الفلج الذي يأخذ الثلثين ليرد الماء إلى الفلج الثاني غلبه الماء وفاض، ولم يرجع إلى الفلج الثاني شيء يزيد على قدر الثلث وتشتمل خيبر على حصون كثيرة، ذكر منها في القصة كثير.

[(٥)] اختلف في أي سنة كانت غزوتها: قال ابن إسحاق: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم- في بقية المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر.

وقال يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق من حديث المسور ومروان، قالا: «انصرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة» فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ويعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي محققا البيهقي، أبو بكر ٦٢/٢

وذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أنه- صلى الله عليه وسلم- أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر.

وعند ابن عائذ عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال.

وعند سليمان التيمي خمسة عشر يوما.

قال الإمام مالك رحمه الله- تعالى-: كان فتح خيبر سنة ست.

والجمهور- كما في زاد المعاد: أنها في السابعة، وقال الحافظ: إنه الراجح قالا: **ويمكن الجمع** بأن من أطلق سنة ست بناه على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي، وهو ربيع الأول.

وابن حزم- رحمه الله- يرى أنه من شهر ربيع الأول.." (١)

"أبو أسامة، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال قال رجل للبراء أكنتم وليتم [(٥)] يوم حنين يا أبا عمارة؟ فذكر معنى هذا الحديث يزيد وينقص، وقال في آخره: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب [(٦)]

اللهم نزل نصرك، قال: وكنا والله إذا حمي البأس نتقي به، وإن الشجاع الذي يحاذي به.

أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عيسى بن يونس عن زكريا [(٧)] .

ورويناه في حديث شبابة بن عاصم السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين أنا

[(٥)] قال الصالحي في السيرة الشامية (٥: ٦١٠) .

تضمن قول السائل للبراء في الرواية الثانية أوليتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة أفررتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول البراء رضي الله عنه، فأشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لم يول، وقوله في الرواية الثانية «لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر إثبات الفرار، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر الرواية الثانية، **ويمكن الجمع** بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن البراء فهم أن السائل اشتبه عليه حديث سلمة بن الأكوع، ومررت برسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما، فلذلك حلف البراء

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي محققا البيهقي، أبو بكر ١٩٦/٤

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يول، ودل على أن منهزما حال من سلمة، ولهذا وقع في طريق أخرى «ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما وهو على بغلته» فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعا، ويحتمل أن يكون السائل أخذ العموم من قوله تعالى: ثم وليتم مدبرين فبين البراء أنه من العموم الذي أريد به الخصوص.

[(٦( ] انتسب صلى الله عليه وسلم إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فإنه مات شابا ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب كما في حديث حماد في الصحيح وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله تعالى الخلق على يديه، ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد اشتهر ذلك بينهم، وذكره سيف بن ذي يزن قديما لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنة وأراد صلى الله عليه وسلم تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره، وإن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم ثابت غير منهزم.

[(٧)] أخرجه مسلم في الموضع السابق، الحديث (٧٩) ، ص (٣: ١٤٠١) عن أحمد بن جناب المصصي، عن عيسى بن يونس، عن زكريا، عن أبي إسحاق السبيعي.." (١)

"فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عز وجل فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم.

وفي حديث ابن مسعود وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليهخا ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة من

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي محققا البيهقي، أبو بكر ١٣٥/٥

(قوله وهي في السماء السادسة) وفي بعض الروايات أنها في السابعة، قال المصنف وكونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين والذى يقتضيه تسميتها بالمنتهى قال النووي: **ويمكن الجمع** بأن أصلها في السماء السادسة ومعظمها في السابعة (قوله فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء وتخفيف الراء، وفى آخره شين معجمة: الطائر المعروف الذى يلقى نفسه في ضوء السراج (*)."(١)

"يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبيا صلى الله عليه وسلم، ولا حجة أيضا للآخر في قوله (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) ولا للآخرين في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فمحمل هذه الآية على إتباعهم في التوحيد كقوله تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف ابن يعقوب على قول من يقول إنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا **يمكن الجمع** بينها، فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال

بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه، ومن قال بالوقف فعلى اصله، ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكلف، وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوضائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلا غ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما." (٢)

"والشياطين «١» .

- ورفع له النجاشي «٢» حتى صلى عليه «٣» .

- وبيت المقدس «٤» حين وصفه لقريش.

- والكعبة حين «٥» بنى مسجده «٦» ، وقد حكي عنه «٧» صلى الله عليه وسلم أنه: «كان يرى في الثريا أحد عشر نجما.»

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ١٨٢/١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ١٤٩/٢

- وهذه كلها محمولة على رؤية العين.

---

(١) حديث البخاري: «إن عفريتا تفلت علي البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهي، فأمكنني الله منه فدفعته، ثم أردت أن أربطة بسارية من سواري المسجد، فذكرت دعوة أخي سليمان- وفي رواية- لولا دعوة أخي سليمان لأصبح يلعب به ولدان المدينة» .

(٢) النجاشي: واسمه أصحمة كتب الى الرسول صلى الله عليه وسلم: أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا قد بايعتك وأسلمت لله رب العالمين توفي سنة ٩ هـ.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما، وبه استدل الشافعي على جواز الصلاة على الغائب. وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عمران بن حصين: «أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه، فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر أربعا وهم لا يظنون أن جنازته بين يديه» .

(٤) كما في الصحيحين.

(٥) وفي نسخة (حتى) .

(٦) على ما رواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا، قال الدلجي: وهو غريب، والمعروف أن جبريل هو الذي أعلمه بها وأراه سمتها، لا أنها رفعت له حتى رآها، بشهادة ما في جامع العتيبة من سماع مالك قال: سمعت أن جبريل هو الذي أقام له قبلة مسجده. اه ولا يخفى أنه يمكن الجمع بينهما.

(٧) جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة.." [١]

"أيضا للاخرين «١» في قوله: «أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا «٢» » ولا للآخرين «٣» في قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا «٤» » فمجمل «٥» هذه الآية على اتباعهم في التوحيد.

كقوله تعالى: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده «٦» » ، وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث، ولم تكن له شريعته تخصه، كيوسف بن يعقوب- على قول من يقول إنه ليس برسول-..

وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى..

وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ١٦٤/١

يخالفون بينهم؟ ..

أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية..

---

(١) القائلين باتباعه لشريعة ابراهيم عليه السلام.

(٢) «.. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين» النمل آية (١٢٣) .

(٣) القائلين بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح.

(٤) «.. شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك» الشورى آية (١٣)

(٥) وفي نسخة (مجمل) .

(٦) «.. قل لا أسئلكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين» الانعام آية (٩٠) .." [١]

"آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي ثقل ما حملتكم من عهدي: ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل عمران: ٨١] . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

أول ما بدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة:

قال ابن إسحاق: فذكر الزهري عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته أن: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

إعراب لما آتيتكم:

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ [آل عمران: ١٨] الآية١. وما في هذه الآية اسم مبتدأ بمعنى: الذي، والتقدير للذي آتيناكم من كتاب وحكمة ولا يصح أن تكون في موضع نصب على إضمار فعل كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله فلا يجوز أن يكون تفسيرا لما

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – محذوف الأسانيد القاضي عياض ٣٣٨/٢

يعمل فيه وقد قيل إن ما هذه شرط. والتقدير لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به وهو ظاهر قول سيبويه لأنه جعلها بمنزلة إن وقول الخليل إنها بمنزلة الذي، أي إنها اسم لا حرف **ويمكن الجمع** بين قوليهما على هذا، فتكون اسما، وتكون شرطا، ويحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل خبرية في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وإن كان الضميران عائدين على الرسول لا على الذي، ولكن لما قال ﴿رسول مصدق لما

---

١ يقول طاوس والحسن البصري وقتادة في تفسير الآية: "أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا"، وهذا التفسير حق، وتنكير كلمة رسول في الآية يؤيده.." (١)

"ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كيفية الوحي:

فصل: وذكر نزول جبريل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لأنها قالت في أول الحديث أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله إليه الخلاء – إلى قولها – حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل. فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي – عليه السلام – بالقرآن وقد **يمكن الجمع** بين الحديثين بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لأن أمر النبوءة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء١ ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فعلى هذا كان نزول الوحي عليه – صلى الله عليه وسلم – في أحوال مختلفة فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة أيضا: أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرؤيا الصادقة٢ وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إني أرى في المنام أني

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٢/٢٠١

أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ [الصافات: ١٠٢] فقال له ابنه: ﴿افعل ما تؤمر﴾ [الصافات ١٠٢] ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام كما يأتيهم في اليقظة.

١ هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٢ ورد هذا في حديث رواه الشيخان والترمذي.." (١)

"قال ابن إسحاق: ومن حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين

أدائها، والتنبيه على أنها مناجاة الرب وأن الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول حمدني عبدي، أثنى علي عبدي إلى آخر السورة وهذا مشاكل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه.

فرض الصلوات خمسين:

فصل: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات. وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين لدخول الخمس في العشر فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا؟ على قولين فقال قوم هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين أحدهما البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها، لأن ذلك عنده من البداء والبداء محال على الله سبحانه. الثاني: أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين قال وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشاني، ليصحح بذلك." (٢)

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٢٥٧/٢

(٢) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٢٧٩/٣

". . . . .

بضميره، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله، فلا يجوز أن يكون تفسيرا لما يعمل فيه، وقد قيل: إن ما هذه شرط. والتقدير: لهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به، وهو ظاهر قول سيبويه، لأنه جعلها بمنزلة: إن، وقول الخليل: إنها بمنزلة الذي، أي:

إنها اسم لا حرف، **ويمكن الجمع** بين قوليهما على هذا، فتكون اسما، وتكون شرطا، ويحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل: خبرية في موضع رفع بالابتداء، ويكون الخبر: لتؤمنن به ولتنصرنه، وإن كان الضميران عائدين على الرسول، لا على الذي، ولكن لما قال: رسول مصدق لما معكم، ارتبط الكلام بعضه ببعض، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

- جواب القسم، لأن أخذ الميثاق قسم فى المعنى، فأما قوله: ثم جاءكم» ، فهو معطوف على: ما آتيتكم، والعائد على «ما» من هذا المعطوف فيه وجهان. أحدهما: تقديره: ثم جاءكم به، واستغنى عن إظهاره بقوله: به فيما بعد. والثانى: أن قوله: لما معكم فى موضع الضمير، تقديره: مصدق له؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل فى مع، ويجوز أن تكون الهاء فى: به، تعود على الرسول، والعائد على المبتدأ: محذوف، وسوغ ذلك طول الكلام، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيه، والقول الثانى: أن ما: شرط واللام قبله، لتلقى القسم كالتى فى قوله: لتن لم ينته المنافقون، وليست لازمة بدليل قوله: وإن لم ينتهوا عما يقولون، فعلى هذا تكون «ما» فى موضع نصب باتيت والمفعول الثانى: ضمير المخاطب، و «من كتاب» مثل «من آية» فى قوله: ما ننسخ من آية، وباقى الكلام على هذا الوجه ظاهر» ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣ ج ١ إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى." (١)

". . . . .

وهي الاعتكاف، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٣٨٦/٢

المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر، ولذلك لم يسم جواره بحراء اعتكافا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين قال له ثبير وهو على ظهره: اهبط عني؛ فإني.

أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب، فناداه حراء: إلي إلي يا رسول الله «١» .

كيفية الوحي:

فصل: وذكر نزول جبريل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:

في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة.

عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقر أ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: أول ما بدىء به رسول الله- صلى الله عليه وسلم: الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب الله إليه الخلاء- إلى قولها- حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل.

فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي- عليه السلام- بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي- صلى الله- عليه وسلم- جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه.

---

(١) حديث يروى فى السير، وذكره عياض فى الشفاء بلاسند فهى أسطورة.." (١)

". . . . .

السورة، وهذا مشاكل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب، وناجاه، ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة، وأخرج عن الدنيا بجسمه، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه، ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين، وهو بيت المقدس، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه.

فرض الصلوات خمسين فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات.

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٢/٣٩٢

وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس، وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم فى هذا النقص من الفريضة:

– فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلى عبدى فإذا قال: إياك نعبد، وإياك نستعين قال: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل، وقال الترمذى: هذا حديث حسن. أقول: إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرئ القرآن أن يستمع وينصت، وعلى هذا يجب على المأموم– خلافا لما فى الحديث– ألا يقرأ بالفاتحة فى نفسه، وهو يسمع القرآن من الإمام، لأن الله يقول: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له، وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف: ٢٠٤. والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون فى غير الصلاة قول على الله بغير علم.." (١)

"إمرة الوليد بن عبد الملك (١).

ثم بناه المهدي في سنة ستين ومائة (٢).

ثم زاد فيه المأمون وأتقن بنيانه في سنة اثنتين ومائتين (٣).

قال السهيلي: وهو على حاله إلى الآن (٤).

وهلك في تلك الأيام أبو أمامة أسعد بن زرارة بالذبحة (٥) –وسيأتي عن ابن الجزار خلافه–وكلثوم بن الهدم (٦).

---

(١) انظر الخبر كاملا في الطبري ٦/ ٤٣٥ - ٤٣٦، والمنتظم ٦/ ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٢) الطبري ٨/ ١٣٣، والمنتظم ٨/ ٢٣٨، وهي توسعة ليست بناء.

(٣) كذا في الروض، ولم أجد في الطبري أو المنتظم أو كامل ابن الأثير في حوادث سنة اثنتين ومائتين ذكرا لزيادة المأمون أو بنائه للمسجد النبوي الشريف، ثم رأيتهما عند ابن قتيبة في المعارف ص/٥٦٢/حيث يقول: وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسعه، ثم يذكر: أنه قرأ على موضع زيادة المأمون: «أمر عبد الله بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين ومائتين. . .». وقال السمهودي في وفاء الوفا ٢/ ٥٤٠: ولم أر في كلام أحد من مؤرخي المدينة، أن المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدي، لكن قال الزين المراغي

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٤٥٦/٣

ما لفظه: وقيل: إن المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه أيضا في سنة اثنتين ومائتين. قال السهيلي: وهو على حاله، ورزين ينكر ذلك، **ويمكن الجمع** بأنه جدده ولم يزد. قال السمهودي: ولم أر في كلام رزين تعرضا لحكاية ذلك حتى ينكره، وهذا بعيد جدا لأن من أدرك زمن المأمون من مؤرخي المدينة لم يتعرض لشيء من ذلك.

ثم ذكر السمهودي كلام ابن قتيبة، وقال: لا دلالة فيه. . .

(٤) الروض الأنف ٢/ ٢٤٨.

(٥) كذا في السيرة ١/ ٥٠٧. والذبحة، ويجوز تسكين الباء: وجع في الحلق، أو دم يخنق فيقتل.

(٦) ابن قتيبة (المعارف ١٥٢)، والطبري ٢/ ٣٩٧، وذكر وفاته أولا ثم بعده أسعد بن زرارة، رضي الله عنهما قبل بناء المسجد، وقال ابن سعد ٣/ ٦٢٣ - ٦٢٤: توفي قبل أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر بيسير.." [1]

"[تزويج فاطمة وولادة ابن الزبير وابن بشير رضي الله عنهم]:

وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما (١).

وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير (٢)، وقيل: في السنة الأولى (٣).

[سرية محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف]

ثم سرية محمد بن مسلمة وأربعة معه (٤) إلى كعب بن الأشرف النضيري-ويقال: النبهاني (٥) -الشاعر، لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول (٦).

---

(١) كذا في تاريخ خليفة/٦٥/، والمعارف/١٥٨/، والطبري ٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦، وابن حبان/٢١٢/وحددها بذي الحجة من السنة الثانية.

(٢) ذكرهما خليفة/٦٥/، وابن الجوزي في التلقيح/٤٤/من حوادث السنة الثانية، وقال خليفة عن عبد الله: وهو أول مولود من المهاجرين.

(٣) هكذا أيضا في تهذيب النووي ١/ ٢٦٦، وسير الذهبي ٣/ ٣٦٣ بالنسبة لعبد الله وأما بالنسبة للنعمان: فانظر السير ٣/ ٤١١ - ٤١٢ حيث ذكر سنة اثنتين ابتداء، ثم نقل عن البخاري أنه ولد عام الهجرة. لكن صحح الإمام النووي ٢/ ١٢٩ أن ولادته كانت على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة، وهو

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا علاء الدين مغلطاي ص/١٧٥

أول مولود من الأنصار بعد الهجرة.

(٤) ذكرهم ابن سعد ٢/ ٣٢ بأسمائهم، وفي المحبر/٢٨٢/عدهم خمسة بدون محمد بن مسلمة، لكن ورد في بعض الروايات أنهم كانوا ثلاثة، وقال الحافظ في الفتح ٧/ ٣٩٤: **ويمكن الجمع** بأنهم كانوا مرة ثلاثة، وفي الأخرى خمسة.

(٥) كان يهوديا، وقال ابن إسحاق وغيره: كان عربيا من بني نبهان، وهي بطن من طيء، جاء أبوه إلى المدينة وحالف بني النضير وتزوج فيهم.

(٦) أي من السنة الثالثة، على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم.." [1]

"قال الحاكم: فلما قاتلهم خالد، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأصاب غنيمة (١).

وقال ابن سعد: إنما انهزم بالمسلمين (٢).

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة (٣).

ورفعت الأرض للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رأى معترك القوم وأخبر به (٤).

---

(١) يعني أن المسلمين قد هزموا عدوهم، وهذا هو قول الواقدي ٢/ ٧٦٤، وابن سعد ٢/ ١٣٠، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٤/ ٣٦٥، وعزاه الحافظ في الفتح إلى مغازي أبي الأسود، ومغازي ابن عقبة أيضا. وتقدم حديث أنس رضي الله عنه في التعليق السابق.

(٢) الطبقات ٢/ ١٢٩. ورجحه المقريزي في الإمتاع ١/ ٣٤٩.

(٣) السيرة ٣/ ٣٨٠، وقال البيهقي في الدلائل ٤/ ٣٧٥ بعد أن ذكر اختلاف أهل المغازي في هذه المسألة: وحديث أنس يدل على ظهور خالد عليهم، والله أعلم بالصواب. وقال ابن القيم في الزاد ٣/ ٣٨٣: ذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت على المسلمين، والذي في صحيح البخاري أن الهزيمة كانت على الروم. ثم قال: والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى. قلت: عجيب من ابن القيم أن يقدم قول ابن إسحاق على ما في الصحيح دون أن يذكر العلة. وانظر أيضا ابن كثير في البداية ٤/ ٢٤٨ حيث قال: **ويمكن الجمع** بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين، وهو أن خالدا لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة، ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي، توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا علاء الدين مغلطاي ص/٢٢٣

حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله، والله أعلم.

(٤) هكذا أخرجه البيهقي من رواية موسى بن عقبة في الدلائل ٤/ ٣٦٤ - ٣٦٥. ويؤيده ما في رواية البخاري السابقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعاهم قبل أن يجيء خبرهم.." [١]

"[سرية الخبط وأميرها أبو عبيدة]

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح في ثلثمائة فيهم عمر بن الخطاب، وتعرف بسرية الخبط (١).

في رجب (٢)، يتلقى عيرا لقريش (٣)، ويقال: إلى حي من جهينة بساحل البحر على خمس ليال من المدينة (٤).

= الأمير، وقال الحافظ: فيه منقبة لعمرو لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر، وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم. قلت: في السيرة والمغازي أن والدة العاص كانت من أهل تلك البلاد، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتألفهم. وأورد الحافظ عن ابن راهويه والحاكم أثرا فيه: أن أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما: لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب. قال الحافظ: وهذا السبب أصح.

(١) كذا في الطبقات ٢/ ١٣٢، وفي البخاري من حديث جابر رضي الله عنه كما سوف أخرج: «غزونا جيش الخبط» وتعرف أيضا: بغزوة سيف البحر. كما في السيرة ٢/ ٦٣٢، وبه عنون البخاري كما سوف أخرج. فأما الخبط -بفتح الخاء والياء-: فهو ورق الشجر المتساقط، وهو من علف الإبل كما في النهاية، وخصصه الحافظ فقال: هو من ورق السلم. وأما سيف البحر -بكسر السين وسكون التحتانية-: فهو ساحله، وسميت كذلك: لأنها كانت عند ساحل البحر كما سيذكر.

(٢) يعني من السنة الثامنة كما في الطبقات.

(٣) كذا في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح، نرصد عير قريش. . .» أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة سيف البحر، وهم يتلقون عيرا لقريش، وأميرهم أبو عبيدة (٤٣٦١)، وأخرجه مسلم في الصيد، باب إباحة ميتات البحر (١٩٣٥).

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا علاء الدين مغلطاي ص/٣٠٠

(٤) هذا قول ابن سعد ٢/ ١٣٢، وجمع الحافظ بين القولين بقوله: وهذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش-." (١)

"[قلت: ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين، وهو أن خالدا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة.

فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم] (١) .

* * * وقد قال (٢) ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر، عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر.

فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه (٣)] فجعلوا يحثون عليهم التراب

ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عزوجل) .

و ه ذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

[وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه، فما كان المسلمون ليسمونهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما] (٤) .

[وقد (٥)] قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، حدثنا يزيد بن أبي زياد،

---

(١) سقطت من أ.

(٢) أ: لكن قال.

(٣) من ابن هشام.

(٤) سقطت من أ.

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا علاء الدين مغلطاي ص/٣٠٢

(٥) من أ.

(*)."[1]

"طوافين ويسعى سعيين، ونقلوا ذلك عن علي موقوفا.

وروي عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد قدمنا الكلام على ذلك كله عند الطواف، وبينا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة.

والله أعلم.

فصل ثم رجع عليه السلام إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة، كما دل عليه حديث جابر.

وقال ابن عمر: رجع فصلى الظهر بمنى.

رواهما مسلم كما تقدم قريبا.

ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة وبمنى والله أعلم.

وتوقف ابن حزم في هذا المقام فلم يجزم فيه بشئ، وهو معذور لتعارض النقلين الصحيحين فيه.

فالله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرات إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة.

رواه أبو داود منفردا به.

وهذا يدل على أن ذه١به عليه السلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال.

وهذا ينافي حديث ابن عمر قطعا وفي منافاته لحديث جابر نظر.

والله أعلم.

فصل وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة تواترت." [2]

"واختلف في مقدار عمره عليه السلام: فقدمنا في الحديث عن ابن

عباس وأبي هريرة مرفوعا: أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة.

وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود، إذا

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ابن كثير ٣/٤٦٩

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ابن كثير ٤/٣٨٧

خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم.

وأيضا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث ؛ فإن ما في التوراة إن (١) كان محفوظا – محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة [سنة] (٢) وثلاثون سنة شمسية، وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره، فيكون الجميع ألف سنة.

وقال عطاء الخراساني: لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام، رواه ابن عساكر.

فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش (٣) فقام بالأمر بعده، ثم بعده ولده قينن (٤) ثم من بعده ابنه مهلاييل – وهو الذى يزعم الاعاجم

---

(١) ا: إذا (٢) من ا.

(٣) ا: يانش.

(٤) ط: قاين.

(*)."[1]

"ويزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب [في (١)] السفينة – كان عمره ستمائة سنة.

وقدمنا عن ابن عباس مثله، وزاد: وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي هذا القول نظر.

ثم إن لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض.

فإن القرآن يقتضي أن نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.

ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك؟ فإن كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس – من أنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة – فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير والازرقي عن عبد الرحمن ابن سابط أو غسيره من التابعين مرسلا،

---

(١) قصص الأنبياء ابن كثير ٦٩/١

أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام.

وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر.

والله أعلم.

---

(١) من ا (٢) ا: سبعمائة.

(*)."(١)

"

[()] قوله: (لا تلعنوه)

في رواية الواقدي «لا تفعل يا عمر»

وهذا قد يتمسك به من يدعى اتحاد القصتين، وهو لما بينته من اختلاف الوقتين، **ويمكن الجمع** بأن ذلك وقع للنعيمان ولابن النعيمان وأن اسمه عبد الله ولقبه حمار، والله أعلم.

قوله: (فو الله ما علمت إنه يحب الله ورسوله)

كذا للأكثر بكسر الهمزة، ويجوز على رواية ابن السكن الفتح والكسر، وقال بعضهم الرواية بفتح الهمزة.

وفي هذا الحديث من الفوائد جواز التلقيب وقد تقدم القول فيه في كتاب الأدب، وهو محمول هنا على أنه كان لا يكرهه، أو أنه ذكر به على سبيل التعريف لكثرة من كان يسمى بعبد الله، أو أنه لما تكرر منه الإقدام على الفعل المذكور نسب إلى البلادة فأطلق عليه اسم من يتصف بها ليرتدع بذلك. وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه والأمر بالدعاء له. وفيه أن لا تنافى بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجوب ما صدر منه، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله، ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم أن نفى الايمان عن شارب الخمر لا يراد به زواله بالكلية بل نفى كماله كما تقدم، ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور، بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شيء حتى يسلب منه، نسأل الله العفو والعافية. وفيه ما يدل على نسخ الأمر الوارد بقتل شارب

---

(١) قصص الأنبياء ابن كثير ١١٩/١

الخمر إذا تكرر منه إلى الرابعة أو الخامسة، فقد ذكر ابن عبد البر أنه أتى به أكثر من خمسين مرة.
وله من طريق أخرى عن أبى هريرة، أخرجها عبد الرزاق، وأحمد، والترمذي تعليقا، والنسائي، كلهم من رواية سهيل بن أبى صالح، عن أبيه عنه بلفظ «إذا شربوا فاجلدوهم ثلاثا، فإذا شربوا الرابعة فاقتلوهم «وروى عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح فقال أبو بكر بن عياش عن أبى صالح عن أبى سعيد كذا أخرجه حبان من رواية عثمان بن أبى شيبة عن أبى بكر.
أخرجه الترمذي عن أبى كريب عنه فقال: «عن معاوية» بدل «أبى سعيد» وهو المحفوظ. وكذا أخرجه أبو داود من رواية أبان العطار عنه، وتابعه الثوري وشيبان بن عبد الرحمن وغيرهما عن عاصم، ولفظ الثوري عن عاصم «ثم إن شرب الرابعة فاضربوا عنقه»." (١)
"

[()] بد منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلا ثم نزع منى، ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلا، ثم رفع، ثم عاد أيضا، ثم رفع فصنع ذلك مرارا حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي. فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللت، فأخذت سقاءنا فشربت منه. فقلت: لا، والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، وأسلموا بعد ذلك.
وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووهبت نفسها له بغير مهر، فقبلها ودخل عليها، فلما رأى عليها كبرة طلقها.
وأخرج أبو موسى أيضا من وجه آخر عن الكلبي عن أبى صالح، عن ابن عباس- شبيهة بالقصة التي في الخبر المرسل، وحاصله أنه اختلف على الكلبي في سياق القصة، ويتحصل منها- إن كان ذلك محفوظا- أن قصة الدلو وقعت لأم شريك ثلاث مرات، قال ابن الأثير: استدل أبو نعيم بهذه القصة على أن العامرية هي الدوسية.
قلت: فعلى هذا يلزم منه أن تكون نسبتها إلى بنى عامر، من طريق المجاز، مع أنه يحتمل العكس بأن تكون قريشية عامرية، فتزوجت في دوس فنسبت إليهم.
وأخرج الحميدي في مسندة، من رواية مجالد، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: اعتدى عند أم شريك بنت أبى العكر،

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٤/١٠

وهذا يخالف ما تقدم أنها زوج أبى العكر، **ويمكن الجمع** بأن تكون كنية والدها وزوجها اتفقتا أو تصحفت بنت بالموحدة والنون من بيت بالموحدة والتحتانية، وبيت الرجل يطلق على زوجته، فتنفق الروايتان.

وجاء عن أم شريك ثلاثة أحاديث مسندة، ولم تنسب في بعضها، ونسب في بعضها مع اختلاف في الرواية في النسبة الأولى،

أخرجه مسلم في الفتن، والترمذي في المناقب، من رواية الزبير، عن جابر، عن أم شريك، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتفرق الناس من الدجال قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل.

وأخرج ابن ماجة من حديث أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الدجال، قال: ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

قالت أم شريك بنت أبى العكر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل، ذكره في حديث طويل.." (١)

"الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة الكذاب [(١)] . ترجم عليه قصة الأسود العنسي. ذكره في كتاب المغازي.

[(١)] (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٣٧٩) .

قوله: «قصة الأسود العنسي» بسكون النون، وحكى ابن التين جواز فتحها ولم أر له في ذلك سلفا.

قوله: «حدثنا سعيد بن محمد الجرمي» بفتح الجيم وسكون الراء، كوفي ثقة مكثر، ويعقوب بن إبراهيم هو ابن سعد الزهري، وصالح هو ابن كيسان.

قوله: «عن ابن عبيدة بن نشيط» بفتح النون وكسر الشين المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة.

قوله: «وكان في موضع آخر اسمه عبد الله» أراد بهذا أن ينبه على أن المبهم هو عبد الله بن عبيدة لا أخوه موسى، وموسى ضعيف جدا وأخوه عبد الله ثقة، وكان عبد الله أكبر من موسى بثمانين سنة. وفي هذا الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق: صالح بن كيسان وعبد الله بن عبيدة وعبيد الله بن عبد الله وهو ابن عتبة ابن مسعود. وساق البخاري عنه الحديث مرسلا. وقد ذكره في الباب الذي قبله موصلا لكن من رواية نافع بن جبير عن ابن عباس.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٠/٢٠٠

قوله: «في دار بنت الحارث وكان تحته ابنة الحارث بن كريز» وهي أم عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، والذي وقع هنا أنها أم عبد الله بن عامر، قيل: الصواب أم أولاد عبد الله بن عامر لأنها زوجته لا أمه، فإن أم ابن عامر ليلى بنت أبي حثمة العدوية. وهو اعتراض متجه. ولعله كان فيه أن عبد الله بن عبد الله بن عامر فإن لعبد الله بن عامر ولدا اسمه عبد الله كاسم أبيه، وهو من بنت الحارث واسمها كيسة بتشديد التحتانية بعدها مهملة وهي بنت عبد الله بن عامر بن كريز تحت مسيلمة الكذاب، وإذا ثبت ذلك ظهر السر في نزول مسيلمة وقومه عليها لكونها كانت امرأته وأما ما وقع عند ابن إسحاق أنهم نزلوا بدار بنت الحارث وذكر غيره أن اسمها رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد وهي من الأنصار ثم من بني النجار ولها صحبة وتكنى أم ثابت، وكانت زوج معاذ بن عفراء الصحابي المشهور، فكلام ابن سعد يدل على أن دارها كانت معدة لنزول الوفود، فإنه ذكر في وفد بني محارب وبني كلاب وبني تغلب وغيرهم أنهم نزلوا في دار بنت الحارث، وكذا ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة حبسوا في دار بنت الحارث وتعقب السهيلي موقع عند ابن إسحاق في قصة مسيلمة بأن الصواب بنت الحارث، وهو تعقب صحيح إلا أنه **يمكن الجمع** بأن يكون وفد بني حنيفة نزلوا بدار بنت الحارث كسائر الوفود ومسيلمة وحده نزل بدار زوجته بنت الحارث." (١)

"وأنا نائم [(١)] بنمط من ديباج فيه كتاب [(٢)] ، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(٣)] قال: فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(٣)] ، فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(٣)] ، قال: فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا [لأفتدي] [(٤)] منه أن يعود لي بمثل ما صنع في، قال: اقرأ باسم [(٥)] ربك

[(١)] ليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة، لأنها قالت في أول الحديث: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح: ثم حبب الله إليه الخلاء- إلى قولها- حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه جبريل» .

فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وقد

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٤/٥٣٤

يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل، فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة، سيأتي شرحها مفصلا. (المرجع السابق)

:

هامش ص ٧٠.

[(٢)] فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم، وبه أيضا ينال ملك الآخرة، ولباس الجنة، وهو الحرير والديباج. (المرجع السابق)

هامش ص ٧١.

[(٣)]

قوله: «ما أنا بقارئ»

- على إحدى الروايات- أني أمي فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثا، فقيل له:

اقرأ باسم ربك، أي: إنك لا تقرءوه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك، مستعينا به، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم، ومغمز الشيطان بعد ما خلق فيك، كما خلقه في كل إنسان.

أما على رواية

«ما أقرأ» ،

يحتمل أن تكون «ما» استفهاما، يريد أي شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيا، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما تقدم من قوله: «ما أنا بقارئ» . (المرجع السابق) .

[(٤)] في رواية ابن إسحاق: «ما أقول ذلك إلا افتداء منه» .

[(٥)] في قوله: اقرأ باسم ربك من الفقه: وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح، حتى جاء البيان بعد في قوله: بسم الله مجراها [الآية ٤١/

هود] ، ثم قوله تعالى: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم [الآية ٣٠/ النمل] ، ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، على بعض الآراء. (المرجع السابق) .." (١)

"ينتهوا إلى حملة العرش، فيقولون لهم: مم سبحتم؟ فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا- للأمر الذي كان- فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم فيخطئوا ويصيبوا، فيتحدث به الكهان فيصيبوا بعضا ويخطئوا بعضا، ثم إن الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم ولا كهانة [(١)] .

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن ابن لبينة، عن علي بن الحسين، بمثل حديث شهاب عنه، وقد روى هذا الحديث [عبد] الرزاق عن معمر عن الزهري وقال في آخره: قال: فقلت للزهري:

أو كان يرمى به في الجاهلية؟ فقال: نعم، قلت: يقول الله تعالى: وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، قال: غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم.

قال البيهقي: وهذا يوافق ظاهر الكتاب لأنه قال خبرا عن الجن: وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا، فأخبرت الجن أنه زيد في حراس السماء وشهبها، حتى امتلأت منها، وفي ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حراس وشهب معدة معهم، والشهاب في (لسان العرب) [(٢)] النار المتوقدة.

ثم ذكر الحديث البخاري ومسلم والترمذي، من طريق أبي عوانة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم [(٣)] ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق

[(١)] (دلائل البيهقي) : ٢/ ٢٣٥- ٢٣٦، باب بيان الوجه الذي كان يخرج قول الكهان عليه حقا، ثم بيان أن ذلك انقطع بظهور نبينا صلى الله عليه وسلم أو انقطع أكثره.

[(٢)] (لسان العرب) : ١/ ٥١٠.

[(٣)] قال النووي: لكن ابن مسعود أثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن: فكأن ذلك كان مقدما على نفي ابن عباس، وقد أشار إلى ذلك مسلم، فأخرج في (الصحيح) في كتاب الصلاة، حديث

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٥/٣

رقم (٤٥٠) عقب حديث ابن عباس

هذا حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرأت عليه القرآن.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بالتعدد. قال العلماء هما قضيتان، وحديث ابن عباس في أول الأمر، وأول النبوة، ثم أتوا وسمعوا قل أوحي.." (١)

"يصبغ ثيابه بالزعفران، فقيل له، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ به، ورأيته يحبه، أو رأيته أحب الصبغ إليه.

قال ابن عبد البر: وقد روى أنه كان يخضب، وليس بقوى، - والصحيح أنه لم يخضب، ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له، وعارض من ذهب إلى أنه صلى الله عليه وسلم اختضب بحديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس [رضى الله عنه قال] : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتزعفر الرجل أو ما في معنى ذلك من الأحاديث، وبأنه اختلفت الرواية عن أنس.

فخرج الترمذي من حديث عمرو بن عاصم قال: أخبرنا حماد بن سلمة، حدثنا حميد عن أنس قال: رأيت شعر النبي صلى الله عليه وسلم مخضوبا [(١)] .

[(١)] (الشمائل المحمدية) : ٦٢، باب ما جاء في خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٤٨) . (٤٩)

كلاهما عن أنس بن مالك، والحديث الأول صحيح، والثاني إسناده حسن، وظاهر الحديث يخالف المشهور مِن حديث أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخضب، والجمع بين هذه الأحاديث بحمل الخضاب هنا على تغير لون الشعر من الطيب ونحوه، لا على الخضاب بالحناء، كما جاء في (طبقات ابن سعد) :

١/ ٤٣٦، من حديث ربيعة بن أبى عبد الرحمن، قال: رأست شعرا من شعره يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لي: احمر من الطيب، ونحو هذا ما رواه الحاكم في (المستدرك) :

٢/ ٦٦٣- ٦٦٤، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢٠١) ، وقال في

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٥/٩

(التلخيص) : صحيح، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه: وإنما هذا الذي لون من الطيب الذي كان يطيب شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا الجمع لطرق حديث أنس أولى من الحكم على حديث حميد وابن عقيل بالشذوذ، لأن إعمال الحديث أولى من إهماله. وبذلك تتفق الروايات عن أنس.

ولكن يشكل على هذا الجمع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يخضب، كما في حديث أم سلمة، وأبي رمثة، وغيرهما، والجواب على هذا: أن المثبت مقدم على النافي، لأن معه زيادة علم، والزيادة من الثقة مقبولة.

ويمكن الجمع بما قاله النووي رحمه الله: والمختار أنه صلى الله عليه وسلم خضب في وقت، دل عليه حديث ابن عمر في الصحيحين، وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق، والله تعالى أعلم.." (١)

"ولعبد الرزاق من حديث معمر، عن أيوب وخالد، عن أبي قلابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فروا من المجذوم فراركم من الأسد. وفي رواية له: فروا من الأجذم كما تفرون من الأسد.

ولمسلم من حديث يعلى بن عطاء، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال:

كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم، أنا قد بايعناك، فارجع [(١)] .

وخرجه النسائي.

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع، عن عبد الله بن سعيد، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدنوا النظر إلى المجذومين [(٢)] .

وخرجه أبو بشر الدولابي، من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن محمد بن عبد الله، عن أمه فاطمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نديم النظر إلى المجذومين، قال: لا تديموا إليهم

[()] قال: ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين، وفعله حقيقة الإيمان، فمن فعل الأول أصاب السنة وهي أثر الحكمة، ومن فعل الثاني كان أقوى يقينا، لأن

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٧/٧٣

الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره، كما قال تعالى: وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، فمن كان قوى اليقين فله أن يتابعه صلى الله عليه وسلم في فعله ولا يضره شيء، ومن وجد في نفسه ضعفا فليتبع أمره في الفرار، لئلا يدخل بفعله في إلقاء نفسه إلى التهلكة.

واستدل بالأمر بالفرار من المجذوم لإثبات الخيار للزوجين في فسخ النكاح، إذا وجده أحدهما بالآخر، وهو قول جمهور العلماء، واختلف في أمة الأجذم: هل يجوز لها أن تمنع نفسها من استمتاعه إذا أرادها؟ واختلف العلماء في المجذومين إذا كثروا، هل يمنعون من المساجد والمجامع؟ وهل يتخذ لهم مكان منفرد عن الأصحاء؟ ولم يختلفوا في النادر أنه لا يمنع، ولا في شهود الجمعة (فتح الباري) : ١٠/ ١٩٦- ٢٠٠ مختصرا.

[(١)] راجع التعليق السابق والتالي والذي بعده.

[(٢)] راجع التعليق السابق والتالي والذي بعده.." (١)

"

[()] المال فيما ذكره العسكرى، لكنه ذكر في موضع آخر أن عمر كان على بيت المال من قبل أبى بكر، فيكون أبو بكر قد سبقه إلى ذلك.

وفي ترجمة أبى بكر من (تاريخ الخلفاء) للسيوطي في فصل أولياته: ومنها أنه أول من اتخذ بيت المال، أخرج ابن سعد عن سهل بن أبى خيثمة وغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسنح، ليس يحرسة أحد، فقيل له: ألا تجعل عليه من يحرسه؟ قال عليه قفل، فكان يعطى ما فيه حتى يفرغ، فلما انتقل إلى المدينة حوله فجعله في داره، فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوى بين الناس في القسم، وكان يشترى الإبل، والخيل، والسلاح، فيجعله في سبيل الله، واشترى قطائف أتى بها من المدائن ففرقها في أرامل المدينة.

فلما توفى أبو بكر ودفن، دعا عمر الأمناء ودخل بهنم في بيت أبى بكر، منهم عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا، لا دينار ا، ولا درهما.

وبهذا الأثر يرد قول أبى هلال العسكري في (الأوائل) : إن أول من اتخذ بيت المال عمر، وقد رددت عليه في كتابي الذي صنفته في (الأوائل) ، ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال إن أول من ولى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبى بكر **ويمكن الجمع** بأن أبا بكر أول من اتخذ بيت المال من

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٧/٨

غير إحصاء ولا تدوين، وعمر أول من دون مثلا.
وفي (الكامل في التاريخ) لابن الأثير: وفي سنة (١٥) من الهجرة فرض عمر الفروض ودون الدواوين، وأعطى العطايا.
وفي (الأحكام السلطانية) للماوردى أقوال في السبب الذي حمل عمر على ذلك، منها:
أن أبا هريرة قدم إليه بمال من البحرين فقال عمر: ماذا جئت به؟ قال: خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر، وقال أتدري ما تقول؟ فقال؟ نعم مائة ألف خمس مرات، فصعد عمر المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلناه لكم كيلا. وإن شئتم عددناه لكم عدا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون لهم ديوانا، فدون أنت ديوانا، فاستشار عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه الناس في تدوين الديوان، فقال عثمان:
أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا، حتى يعلم من أخذ ممن لم يأخذ خشية أن ينتشر الأمر. -." (١)

"فأضيف إليهما بناؤه. قال: وقد ينسب هذا المسجد الأقصى إلى إيلياء، فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ولست أحقق لم أضيف إليه.
قال الحافظ: الاحتمال الذي ذكره أولا موجه. وقد رأيت لغيره إن أول من أسس المسجد الأقصى آدم صلى الله عليه وسلم. وقيل: الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقيل: سام بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل: يعقوب صلى الله عليه وسلم فعلى الأولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديدا كما وقع في الكعبة. وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم صلى الله عليه وسلم أو يعقوب صلى الله عليه وسلم أصلا وتأسيسا، ومن داود صلى الله عليه وسلم تجديدا لذلك أو ابتداء بناء، فلم يكمل على يديه حتى كمله سليمان. لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أوجه. وقد وجدت ما يشهد له. ويؤيده قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين.
وذكر ابن هشام [(١)] في كتاب التيجان أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله تعالى بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه. وبناء آدم البيت مشهور.
وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجدا وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته. وأما ظن الخطابي أن إيلياء اسم رجل ففيه نظر، بل هو اسم البلد فأضيف إليه المسجد كما يقال

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٤١/٩

مسجد المدينة ومسجد مكة. وقال أبو عبيد البكري في معجم البلدان إن إيلياء مدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات: مد آخره. وقصره. وحذف الياء الأولى.

وعلى ما قاله الخطابي **يمكن الجمع** بأن يقال إنها سميت باسم بانيها كغيرها.

[(١)] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه «السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله «القصائد الحميرية» في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و «التيجان في ملوك حمير» رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و «شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب» وغير ذلك. توفي ٣١٢ هـ.

الأعلام ٤/ ١٦٦.." (١)

"التاسعة والأربعون:

وبأن الصلاة على الجنازة، في حقه صلى الله عليه وسلم فرض عين كما يؤخذ من قول بعض الحنفية أن في عهده لا يسقط فرض الجنازة إلا بصلاته.

الخمسون:

وبوجوب حفظ أقوال المسلمين. قاله أبو سعيد النيسابوري في «الشرف» .

النوع الثاني من الواجبات فيما يتعلق بالنكاح وفيه مسألة واحدة

خص صلى الله عليه وسلم بتخيير بعض نسائه في فراقه واختياره على الصحيح، قال الله- سبحانه وتعالى- : يا أيها النبي، قل لأزواجك: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا [الأحزاب/ ٢٨] الآية، والأمر في ذلك للوجوب، ولا يجب ذلك على غيره. وسبب نزول هذه الآية قد اختلف فيه، فقيل: إن أزواجه سألنه النفقة وطلبن منه ما لا يقدر عليه صلى الله عليه وسلم، كما

في حديث مسلم من حديث جابر- رضي الله تعالى عنه- قال: دخل أبو بكر وعمر- رضي الله تعالى عنهما- على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله نساؤه يسألنه وهو ساكت فقال عمر- رضي الله تعالى

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١/١٤٥

عنه-: لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة ليضربها كلاهما يقولان: تسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟ وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال: إني ذاكر لك أمرا، فأحب أن لا تعجلي منه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو؟ فتلا عليها: يا أيها النبي، قل لأزواجك: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها [الأحزاب/ ٢٨] الآية، قالت عائشة: أفيك استأمر أبوي بل أختار الله ورسوله.

ولا مخالفة بين هذا الحديث وما

في صحيح البخاري عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أنه سأل عمر بن الخطاب عن قصة المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة مؤاخذته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة، دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة: يا رسول الله، إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علي شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين، أعدها عدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين، قالت عائشة- رضي الله تعالى عنها-: ثم نزلت بعد آية التخيير» .

الحديث. لأنه **يمكن الجمع**، كما قال الحافظ: بأن تكون القصتان جميعا سبب الاعتزال، والاعتزال سبب التخيير.

فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهما، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة، وهو مفهوم من سياق الحديث.." (١)

"إبليس أن يظهر بصورة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن إبليس اللعين قد تراءى لكثيرين وخاطبهم بأنه الحق طلبا لإضلالهم، وقد أضل جماعة بمثل هذا- حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه.

فالجواب من وجهين أحدهما: أن كل عاقل يعلم أن الحق- سبحانه وتعالى- ليست له صورة معينة توجب الاشتباه بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه ذو صورة معينة معلومة مشهورة.

والثاني: أن مقتضى حكم الله تعالى أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤٠٦/١٠

فإنه متصف بصفة الهداية، وظاهر بصورتها فوجب عصمة صورة النبي صلى الله عليه وسلم من أن يظهر بها شيطان لبقاء الاعتماد، وظهور حكم الهداية فيمن شاء الله هداية به صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: المراد

بقوله «من رآني في المنام فقد رآني»

أن رؤياه صحيحة، لا تكون أضغاثا، ولا تكون من تشبيهات الشيطان قال: ويعضده قوله في بعض طرقه «فقد رأى الحق» وفي قوله «فإن الشيطان لا يتمثل بي» إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثا.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون معنى الحديث إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته لا على صفة مضادة لحاله فإن رآه على غيرها كانت تأويلا لا رؤيا حقيقية، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ومنها ما يحتاج إلى تأويل.

قال النووي وهذا الذي قاله ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازري قال الحافظ: وهذا الذي رده النووي روى عن ابن سرين أمام المعبرين اعتباره فقد روى: إسماعيل بن إسحاق بسند صحيح عن أيوب قال كان محمد- يعني- ابن سيرين إذا قص رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف الذي رأيته فإن وصف له صبغة لم يعرفها قال لم تره والذي قاله القاضي توسط حسن **ويمكن الجمع** بينه وبين ما قاله المازري، بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير، وإن كان على غير صورته كان النقص من جهة الرأي لتخيله الصفة على غير ما هي عليه ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى التعبير وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المرئية وإلا فلا يقبل منه.

قال الحافظ: وذهب الشيخ ابن أبي جمرة إلى ما اختاره النووي فقال بعد أن حكى الخلاف، ومنهم من قال إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلا فمن رآه في صورة حسنة فذلك حسن، في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص، فذلك خلل في الرائي من الدين، قال: وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أولا لأنه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة." (١)

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤٦١/١٠

"الثاني:

وقع في زيادات المسند لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل [(١)] ، عن علي رضي الله تعالى عنه: أبيض شديد الوضح.

وفي حديث أبي هريرة عند البزار ويعقوب بن سفيان بسند قوي: كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض. وهذا مخالف لقول أنس أول الباب: وليس بالأمهق. ولرواية مسلم عنه: أبيض مشربا بحمرة: وهما أصح منهما. ويمكن الجمع بحمل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يلقى الشمس.

الثالث: وقع عند أبي زيد المروزي أحد رواة الصحيح عن أنس: أمهق ليس بالأبيض واعترض الداودي الشارح هذه الرواية. وقال القاضي إنها وهم. وقال: لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدم. قال الحافظ: وهذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم الشديد الأدمة وإنما يخالط بياضه الحمرة. والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر.

ولهذا جاء في حديث أنس أي السابق: كان صلى الله عليه وسلم أسمر.

قال الحافظ: وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزي: «أمهق ليس بالأبيض» مقلوبة على انه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته. فقد نقل عن رؤبة أن المهق خضرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء في عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

الرابع: نقل القاضي عن أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون رحمهما الله تعالى أن من قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أسود. يقتل. انتهى.

قال بعضهم: وهذا يقتضي أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل. وليس كذلك، بل لا بد من ضميمة ما تشعر بنقص كما في مسألتنا هذه فإن السواد مفصول.

الخامس: في بيان غريب ما سبق: الأزهر: الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أي ليس بالشديد البياض.

الآدم: الشديد السمرة.

الأمهق: الشديد البياض الذي لا يخالطه شيء من الحمرة وليس بنير كلون الجص أو نحوه.

[(١)] عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الرحمن، ولد الإمام، ثقة، من الثانية عشرة مات سنة تسعين، وله بضع وسبعون [انظر التقريب ١/ ٤٠١.]." (١)

"وروى ابن عساكر من طرق عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون الحاجبين.

ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم كان أولا بغير قرن أو من جهة الرائي من قرب ومن بعد، وبأنه لم يكن بالأقرن حقيقة ولا بالأزج حقيقة بل كان بين الحاجبين فرجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها.

كما ذكر في صفة انفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال: يحسبه من لم يتأمله أشم ولم يكن أشم.

الثاني: في بيان غريب ما سبق.

مفاض الجبين- بميم مضمومة ففاء فألف فضاد معجمة مخففة أي واسعة، يقال درع مفاضة أي واسعة.

الجبين ما فوق الصدغ. والصدغ ما بين العين إلى الأذن، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة.

الزجج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد. قاله في النهاية. وقال غيره:

الزجج دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس.

سوابغ- حال من المجرور وهو الحواجب جمع سابغ وهو التام الطويل أي أنها دقت في حال سبوغها. وضع الحواجب موضع الحاجبين لأن التثنية جمع.

القرن- بالتحريك: اتصال شعر الحاجبين.

يدره- بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه: أي يحركه ويظهره، كان صلى الله عليه وسلم إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما كما يمتلئ الضرع لبنا إذا در فيظهر ويرتفع.

الصلت الجبين: أي واسعة، وقيل الصلت الأملس وقيل البارز. والله أعلم.." (٢)

"الباب الثالث والعشرون في معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تقرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم

وهم: آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم. ذكره صاحب «استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف» .

وإبراهيم نبي الله ورسوله وخليله صلى الله عليه وسلم: جاء في غير ما حديث صحيح أنه كان يشبهه صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٣/٢

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢٢/٢

الله عليه وسلم.

ومن أمته: أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين ابنا علي رضي الله تعالى عنهم.

روى البخاري عن ابن سيرين عن أنس قال: كان الحسن بن علي أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البخاري أيضا عن الزهري عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسين بن علي. وفي لفظ لغيره: كان أشبههم وجها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ: قوله أشبههم أي أشبه أهل البيت. وقول أنس في رواية ابن سيرين يعارض قوله في رواية الزهري. **ويمكن الجمع** بأن يكون أنس قال ما قال في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه كان يومئذ أشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين. وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه والمراد: من فضل عليه الحسين في الشبه كان من عبد الحسن. ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به في بعض أعضائه فقد

روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال: الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك.

وفي رواية عن أنس: كان الحسن أشبههم وجها.

وهو يؤيد حديث علي انتهى.

وأم الحسن، السيدة فاطمة الزهراء أمهما رضي الله تعالى عنهم.

وأخوها إبراهيم ابن سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم.

روى الخرائطي في «اعتلال القلوب» عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية وهي حامل منه بإبراهيم فذكر حديثا فيه أن جبريل صلى الله عليه وسلم بشره أنه أشبه الخلق به.

وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال له: أشبهت خلقي وخلقي [(١)] .

[(١)] أخرجه البخاري ٣/ ٢٤٢ والترمذي (٣٧٦٥) وأحمد في المسند ١/ ٩٨ والبيهقي في السنن ٨/ ٥ والحاكم ٣/ ١٢٠ وعبد الرزاق (٢٠٣٩٤) .." [(١)]

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢/١١٥

"فقيل: كان ابن خمس وثلاثين. وقدمه في «الإشارة» .

وحكى الأزرقي قولا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بنيت الكعبة كان غلاما.

قال الحافظ: ولعل عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وكذا رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه. والذي جزم به ابن إسحاق أن بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين. قال الحافظ: وهو أشهر قال: **ويمكن الجمع** بينهما بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء. وقيل: ابن خمس وعشرين، وغلط قائله.

الثاني: في بيان غريب ما سبق.

تجمرها [(١)] : بضم المثناة الفوقية وإسكان الجيم وكسر الميم يقال أجمر وجمر لغتان، أي تبخرها.

شرارة: واحدة الشرار وهو ما يتطاير من النار. وكذا واحدة الشرر: شررة. المجمرة: بفتح الميم الأولى.

دويك: تصغير ديك. مليح: بضم الميم وفتح اللام وبالحاء المهملة.

باقوم بباء موحدة فقاف فواو.

العتلة: الهرواة الغليظة. تنقضت: بمثناة فوقية فنون مفتوحتين فقاف فضاد معجمة.

ساقطة: أي اهتزت.

مرسى السفينة: مكان وقوفها بالبر.

الرضم: الحجارة يجعل بعضها على بعض. تشرق: بمثناة فوقية فشين معجمة فراء مفتوحات فقاف، أي تبرز للشمس.

اخزألت [(٢)] بخاء معجمة فزاي فهمزة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيث أي رفعت ذنبها والمخزئل: المرتفع.

كشت [(٣)] : صوتت. ويقال: الكشيش صوت جلدها.

البغي: الفاجرة.

[(١)] انظر المصباح المنير ١٠٨، ومختار الصحاح ١٠٧.

[(٢)] لسان العرب ٢/ ٨٥٩.

[(٣)] لسان العرب ٤/ ٣٨٨١.." (١)

"الخامس: قوله: فرأى بمكة أن آت أتاه. الخ قال السهيلي رحمه الله تعالى: ليس ذكر النوم حديث عائشة، بل يدل ظاهرة على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ قد كان في اليقظة وقد **يمكن الجمع** بين الحديثين بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا الفرض ويصححه.

قال في «الزهر» : والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا شأنهم، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله: وقد يمكن الخ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها. وبسط الكلام على ذلك.

السادس: قال السهيلي: في كون الكتاب في نمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم وبه ينال أيضا ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

السابع: يؤخذ من قول عائشة رضي الله تعالى عنها: «فجاءه الملك فيه» -كما في كتاب التعبير من الصحيح- أي في الغار، دفع توهم من يظن أن الملك لم يدخل إليه الغار بل كلمه والنبي صلى الله عليه وسلم داخل الغار والملك خارجه على الباب.

قال الحافظ: وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبئ في شهر رمضان. ويعكر على قول ابن إسحاق أنه بعث على رأس الأربعين مع قوله: إنه ولد في شهر ربيع. ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولا في شهر رمضان وحينئذ نبيء وأنزل عليه: اقرأ باسم ربك [العلق ١] ثم كان المجيء الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه: يا أيها المدثر قم فأنذر [المدثر: ١] فيحمل قول ابن إسحاق: على رأس الأربعين: أي عند المجيء بالرسالة.

الثامن: فإن قيل: لم كرر: «أقرأ» ثلاث مرات؟

أجاب الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى بأنه يحتمل أن يكون قوله أولا:

«ما أنا بقارئ»

على الامتناع، وثانيا على الإخبار بالنفي المحض، وثالثا على الاستفهام. ويؤيده أن في رواية أبي الأسود

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢/١٧٣

في مغازيه عن عروة إنه قال: كيف أقرأ. وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا أقرأ. وفي مرسل الزهري عند البيهقي كيف أقرأ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية.

وقال الحافظ: لعل الحكمة في تكرير «اقرأ» الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية، وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد والأحكام والقصص.." (١)

"وفي حديث ابن الصامت فقال أبو بكر: يا رسول الله ايذن لي في طعامه الليلة. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلت بها. ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني وجهت لي أرض ذات نخل ولا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟

قال: فأتيت أنيسا فقال ما صنعت؟ قلت: قد أسلمت وصدقت. فقال: ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت. فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا. فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله» .

تنبيهات

الأول: قال الحافظ: قول أبي ذر لأخيه: ما شفيتني مغاير في الظاهر لما في حديث ابن الصامت. **ويمكن الجمع** بأنه أراد منه أن يأتيه بتفاصيل من كلامه وأخباره فلم يأته إلا بمجمل.

وفي حديث ابن عباس أن لقياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي، وفي حديث ابن الصامت أن أبا ذر لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر في الطواف بالليل، كما هو مذكور في القصة، وأكثره يغاير ما في حديث ابن عباس هذا عن أبي ذر، ويمكن التوافق بينهما بأنه لقيه أولا مع علي ثم لقيه في الطواف، أو بالعكس، وحفظ كل منهما ما لم يحفظ الآخر.

الثاني: قال في المفهم: في التوفيق بين الروايتين تكلف شديد لا سيما أن في حديث عبد الله بن الصامت أن أبا ذر أقام ثلاثين لا زاد له. وفي حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة ماء إلى غير ذلك.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢/٢٣٩

قال الحافظ: ويحتمل الجمع بأن المراد بالزاد في حديث ابن عباس ما تزوده لما خرج من أرض قومه. ففرغ لما أقام بمكة. والقربة التي كانت معه كان فيها الماء حال السفر، فلما أقام بمكة لم يحتج إلى ملئها ولم يطرحها. ويؤيده أنه وقع في رواية أبي قتيبة عند البخاري:

فجعلت لا أعرفه- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد.

الثالث: في بيان غريب ما سبق." (١)

"وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح الذي يحيا به البدن: قل لهم الروح من أمر ربي أي علمه لا تعلمونه. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا بالنسبة إلى علمه تعالى.

وكلام ابن إسحاق يدل على أن هذه الآية مكية. ورواه الترمذي عن ابن عباس، ورجاله رجال مسلم.

وفي الصحيحين أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأن يتعدد النزول ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح.

قال ابن إسحاق: فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيب حين سألوه عنه، حال الحسد منهم له بينهم فقال قائلهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه أي اجعلوه لغوا باطلا وهزؤا لعلكم تغلبون بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم بذلك.

فقال أبو جهل يوما، هو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أتى به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد إنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم الناس عددا وكثرة، فيعجز كل مائة منكم عن رجل منهم؟

فانزل الله تعالى في ذلك: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة فلا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ضلالا للذين كفروا بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أي اليهود صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانا تصديقا لموافقة ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم. ولا يرتاب يشك الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون من غيرهم في عدد الملائكة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك بالمدينة والكافرون

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣١٦/٢

بمكة ماذا أراد الله بهذا العدد مثلا سموه مثلا لغرابته وأغرب حالا.
كذلك أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء، وما يعلم جنود ربك أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم إلا هو سبحانه وتعالى.

تنبيه في بيان غريب ما سبق:
النضر: بنون وضاد معجمة.
مكث: مرفوع فاعل أحزن.." (١)
"عبد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي الزهري [(١)] .
عبد الله بن عبد أسد بن هلال القرشي المخزومي، أبو سلمة، هاجر الهجرتين، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة هو وامرأته.
عبد الله بن عرفطة- بضم العين وإسكان الراء ففاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة.
عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري. ذكره فيهم ابن إسحاق. قال أبو عمر:
ليس كذلك ولكنه خرج في طائفة من قومه من أرضهم باليمن يريد المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر.
قلت: وقد روى البيهقي وغيره بسند صحيح عن أبي موسى في حديث الهجرة إلى الحبشة وفيه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة. فذكر الحديث.
قال البيهقي: وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة.
والصحيح ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، الحديث.
وقال الحافظ في الفتح: ويؤيد ما ذكره ابن إسحاق ما رواه الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري. فذكر الحديث.
وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٥٠/٢

قاصدين النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحضروا مع جعفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر.

ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولا إلى مكة فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع من بعث إلى الحبشة فتوجه هو إلى بلاد قومه وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحققوا استقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة.

فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار. فليعتمد والله أعلم.

[(١)] عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري وهو الذي قبله وهو جد الزهري من قبل أمه ... وكان من السابقين ذكره الزهري والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل هجرة المدينة. [الإصابة ٤/ ٨٥] .." [١]

"كما تقدم وأخبار مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها. فمن المقيدة ما رواه مسلم عن أبي العالية في قوله تعالى: ما كذب الفؤاد ما رأى [النجم: ١١] ، ولقد رآه نزلة أخرى [النجم: ١٣] ، قال: «رآه بفؤاده مرتين» . وروى أيضا عن طريق عطاء عنه قال: «رآه بقلبه» . وروى ابن مردويه من طريق عطاء عنه أيضا في الآية قال: «لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه» . وروى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الآية قال: «رآه بقلبه ولم يره بعينه» .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيد عن محمد بن كعب القرظي- بالظاء المعجمة المشالة وبالتحتية-

قال ابن جرير عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: لم أره بعيني، رأيته بفؤادي مرتين»

ثم تلا ثم دنا فتدلى [النجم: ٨] وموسى ضعيف.

الثاني: قال الحافظ: المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام. بل مراد من أنه أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، زاد صاحب السراج: «بخلاف غيره من الأولياء، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢/٤٠٢

والمشاهدة لأنفسهم، فإنهم إنما يريدون «المعرفة» فاعلمه، فإنه من الأمور المهمة التي يغلط فيها كثير من الناس» . انتهى. والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين. قال الواحدي: «وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين» .

الثالث: على هذه الآثار المقيدة عن ابن عباس **يمكن الجمع** بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباتها على رؤية القلب.

الرابع:

قال ابن كثير: [فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ربي عز وجل،

فإنه حديث إسناده صحيح. على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس.

الخامس: قال ابن كثير: من روى عن ابن عباس أنه رآه ببصره فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة. وقول البغوي: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر. قلت: سبق البغوي إلى ذلك الإمام أبو الحسن الواحدي وقول ابن كثير: أنه لم يصح في ذلك شيء عن الصحابة فليس بجيد، قال: فقد روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس إنه كان يقول: نظر محمد إلى ربه مرتين: مرة ببصره ومرة بفؤاده.." (١)

"لم يقع الاقتصار في الآية على حكاية وتله للجبين [الصافات: ١٠٣] ولكان ذكر الذبح أوقع في الابتلاء ولسقطت فائدة الفداء. فبطل ما قالوه، وتعين القول بجواز النسخ قبل التمكن بدليل وقوعه في قصة الذبيح، فلا يمكنهم ترديد مثلها في قصة الإسراء إذ لا خفاء بأنه صلى الله عليه وسلم أمر في حق الأمة بخمسين صلاة ثم نسخ ما نسخ قبل أن يدخل وقت الصلاة فضلا عن أن يمضي زمان يسعها.

قال شيخنا السهيلي: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس. وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا؟ على قولين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣/٦٣

فقال قوم: هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين: أحدهما: البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل لها لأن ذلك عنده من البداء، والبداء محال على الله سبحانه.

الثاني: أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض وهبوطها إلى المخاطبين ... إنما هي شفاعة شفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا» .

أما مذهب أبي جعفر النحاس في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وأن ذلك بداء فليس بصحيح لأن حقيقة البداء أن يبدو للآمر رأي يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه، وهذا محال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم. وليس النسخ من هذا في شيء، إنما النسخ تبديل حكم بحكم، والكل سابق في علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك، وأيضا بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات:

الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجبا، فإن نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان: العزم، واعتقاد الوجوب، وعلم الله تعالى ذلك منه علم مشاهدة. فصح امتحانه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته والذي لا يجوز إنما هو نسخ الأمر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به. والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ليس هو حقيقة النسخ لأن العبادة المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها. وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأمته. أحد وجهين إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها، ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب. وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ما وجب." (١)

"قتله كالزنديق. قال القاضي: «وبقول مالك قال أحمد، وجماعة من الصحابة والتابعين» . انتهى. وإلى ذلك جنح البخاري.

الرابع: قال الحافظ: «أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين: إما لتميز ما فيه من كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع/ فيه. فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء معرفة مجردة لا تستلزم منعا، كمن يعرف عبادة أهل الأوثان، لأن كيفية ما يعرفه الساحر إنما هي حكاية

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣/١٥١

قول وفعل، بخلاف تعاطيه والعمل به. وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا، وإلا جاز للمعنى المذكور، ولهذا مزيد بسط يأتي إن شاء الله في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم.

الخامس: لبيد- بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم مهملة- ابن الأعصم بوزن أحمر بمهملتين- وصف في رواية بأنه من يهود بني زريق. وفي رواية [أخرى] بأنه رجل من بني زريق حليف يهود، وكان منافقا. ويجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقا نظر إلى ظاهر أمره. قال أبو الفرج: وهذا يدل على أنه أسلم نفاقا وهو واضح.

السادس: في مدة مكثه صلى الله عليه وسلم مسحورا: وقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم مكث أربعين ليلة. وفي رواية وهيب عن هشام عند الإمام أحمد ستة أشهر.

ويمكن الجمع بينهما بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوما من استحكامه.

قال السهيلي: لم أقف على شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها من السحر، حتى ظفرت به في جامع معمر [ابن راشد] عن الزهري قال: «سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة [يخيل إليه أنه يفعل الفعل ولا يفعله] . وقد وجدناه موصولا بإسناد صحيح فهو المعتمد.

السابع: قوله: «فدعا الله عز وجل ثم دعا الله عز وجل» : قال الإمام النووي: «فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره وحسن الالتجاء إلى الله تعالى في رفع ذلك» . قال الحافظ: «سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه، واحتسب الأجر في صبره على بلائه. ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعف عن عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء. وكل من المقامين غاية «في الكمال» .

الثامن: وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل عليا وعمارا لاستخراج السحر. وفي رواية عائشة في الصحيح: أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى البئر مع جماعة. وعند." (١)

"قلت: رواه ابن سعد وابن قانع. انتهى.

وفي رواية ابن وهب: فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، كنت نهيتنا عن التطير، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما تطيرت، ولكن آثرت الاسم الحسن» ،

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤١٣/٣

أو كما قال صلى الله عليه وسلم [(١)] .

الرابع: وقع في صحيح مسلم عن أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا، وذكر الحديث.

قال في العيون: وهذا القول إنما يعرف عن سعد بن معاذ، كذلك رواه ابن عقبة وابن إسحاق وابن سعد وابن عائذ وغيرهم، والصحيح أن سعد بن عبادة لم يشهد بدرا، فإن سعدا كان متهيئا للخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام.

وذكر الحافظ في الفتح نحوه، ثم قال: **ويمكن الجمع** بأن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم، والثانية: بعد أن خرج كما في حديث ابن مسعود في الصحيح، وحينئذ قال سعد بن معاذ ما قال.

ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية وهذا أولى بالصواب، ولهذا مزيد بيان يأتي.

الخامس: قال السهيلي: معنى يضحك الرب أي يرضيه غاية الرضا، وحقيقته أنه رضا معه تبشير وإظهار كرامة، وذلك أن الضحك مضاد للغضب، وقد يغضب السيد ولكنه يعفو ويبقى العتب، فإذا رضي فذلك أكثر من العفو، فإذا ضحك فذلك غاية الرضا، إذ قد يرضى ولا يظهر ما في نفسه من الرضا، فيعبر عن الرضا وإظهاره بالضحك في حق الرب تبارك وتعالى مجازا وبلاغة وتضمينا في هذه المعاني في لفظ وجيز، ولذلك

قال صلى الله عليه وسلم في طلحة بن البراء:

«اللهم الق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه» .

فمعنى هذه: القه لقاء متحابين مظهرين لما في أنفسهما من رضا ومحبة، فإذا قيل: ضحك الرب إلى فلان فهي كلمة وجيزة، تتضمن رضا مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليها، فهي من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم.

وقال في المطالع: هذا وأمثاله من الأحاديث، طريقها الإيمان بها من غير كيف ولا تأويل

[(١)] ذكره الهيثمي مختصرا ٨/ ٥٠ وعزاه للطبراني بإسناد حسن.." [١]

"اليمان، كما رويناه عن طريق ابن إسحاق وغيره.

قال الحافظ رحمه الله: وهذا الحصر مردود، فإن القصة التي ذهب الزبير لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها، فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة: هل نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك محمد بن عمر، وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالت عليهم الطوائف، ووقع بين الأحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الأخرى، وأرسل الله تعالى عليهم الريح، فندب النبي صلى الله عليه وسلم، من يأتيه بخبر قريش، فانتدب حذيفة، كما تقدم بيان ذلك في القصة.

الخامس:

قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إن العيش عيش الآخرة»

إلخ، قال ابن بطال: هو مقول ابن رواحة تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ولو كان ذلك من لفظه لم يكن بذلك شاعرا لعدم القصد، كما سيأتي تحقيقه في الخصائص.

وقوله: «فاغفر للمهاجرين والأنصار» ، وفي رواية بتقديم الأنصار على المهاجرين، وكلاهما غير موزون، ولعله صلى الله عليه وسلم تعمد ذلك، وقيل. أصله «فاغفر للأنصار والمهاجرة» بجعل الهمزة همزة وصل.

وقوله: «والعن عضلا والقارة» إلخ غير موزون، ولعله كان:

والعن إلهي عضلا والقارة وقوله: «إن الألى بقد بغوا علينا» ليس بموزون، وتحريره:

إن الذين قد بغوا علينا فذكر الراوي «الألى» بدل «الذين» ، قد قاله الحافظ. وقال ابن التين: والأصل: «إن الألى هم قد بغوا علينا» .

السادس: ظاهر قول البراء: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كثير الشعر: أنه كان كثير شعر الصدر وليس كذلك، فإن في صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان دقيق المسربة، أي الشعر الذي في الصدر إلى البطن، **فيمكن الجمع** بأنه كان مع دقته كثيرا، أي لم يكن منتشرا، بل كان مستطيلا، وتقدم ذلك مبسوطا في أبواب صفاته.

السابع: سبق في القصة عن ابن إسحاق وغيره وصف حسان بن ثابت رضي الله عنه بالجبن، وأنه روي

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤/٨٠

عن عروة بسند صحيح، وأنه روي عن أبيه الزبير، وصرح بذلك خلائق.

وأنكر ذلك أبو عمر وجماعة، واحتجوا لذلك بأن ما ذكره ابن إسحاق منقطع الإسناد، وبأنه لو صح لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار بن الخطاب، وابن الزبعرى، وغيرهما." (١)

"ودعا ثم صبه فيها، وفي حديث المسور، ومروان إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، **ويمكن الجمع** بأن الأمرين وقعا معا، ويؤيد ذلك ما رواه محمد بن عمر من طريق أوس بن خولي أنه- صلى الله عليه وسلم- توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم ثم وضعه فيها، وهكذا ذكر أبو الأسود عن عروة أنه- صلى الله عليه وسلم- تمضمض في الدلو وصبه في البئر، ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ففارت.

الثاني عشر: اختلف في النازل بالسهم، فعند ابن إسحاق عن رجال من أسلم: أنه ناجية بن جندب. قال ابن إسحاق: وزعم بعض أهل العلم أنه البراء بن عازب.

وروى محمد بن عمر عن خالد بن عبادة الغفاري قال: أنا الذي نزلت بالسهم، **ويمكن الجمع** بأنهم تعاونوا على ذلك.

الثالث عشر: في حديث جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان بين يديه بالحديبية ركوة فتوضأ فيها ثم أقبل الناس نحوه فقال «ما لكم؟ فقالوا: يا رسول الله: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما في ركوتك. قال: فوضع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا.

وجمع ابن حبان بين حديث جابر هذا وبين ما تقدم بأن ذلك وقع مرتين في وقتين، وقال ما تقدم في حديث البراء والمسور ومروان غير ما في حديث جابر، وكان حديثه قبل قصة البئر، وقال في موضع آخر في حديث جابر في الأشربة من كتاب البخاري أن نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن الماء انفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضأ كلهم وشربوا، وأمر حينئذ بصب الماء الذي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها.

الرابع عشر: اقتصر بديل بن ورقاء على قوله: تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي، ولم يكن بمكة منهم أحد، وكذلك قريش الظواهر، وتقدم بيانهم في من اسمه القريشي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٩٨/٤

قال هشام بن الكلبي: بنو عامر بن لؤي وكعب بن لؤي هما الصريحان لا شك فيهما، بخلاف سامة وعوف، أي ففيهما خلاف، قال: وهم قريش البطاح، بخلاف قريش الظواهر وفي موالاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

الخامس عشر:

قوله- صلى الله عليه وسلم- «إن أظهر فإن شاءوا»

إلخ إنما ردد- صلى الله عليه وسلم- الأمر مع أنه جازم بأن الله سينصره ويظهره، لوعده- تعالى- له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعم الخصم، ولهذه النكتة حذف القسم الأول وهو التصريح بظهور غيره،

وقوله." (١)

"فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه [الفتح ٢٠] ويعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

وذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أنه- صلى الله عليه وسلم- أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر.

وعند ابن عائذ عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال.

وعند سليمان التيمي خمسة عشر يوما.

قال الإمام مالك رحمه الله- تعالى-: كان فتح خيبر سنة ست.

والجمهور- كما في زاد المعاد: أنها في السابعة، وقال الحافظ: إنه الراجح قالا:

ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي، وهو ربيع الأول.

وابن حزم- رحمه الله- يرى أنه من شهر ربيع الأول.

الثالث: قال الحافظ: نقل الحاكم عن الواقدي، وكذا ذكره ابن سعد إنها كانت في جمادى الأولى. فالذي رأيته في مغازي الواقدي: إنها كانت في صفر، وقيل: في ربيع الأول، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد، وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: خرجنا إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، الحديث. وإسناده حسن، إلا أنه خطا، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت، وتوجيهه بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيها في رمضان جزما، وذكر

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٧٣/٥

الشيخ أبو حامد- رحمه الله- تعالى، في التعليق: أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر، وأجاب بعضهم بأنه أسقط سنة المقدم أي وقطع النظر عن سنة الغزوة.

الرابع: قول عامر: اللهم لولا أنت ما اهتدينا، قال الحافظ في هذا: القسم زحاف الخزم بالمعجمتين، وهو زيادة سبب خفيف، وفي الصحيح في الجهاد عن البراء بن عازب: أنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

الخامس: استشكل قول عامر: «فداء» بأنه لا يقال في حق الله- تعالى، إذ معنى «فداء» نفديك بأنفسنا، فحذف متعلق الفعل للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء، وأجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد ظاهرها، بل المراد بها المحبة والتعظيم، مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ، وقيل: المخاطب بهذا الشعر النبي- صلى الله عليه وسلم- والمعنى، لا تؤاخذنا بتقصيرنا في." (١)

"دخل مرة أخرى، فقام يدعو ولم يصل. رواه الطبراني في الكبير،

قال الهيثمي: فيه أبو مريم، روى عن صغار التابعين، ولم أعرفه، وبقية رجاله موثقون، وفي بعضهم كلام.

وروى الأزرقي عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال: بلغني أن الفضل ابن عباس دخل مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يومئذ- أي يوم الفتح- فقال: لم أره صلى فيها، قال أبي: وذلك فيما بلغني أن النبي- صلى الله عليه وسلم- استعانه في حاجة فجاء وقد صلى ولم يره. قال عبد المجيد: قال أبي، وذلك أنه بعثه فجاء بذنوب من ماء زمزم يطمس به الصور التي في الكعبة، فلذلك لم يره صلى. قلت: وأيضا أنه- صلى الله عليه وسلم- أرسله وأسامة في ذلك- كما تقدم في أسامة- واعتمد الإمام تقي الدين الفاسي في تاريخه من هذه الأجوبة ما رواه أبو داود الطيالسي عن أسامة، وتعقب ما سواه بكلام نفيس جدا فراجعه فإنك لا تجده في غير كتابه، وذكره هنا ليس من غرضنا.

التاسع عشر: تقدم أنه- صلى الله عليه وسلم- صلى في الكعبة، وأنه جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه، وفي رواية جعل عمودا عن يساره وعمودين عن يمينه وفي أخرى عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه وفي رواية بين العمودين اليمانيين، وفي أخرى بين العمودين تلقاء وجهه، وبين العمودين المقدمين، قال المحب الطبري في الأحكام الكبرى: وهذا يؤيد رواية من روى أنه جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره لأن الباب قريب من الحجر الأسود، جانح إلى جهة اليمين، ويفتح في جهة المشرق

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٥٣/٥

فإذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين والبيت يومئذ على ستة أعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره، وثلاثة أعمدة وراءه، وصلى إلى جهة المغرب، وقوله اليمانيين قد يشكل فإنها ثلاثة صف وجعل اثنين منها يمانيين ليس بأولى من جعلهما شاميين، والجواب: أنه إنما جعل اثنين منهما يمانيين لأن مقر الثلاثة بصفة يماني وبصفة شامي، فمن وقف بين المتمحض يمانيا وبين المشترك بين اليمن والشام جاز أن يقال فيه: وقف بين اليمانيين باعتبار ما نسب منه إلى اليمن تجوزا ومن وقف بين المتمحض شاميا وبين المشترك جاز أن يقال فيه: وقف بين الشاميين لما ذكرناه، أو تقول لما وقف بينهما كان هو إلى جهة اليمن أقرب، فأطلق عليهما يمانيين اعتبارا به، والأول أظهر، ولا تضاد بين هذا وبين قوله عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره، فإن من ضرورة جعل عمودين عن يمينه أن يكون عمودا عن يمينه والآخر مسكوتا عنه، وليس في اللفظ ما ينفيه، وقال الحافظ: ليس بين رواية: جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره مخالفة، لكن قوله في رواية مالك: وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل، لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، **ويمكن الجمع** بين الروايتين بأنه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم- وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إلى ذلك." (١)

"بالقتال، وإعداد العدة والقوة، ورباط الخيل، والأخذ بالجد والحذر، والاحتراس من عدوه، ومحاربته بأنواع الحرب، والتورية، فكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها، وذلك لأنه إخبار من الله- تعالى- عن عاقبة حاله وماله فما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها الله- تعالى- بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر، وإظهار دينه وغلبته عدوه انتهى.

الثالث: اختلف العلماء في العارية هل تضمن إذا تلفت، فقال الشافعي وغيره يضمن، وقال أبو حنيفة وغيره: لا يضمن، وفي بعض طرق الحديث «بل عارية مضمونة، وقد اختلفوا في هذا القيد وهو مضمونة، أنه صفة موضحة أو مقيدة، فمن قال بالأول قال: تضمن، ومن قال مقيدة قال: لا إلا بشرط، قاله في النور.

الرابع: تضمن قول السائل للبراء في الرواية الثانية أوليتم مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وفي الثالثة أفررتم مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقول البراء رضي الله عنه- فأشهد على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إنه لم يول، وقوله في الرواية الثانية «لكن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لم يقر إثبات الفرار، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي- صلى الله عليه وسلم-

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٥/٢٧٢

بظاهر الرواية الثانية، **ويمكن الجمع** بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ويحتمل أن البراء فهم أن السائل اشتبه عليه حديث سلمة بن الأكوع، ومررت برسول الله- صلى الله عليه وسلم- منهزما، فلذلك حلف البراء إن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يول، ودل ذلك على أن منهزما حال من سلمة، ولهذا وقع في طريق أخرى «ومررت على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منهزما وهو على بغلته» فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعا، ويحتمل أن يكون السائل أخذ العموم من قوله تعالى: ثم وليتم مدبرين [التوبة ٢٥] فبين البراء أنه من العموم الذي أريد به الخصوص.

الخامس: يجمع بين قول أنس- رضي الله عنه-: بقي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وحده وبين الأخبار الدالة أنه بقي معه جماعة بأن المراد بقي وحده متقدما مقبلا على العدو، والذين ثبتوا كانوا وراءه، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة، ونحو ذلك.

السادس: لا تخالف بين قول ابن عمر، لم يبق مع النبي- صلى الله عليه وسلم- مائة رجل، وبين قول ابن مسعود، ثبت مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ثمانون من المهاجرين والأنصار فإن ابن عمر نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين.

وذكر النووي أن الذين ثبتوا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- اثنا عشر رجلا، ووقع في شعر." (١)

"كل منهما كلمه في ذلك لأن أبا نائلة أخوه من الرضاعة، ومحمد بن مسلمة هو ابن أخت كعب كما رواه عبد الله بن إسحاق الخراساني في فوائده.

الرابع: وقع في الصحيح عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أن محمد بن مسلمة جاء معه برجلين، قال سفيان. وقال غير عمرو: وأبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس، وعباد بن بشر. قال الحافظ: فعلى هذا كانوا خمسة وهو أولى من رواية من روى أنهم كانوا ثلاثة فقط **ويمكن الجمع** بأنهم كانوا مرة ثلاثة وفي أخرى خمسة.

الخامس: في بيان غريب ما سبق:

الأشرف: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الراء وبالفاء.

النضير: بالضاد المعجمة وزن عليم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٤٨/٥

نائلة: بنون وبعد الألف تحتية.

طيء: بفتح الطاء وتشديد التحتية وآخر همزة.

اليقين: العلم وزوال الشك.

مقرونين: مجعولين قرنا بالشد والإثبات، يقال قرنهما تقرينا أي جعلهما قرنين.

كبت: بضم أوله وكسر الموحدة: أذلة الله وصرفه عن مراده.

أبو وداعة: اسمه الحارث بن صبيرة بضم الصاد المهملة.

السهمي: بفتح السين المهملة وسكون الهاء.

العيص: بكسر العين المهملة وسكون التحتية وبالصاد المهملة، واد من ناحية ذي المروة على أربع ليال من المدينة.

القليب: البئر.

فشبب بنساء المسلمين: تقول فيهن وذكرهن بسوء.

من لكعب؟: أي من الذي ينتدب لقتله؟.

يتعلق به نفسه: مأخوذ من العلقة والعلاق أي بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء يعني ما يسد به رمقه من الغذاء ... ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبناء للمفعول. الجهد: بفتح الجيم وضمها: الطاقة.

عباد: بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة.

ابن بشر: بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة.." (١)

"الثاني: في الصحيح أن القراء كانوا سبعين رجلا وعند ابن إسحاق أربعين قال الحافظ: ووهم من قال إنهم ثلاثون، وما في الصحيح هو الصحيح. **ويمكن الجمع** بأن الأربعين كانوا رؤساء، وبقية العدة كانوا أتباعا وجرى على ذلك في الغرر وزاد أن رواية القليل لا تنافي رواية الكثير وهو من باب مفهوم العدد وكذا قول من قال ثلاثين.

الثالث: انفرد المستغفري [(١)] بذكر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي في الصحابة رضي الله تعالى عنهم. قال الحافظ: (وهو خطأ صريح فإن عامرا مات كافرا وقصته معروفة [(٢)] أي كما سيأتي بيان ذلك. وقال في النور: أجمع أهل النقل على أن عامر بن الطفيل مات كافرا وما ذكره المستغفري خطأ) انتهى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٠/٦

الرابع: قول أنس: «ثم نسخ بعد» قال السهيلي: «فثبت هذا في الصحيح وليس عليه رونق الإعجاز. فيقال إنه لم ينزل بهذا النظم معجز كنظم القرآن، فإن هذا خبر، والخبر لا يدخله النسخ. قلنا لم ينسخ منه الخبر وإنما نسخ منه الحكم فإن حكم القرآن أن يتلى به في الصلاة وألا يمسه إلا طاهر، وأن يكتب بين اللوحين، وأن يكون تعلمه من فروض الكفاية.

فكل ما نسخ ورفعت منه هذه الأحكام وإن بقي محفوظا فإنه منسوخ [فإن تضمن حكما جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولا به] ، وإن تضمن خبرا جاز أن يبقى ذلك الخبر مصدقا به وأحكام التلاوة منسوخة عنه» .

الخامس: وقع في الصحيح في رواية أنس: «دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا، على رعل ولحيان وعصية» [(٣)] إلى آخره. قال الحافظ أبو محمد الدمياطي وتبعه في العيون كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوهم أن بني لحيان كانوا ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك، وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم. وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع. وإنما أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا الصحابة في الموضعين دعاء واحدا. وذكر محمد بن عمر أن خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة.

[(١)] جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي أبو العباس فقيه له اشتغال بالتاريخ من رجال الحديث كان خطيب نسف (من بلاد ما وراء النهر) وتوفي بها له «الدعوات» في الحديث والتمهيد في التجويد وغير ذلك ورجال الحديث يأخذونه عليه رواية الموضوعات من غير تنبيه. الأعلام ٢/ ١٢٨.

[(٢)] أخرجه البخاري ٧/ ٤٤٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه ... كان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير- النبي صلى الله عليه وسلم- بين ثلاث خصال فقال: «يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف» فطعن عامر في بيت فلان فقال: «غدة كغدة البكر ... » .

[(٣)] أخرجه البخاري ٧/ ٤٤٦ (٤٠٩١) .." [(١)]

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٦/٦٥

"ابن سعد عن نافع عن ابن عمر قال: «التمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية» . فظهر ذلك التخالف، قال الحافظ: ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام فإن ذلك لم يذكر في الرواية الأولى أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره أي ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولي دبره، وإنما هو محمول على أن الرمي جاءه من جهة قفاه أو جانبيه، ولكن يريد الأول أن في رواية العمري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده بعد أن ذكر العدد بضعا وتسعين. ووقع في رواية البيهقي في الدلائل بضع وسبعون- بتقديم السين على الموحدة- وأشار أن بضعا وتسعين بتقديم الفوقية على السين أثبت.

السادس: قوله: «فأثابه الله تعالى جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء» . أي عوضه الله تعالى جناحين عن قطع يديه في تلك الوقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل. وروى البيهقي أحد رواة الصحيح عن البخاري أنه قال: يقال لكل ذي ناحتين جناحان، أشار بذلك إلى أن الجناحين ليس على ظاهرهما. وقال السهيلي:

« [ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما] ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها ... فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر [كما أعطيتها الملائكة] وقد عبر القرآن عن العضد بالجناح توسعا في قوله تعالى: واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى [طه ٢٢] وقال العلماء في أجنحة الملائكة إنها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة. فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعد للطائر ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فيؤمن به، من غير بحث عن حقيقتها» . انتهى.

قال الحافظ: «وهذا الذي جزم به في مقام المنع والذي نقله عن العلماء ليس صريحا في الدلالة على ما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود وهو من قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية» ، وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري أن جناحي جعفر من ياقوت وجاء في جناحي جبرئيل أنهما من لؤلؤ، أخرجه ابن مندة في ترجمة ورقة بن نوفل من كتاب المعرفة.

السابع: أكثر الآثار تدل على أن المسلمين هزموا المشركين، وفي بعضها أن خالدا انحاز بالمسلمين، وقد تقدم بيان ذلك. قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن يكون المسلمون." (١)

"هزموا جانبا من المشركين وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم. فقد مر أنهم كانوا أكثر من مائتي ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين إلى المدينة.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية يمكن الجمع بأن خالدا لما انحاز بالمسلمين بات ثم أصبح وقد غير بقية العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى.

الثامن: إنما رد صلى الله عليه وسلم السلب إلى خالد بعد الأمر الأول بإعطائه للقاتل نوعا من النكير، ودعا له، لئلا يتجرأ الناس على الأئمة، وكان خالد مجتهدا في صنيعه ذلك، فأمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهاده لما رأى في ذلك من المصلحة العامة بعد أن خطأه في رأيه الأول، ويشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عوض المددي من الخمس الذي هو له وأرضى خالدا بالصفح عنه وتسليم الحكم له في السلب.

التاسع: في بيان غريب ما سبق:

أدنى البلقاء من أرض الشام: أي أقرب.

البلقاء: بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف وألف تأنيث مقصورة كورة ذات قرى ومزارع من أعمال دمشق.

لهب: بكسر اللام وسكون الهاء وبالموحدة: بطن من الأزد.

تلك بصرى: اسمه: [الحارث بن أبي شمر الغساني] .

غرض له: تصدي له ومنعه من الذهاب.

شرحبيل: بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة: اسم أعجمي لا ينصرف.

الغساني: بفتح الغين المعجمة وبالسين المهملة المشددة.

قتل صبرا: أمسك حيا ثم رمي بشيء حتى مات.

ندب الناس: دعاهم.

الجرف: بضم الجيم والراء كما قال الحازمي وأبو عبيد البكري والقاضي وقال ياقوت وتبعه المجد اللغوي

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٦/١٥٨

بالضم فالسكون: على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام.

رواحة: بفتح الراء وتخفيف الواو وبالحاء المهملة.." (١)

"الزاد إلخ» . أنه كان لهم زاد بطريق العموم وزاد بطريق الخصوص. فلما فني الذي بطريق العموم اقتضي رأي أبي عبيدة أن يجمع الذي بطريق الخصوص لقصد المساواة بينهم ففعل فكان جميعه مزودا واحدا.

ووقع عند مسلم في رواية الزبير عن جابر: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة [(١)] » .

وظاهره مخالف لهذه الرواية. **ويمكن الجمع** بأن الزاد العام كان قدر جراب. فلما تعدد وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص اتفق أنه صار قدر جراب، ويكون كل من الروايين ذكر ما لم يذكر الآخر. وأما تفرقة ذلك تمرة تمرة، فكان في ثاني الحال. وقد روى البخاري في الجهاد من طريق وهب بن كيسان عن جابر: «خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا يأكل [كل يوم] تمرة» . وأما قول عياض: «يحتمل أنه لم يكن في أزوادهم تمر غير الجراب المذكور» فمردود لأن حديث جابر الذي صدر به البخاري صريح في أن الذي اجتمع من أزوادهم كان مزود تمر. ورواية أبي الزبير صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فيصح أن التمر كان معهم من غير الجراب. وأما قول غيره يحتمل أن يكون تفرقته عليهم تمرة تمرة كان من الجراب النبوي صلى الله عليه وسلم قصدا للبركة، وكان يفرق عليهم من الأزواد التي اجتمعت أكثر من ذلك فبعيد من ظاهر السياق، بل في رواية هشام بن عروة عند ابن عبد البر. فقلت أزوادنا حتى كان يصيب الرجل منا التمرة.

السادس: في رواية وهب بن كيسان عن جابر: «فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة» .

وفي رواية عمرو بن دينار: «فأكلنا منه نصف شهر» . وفي رواية أبي الزبير: «فأقمنا عليها شهرا» . ويجمع بين هذا الاختلاف بأن الذي قال: ثماني عشرة، ضبط ما لم يضبط غيره أو أن من قال نصف شهر ألغى الكسر الزائد وهو ثلاثة أيام، ومن قال شهرا جبر الكسر وضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم الحوت إليها. ورجح النووي رواية أبي الزبير لما فيها من الزيادة. قال ابن التين: إحدى الروايتين وهم. ووقع في رواية الحاكم: اثنا عشر يوما، وهي شاذة وأشذ منها رواية الخولاني: أقمنا قبلها ثلاثا. ولعل الجمع الذي ذكرته أولى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٥٩/٦

السابع: لا تخالف رواية أبي حمزة الخولاني رواية أبي الزبير في لحم الحوت لأن رواية أبي حمزة تحمل علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ازديادا منه بعد أن أحضروا له منه ما ذكر، أو قال ذلك قبل أن يحضروا له منه، وكان الذي أحضروه معهم لم يروح فأكل منه صلى الله عليه وسلم.

[(١)] أخرجه مسلم ٣/ ١٥٣٥ (١٧- ١٩٣٥) .." [(١)]

"وقال الحافظ: «ومنهم عقبة بن جورة، وجويرية العبدي، والجهم بن قثم، ورسيم العبدي» . وما ذكره من الوفد كانوا أربعة عشر راكبا، لم يذكر دليلهم.

وفي المعرفة لابن مندة من طريق هود [بن عبد الله] العصري- بعين وصاد مهملتين مفتوحتين نسبة إلى عصر بطن من عبد القيس- عن جده لأمه مزيدة قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ

قال لهم: «سيطلع لكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق» .

فقام عمر رضي الله تعالى عنه فلقي ثلاثة عشر راكبا فرحب وقرب وقال: من القوم؟

قالوا: وفد عبد القيس. فيمكن أن يكون أحد المذكورين كان غير راكب أو مردونا. وأما ما رواه الدلابي وغيره من طريق أبي خيرة- بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية وبعد الراء هاء- الصباحي- وهو بضم الصاد المهملة بعدها موحدة خفيفة وبعد الألف حاء مهملة- قال: «كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم- من وفد عبد القيس- وكنا أربعين راكبا» .

فيمكن الجمع بينه وبين الرواية الأخرى، وبأن الثلاثة عشر كانوا رؤوس الوفد فلهذا كانوا ركبانا وكان الباقون أتباعا، ومنهم أخو الزارع، واسمه مطر، وابن أخته لم يسم، وجابر بن الحارث، وخزيمة بن عبد عمرو، وجارية بن جابر، وهمام بن ربيعة، ونوح بن مخلد جد أبي جمرة. وإنما أطلت في هذا الفصل لقول صاحب المحرر إنه لم يظفر بعد طول التتبع على غير ما ذكره، وما ذكره ابن سعد من أنهم عشرون مجمع عليه وليس ثلاثة عشر، فإن البقية أتباع.

الثالث: قولهم: إلا في شهر حرام، وفي لفظ: الشهر الحرام، والمراد به شهر رجب وكانت مضر تبالغ في تعظيمه ولذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة حيث قال: رجب مضر.

والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخر، ولذا ورد في بعض

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٦/ ١٨٠

الروايات: الأشهر الحرم، وفي بعضها: إلا في كل شهر حرام.

الرابع: قال الحافظ: كيف قال آمركم بأربع؟ والمذكورة خمس. وقد أجاب عنه القاضي عياض تبعا لابن بطال: كان الأربع ما عدا أداء الخمس. قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد، ولكن الجهاد إذ ذاك كان فرض عين. قال: وكذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض. ثم قال بعد أن ذكر غير ذلك، وما ذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى المعتمد، والمراد شهادة ألا إله إلا الله، أي مع وأن محمدا رسول الله، كما صرح به في رواية عباد بن عباد في المواقيت.

الخامس: قال الحافظ: إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع." (١)

"تنبيهات

الأول: تقدم في أسمائه صلى الله عليه وسلم أن منها الضحوك.

روى ابن الفارس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسمه في التوراة أحمد الضحوك، قال ابن الفارس: وإنما سمي الضحوك لأنه صلى الله عليه وسلم كان طيب النفس فكها، على كثرة من ينتابه ويفد عليه من جفاة العرب، وأجلاف أهل البوادي، لا يراه أحد ذا ضجر، ولا قلق، ولا جفاء، ولكن لطيفا في المنطق، رفيقا في المساءلات.

الثاني: وروى أبو الحسن بن الضحاك عن ابن مسعود، وأبو الحسن بن الضحاك عن ... قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذه، وفي لفظ، إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه

وروى ابن عدي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تبسم وضع يده على فيه، ويقول: «سمعت جبريل عليه السلام يقول ما ضحكت منذ خلقت جهنم» ، قال:

فما رأيت نواجذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك بعد ذلك، حتى قبضه الله عز وجل.

وروى أيضا عن أبي برزة رضي الله تعالى عنه قال: أكثر ما كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تبدو رباعيته أو ترى.

الثالث: قال أبو الحسن بن الضحاك رحمه الله تعالى: صحت الأخبار، وتظاهرت، بضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير موطن، حتى تبدو نواجذه، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يضحك

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٧١/٦

إلا تبسما، **ويمكن الجمع** بينهما بأن يقال: إن التبسم كان الأغلب عليه، فيمكن أن يكون الناقل عنه أنه كان لا يضحك إلا متبسما لم يشاهد من النبي صلى الله عليه وسلم غير ما أخبر عنه، ويكون من روي أنه ضحك، حتى بدت نواجذه قد شاهد ذلك في وقت ما فنقل ما شاهد، فلا اختلاف بينهما، لاختلاف المواطن والأوقات ويمكن أن يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه في الأوقات النادرة، وكان آخر أمره لا يضحك إلا متبسما، وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث تدل على ذلك، ويمكن أن يكون من روى عنه أنه كان لا يضحك إلا متبسما شاهد ضحكه، حتى بدت نواجذه نادرا، فأخبر عن الأكثر، وغلبته على القليل النادر، على أن أهل اللغة قد اختلفوا في النواجذ ما هي؟ فقال جماعة: إن النواجذ أقصى الأضراس من الفم، موضعا، فعلى هذا تتحقق المعارضة، **ويمكن الجمع** بين الأحاديث بما قلناه، ومنهم من قال:

النواجذ: هي الأنياب، وقال آخرون: هي الضواحك، فعلى هذا لا يكون في ظاهر الأخبار معارضة، لأن المتبسم يلزمه ذلك، قال في النهاية: النواجذ بكسر الجيم، وبالذال المعجمة، وهي من الأسنان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان، والمراد الأول لأنه ما كان يبلغ به الضحك حتى تبدو أضراسه، كيف وتقدم أن جل." (١)

"«أتي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بغلام فبال عليه فأمر به فنضح، وأتي بجارية فبالت عليه فأمر به فغسله» [(١)] .

وروى ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن زينب بنت جحش- رضي الله تعالى عنها-: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان نائما عندها، فجاء حسين حين درج، فقلت اعبر، فدخل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فجلس على بطنه فبال، فانطلقت لآخذه، فاستيقظ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: «دعيه» ، فتركته حتى فرغ، ثم دعا بماء، فقال: «إنه يصب من بول الغلام، ويغسل من الجارية» [(٢)]
.

وروى الإمام عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- «إن أم الفضل بنت الحارث- رضي الله تعالى عنها- جاءت بأم حبيبة بنت عباس فوضعتها في حجر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فبالت فاختلجتها أم الفضل ثم لكمت بين كتفيها، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أعطني قدحا من ماء فصبه على مبالها» [(٣)] .

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٢٤/٧

الثاني في دم الحيض:

روى البخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: كنت أنا ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- نبت في الشعار الواحد وأنا طامث، فإن أصابه مني شيء غسل مكانه، لم يعده، ثم صلى فيه» [(٤)] .

[()] حجاج بن أرطاة عن عطاء عن عبيد بن عمير عنها وقيل عن حجاج عن عطاء عن ميسرة بن أبي حبيب عنها وقيل عن أبي الزبير ومنصور بن زاذان وقيس بن سعد ومطر الوراق أربعتهم عن عطاء بلا واسطة وزاد حماد بن سلمة عن قيس عن عطاء طاوسا ومجاهدا ثلاثتهم عن ام كرز ولم يذكر الواسطة وقيل عن قيس بن سعد عن عطاء عن أم عثمان بن خيثم عن أم كرز وقيل عن يزيد بن أبي زياد عن عطاء عن سبيعة بنت الحارث كما تقدم في حرف السين المهملة وقيل عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن عطاء عن جابر وقيل عن محمد بن أبي حميد عن عطاء عن جابر وأقواها رواية ابن جريج ومن تابعه وصححه، ابن حبان ورواية حماد بن سلمة عند النسائي ورواه عبيد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عنها نحوه وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة قلت ووقع عند إسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق عن ابن جريج بسنده فقال عن أم بني كرز الكعبين وكذا أخرجه ابن حبان من طريقه **ويمكن الجمع** بأنها كانت تكنى أم كرز وكان زوجها يسمى كرزا والمراد ببني كرز بنو ولدها كرز كانوا ينسبون إلى جدتهم هذه فالله أعلم ولها حديث آخر من رواية عبد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عن أم كرز قالت أتيت النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو بالحديبية أسأله عن لحوم الهدي فسمعته يقول أقروا الطير على مصافها أخرجه النسائي بتمامه وأبو داود مختصرا وكذا الطحاوي وصححه ابن حبان وزاد بعضهم في السند عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه وأخرج ابن ماجة بهذا السند عنها حديث ذهبت النبوات وبقيت المبشرات وصححه ابن حبان أيضا الإصابة ٨/ ٢٧١، ٢٧٢.

[(١)] أحمد في المسند ٦/ ٤٢٧.

[(٢)] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي ليلى ١/ ١٢٠.

[(٣)] أحمد في المسند ١/ ٣٠٢.

[(٤)] أخرجه أبو داود (١/ ٧٠) حديث (٢٦٩) والنسائي (١/ ١٥٤) .." [١]

"السابع عشر: في امتناعه- صلى الله عليه وسلم- من قراءة القرآن وهو جنب.

روى الإمام أحمد، والأربعة، والدارقطني عن علي- رضي الله تعالى عنه- قال: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجزه وربما قال: لا يحجبه من القرآن شيء ليس الجنابة» [(١)] .

وروى الترمذي وقال: حسن صحيح عنه قال: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقرئنا القرآن على كل حال، ما لم يكن جنبا» [(٢)] .

تنبيهات

الأول: نقل أبو عمر: اتفاق أهل السير أن غسل الجنابة فرض ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- بمكة، كما افترضت الصلاة وأنه لم يصل قط إلا بوضوء، قال: لا يجهله عالم.

الثاني: ما رواه البخاري عن ميمونة ثم نحى رجليه فغسلهما، فيه التصريح بتأخير الرجلين في وضوء الغسل إلى آخره، وهو مخالف لظاهر رواية عائشة، **ويمكن الجمع** بينهما بأن يحمل رواية عائشة على المجاز، وإما بحالة أخرى، وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلاف العلماء، فذهب الجمهور إلى استحباب تأخير الرجلين.

وعن مالك: إن كان المكان غير نظيف فالمستحب تأخيرهما، وإلا فالتقديم.

وعند الشافعية في الأفضل قولان.

قال النووي أصحهما، وأشهرهما، ومختارهما: أنه يكمل وضوءه.

الثالث: قول عائشة- رضي الله تعالى عنها- وتوضأ وضوء الصلاة، أي وضوءه كما للصلاة أي وضوءا شرعيا لا لغويا.

الرابع: لا يتيمم عند إرادة النوم. يحتمل أن يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء، وقيل: غير ذلك.

الخامس: في بيان غريب ما سبق.

الحلاب بكسر الحاء وتخفيف اللام وموحدة، قال الخطابي والمنذري هو: إناء يسع قدر حلب ناقة، ويقال

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٢٣/٨

له: المحلب بكسر الميم، وترجم البخاري عليه: باب من بدأ بالحلاب والطيب عند الغسل، فدل على أن عنده جراب من الطيب وهذا لا يعرف في الطيب،

[(١)] أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٣ وأبو داود ١/ ٥٩ (٢٢٩) والترمذي ١/ ٢٧٣ (١٤٦) والنسائي ١/ ١١٨ وابن ماجة ١/ ١٩٥ (٥٩٤) والطحاوي في معاني الآثار ١/ ٨٧ وابن الجارود ص ٥٢- ٥٣ والحاكم ٤/ ١٠٧ وأحمد ٥/ ١٨٧.

[(٢)] الترمذي ١/ ٢٧٤.." (١)

"شريعته من كان بعدها، إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى- صلى الله عليه وسلم- فلا يلزم شريعته من جاء بعدها لعدم أمرهم باتباعها، بل الصحيح أنه لم يكن لنبي من الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- دعوة عامة لكافة الناس إلا لنبينا- صلى الله عليه وسلم.

وأما من قال: إنه- صلى الله عليه وسلم- كان على شريعة إبراهيم وليس له شرع متعبد به، وأن المقصود من بعثته- صلى الله عليه وسلم- إحياء شرع إبراهيم- صلى الله عليه وسلم- وعول في إثبات مذهبه على قوله تبارك وتعالى: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا [النحل ١٢٣] فهذا قول ساقط مردود، ولا يصدر مثله إلا عن سخيف العقل كثيف الطبع.

وإنما المراد بهذه الآية: الاتباع في التوحيد. لأنه لما وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: اتبع كان المراد ذلك.

ولا حجة أيضا للقائل باتباعه شرع نوح- صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك [الشورى ١٣] فحمل هاتين الآيتين، على اتباعهم في التوحيد، لأنه لما وصف إبراهيم في الآية الأولى- بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: أن اتبع، كان المراد بذلك، بشهادة تفسير المشرع في الآية الثانية الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من الرسل، بقوله تعالى: أن أقيموا الدين أي: دين الإسلام، الذي هو توحيد الله تعالى، وطاعته، والإيمان به وبرسله وكتبه وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون به المكلف مكلفا إلا المشروع الذي هو مصالح الأمم لاختلاف أحوالهم وتفاوتها المؤذن به قوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. وقوله تعالى: أولئك أي الذين ذكروا من الرسل وغيرهم هدى الله فبهداهم أي بطريقتهم لا بطريقة غيرهم بشهادة الإضافة في الإيمان بالله وتوحيده، وأصول الدين اقتده دون الشرائع

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٦٧/٨

لاختلافها، وهي هدى ما لم تنسخ، فإذا نسخت لم تبق هدى.
بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا، وقد سمى الله تعالى في آية الأنعام في الأنبياء- صلى الله عليهم وسلم- من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب- صلى الله عليه وسلم- وعلى آبائه على قولة من يقول: إنه ليس برسول.
فدل الأمر باقتدائه بهداهم، أن المراد به أصول الشرائع لا الشرائع نفسها. وسمى جماعة من الأنبياء فيها شرائعهم مختلفة، لا **يمكن الجمع** بينها فدل اختلافها أن المراد بهداهم ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى.
قال القاضي: وهل يلزم من قال: يمنع إتباعه- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يوحى إليه بشرع قبله هذا القول في سائر الأنبياء، فلا يكون أحد منهم قبل أن يوحى إليه بشرع قبله غير نبينا- صلى الله عليه وسلم- أو." (١)

"ميكائيل فقال قم يا محمد فان الجبار يدعوك وأخذ جبريل بيده وأخرجه من المسجد الحرام فاذا هو بالبراق واقفا بين الصفا والمروة فقال له جبريل اركب يا محمد هذه براق ابراهيم التى كان يجئ عليها الى طواف الكعبة فأخذ جبريل ركابها وميكائيل عنانها فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يركبها وفى رواية فذهب يركبها فاستصعبت عليه قيل استصعابها لبعد العهد بالانبياء لطول الفترة بين عيسى ومحمد وهذا مبنى على أن الانبياء عليهم السلام ركبوها وفيه خلاف وقيل لانها لم تذلل قبل ذلك ولم يركبها أحد وقيل تيها وزهوا بركوب النبى صلى الله عليه وسلم كذا فى مزيل الخفاء فقال لها جبريل اسكنى فو الله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد وفى رواية قال لها جبريل أبمحمد تفعلى هذا فارفض عرقا كذا فى الشفاء فركبها النبى صلى الله عليه وسلم* وفى حياة الحيوان اختلف الناس هل ركب جبريل معه عليه فقيل نعم كان رديفه صلى الله عليه وسلم وقيل لا لان النبى صلى الله عليه وسلم المخصوص بشرف الاسراء وانطلق به جبريل حتى أتى به بيت المقدس فربطها بالحلقة التى ربط بها الانبياء دوابهم ثم دخل المسجد الاقصى فصلى بهم ركعتين فانطلق به جبريل الى الصخرة فصعد به عليها فاذا معراج الى السماء لم ير مثله حسنا ومنه تعرج الملائكة وقيل تعرج منه الارواح اذا قبضت فليس شيء أحسن منه اذا رآه أرواح المؤمنين لم تتمالك أن تخرج وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا احتضر كذا فى سيرة ابن هشام أصله وفى رواية أحد طرفيه على صخرة بيت المقدس وأعلاه ملصق وفى رواية والآخر ملصق بالسماء احدى جنبتيه ياقوتة حمراء

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٧٢/٨

والاخرى زبرجدة خضراء درجة له من فضة ودرجة من ذهب ودرجة من زمرد مكال بالدر واليواقيت* وفى كيفية عروجه الى السماء اختلاف قيل عرج به الى السماء على البراق اظهارا لكرامته ولم يزل راكبا اظهارا لقدرته تعالى وقيل نزل أيضا راكبا على البراق كما روى عن حذيفة ما زايل ظهر البراق حتى رجع وقيل احتمله جبريل على جناحه ثم ارتفع به الى السماء من ذلك المعراج حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا فنعم المجىء جاء ففتح فلما دخل فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فقال جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم قال جبريل هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين هم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار ثم صعد الى السماء الثانية وهكذا كان يستفتح جبريل فى كل سماء فيفتح فيدخل فيرى فيها نبيا ففى الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا خالة وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى فلما اجتاز عنه النبى صلى الله عليه وسلم بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الله الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ثم صعد الى السماء السابعة فرأى فيها ابراهيم ثم رفعت له سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وورقها كاذان الفيلة فاذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قال جبريل أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات* وفى الكشاف سدرة المنتهى هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تتبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها* وفى المدارك وجه تسميتها كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء* وفى بعض الروايات انها فى السماء السادسة* قال القاضى عياض كونها فى السابعة هو الاصح وقال النووى **يمكن الجمع** بأن أصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة ثم رفع له البيت المعمور وهو بيت فى السماء السابعة محاذ." (١)

"يقولون أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون وكان عثمان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم خده وسماه السلف الصالح وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهوميت قالت فرأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان بن مظعون كذا فى الصفوة **ويمكن الجمع** بأن أول

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٣١٠/١

من دفن بالبقيع من الانصار أسعد بن زرارة ومن المهاجرين عثمان بن مظعون*

ابتداء خدمة أنس

وفى هذه السنة كان ابتداء خدمة أنس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوفاء كانت الانصار يتقربون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساؤهم وكانت أم سليم تتأسف على ذلك وما كان لها شيء فجاءت بابنها أنس وقالت يخدمك أنس يا رسول الله قال نعم والذى فى الصحيح عن أنس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم وأخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك قال فخدمته عشر سنين الحديث وقد يجمع بأن أم سليم جاءت به أولا وانطلق به ابو طلحة ثانيا لانه وليه وعصبته وهذا غير مجيئه به لخدمته فى غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث*

الزيادة فى صلاة الحضر

وفى هذه السنة بعد شهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفى سيرة مغلطاى من ربيع الآخر قال الدولابى يوم الثلاثاء وقال السهيلى بعد الهجرة بعام أو نحوه زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الاولى* وفى سيرة مغلطاى وكانت الصلاة قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها انتهى وقيل انما فرضت أربعا ثم خففت عن المسافر ويدل عليه حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وقيل انما فرضت فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره كذا فى المواهب اللدنية وفى الوفاء الذى عليه الاكثرون ان الصلاة نزلت بتمامها من بدء الامر والله أعلم*

وعك أبى بكر والصحابة

وفى هذه السنة وعك ابو بكر وغيره من الصحابة* فى المواهب اللدنية أورد وعك أبى بكر قبل بناء المسجد روى ان هواء المدينة كان عفنا وخما يكون فيها الوباء وكانت مشهورة بالوباء فى الجاهلية فادا دخلها غريب فى الجاهلية يقال له ان أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق نهق الحمار فادا فعل سلم فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير من الغرباء وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياما

وكان المشركون والمنافقون يقولون أضناهم حمى يثرب* وفى سنن النسائى وسيرة ابن هشام ان الصديق لما قدم المدينة أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلالا قالت عائشة فدخلت عليهم وهم فى بيت واحد قبل أن يضرب علينا الحجاب فقلت يا أبت كيف أصبحت فقال* كل امرئ مصبح فى أهله* والموت أدنى من شراك نعله* ففلت انالله ان أبى ليهذى فقلت لعامر كيف تجدك فقال* لقد وجدت الموت قبل ذوقه* والمرء يأتى موته من فوقه* وفى رواية ان الجبان موته من فوقه* كل امرئ مجاهد بطوقه* كالثور يحمى أنفه بروقه* الطوق الطاقة والروق القرن قالت فقلت هذا والله لا يدرى ما يقول ثم قلت لبلال كيف أصبحت وكان بلال اذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل

ثم يقول اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا الى أرض الوباء المراد بالوادى وادى مكة وفى رواية بفخ بتشديد الخاء المعجمة واد بمكة ومجنة سوق بأسفل مكة وجليل نبت." (١)

"الرجال والنساء وقال بعضهم انما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن كذا فى المشكاة وعن عائشة قالت كنت أدخل بيتى الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى واضعة ثوبى وأقول انما هو زوجى وأبى فلما دفن عمر معهما فو الله ما دخلته الا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر رواه أحمد والله تعالى أعلم

* (وفى ربيع الاول من هذه السنة وقعت غزوة الغابة) *

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة* وفى خلاصة الوفا الغابة واد لم يزل معروفا فى أسفل سافلة المدينة من جهة الشام وهو مغيض مياه أوديتها بعد مجتمع السيول وكان بها املاك أهل المدينة استولى عليها الخراب والحفياء من أدنى الغابة وانها على خمسة أميال أو ستة من المدينة* وعن محمد بن الضحاك أن العباس كان يقف على سلع فينادى غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل وبينهما ثمانية أميال وهو محمول على انتهاء الغابة لا أدناها* وفى حياة الحيوان الغابة موضع بينه وبين المدينة أربعة أميال وفيها أيضا كان للنبى صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة وهى على بريد من المدينة بطريق الشام* وفى معجم ما استعجم الغابة بالموحدة اثنتان العليا والسفلى ومنبر

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٣٥٠/١

النبى صلى الله عليه وسلم كان من طرفاء الغابة* وفى خلاصة الوفا وذو قرد ماء انتهى اليه المسلمون فى غزوة الغابة قال ابن الاثير هو بين المدينة وخيبر على يومين من المدينة* وفى فتح البارى مسافة يوم وفى غيره نحو يوم مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية وعند البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وفى مسلم نحوه قال الحافظ مغلطاى فى ذلك نظر لاجتماع أهل السير على خلافهما انتهى* قال القرطبى شارح مسلم لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قرد أصح مما ذكره أهل السير وهى الغزوة التى أغار فزارة على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول قبل خيبر وعن سلمة بن الاكوع قال رجعنا أى من الغزوة الى المدينة فوالله ما لبثنا فى المدينة الا ثلاث ليال حتى خرجنا الى خيبر وقال ابن اسحاق كانت غزوة بنى لحيان فى شعبان سنة ست فلما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة لم يقم بها الا ليال قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى على لقاحه وقال ابن سعد كانت غزوة ذى قرد فى ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية ويمكن الجمع بأن اغارة عيينة ابن حصن على اللقاح كانت مرتين الاولى قبل الحديبية والثانية بعدها قبل الخروج الى خيبر كذا فى فتح البارى* وفى المواهب اللدنية سببها أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزارى* وفى المشكاة وغيرها ان عبد الرحمن بن حصن الفزارى أغار على اللقاح ويمكن الجمع بأن عبد الرحمن هو الذى أنشأ الاغارة لكن عيينة لما جاء الى امداده نسبت الاغارة تارة الى هذا وتارة الى هذا وكانت الاغارة ليلة الاربعاء فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر الغفارى* وقال ابن اسحاق وكان فيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل وسبوا المرأة واحتملوها فى اللقاح وكان أول من نذر بهم سلمة بن الاكوع الاسلمى غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فأشرف فى ناحية سلع ثم صرخ واصباحاه وخرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل ويقول." (١)

"* وفى المواهب اللدنية وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة وأدرك عكاشة ابن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٢/٥

اللقاح* وفى المواهب اللدنية استنقذوا عشرة من اللقاح وأفلت القوم بما بقى وهو عشر وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق الناس والخيول عشاء وذهب الصريخ الى بنى عمرو بن عوف فجاء الامداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد وأقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم الان ليغبقون فى غطفان* وفى المواهب اللدنية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع اذا ملكت فأسجح بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة أى فارفق وأحسن من السجاحة وهى السهولة ثم قال انهم ليقرون فى غطفان فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جزورا* وفى المواهب اللدنية وصلى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بذى قرد ثم رجع قافلا الى المدينة وقد غاب عنها خمس ليال وافلتت امرأة الغفارى على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول الله انى نذرت أن أنحرها ان نجانى الله عليها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله وهذا حديث ابن اسحاق عن غزوة ذى قرد وخرج مسلم بن الحجاج حديثها فى صحيحه باسناده الى سلمة بن الاكوع مطولا ومختصرا وخالف فيه حديث ابن اسحاق فى مواضع منها أن هذه الغزوة بعد انصراف النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية وجعلها ابن اسحاق قبلها وكذلك فعل ابن عقبة قال القرطبى لا تختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية وما فى الصحيح من التاريخ لها أصح مما فى السير كما مر **ويمكن الجمع** بتكرر الواقعة ويؤيده أن الحاكم ذكر فى الاكليل أن الخروج الى ذى قرد تكرر الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد وفى الثانية خرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاخر سنة خمس والثالثة هى المختلف فيها ومنها أن اللقاح كانت ترعى بذى قرد وكذا فى البخارى وقال ابن اسحاق بالغابة وكذا قال عياض الاول غلط **ويمكن الجمع** بأنها كانت ترعى تارة بذى قرد وتارة بالغابة ومنها قد ورد فى صحاح الاحاديث عن سلمة أنه قال خرجت أنا ورباح عبد النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤذن بلال بالاولى يعنى صلاة الصبح نحو الغابة وأنا راكب على فرس أبى طلحة الانصارى فاذا أغار عبد الرحمن ابن عيينة بن حصن الفزارى قبل طلوع الفجر على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ترعى بذى قرد وقد قتل الراعى واستاق اللقاح فقلت أى رباح اركب هذا الفرس وبلغه الى أبى طلحة وأخبر النبى صلى الله عليه

وسلم* وفى رواية عن سلمة خرجت قبل أن يؤذن بلال بالاولى فلقينى عبد لعبد الرحمن بن عوف فقلت ويحك مالك قال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال أخذها غطفان وفزارة* وفى رواية لمسلم ما يقتضى أن سلمة كان مع السرح لما أغير عليه وانه قام على اكمة وصاح واصباحاه ثلاثا وهذا يرجح ان السرح كان بالغابة ويبعد كونه بذى قرد اذ لو كان بذى قرد لما أمكنه لحوقهم ومنها أن سلمة بن الاكوع استنقذ سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته قال سلمة فو الله ما زلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع

الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته." (١)

"وكان ساحرا فقالوا له يا أبا الاعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحر لنا سحرا ينكاءه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع فى رواية أبى ضمرة عند الاسماعيلى فأقام يعنى فى السحر أربعين يوما* وفى رواية وهب عن هشام عن أحمد ستة أشهر **ويمكن الجمع** بأن يكون ستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلى لم أقف فى شئ من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التى مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فى السحر حتى ظفرت به فى جامع معمر عن الزهرى أنه لبث سنة* قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد* وفى كنز العباد أن بنات لبيد بن الاعصم اليهودى سحرنه فمرض حتى انه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر وذكر السنة والاربعين يوما فى الوفاء وفى البخارى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى أن كان ليخيل اليه أنه يفعل الشئ وما فعله* وفى معالم التنزيل قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروا فيها فتولى ذلك لبيد ابن الاعصم رجل من اليهود واشتد عليه ثلاث ليال فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودى قال وبما طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة ذكر وعقد فى وتردسه تحت راعونة* وفى رواية تحت صخرة فى ذروان وذروان بئر بمنازل بنى زريق قبلى الدور التى فى جهة قبلة المسجد كذا فى خلاصة الوفاء* وفى رواية فى بئر ذى أروان كذا فى كتاب مسلم وكذا وقع فى بعض روايات البخارى وفى معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور والاول أصح وأجود وهى بئر فى المدينة فى بستان أبى زريق كذا ذكره الطيبى فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فى أناس

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٧/٢

من أصحابه الى البئر وقال هذه البئر التى أريتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤس الشياطين فاستخرجه كذا ذكره الشيخان* وفى فتح البارى فنزل رجل واستخرجه وانه وجد فى الطلعة تمثالا من الشمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه ابر مغروزة واذا وترفيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها ألما ثم يجد بعدها راحة كذا فى المواهب اللدنية* وفى رواية بعث عليا وزبيرا وعمارا فنزحوا ماء البئر واخرجوا جف الطلعة وكانت تحت صخرة فاذا مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة فكأنما أنشط من عقاله وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك فلهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله لا بما كان بالسريانية والعبرية والهندية فانه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ثم أمر بها النبى صلى الله عليه وسلم فدفنت فقيل قتل النبى صلى الله عليه وسلم من سحره وقيل عفا عنه قال الواقدى عفوه عنه أثبت عندنا وروى قتله*

سرية أبان بن سعيد قبل نجد

وفى هذه السنة بعث صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد فى سرية من المدينة قبل نجد فقدم أبان فى أصحابه على النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها وان جزم خيلهم الليف ولم يقسم لهم من غنائم خيبر وكان اسلام أبان بين الحديبية وخيبر وهو الذى أجار عثمان يوم الحديبية حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة كذا فى حياة الحيوان
*

اسلام أبى هريرة

وفى هذه السنة أسلم أبو هريرة* وفى المنتقى كان اسلامه بين الحديبية وخيبر واختلفوا فى اسمه واسم أبيه على ثمانية عشر قولا ذكرها ابن الجوزى فى التلقيح أشهرها عبد شمس بن عامر فسمى فى الاسلام عبد الله* وفى التذنيب الاظهر أن اسمه عبد الرحمن واسم أبيه صخر وكانت له هريرة." (١)

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٤١/٢

"توفى أبو هريرة بالمدينة ويقال بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين من الهجرة فى آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة كذا فى الصفوة وسيجئ فى الخاتمة مروياته فى كتب الاحاديث خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا*

غزوة خيبر

وفى هذه السنة وقعت غزوة خيبر* فى الاكتفاء لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة مكث بهاذا الحجة منسلخ سنة ست وبعض المحرم من سنة سبع* وفى رواية قريبا من عشرين يوما ثم خرج فى بقية منه الى خيبر غازيا وكان الله وعده اياها وهو بالحديبية بقوله* وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه يعنى بالمعجل صلح الحديبية وبالمغانم الموعود بها فتح خيبر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها مستنجزا ميعاد ربه وواثقا بكفايته ونصرته* وفى رواية أقام يحاصر خيبر بضع عشرة ليلة الى أن فتحها وقيل كانت فى آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحاق ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الاول كذا فى المواهب اللدنية* وفى المنتقى كانت غزوة خيبر فى جمادى الاولى وكان معه ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه أم سلمة زوجته* وفى خلاصة الوفاء خيبر اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير على ثلاثة أيام من المدينة على يسار خارج الشام وخيبر بلسان اليهود الحصن* وفى معجم ما استعجم بينها وبين المدينة ثمانية برد الى جهة الشام مشى ثلاثة أيام* وفى مزيل الخفاء كل بريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام يوضع قدم أمام قدم ويلصق به* وأمر أن لا يخرج معه الا من رغب فى الجهاد لا من غرضه عرض الدنيا واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى واستعمل على مقدمة الجيش عكاشة بن محصن الاسدى وعلى الميمنة عمر بن الخطاب وعلى الميسرة واحدا من أصحابه وفى بعض الكتب على بن أبى طالب وهو غير صحيح لان الروايات الصحيحة تدل على ان عليا فى أوائل الحال لم يكن فى العسكر وكان به رمد شديد ولما لحق بالعسكر أعطاه الراية وأمره على الجيش ووقع الفتح على يده كما سيجئ وكان دليله رجلين من أشجع ماهرين بالطريق اسم أحدهما حسيل وأرسل ابن أبى بن سلول الى يهود خيبر يخبرها بأن محمدا فى قصدكم وتوجه اليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم فى الحصون واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه فان عددكم وعددكم كثيرة وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح فيهم الا قليل فلما علم بذلك أهل خيبر أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس الوائلى الى غطفان يستمدونهم لانهم كانوا حلفاء يهود

خيبر وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين ولم تقبل غطفان خوفا من أهل الاسلام* وفى رواية قبلوا ولما نزل المسلمون منزل الرجيع وكان بينهم وبين غطفان مسيرة يوم وليلة تهيأ غطفان وتوجهوا الى خيبر لامداد اليهود ولما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلفهم حسا ولغطا فظنوا ان المسلمين أغاروا على أهليهم وأموالهم فرجعوا وتركوا أهل خيبر مخذولين وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر كما سيجئ* وفى معجم ما استعجم قال محمد بن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر هكذا روى بفتح العين واسكان الصاد المهملة وفى بعض النسخ عصر بفتح الصاد قال فبنى له فيها مسجد ثم سلك على الصهباء التى أعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى من خيبر على بريد* روى انه صلى الله عليه وسلم لما ورد الصهباء وصلى بها العصر دعا بالازواد فلم يأتوا بغير التمر والسويق فأكلوا وصلى المغرب فى الجماعة بوضوء العصر وبعد ما صلى العشاء دعا بالدليلين ليدلاه على أحسن طرق خيبر حتى يحول بين أهل خيبر وغطفان فقال أحد." (١)

"١٥٢ – حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة».

(_١٥٢) م–حدثنا أبو داود سليمان بن معبد المروزى السنجى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ولم يذكر فيه عن عمر.

١٥٣ – حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن

فى الأرض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين، وقيل: بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ما يخرج منها من الزيت وكيف لا وفيه من الأكل والدهن، وفيهما نعمتان عظيمتان أشار إليهما بقوله: «كلوا الزيت وادهنوا به». فربما أسنده، وربما أرسله بيان للمراد بالاضطراب (١) هنا إذ هو مخالف روايتين أو أكثر إسنادا ومتنا مخالفة لا يمكن الجمع بينهما ما لم تترجح إحداهما بنحو كثرة طرق إحدى الروايتين أو لكونهما أصح أو أشهر أو رواتها أتقن أو معهن زيادة على ما هنا فإن إحداها المسند معه زيادة علم على المرسل سيما والمرسل أسنده مرة فوافق إسناد

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٢/٤٣

غيره له دائما وهو أبو أسيد فى الرواية السابقة.
١٥٢ م- (السنجى) بكسر أوله المهمل فنون فجيم منسوب إلى السنج قرية من أعمال مرو وذكره أولا وثانيا إشارة إلى أنه قد يقع فى كلام المحدثين ذكر نسبه فقط وقد يقع ذكر نسبه واسمه ونسبته أكثر.
١٥٣ - (الدباء) هو اليقطين بالمد على الأشهر ويجوز القصر وكان سبب محبته صلى الله عليه وسلم

---

١٥٢ - حسن بما قبله: رواه الترمذى فى الأطعمة (١٨٥٢) بسنده ومتنه سواء، وقال: حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق عن معمر، وكان عبد الرزاق يضطرب فى رواية هذا الحديث، وابن م ا جه فى الأطعمة (٣٣١٩)، والحاكم فى مستدركه (٢/ ١٢٢)، كلهم عن عبد الرزاق به، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٠/ ٤٢٢) مرسلا عن زيد بن أسلم عن أبيه، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.
١٥٣ - إسناده صحيح: رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ١٧٧،٢٧٣،٢٩٠)، والدارمى فى الأطعمة (٢/ ١٠١)، وأبو داود الطيالسى فى المسند (ص ٢٦٦)، والنسائى فى السنن الكبرى (٤/ ١٥٥،١٥٦).
(١) فى (ش): [بالأطرار].." (١)
". . . . .

وقع له فى ركوب الخيل. (وألقى جرير ردائه) إن كان من كلام جرير وهو الظاهر، فهو التفات، والقياس فألقيت ردائى فمشيت فقال وإن كان من كلام قيس فظاهر أنه اعتراض منه، وإن كان بالفاء أوله، لكن السياق يأباه وإنما فعل جرير ذلك إظهارا لقوته وتجالده (١). (فقال) عطف على فعرضت. (ما رأيت) هى هنا علمية بدليل الاستثناء إذ الأصل فيه الاتصال ويلزم البصرية أنه منقطع. (رجلا) يعلم من ذكر صورة المفضل أن يراد من رجلا المفضل عليه صورته، فزعم أنه على حذف مضاف أى صورة رجل غير محتاج إليه، ووجه مناسبة هذا الباب أن طيب الصورة يلزمه غالبا طيب ريحها ففيه إيماء إلى التعطر، فقول بعضهم لا خفاء أن هذا الحديث يعقد تحت عنوان الباب ليس فى محله، ثم ما ذكره عمر رضى الله عنه مشكل لاقتضائه أن صورة جرير أحسن من صورة محمد صلى الله عليه وسلم وقد مر عن كثيرين من الصحابة ما يرد ذلك، وقد يجاب: بأن صورته صلى الله عليه وسلم قد علم واستقر فى العقول أنها أجمل (٢) من سائر المخلوقات حتى من صورة يوسف عليه السلام، فلم ينقل أن صورته، كان يقع من ضوئه على الجدران (٣)

---

(١) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٢٢٠

ما يصيره كالمرآة تحكى ما يقابله، وقد حكى ذلك عن صورة نبينا صلى الله عليه وسلم، لكن ستر الله عن أصحابه كثيرا من ذلك الجمال الباهر، لأنه لو برز إليهم لم يطيقوا النظر إليه كما قال بعض المحققين، وأما جمال يوسف عليه السلام لم يستر منه شيء، وإذا تقرر أنها أحسن فلم يشملها قول عمر: ما رأيت رجلا، وكأن المراد بهذا النفى ما عداه صلى الله عليه وسلم، سواء كانت رأى علمية أم بصرية وإذا كان الكلام مفروضا فى من عداه، فعمن لم يعلم، أو ينظر فيمن عداه صورة أحسن من صورة جرير، إلا صورة يوسف على أن الظاهر باعتبار ما سبق من جمال دحية مِن أنه كان إذا دخل بلد أخرج لرؤيته حتى العذارى من خدرها أنه كان أجمل من جرير وح، فيشكل ما ذكر عن عمر أيضا اللهم إلا أن يقال كلامه صريح فى أنه أجمل باعتبار الوجه حتى من دحية، ولا محذور فى ذلك على أن **يمكن الجمع** بأن دحية كان أجمل باعتبار الوجه، وجرير كان أجمل باعتبار البدن بدليل: أن عمر لم يقل ما مر إلا عند تجرد جرير عن الرداء.

---

(١) فى (ن) [جلادته].

(٢) فى (ن) [أجل].

(٣) فى (ن) الجدار.." (١)

"٤٠ - باب: ما جاء فى عبادة النبى صلى الله عليه وسلم

(باب ما جاء فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

عقبه لنومه لأن عبادته صلى الله عليه وسلم المقصودة هنا كانت تعقب نومه على أن نومه من أجل العبادات ولكلها والأصل فى ذلك قوله تعالى: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى:

الموت سمى يقينا لأنه متيقن وفائدة الغاية الأمر بالدوام أى: اعبد ربك فى جميع أزمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظة الحياة من هذه العبادة ولو حذفت تلك الغاية لاكتفى بالخروج عن عهدة الأمر بأدنى درجات العبادة إذ الأمر لا يفيد التكرار ولا ينافيه على الأصح كما حرر فى الأصول، وروى البغوى وأبو نعيم: «ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين». ورتب التسبيح وما بعده على ضيق الصدر لأن الاشتغال بها يكشف رين القلوب فيستحقر الدنيا فلا يحزن لفقدها ولا يفرح لحصولها وح تزول جميع الهموم والغموم،

---

(١) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٣٠١

وقوله تعالى: فاعبده واصطبر لعبادته أى: واصبر على مشاق التكليف فى الإنذار والإبلاغ وغيرهما، وعدى اصطبر باللام دون على لأن العبادة جعلت بمنزلة القرآن فى قولك لمحارب: اصطبر لقرانك أى لما يورده عليك من مشاق شجاعته، واعلم أنهم اختلفوا هل كان صلى الله عليه وسلم قبل متعبدا بشرع من قبله؟ فقال الجمهور: لا وإلا لنقل، ولما أمكن كتمه عادة، ولأنه يبعد أن يكون متبوعا من من عرف تابعا، قال إمام الحرمين بالوقف، وقال آخرون: نعم كان متعبدا بشرع، ثم أحجم بعضهم عن التعيين وجسر عليه بعضهم وعليه، فقيل: آدم، وقيل: نوح، وقيل:

إبراهيم، وقيل: موسى وقيل: عيسى، وقيل: جميع الشرائع، والقول بأنه كان على شريعة إبراهيم، وليس له شرع ينفرد به، بل القصد من بعثه إحياء لشرع إبراهيم لقوله تعالى: أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا (١) سخف وحماقة، إذ المراد: الاتباع فى أصل التوحيد كما فى قوله تعالى: فبهداهم اقتده (٢) وشرائعهم مختلفة، لا يمكن الجمع بينهما فلم يبق إلا ما أجمعوا عليه من التوحيد ومعنى متابعتهم فى التوحيد، المتابعة فى كيفية الدعوى إليه بطريق الرفق، وإيراد الدلائل المرة بعد الأخرى على ما هو المألوف

(١) سورة النحل آية رقم (١٦).

(٢) سورة الأنعام آية رقم (٦).." (١)

"امرأة في ذلك بكلام) أي بما لا يليق ذكره لأهل الإسلام ويؤيده ما رواه البخاري اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك فأنزل أي الله تعالى والضحى وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبي أنه صلى الله عليه وسلم أصيب في اصبعه فدميت فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له أم جميل امرأة أبي لهب ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت وروى ابن السكن أنها إحدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن متن مشركات إلا صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ويؤيد الأول رواية الحاكم أنها امرأة أبي لهب ولعلهما قالتا له ذلك ثم قيل هي أخت أبي جهل زوج أبي لهب وكان اسمها أم جميل وكان أبو بكر بن العربي لا يكنيها إلا بأم قبيح وقد أجاد فيما أفاد

(١) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٣٧٠

وقيل هي أخت أبي سفيان بن حرب وهي زوج أبي لهب أيضا وكانت عوراء وكان أحول والقول الأخير ذكره الحاكم في مستدركه في تفسير سورة والضحى وقال إسناده صحيح (وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ما قيل (بل تكلم به المشركون) أي بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحي) أي عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) أي والضحى وفي نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذي أبطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله سبحانه وتعالى ما ودعك ربك وما قلى **ويمكن الجمع** بين القولين بأنه لما فتر الوحي اتفق إذ ذاك أنه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ما قالت وقال المشركون من الرجال ما قالوا وقال البيض اوي روي أن الوحي تأخر اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا أو لأن جروا ميتا كان تحت سريره أو غير ذلك فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه أي تركه وأبغضه فنزلت ردا عليهم، (قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله) كذا في بعض النسخ وهو متروك في بعضها (تضمنت هذه السورة) أي سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) أي من أنواع إكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجي من مزيدة أو للتعظيم أي تضمنت شيئا عظيما أكرمه الله به انتهى ولا يخفى أن كونها مزيدة لا يناسب المقام لأن الزائدة إنما تكون للتنصيص على عموم في النفي نحو ما جاءني من رجل أو لتوكيد العموم نحو ما جاءني من أحد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب أنها للتبعيض فإنه لا شك أن ما تضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشيء أي رفعه ونوهت باسمه أي رفعت ذكره والمقصود رفعة شأنه وسطوع برهانه (وتعظيمه واستثناه إياه) أي بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه)." (١)

"النزول للواحدي عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه وقال التلمساني ذكر ابن قتيبة في آداب الكتاب والكلاعي في النقاية أنه توفي ورفع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع أنه قد يقال إن ذلك خص به النجاشي فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية أنه لم يصل على غائب إلا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بأنه رفع له كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وابن سعد في الطبقات عن أنس أن معاوية بن معاوية المزني ويقال الليثي نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يا رسول الله إن معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة أتحب أن أطوي لك الأرض فتصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الأرض فرفع له

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٩١

سريره فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم أدرك هذا ق ا ل بحبه سورة قل هو الله أحد وقراءته إياها حائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال (وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع أي ورفع له أيضا بيت المقدس كما في الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في أخباره أنه أسرى به إليه ثم إلى ما شاء الله تعالى ثم رجع إلى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم وأخبروا أبا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق أنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه وهو أبعد مما تعجبون منه ثم قال يا نبي الله صفه لي فإني جئته فرفع له حتى نظر إليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش فسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سألوني عن شيء منه إلا أنبأتهم به. (والكعبة) أي ورفع الكعبة له أيضا حتى رآها ، حين) وفي نسخة حتى (بنى مسجده) أي بالمدينة ليجعل محرابه إليها على ما رواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف أن جبريل هو الذي اعلمه بها واراه سمتها لا أنها رفعت له حتى رآها بشهادة ما في جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت أن جبريل هو الذي أقام له قبلة مسجده انتهى ولا يخفى أنه يمكن الجمع بينهما بأن اخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل أو بأن يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقبا فإن قيل لا خلاف في أنه أول قدومه المدينة كان يصلي إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه إلى الكعبة فالجواب أنه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بناء المحراب إلى الكعبة بعد التحويل مع أنه قد يقال إنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة أول البناء إلى الكعبة ثم حول إلى بيت المقدس ثم حول إلى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الأنصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل إلى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا ايضا يؤيد الجمع الأول فتأمل. (وقد حكى عنه صلى الله." (١)

"على ما في البخاري والترمذي والنسائي وفي البزار أربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة أو حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة إلى معاملته بيان للجواز أو قلة الطعام عند غيره أو حذرا من أن يضيق على أصحابه أو لأنهم لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١٧٨/١

يعطونه دينا وهو لا يريد تكون صنيعة لأحد عليه أو ليكون حجة على اليهود في قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا في كتابهم أنه يكون مختارا للفقر على الغنى وأنه لا يبالي بكلام الأعداء من الأغنياء الأغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها أي من أجلها أو في حقها (على ما تدعوه ضرورته إليه) أي على مقدار قليل لا بد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية إليه (وزهد) بكسر الهاء أي ولم يرغب (فيما سواه) ؛ فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع في أصل الدلجي وزهده بالضمير فتحير في امر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بإلى أو على ضرورته أي وإلى هده أو ويدعوه زهده فيما سواه إليه ذهابا إلى الاقتصاد المحمود إذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ما وجده) أي أصابه وصادفه أي تيسر له من غير كلفة وشهوة (فيلبس في الغالب الشملة) وهي كساء يشتمل به وقال ابن حماد هي شبه العباء وهي أكسية فيها خطوط سود كل كساء خشن فهو شملة ثم هي ضبطت في النسخ بالفتح لكن في القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر أنه وهم منه فإن صيغة الهيئة وهي النوع إنما هي بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا أطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر أي الغليظ ضد الرقيق (والبرد) أي اليماني وهو الثوب الذي فيه خطوط (الغليظ) أي الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لا خلاق له تفاخرا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا أن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس تفاخرا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا أن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز تشديده بقصد التكثير (على من حضره أقبية الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والأقبية جمع القباء بالمد كالأكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة أي المنسوجة (بالذهب) أي بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فيه طرائق من ذهب مثل خوص النخل أو المكنوفة به وفي رواية المزرورة بالذهب أي التي لها أزرار منه أو المطوقة به أو التي زينت أزرارها به وفي الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) أي منها (لمن لم يحضر) أي يغيب من أصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما في حديث الصحيحة عن ابن المسور قال أبي يا بني بلغني أن النبي صلى الله تعالى." (١)

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢٢٧/١

"(وقيل كنى) أي واصفه (بها) أي بالراحة وفي نسخة صحيحة به أي بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولا منع من الجمع بين العبارة والإشارة؛ (وخمصان الأخمصين) بضم أوله (أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم) وفي النهاية أن خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الأعرابي عنه فقال إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون وإذا ارتفع جدا فهو ذم فالمعنى أن أخمصه معتدل الخمص، (ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا) أي لكونهما ملساوين (قال) الراوي في الحديث السابق (ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه. (وفي حديث أبي هريرة) أي كما رواه البيهقي (خلاف هذا) أي خلاف كون قدميه اخمصين لأنه (قال فيه إذا وطىء بقدمه) بكسر الطاء أي داس بهما أو وقف عليهما (وطىء بكلها ليس له أخمص) **ويمكن الجمع** بينهما بأن مراد أبي هريرة أنه وطئ بكلها لا ببعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء وأن قوله ليس له أخمص محمول على نفي المبالغة كما تقدم أو أنه مدرج من الراوي بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) أي معنى قوله ليس له اخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه أنه لا منافاة بين كونه أخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من أنه قدمه كانت ملساء كأنها ممسوحة وأما قوله الأنطاكي من أن باطيس ذكر في المعنى في صفته عليه الصلاة والسلام أنه كان لرجله أخمص فمحمول على ما ذكرناه من الجمع بأنه كان له بعض الخمص لا أنه لم يبلغه حديث أبي هريرة أو لم يصح الحديث عنده كما اختاره الأنطاكي (وبه) أي بمسيح القدمين (قالوا) أي بعضهم (سمي المسيح ابن مريم أي لم يكن له أخمص) أي بطريق المبالغة لا بالكلية مع أن الأنسب أن يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل مسيح لا لحم عليهما) وفيه أنه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ أصلا (وهذا) أي قوله لا لحم عليها (أيضا يخالف قوله شثن القدمين) أي عند من فسره بلحيمهما كالمصنف وأما عند من فسره بميلهما إلى غلظ وقصر أو في أناملهما غلظ بلا قصر فلا إذ لا تلازم بين اللحيمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) أي مع تثبت في المشي بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة، (والتكفؤ:

الميل إلى سنن الممشي) بفتحتين وفي نسخة الممشي على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان أي إلى صوبه (وقصده) أي من جهته معتدلا بها من غير انحراف عنها وفي الحديث القصد القصد تبلغوا أي الزموا الأمر الوسط في العمل تصلوا ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء، (والهون) مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفي رواية كان يمشي الهوينا تصغير الهونى تأنيث الأهون فيكون القصد منه المبالغة

في الهون المندوب في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وفي الأدب المفرد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما أي لا إفراط فيه بل قليلا بشهادة ضم ما إليه؛ (والذريع: الواسع الخطو) أي من الذرع وهو الطاقة والوسع ومنه قوله تعالى وضاق بهم." (١)

"عليه الصلاة والسلام) أي من جملة ما خص في الإعطاء ولم يعط مثله لسائر الأنبياء (قصة الإسراء) أي إسرائه إلى السماء (وما انطوت) أي اشتملت (عليه من درجات الرفعة) أي بحسب ما ثبت في اثناء الأنباء (مما نبه عليه الكتاب العزيز) أي من بعض الإسراء (وشرحته صحاح الأخبار) أي وبينته الأحاديث والآثار وفي نسخة صحائح الأخبار قال الحلبي وكلاهما جمع صحيح وإطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده) أي سيره (ليلا منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرائية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فإن السري والإسراء كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة في مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة إلى التخلية من مقام التفرقة إلى التحلية والتجلية في مرتبة الجمعية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الآية) أي الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل إيراده هنا للتنبيه على أنه منزه عن المكان وإن إسراءه عليه الصلاة والسلام لإعلاء الشأن ولإطلاعه على عجائب الملك والملكوت في ذلك الزمان وهو مضاف إلى الموصول الذي بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية وأغرب السمين في إعرابه حيث قال وهو منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم إذا هوى قوله إلى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد الفت رسالة مستقلة في خصوص هذه المسألة وبدأتها بتفسير صدر سورة الإسراء وختمتها بتفسير صدر سورة والنجم وذكرت فيما بينهما بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدراج العلوي في المعراج النبوي وههنا اتبع كلام الشيخ في تبيين مبناه وتعيين معناه واتتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما ألقاه من مقتضاه ثم الظاهر من الآية المذكورة أن ابتداء الإسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا أنا في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أتاني جبريل بالبراق وليطابق المبتدأ المنتهي لأنه ليس حرم للمسجد الأقصى أو من الحرم كما قال صاحب البردة:

سريت من حرم ليلا إلى حرم وسماه مسجدا لإحاطته به ولحديث أنه كان في بيت أم هانيء بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بأن كان في بيت أم هانئ فرجع بعد صلاة العشاء إلى المسجد وأتى الحجر عند البيت كما يشير إليه قوله بين النائم واليقظان عند

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٣٦٢/١

نزوله رجع إليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والأثمار وفي الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجي ومن جملة إراءة الآيات ذهابه في لحظة مسيرة أربعين ليلة." (١)

"المقدس (فربطته) أي البراق (بالحلقة) بإسكان اللام وفتحها (التي يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الأنبياء) أي دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب التحرير وسيأتي فيه ما ينافيه والبراق إن ثبت أن له الإسراء أيضا إلى بيت المقدس ويؤيده أن إبراهيم عليه السلام كان يزور هاجر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فما ركبك أحد أكرم على الله تعالى منه كما سيأتي وفي حديث الترمذي من طريق بريدة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس أشار جبريل عليه السلام إلى الصخرة فخرقها وربط البراق بها **ويمكن الجمع** بأنه كان الخرق فيها مسدودا فأظهر خرقها ثم في ربطه دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك والحذر في السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اعقل وتوكل وقد قال وهب بن منبه كذا وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم أن نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووي في شرح مسلم وهو في الأصول يعني أصول مسلم به بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء انتهى ولا يخفى أن الأولى رجع الضمير إلى خرقها بحذف مضاف أو ارتكاب مجار آخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) أي أقصى (فصليت فيه ركعتين) أي تحية المسجد (ثم خرجت) أي منه (فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن) أي امتحانا من الله تعالى قال التلمساني هكذا في مسلم وفي البخاري وإناء من ماء وروي ثلاثة لبن وخمر وعسل وروي أربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الأظهر حيث عرض عليه من الأنهار الأربعة الموعودة في الجنة واختياره اللبن لأنه مغن عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل إشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت أمتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم في جمع المال الذي يؤدي إلى سوء الحال ونقصان المآل وأما الخمر فإشارة إلى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) أي أعرضت عن الخمر وروي فأخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) أي علامة الإسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا أسهل المرور في الحق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر أم الخبائث جالبة لأنواع شرور

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٣٨٦

الحوادث (ثم عرج بنا) أي صعد بنا (إلى السماء) بنون المتكلم إما لتعظيمه أو له ولمن معه فالضمير إلى الله تعالى أو جبريل أو البراق وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الأنطاكي وكذا فيما بعده وهو في غاية من القبول مع الإشارة إلى أن سيره من المسجد الأقصى إلى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذي له درجة من ذهب وأخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) أي باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد أن يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هناك فتح واغلاق وهو الأظهر في مقام أدب الإجلال والاستحقاق (فقيل من أنت؛ قال) أي جبريل (جبريل) أي أنا جبريل (قيل ومن معك) أي لما كوشف لهم أن أحدا معه أو استدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شأنه (قال محمد) أي هو أو معي محمد (قيل وقد بعث." (١)

"قاله الدلجي لكنه بصيغة المجهول في النسخ المصححة (إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) كذا في مسلم قال النووي في جميع أصوله وعن المصنف هو الأصح وقول الأكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى أنها في السماء السابعة ولذا صحح في بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بينهما النووي بأن أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة انتهى وفي الروايات الأخر من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أنها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصلها مؤذن بأنه في الأرض انتهى وفيه بحث لا يخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى **يمكن الجمع** بأن مبدأها في الأرض ومعظمها في السماء السادسة وانتهاءها ومحل اثمارها وغشيان أنوارها في السماء السابعة ويؤيده قوله (إليها) أي إلى السدرة (ينتهي من يعرج به من الأرض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) أي تقبضه الملائكة الموكلون فيها بأخذ ما صعد به من الأعمال والأرواح إليها (وإليها ينتهي ما يهبط) أي ينزل (من فوقها فيقبض منها) أي فيقبضه من أذن له بقبضه وإيصاله إلى من قضى له به وفي الحاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانه وتعالى أعلم (قال) أي الله سبحانه وتعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى [النجم: ١٦]) أي يغطيها ما يغطي مما يصعد إليها من تحتها ويهبط عليها من فوقها وهذه عبارة لم أر من عبر بها وبهذا يجمع بين روايات مختلفة إذ روي أنه يغشاها جم غفير من الملائكة وفي رواية رفرف من طير خضر وتقدم عن الحسن أنه نور رب العزة (قال) أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذي يلقى نفسه في ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذي يعلو النبيذ ونحوه

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٣٨٨

وقد ذهب توجيهه (وفي رواية أبي هريرة رضي اللہ تعالى عنه) أي ومنها في روايته (من طريق الربيع بن أنس رحمه الله تعالى) والربيع هذا بصري نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عن النووي وابن المبارك وطائفة (ر فقيل لي هذه) أي المشار إليها (سدرة المنتهى) وفي نسخة صحيحة السدرة بالألف واللام قال الأنطاكي هذا ما وقع في النسخ في هذه الرواية السدرة بالألف واللام وفي باقي الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع في صحيح مسلم السدرة بالألف واللام في قوله عليه الصلاة والسلام ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى قال النووي في شرحه وفي غيره من الروايات سدرة المنتهى يعني بدون الألف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهي إليها كل أحد) أي روحه أو عمله أو بكليته عند دخول جنته (من أمتك خلا على سبيلك) أي مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أي مضى نبي منذر وأما ما ضبط في حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على أنه مبني للمفعول فتصحيف وتحريف (وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة أو مقصورة كما قرىء بهما في السبعة غير متغير طعما ولونا وريحا، (وأنهار من لبن لم يتغير." (١)

"الرواة (فعرج بي إلى السماء) أي فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا إذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة الحديث بطوله (إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) أي صريرها كما في رواية وقد فرض الله هناك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هي خمس وهن خمسون (وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة) أي جنة المأوى (ورأى فيها ما ذكره) أي من جنابذ اللؤلؤ وأن ترابها المسك قال الدلجي وظاهر هذا كله شاهد صدق بأنهما نزلا عن البراق وإن أنكره حذيفة انتهى ولا يخفى أن الظاهر عدم النزول عن البراق إلا أن يدل دليل صحيح وصارف صريح فيها هنالك لذلك (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي كما رواه البخاري (هي رؤيا عين رآها صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في حال اليقظة (لا رؤيا منام) أي وإن كان رؤيا الأنبياء حقا في ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج إلى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) أي البصري (فيه) أي في حديث معراجه كما رواه ابن إسحاق وابن جرير عنه مرسلا (بينا أنا نائم في الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووي إنه رأى لبعض المصنفين على المهذب أنه يقال أيضا بفتح الحاء كحجر الإنسان فقيل كله من البيت وقيل ستة أذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق أنه رأى بين النائم واليقظان ولا يبعد أن يراد بالنائم المضطجع فإنه على هيئة

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٣٩٩/١

النائم وقد يعبر به عنه على أنه لا تنافي بين كونه نائما في أول القضية ومستيقظا في آخر القصة مع أنه روي بينا أنا جالس في الحجر (جاءني جبريل فهمزني) أي غمزني (بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي، ذكر) أي الحسن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا، فقال في الثالثة فأخذ بعضدي) بصيغة الإفراد وفيه أربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون أي أمسك ما فوق مرفقي (فجرني إلى باب المسجد) قال الدلجي الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن أن يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى أنه إذا ثبت من طريق أمامين جليلين هذا المبنى ينبغي أن يحمل على محمل لطيف في المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل في قوله فهمزني بعقبه وقد نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعض أصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الأدب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة وأما الأخذ بالعضد فلا خفاء في المناسبة المساعدة للتقوية العضدية وأما قوله فجرني فكناية عن كمال الجذبة الملكية المتسببة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الإسرائية إلى المراتب الاصطفائية وقد روي فجبذني وهو مقلوب جذبني (فإذا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانيء) بكسر النون فهمز وهي بنت أبي طالب أخت علي رضي الله تعالى عنهما اسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت إني امرأة مصيبة واعتذرت إليه فعذرها روى عنها علي وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن إسحاق." (١)

"وجوبها) أي وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم، (والقول) أي الجزم (بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع) أي من قواطع الأدلة أي على وقوع الرؤية (ولا نص) أي دليل صريح يعول في ثبوت وقوعه عليه (إذ المعول فيه) أي المعتمد عليه في هذا الاستدلال (على آيتي النجم) أي قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى (والتنازع فيهما مأثور) أي والاختلاف في معنى الآيتين بين الأئمة في كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) أي العقلي والنقلي (لهما ممكن) أي من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أي بكونه رآه بعينه وفي نسخة صحيحة لذلك أي لما ذكر (وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) أي الذي تقدم من أنه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) أي الذي نشأ عن استنباطه (لم يسنده إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حتى يعتبر (فيجب) بالنصب (العمل) وفي نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد الميم

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤١٣/١

المفتوحة أي مفهومه ومضمومه من رؤية ربه بعينه (ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية) أي قوله رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه. (وحديث معاذ) أي رأيت ربي في أحسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتأويل) أي على ما تقدم من أنه رآه بفؤاده وفي منامه (وهو) أي والحال أن حديثه (مضطرب الإسناد والمتن) أي ومن المعلوم أن اضطراب أحدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لا سيما مع ما سبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الإسناد فإنه تارة يروي عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمي مرسلا فإن عبد الرحمن ليس بصحابي وتارة عن معاذ ابن جبل واضطرابه من حيث المتن فإنه رواه الطبراني في كتابه بإسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال إني صليت الليلة ما قضى لي ووضعت جنبي في المسجد فأتاني ربي في أحسن صورة الحديث ورواه أحمد بن حنبل على هذا السياق وفيه أني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الإسناد واحد والاختلاف في متن حديث واحد موجب للاضطراب. (وحديث أبي ذر الآخر) بالرفع على أنه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام أي من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) أي من حيث المعنى (مشكل) أي حيث لا **يمكن الجمع** بينهما ولا ترجيح أحدهما أو محتمل لأن يكون رآه ولم يره أو رآه وبعينه أو بقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور من جملة الصفات (فروي) ويروى فيروى وهو حديث أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) أي هو نور عظيم (أنى أراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف أي كيف يتصور أني أرى الله تعالى فإن الشيء يرى بالنور وهو إذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما." (١)

"من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفي نسخة احتمل (ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه) أي في جواز الرؤية وحصولها (ولا مانع قطعي) أي من جهة شهود العقل أو ورود النقل (يرده) أي عند المحقق (والله الموفق للصواب) أقول والله سبحانه وتعالى أعلم أنه **يمكن الجمع** بين الأدلة في هذه المسألة المشكلة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلي الصفات وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلي الذات إذ التجلي للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال في حق ذاته تعالى باعتبار احاطته وحياكته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الأبصار وقوله سبحانه وتعالى ولا

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٤٣٤

يحيطون به علما ومما يؤيده أنه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففي ذكر الرب والجعل تلويح لما قررناه وكذا في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة تلميح لما حررنا وكذا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل أن ما علم يقينا من معرفته في الدنيا يصير عين اليقين بها في العقبى مع أن التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لا نهاية لها في المقامات الأبدية والحالات السرمدية فالسالك المنتهي في السير إلى الله تعالى يكون في الجنة أيضا سائرا في الله كما قال تعالى وأن إلى ربك المنتهى مع أنه لا نهاية لآخريته كما أنه لا بداية لأوليته فهو الأول والآخر والباطن والظاهر وهو أعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر.

فصل [في فوائد متفرقة]

في فوائد متفرقة مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة الإسراء (وأما ما ورد في هذه القصة) أي قصة الإسراء (من مناجاته لله عز وجل) أي مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا أو من محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانه وتعالى وكلام الله معه عز شأنه (بقوله) أي بدليل ما ورد من قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى

[النجم: ١١] إلى ما تضمنته الأحاديث) أي ما وردت به السنة مما سيذكر في هذا المعنى (فأكثر المفسرين على أن الموحي هو الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم) أي إلا طائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال أوحى إليه بلا واسطة) أي كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطي) أي منقول (وإلى هذا) أي قوله (ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء) أي في ليلته أو حالته (وحكي عن الأشعري) أي القول بأنه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره) أي نفي تكليمه بلا واسطة (آخرون) وسيرد ما يردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله دنا فتدلى أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقني جبريل) أي في مقام معين له كما أخبر الله." (١)

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٣٦/١

"سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله وما منا إلا له مقام معلوم وقال معتذرا لو دنوت انملة لاحترقت (فانقطعت الأصوات عني) أي بعد مفارقة جبريل مني وحصل الرعب والوحشة في قلبي (فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الأمر ففتح فسكون ففتح فهمز ساكن أي ليسكن (روعك) بفتح الراء أي فزعك وإن روي بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فإني معك وأصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل في روعي فيحتمل أنه ذكره لأنه محل الروع فسمي باسم ما حل فيه أو سمي كله باسم القلب الذي فيه الروع فسمي باسم بعضه (يا محمد ادن) بضم همزة ونون أمر من الدنو (ادن) كرر للتأكيد وإفادة زيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانه لا دنو مكان ومسافة ومساحة أو المراد الدنو إلى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه. (وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه) أي موقوفا عليه أو مرفوعا ءنه فإن صح رفعه وكذا وقفه لأنه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع أنه **يمكن الجمع** بأن ما أوحي إليه من الوحي الجلي وهو القرآن المبين فلا يكون إلا بواسطة جبريل الأمين كما قال تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وما أوحي إليه من الوحي الخفي فهو بلا واسطة أحد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الإلهام مما لا يخفى على العلماء الأعلام ومشايخ الإسلام من هداة الأنام (وقد احتجوا) أي الآخرون (في هذا القول) بأنه كلمه بلا واسطة بقوله تعالى وما كان لبشر) أي لآدمي (أن يكلمه الله إلا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لا بتأمل وروية وهو إما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أو على سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام في وادي الطور بطوى (أو من وراء حجاب) أي كما وقع لسائر الأنبياء من الوحي الخفي ولبعض الأصفياء من الإلهام الجلي (أو يرسل) أي الله تعالى إلى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحي) إليه أي بالواسطة بأن يبلغ الملك الرسول من البشر (بإذنه ما يشاء [الشورى: ٥١]) أي من الإحكام والإنباء وهذا الذي ذكرناه أظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هي) أي الآية الدالة على أنواع الكلام أو مكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى هذا) أي أحدها (وبارسال الملائكة) الأظهر الملك بصيغة الإفراد لأن المشهور ان جبريل هو صاحب الوحي ولعل وجه الجمع أنه ما يخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الأنبياء) الأولى كحال سائر الأنبياء جميعها (وأكثر أحوال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثاني قال الواحدي المفسر في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى الآية الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإخبار جبريل إليه عيانا وحاوره شفاها

والنبي الذي تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا هذا كلام الواحدي قال النووي في تهذيبه فيه نقص في." (١)

"فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بأن في غالبيته نصرة الأولياء وفي مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين فكل أمر المؤمن مقرون بخير في الكونين وقد قال تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (ويفي بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) أي ويصدق الوعد، (وأشهد أنه نبي) فلله دره وما أتم نظره حيث حملته محاسن جملته على الإقرار بنبوته من غير حاجة إلى إظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو فتحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره (في قوله تعالى: يكاد زيتها يضيء) أي يفيض بالأنوار من حيث ذاته (ولو لم تمسسه نار [النور: ٣٥]) تفيد إنارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) أي كأنه تعالى يقول (يكاد منظره) أي يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا) من التلاوة وروي وإن لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم أي وإن لم ينضم لرؤيته تلاوة قراءته الدالة على أنواع معجزته (كما قال ابن رواحة) أي في نعته وهو بفتح الراء انصاري نقيب بدري أحد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر أحدا والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم أميرا فيها سنة ثمان من الهجرة:

(لو لم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها أي لو لم يوجد في حقه آيات ظاهرة أو معجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) أصله ينبئك بالهمزة فسكن ضرورة ثم جواز إبداله ياء لغة هذا وقد نسب الشيخ تقي الدين بن تيمية هذا البيت إلى حسان مع تغير شطره الثاني حيث قال وما أحسن قول حسان:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

انتهى ولا يخفى أنه يمكن الجمع بالتوارد في المبنى وإن كان أحدهما أظهر في المعنى (وقد آن) أي حان (أن نأخذ) أي نشرع (في ذكر النبوة) وهي حالة الولاية قبل الرسالة (والوحي) أي وبيان الوحي الشامل لحال النبوة (والرسالة) أي نعت الرسالة وما تتميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) أي وبعد فراغ هذا الشأن نشرع (في معجزة القرآن) أي وما يتعلق به من البيان (وما فيه) أي في القرآن (من برهان) أي حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر أي وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم في هذا الباب ثلاثون فصلا.

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٣٧/١

فصل [اعلم أن الله عز وجل قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده]

(اعلم أن الله تعالى قادر على خلق المعرفة) أي جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (في قلوب عباده) أي على وفق مراده كما حكي عن سنته سبحانه في بعض." (١)

"كاله) أي ليعرف نقصانه وكماله ويوجب اكتياله ما يبين حاله وماله ففني بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فأتى) أي الرجل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره) أي بأنه كاله وجرب حاله (فقال لو لم تكله) أي وما جربتيه (لأكلتم منه) أي كلكم طول عمركم (ولقام بكم) أي بأودكم مدة بقائكم وفي هذا الحديث أن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم قيل والحكمة في ذلك أن الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفي تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة وأما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد أن يكيله عند إخراج النفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط أن يبقى الباقي مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك أنه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه امرأة فالتمس النبي عليه الصلاة والسلام ما سأله فلم يجد له فبعث أبا رافع الأنصاري وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند يهودي في شرط وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام إليه قال فأطعمنا منه ثم أكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه كذا ذكره التلمساني وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضي **ويمكن الجمع** بينهما. (ومن ذلك) أي مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث أبي طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروي في الصحيحين عن أنس في قصته وأبو طلحة هذا هو عم أنس بن مالك زوج أم سليم أنصاري نجاري خزرجي بدري أحد الفقهاء قال صلى الله تعالى عليه وسلم صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة ذكر أنه قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته أنس بن مالك (وإطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم في روايته بثمانين رجلا (من أقراص) أي قليلة (من شعير جاء) وفي نسخة أتى (بها) أي بتلك الأقراص وفي نسخة به أي بما ذكر (أنس تحت يده أي إبطه) يعني حال كون أنس واضعا لها تحت إبطه من كمال قلتها (فأمر بها) أي بالأقراص أو بفتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الأولى مفتوحة أي فجعلت فتاتا والمعنى كسرها بأصابعه وثردها وفي حديث إذا قل طعامكم فأثردوه (وقال فيها)

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٥٣١

أي في حق الأقراص (ما شاء الله أن يقول) أي من ثناء ودعاء وأسماء وأمر بمجيء عشرة عشرة حتى أكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وإنما أذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فإن القصعة التي فت فيها تلك الأقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون أنه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل أن يكون لضيق المنزل وهو أقرب؛ (وحديث جابر) أي ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في إطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) أي زمن حفره وهو يوم الأحزاب (ألف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح أوله وهي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة (وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا) أي منه (حتى تركوه) أي على." (١)

"(يومئذ) أي يوم أحد (عن قوسه) وهي المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف أي انكسرت وفي نسخة حتى اندقت سيتها كذا في السير (وأصيب) وروي وأصيبت (يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان) بضم النون وهو تفسير من الراوي (حتى وقعت على وجنتيه) بتثليث الواو والفتح أفصح أي سالت على أعلى خده فأتى به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي أمرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم أكسه جمالا وفي رواية أنه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما هذا يا قتادة فقال هذا ما ترى يا رسول الله فقال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا فقال يا ارسول الله إن الجنة أجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكني أكره أن أعير بالعور فردها إلي واسأل الله لي الجنة فقال افعل فاعادها إلى موضعها ودعا لي بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر ابن قتادة مرسلا ووصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة البيهقي من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري عن قتادة (فكانت) أي عينه المردودة (أحسن عينيه) لأنها المقبولة وكانت أيضا أحدهما نظرا ولا ترمد إذا رمدت الأخرى ولهذا ظهر ضعف قول التلمساني يجوز أن يكون اكتفى بذكر إحدى العينين عن الأخرى إذ روي أنهما أصيبتا معا فردهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا انتهى **ويمكن الجمع** بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر ابن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال:

أبونا الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أيما رد

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٦٠٦

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر وأحسن جائزته وقال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى نبيك بوجهه واجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا (وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) أي كما تقدم قيل وهو الذي قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة) كذا في النسخ ولم يعرف في رواة الحديث بل ولا في حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قتادة وقال الحلبي الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن وذلك لأن عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد ابن عياض ليثي حجازي حدث عن نافع وابن شهاب والمقبري وعاصم بن عمر بن قتادة." (١)

"يدا فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبي مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا في الصدقة وللبخاري عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له ايتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فأخذنا قصة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة أطولنا ذراعا فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا أن طول يدها في الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجي وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي مع منافاة ما أفاده قولها إن طول يدها كان بالصدقة من أنه طول معنى لما أفاد قولها كانت أطولنا ذراعا من أنه طول حسا انتهى ولا منافاة لظنها أولا أن المراد بالطول هو الحسي فتبين لها بعدها أن المقصود هو الطول المعنوي كما هو المعتبر عند أرباب النظر مع ما في العبارة من حسن الإشارة إلى أن التلويح أبلغ من التصريح وأن في التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم **يمكن الجمع** بين ما ورد في الصحيحين أن تكون إحداهما أسرع حقيقيا والأخرى إضافيا ولعل الاسرع منهما هي الأكثر منهما مبادرة إلى الصدقة وهذا مما الهمني الله من التحقيق والله ولي التوفيق ثم رأيت الحلبي قال زينب هذه بنت جحش توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين لا زينب بنت خزيمة التي تدعى أم المساكين لأنها توفيت في آخر الربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة (وأخبر بقتل الحسين) أي ابن علي

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٤٥٦

رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الأولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الإيماء واستشهد وهو ابن خمس خمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من أهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم علي بن الحسين الأكبر وكان يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فيها ابن الدعي وقتل من ولد أخيه عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن أخواته العباس بن علي وعبيد الله بن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو أصغرهم ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل ابن أبي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل وعبد الله بن عقيل وقتل معه من الأنصار أربعة والباقي من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر أبو الربيع بن سبع في مناقب الحسين عن يعقوب بن سفيان قال كنت في ضيعتي فصلينا العتمة ثم جلسنا في البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن علي فقال رجل ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه عذاب قبل أن يموت وكان في البيت شيخ كبير فقال أنا ممن شهدها وما أصابني أمر." (١)

"الأعلى إلى المكان الأدنى (أحب إلي من أن أقدمه عليهما) أي في الأفضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه أنه يجب على التابع أن يقدم من قدمه المتبوع ولذا أذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس أتريد أن يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عياش رأي له وإلا فالجمهور على أن الأفضل يستحق التقديم في كل شيء فتأمل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها إلا أن الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم المصيبة وفقد الأعزة ولا يبعد أن يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس (أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس (أليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا (وأي آية أعظم) أي خطرا وأفخم قدرا (من

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٧٠٣/١

ذهاب أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث إنهن من أخص أصحابه وأقرب أحزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة (مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فيتعين علينا زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته إياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمرو بن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) أي أمه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي أن الواردة عليه إنما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الإيمان (فلما توفي) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عليه الصلاة والسلام في الإكرام ومزيد الإنعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم أن العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر إسلام حليمة وقال إن هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسمية في إسلام حليمة **فيمكن الجمع** بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية.

فصل [ومن توقيره وبره توقير أصحابه عليه الصلاة والسلام]

(ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن إحسانه (صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه." (١)

"على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما استحقها لأن المراد بها تعظيم من يصلي عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على إبراهيم وهو في المدعي كالصريح (وروي عن ابن عباس) كما في شعب الإيمان للبيهقي وسنن سعيد بن أبي منصور (أنه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضي الله تعالى عنه أخذ من قوله تعالى في حق الأنبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه أن الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الأنام (وروي عنه) أي عن ابن عباس كما في فضل الصلاة عليه عليه السلام لإسماعيل القاضي (لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين) ولعله رجع عن قوله الأول أو مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٨٩

فإنه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) أي الثوري أو ابن عيينة (يكره أن يصلى) أي على أحد أصالة (إلا على نبي، ووجدت بخط بعض شيوخي) وفي حاشية الحلبي قوله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي بالفاء والسين المهملة نسبة إلى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا أبو عمران الفاسي ففيه أهل القيروان في وقته (مذهب مالك أنه لا يجوز) أي لا ينبغي (أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا) أي النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن أن يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فإنه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) أي الإمام (في المبسوطة) وفي نسخة المبسوط (ليحيى بن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى) أي بالجمع بين الصلاة والسلام (ما أمرنا به) أي من الجمع بين الصلاة والسلام مختصا به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) أي الليثي عالم الأندلس راوي الموطأ (لست آخذ بقوله) أي بقول مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد (ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم) أي بالأصالة (وعلى غيرهم) أي تبعا ويحتمل أنه أراد به استقلالا لأنا ننزهه عن مخالفة العلماء إجلالا (واحتج) أي يحيى لما قاله وفي نسخة صحيحة واحتجوا أي هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) أي الآتي أنه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أصحابه فيما مر (الصلاة عليه وفيه) أي وفي حديث تعليمه عليه السلام (وعلى أزواجه) فيه أنه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الأنبياء تبعا وزيد في بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي) بالفاء والسين وفي نسخة القابسي بالقاف وبموحدة بعد الألف فسين مهملة (روى عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه أقول) وفي نسخة وبه نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى، وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله." (١)

"ذاته ومقاماته ويستغرق في مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن أخوة الإسلام) أي حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعني نفسه الأنفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه في قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) أي فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال) أي فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة وأنس وعائشة جوابا لقولهم إنك تواصل فكيف تنهانا (إني لست كهيئتكم) أي على صفتكم وماهيتكم (إني أظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أي أصير أو

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١٤٦/٢

أداوم نهارا (يطعمني ربي ويسقيني) محلهما النصب على الخبرية لأظل إن كانت ناقصة أو على الحالية المتداخلة إن كانت تامة وفي رواية أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني إما بإفاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه يدفع عنه مس الجوع وألم العطش الناشيء لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام إليه أي أو بإيصال رزق من الجنة له ليالي صيامه كما ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يلتوي من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبني على أن طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن إن كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل إطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الأول وهو أن المراد بالطعام وما يقوم مقامه من القوة لأنه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا **ويمكن الجمع** بأنه يتقوى في النهار ويأكل من طعام الجنة في الليل كما يشير إليه رواية أبيت فالوصال حاصل في الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) أي المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أي المملة على الأجسام الحيوانية (وهذه) أي النبذة (جملة) أي قضية مجملة (لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة) أي علية (بل الأكثر) أي من ذوي الهمم الجالية (يحتاج) ويروى محتج (إلى بسط) أي للكلام في أحوالهم (وتفصيل) لما يتعلق بأفعالهم (على ما نأتي به) أي نبينه ونذكره (بعد هذا) أي البيان الإجمالي (في البابين) أي الموضوعين للمقام التفصيلي (بعون الله تعالى) أي بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) أي الله ربي (حسبي) كافي أمري الجليل والقليل (ونعم الوكيل) أي هو أفضل من توكل إليه الأمور ويعتمد عليه وتطمئن إليه الصدور.." (١)

"للآخرين (في قوله: أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا [النحل: ١٢٣]) لأن أمره باتباعها إنما كان بعد الوحي إليه والكلام قبله (للآخر) أي ولا للآخرين (في قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا [الشورى: ١٣]) فإذا أيضا بعد الوحي ومع هذا (فمحمل هذه الآية) وفي نسخة فمحتمل وفي أخرى فتحمل هذه الآية كما قبلها (على اتباعهم في التوحيد) أي توحيد الذات وتفريد الصفات وما يتعلق به من أمور النبوات والفروع الكليات المجمع عليها في جميع الحالات لاختلاف كل نبي فيما جاء كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا (كقوله تعالى: أولئك) أي المذكورون من الأنبياء والاصفياء (الذين هدى الله) أي هداهم واجتباهم واصطفاهم ومن متابعة الهوى زكاهم ونجاهم وعن المعاصي عصمهم ونحاهم (فبهداهم اقتده [الأنعام: ٩٠]) بسكون الهاء للسكت وفي قراءة بكسر الهاء وفي رواية بإشباعها والضمير إلى المصدر فتدبر (وقد سمى الله تعالى فيهم) أي في الذين هدى الله (من لم يبعث) أي بالنبوة (ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول إنه ليس برسول) وهذا مردود بقوله تعالى

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١٧٤/٢

ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية نعم لم يعرف له شريعة تخصه وهو ليس من لوازم الرسالة (وقد سمى الله تعالى جماعة منهم) أي من الأنبياء (في هذه الآية شرائعهم) وفي نسخة وشرائعهم (مختلفة لا **يمكن الجمع** بينها) أي من الأحوال المؤتلفة، (فدل) أي اختلافهم (أن المراد) يهديهم (ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) بنعت التفريد ولا يبعد أن يكون بعض الشرائع المجمع عليها داخلا في الأمر بالاقتداء بجميع أفراد الأنبياء (وبعد هذا) الذي تقرر وتحرر (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول) بالرفع (في سائر الأنبياء غير نبينا) عليه وعليهم الصلاة والسلام (أو يخالفون بينهم) أي ويفرقون بينه وبينهم ففيه تفصيل مبنِي على أصولهم (أما من منع الاتباع عقلا فيطرد) بتشديد الطاء أي فيستمر (أصله) ولم يختلف نقله من منعه (في كل رسول) من غير تفرقة (بلا مرية) بكسر الميم ويضم أي بغير شك وشبهة (وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول (وتقرر اتبعه) وعمل كما يقتضي أمره، (ومن قال) ويروى من يقول (بالوقف فعلى أصله) من غير مفارقة لفصله، (ومن قال بوجوب الاتباع) أي قبل الوحي (لمن قبله) من الأنبياء (فيلتزمه) أي القول بموجبه (بمساق حجته في كل شيء) وفي نسخة في كل نبي.

فصل [هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف]

(هذا) الذي قدمناه من فصل العصمة (حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال) المنكرات الصادرة (عن قصد) أي تعمد (وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف) أي ويؤاخذ به فاعله؛ (وأما ما يكون) أي المخالفة فيه من الأعمال (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول بالغفلة في الجملة (والنسيان) وهو الذهول بالمرة والكلية (في الوظائف الشرعية)." (١)

"الحق ويروى بما تكلفه (من مقاساة الخلق) أي مكابدتهم (وسياسة الأمة) أي محافظتهم ويروى وسياسات الأمة (ومعاناة الأهل) من عانه قاساه أي ملاحظة أحوالهم ومراعاة أفعالهم رفقا بهم وعونا لهم (وملاحظة الأعداء) أي مراقبتهم ومحاذرتهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب عن تجرده للرب ويوجب فتورا يقتضي في الجملة قصورا (ولكن ليس) صدور ذلك وظهور ما هنالك (على سبيل التكرار) أي المفضي إلى حال الاكثار (ولا الاتصال) أي ولا على سبيل الاتصال في مقام الانفصال (بل على سبيل

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢٦٧/٢

الندور) أي القلة في الانتقال عن مشاهدة جمال ذي الجلال على وجه الكمال (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم إنه) أي الشأن (ليغان على قلبي) بصيغة المفعول والمعنى قد يحجب قلبي عن مشاهدة ربي بالاشتغال بأمره والانتقال إلى إمضاء حكمه (فأستغفر الله) أي في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة وهذا من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ،لأحرار بل كان في كل وقت وحالة مترقبا إلى مقام ومرتبة بعد الحال الأولى بالنسبة إلى المرتبة الثانية العليا والمنزلة الأولى سيئة ومنقصة يحتاج فيها إلى الأوبة وطلب المغفرة مما فيه صورة الحوبة كما يشير إليه قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى (وليس في هذا) أي فيما ذكر (شيء يحط) أي يصنع (من رتبته ويناقض معجزته) أي يعارض من كرامته (وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلاة والسلام جملة) أي من غير استثناء حالة (وهو مذهب جماعة المتصوفة) أي متكلفي طريق التصوف ومنتحلي سبيل التعرف (وأصحاب علم القلوب) بالحالات السنية الجليلة (والمقامات) البهية العلية **ويمكن الجمع** بين كلام المثبتين للسهو والنافين للغلط واللهو أن ما وقع من أفعاله عليه الصلاة والسلام في صورة الغفلات وهيئة الفترات ليست على حقيقتها المترتب عليها نقصان مرتبة من الحالات أو قصور في رتبة علو المقامات فإن سيئات أرباب السعادة حسنات وحسنات أرباب الشقاوة سيئات كما أشار إليه بعضهم بقوله:

من لم يكن للوصال أهلا ... فكل طاعاته ذنوب

والحاصل أن ضعف بنية البشرية لا يقوى على مداومة تجليات الإلهية فتارة يكون في حالة الصحو وأخرى في حالة المحو وكذا تختلف المقامات بتفاوت غلبة الفناء ورجعة البقاء حتى يترتب عليه السكر والشكر والفكر والذكر والترقي والتدلي مع أن مقام جمع الجمع يقتضي أن لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة فلا يتصور في حق الكمل منهم صدور الغفلة بالمرة فإن اتباعهم ببركة اتباعهم وصلوا إلى حد لو أرادوا أن يتركوا طاعة أو يغفلوا ساعة لم يقدروا على ذلك عكس حال أرباب الدنيا واصحاب الحجاب عن المولى فسبحان من أقام العباد فيما أراد وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل حزب مذهبهم (ولهم في هذه الأحاديث) أي الواردة في باب السهو (مذاهب نذكرها) وفي نسخة سنذكرها (بعد هذا) أي من غير تراخ في الفصل الذي يليه (إن شاء الله تعالى) .." (١)

"السحر وتدوينهم يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم؛ (وقد انطوت القصة) أي احتوت واشتملت قصة هاروت وماروت (على شنع) بضم المعجمة وفتح النون أي قبائح (عظيمة وها)

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٢٧٠

للتنبيه (نحن نخبر) بضم نون وفتح مهملة وكسر موحدة مشددة أي نحسن (في ذلك) القول من العبارات (ما يكشف غطاء هذه الإشكالات) أي ما يرفع حجابها ويزيل نقابها (إن شاء الله فاختلف) أي فاختلفوا (أولا في هاروت وماروت هل هما ملكا) بفتح اللام وهو الصحيح (أو إنسيان) أي منسوبان إلى الإنس أي آدميان **ويمكن الجمع** بأنهما كانا ملكين وتشكلا بصورة رجلين، (وهل هما) أي هاروت وماروت (المراد بالملكين) في آية وما أنزل على الملكين وهو الصحيح (أم لا) وهذا مما لا يلتفت إليه أصلا، (وهل القراءة ملكين) بفتح لامها كما في القراءة المتواترة التي اتفق عليها القراء السبعة والعشرة (أو ملكين) بكسرها كما في قراءة شاذة وهما كانا ببابل أنزل عليهما السحر ولا معنى للاختلاف فيهما إذ الرواية الشاذة الغير المعتبرة لا تقاوم القراءة المتواترة على أنه **يمكن الجمع** بينهما بأنهما ملكان في أصلهما نزل على صورة ملكين حاكمين في عهدهما، (وهل ما في قوله تعالى وما أنزل [البقرة: ١٠٢]) أي على الملكين (وما يعلمان من أحد [البقرة: ١٠٢] نافية) فيهما فيكون عطفا على ما كفر أي وما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين أي جبريل وميكائيل فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما إلى سليمان فردهم الله به (أو موجبة) أي ثابتة موصولة معطوفة على السحر على الصحيح والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو يراد به نوع أقوى منه أي ويعلمونهم ما الهما أو معطوفة على ما تتلوا قال البيضاوي وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وإذا عرفت هذا الاختلاف إجماعا فاعلم ما يبين لك المصنف تفصيلا (فأكثر المفسرين أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين) بفتح اللام (لتعليم السحر وتبيينه) في مقام تعيينه (وأن علمه) أي تعلمه وفي نسخة عمله (كفر، فمن تعلمه كفر، ومن تركه آمن) بمد الهمزة أي دام على إيمانه ولم يكفر ولا يبعد أن يكون بفتح الهمزة وكسر الميم أي أمن من الوقوع في الكفر واعلم أن استعمال السحر كفر عند أبي حنيفة ومالك وأحمد وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه ولم يكن في السحر ما يوجب الكفر وظاهر الآية يؤيد إطلاق قول الأئمة الثلاثة حيث؛ (قال الله تعالى خبرا عنهما وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر [البقرة: ١٠٢] وتعليمهما الناس له) مبتدأ خبره (تعليم إنذار) أي تخويف وانكار (أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعلوا) وفي نسخة لا تفعل (كذا) أي لا تتعلمه (فإنه يفرق بين المرء وزوجه) أي هو سبب للتفريق بينهما بإيجاد الله عنده البغض والنشوز في قلوبهما فالسحر له بنفسه أثر يحدثه الله عند تعاطيه وقد لا يحدثه

بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله (ولا تتخيلوا) بخاء معجمة من التخيل وفي نسخة لا تخيلوا من التخييل من باب التفعيل وهو ظن الشيء على خلاف ما هو." (١)

"عليه ومنه قوله تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وفي نسخة لا تتحيلوا بالحاء المهملة (بكذا) أي وكذا (فإنه سحر فلا تكفروا فعلى هذا) التفسير (فعل الملكين طاعة) بلا شبهة (وتصرفهما فيما أمرا به بما أنزل عليهما (ليس بمعصية) وفي نسخة معصية أي مخالفة (وهي) أي هذه الحالة (لغيرهما فتنة) أي ابتلاء ومحنة، (وروى ابن وهب) وهو عبد الله بن وهب المصري المعلم وقد تقدم (عن خالد بن أبي عمران) التجيبي التونسي قاضي إفريقية يروي عن عروة وجماعة وعنه الليث بن سعد وعدة صدوق فقيه عابد ثقة (أنه ذكر عنده هاروت وماروت وأنهما يعلمان) أي الناس كما في نسخة (السحر فقال نحن ننزههما عن هذا) أي عن تعليم السحر لأنه كفر أو كبيرة ويروى عن هذه النقيصة (فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين [البقرة: ١٠٢]) بناء على أن ما موصولة وهاروت وماروت بدل منهما فيكون حجة على إثباته لهما (فقال خالد) دفعا لما ورد عليه بقوله وما أنزل معناه أنه (لم ينزل عليهما) بناء على كون ما نافية (فهذا خالد على جلالته) أي عظيم رتبته (وعلمه) أي وكثرة معرفته (نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره أنهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يبينا أنه كفر وأنه) أي أمرهما (امتحان من الله تعالى وابتلاء) أي اختبار لخلقه وليس فيه محظور ولا يترتب عليه محذور ويمكن الجمع بأن المثبت يحمل أمرهما على أنهما مأموران والنافي على ضد ذلك فيرتفع الخلاف هنالك، (فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي) من قتل النفس والزنا وشرب الخمر (والكفر) من السجدة للصنم (المذكورة في تلك الأخبار) المسطورة المشهورة وقد قدمنا دفع الإشكال حيث حملنا حالهما حينئذ على سلب ماهية الملكية عنهما وتركيب الشهوة البشرية فيهما والكلام في حق الملائكة الثابتة على جبلتهم الأصلية بخلاف الأحوال العارضية، (وقول خالد لم ينزل يريد أن ما نافية) كما قدمناه (وهو قول ابن عباس) أي رواية عنه، (قال مكي وتقدير الكلام) على قول خالد تبعا لابن عباس أن ما نافية عطفا على قوله تعالى (وما كفر سليمان يريد) أي الله سبحانه وتعالى أن سليمان ما كفر (بالسحر الذي افتعلته عليه) أي افترته عليه (الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود) فإن الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان عليه السلام أو نزع منه ملكه استخرجوه وقالوا تسلطه في الأرض بهذا السحر فتعملوه وبعضهم نفوا نبوته وقالوا ما هو إلا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال وما كفر سليمان (وما أنزل على الملكين، قال مكي هما) يعني الملكين اللذين لم ينزل عليهما (جبريل وميكائيل ادعى اليهود

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٣٢١/٢

عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فأكذبهم الله في ذلك) فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما إلى سليمان فردهم الله تعالى وعلى هذا فقوله ببابل متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين سيما ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر ابتلاهما الله بالسحر وقعا بدل بعض من الشياطين هذا وعن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أن سليمان أخذ ما في أيدي الشياطين من السحر ودفنه." (١)

"فصل (الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل)

مشتمل على تعدد معنى محتمل (أو يلفظ) بكسر الفاء أي أو ينطق (من القول بمشكل) باللام في آخره أي بمعضل وتصحف على الدلجي بكافين فقال أي بما يوقع متأمله في الشك (يمكن حمله) أي يجوز إطلاق ما ذكر من المجمل (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به) أي بالمشكل (من سلامته من المكروه أو شره) أي من ملامته فهو عطف على سلامته لا على المكروه كما توهم الدلجي وقال أي سلامته من شره (فههنا) من المقامين (متردد النظر) بفتح الدال الأولى مشددة أي محل تردد للمتأمل في المقالين (وحيرة العبر) توهم الأنطاكي فقال العبر بكسر العين وفتح الموحدة جمع عبرة بفتح وسكون الموحدة وهي الدمعة وحيرتها اجتماعها من قولهم تحير الماء أي اجتمع انتهى والصواب في هذا المقام أنه جمع عبرة بكسر فسكون وهي اسم من الاعتبار ومنه قوله تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار واستدل به النظار في صحة القياس أي وتحير في الأقيسة المتعارضة المنافية للقول اليقين (ومظنة اختلاف المجتهدين) بكسر الظاء أي موضع الشيء ومآله الذي يظن كونه فيه (ووقفة استبراء المقلدين) أي وتوقف لطلب براءة العلماء العالمين من القضاة والمفتين وهو بكسر اللام لأنه في مقابلة المجتهدين وضبطه التلمساني بفتح لأمه (ليهلك من هلك عن بينة) أي ليضل من ضل عن حجة واضحة (ويحيى من حي) وفي قراءة من حيى أي يهتدي من اهتدى (عن بينة) أي دلالة لائحة (فمنهم من غلب) بتشديد اللام أي قدم (حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى) بفتح الحاء الأولى وكسر الثانية أي وصان ساحة (عرضه) عن تنقصه في طوله وعرضه (فجسر على القتل) أي أقدم واجترأ على قتل قائله من غير استتابة (ومنهم من عظم حرمة الدم) المعصوم في أصله (ودرأ الحد) أي ودفع القتل (بالشبهة) على الناظر فيه (لاحتمال القول) أي قوله إن يراد به الذم أو خلافه وهذا هو الأولى لقوله عليه الصلاة والسلام ادرؤوا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة من الثقات وزاد ابن عدي واقيلوا الكرام عثراتهم إلا في حد من حدود

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٣٢٢/٢

الله تعالى وروى ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه ادفعوا الحدود عن عباد الله تعالى ما وجدتم لها مدفعا هذا وفيما نحن فيه **يمكن الجمع** بين حمى العرض وبين الدرء بعرض التوبة عليه فإن تاب وإلا قتل فيرتفع حينئذ الإشكال ويزول الاحتمال بالجواب والسؤال والله تعالى اعلم بالحال (وقد اختلف أئمتنا) أي المالكية (في رجل أغضبه غريمه) أي طالب دينه (فقال له) غريمه (صل على محمد صلى اللہ تعالى عليه وسلم فقال له الطالب) أي غريمه (لا صلى الله على من." [1]

"(من أئمة العراقيين) أي من المالكية وفي نسخة بزيادة من أصحابنا (جوابه) أي جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق (مختلف يقتل) وفي نسخة فقال يقتل وهو مضارع مجهول وقال التلمساني مصدر دخل عليه حرف جر (المستبصر) أي الذي له خبرة بأمور شريعته وهو معجب بضلالته وجهالته (الداعية) أي الذي يدعو غيره إلى بدعته والتاء للمبالغة أو بتأويل الفرقة أو الطائفة بنا على أن المراد بالمستبصر جنسه (وعلى هذا الخلاف) الذي ذكره القاضيان (اختلف قوله في إعادة الصلاة) أي التي صليت (خلفهم) فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد **ويمكن الجمع** بينهما أيضا بأن يقال تعاد احتياطا ولا تعاد وجوبا والأظهر على مقتضى مذهبه أنه لا تجوز الصلاة خلف الفاسق أنه تجب الإعادة ولعل الخلاف محمول على أنه لم يعلم بحاله أولا اثم تبين بدعته ثانيا وقد نقل الشيخ أبو حامد الإسفراييني والماوردي عن نص الشافعي أن من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا أو زنديقا وجوب الإعادة وعدمه ورجحه عامة أصحابه (وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري) وفي نسخة القدرية وهو مناف لما سبق عنه أنه لا نكفر أحدا من أهل القبلة (وأكثر أقوال السلف) أي العلماء المتقدمين (تكفيرهم) لإثباتهم خالقين على ما مر (وممن قال به) أي بتكفيرهم (الليث) بن سعد (وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء والعين المهملة وهو ضعيف (وروي عنهم) أي عن السلف ومن تبعهم من المذكورين (ذلك) أي تكفيرهم (فيمن قال بخلق القرآن وقاله) أي وقال بتكفير من قال بخلق القرآن (ابن المبارك) وهو عبد الله المروزي من أصحاب أبي حنيفة ممن جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والاجتهاد والجهاد (والأودي) بفتح الهمزة وسكون الواو منسوب إلى قبيلة أود وهو عثمان بن حكيم (ووكيع) أي ابن الجراح أبو سفيان الرواسي (وحفص بن غياث) بكسر معجمة فتحتية مخففة فألف فمثلثة وهو أبو عمرو النخعي قاضي الكوفة روى عن الأعمش وغيره

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٤٣٢

وعنه أحمد وغيره (وأبو إسحاق الفزاري) بفتح الفاء والزاء وثقه غير واحد (وهشيم) بفتح الهاء وكسر السين المعجمة وضبطه التلمساني مصغرا وهو ابن بشر يكنى أبا معاوية السلمي الواسطي حافظ بغداد روى عن عمرو بن دينار وغيره وعنه أحمد وابن معين ثقة مدلس (وعلي بن عاصم) أي الواسطي يروي عن يحيى البكاء وعطاء ابن السائب وعنه ابن حنبل وغيره ضعفوه وكان عنده مائة ألف حديث مات وله بضع وتسعون سنة (في آخرين) أي من المجتهدين والمعنى مندرجين فيهم أي متوافقين معهم (وهو) أي ما قاله هؤلاء الأئمة (من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين) أي من علماء أصول الدين (فيهم) أي فيمن ذكر من المبتدعة (وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة) كالرافضة وهو اسم فاعل أو مفعول أي الجامعين بين الضلال والإضلال (وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا) أي هؤلاء الأئمة (في الواقفة) أي ليسوا متأولين ذكره الدلجي والأظهر ما قاله التلمساني من أنهم قوم توقفوا إذ ليس عندهم جواب إما لجهلهم أو لتعارض الأدلة." (١)

"نيرا مشربا بحمرة، ففي القاموس: الزهرة ؛ بياض وحسن فيمكن أن يكون معناه أحسن اللون، وأزهر اسم تفضيل، وقيل معناه متلألئ اللون، وفي المهذب: الأزهر الأبيض المستنير، قال العصام: اللون مستدرك ويرد بأنه لو أطلق لأمكن أن يصرف إلى السن ونحوه. (واسع الجبين) : أي واضحه وممتده طولا وعرضا وهي بمعنى الصلت الجبين في رواية وعظيم الجبهة، وقيل: كناية عن طلاقة الوجه، والجبين فوق الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالا. (أزج الحواجب) : الزجج تقوس في الحاجب مع طول في طرفه على ما في القاموس، وفي الصحاح: دقة الحاجبين بالطول، وفي الأساس: الدقة والاستقواس **ويمكن الجمع** ثم الحاجب في الأصل بمعنى الساتر، والمانع سمي به لأنه الساتر ما تحته من البشرة، وجمع بناء على أن التثنية جمع ويؤيده قوله الآتي " بينهما عرق " أو للمبالغة في طوله كأن كل قطعة من حاجبيه حاجب ويناسبه وصفه بالسبوغ بقوله: (سوابغ) : أي كوامل، وهو حال من الحواجب ؛ لأنه في المعنى فاعل، أي دقت وتقوست حال كونها سوابغ، والأظهر أنه منصوب على المدح، وقيل: مرفوع على أنه مبتدأ محذوف، وأبعد من قال أنه خبر بعد خبر لكان إذ لا يصح الإخبار عن مفرد مذكر بجمع مؤنث فيه ضمير راجع إلى ذلك المفرد، وأغرب من قال أنه وصف للحواجب فإنه كالنكرة في المعنى لأنه لا يصح وصف ذي اللام المنكر في المعنى بمفرد

يصح دخول اللام عليه بدون اللام اتفاقا. (في غير قرن) : بالتحريك مصدر قولك رجل أقرن أي مقرون

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٤٩٥

الحاجبين، والمراد أن حاجبيه قد سبغا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا، والقرن غير محمود عند العرب ويستحبون البلج وهو الصحيح في صفته صلى الله عليه وسلم بخلاف ما روته أم معبد حيث قالت في صفته: " أزج أقرن "، ويمكن أن يجمع بينهما على تقدير صحة روايتها بأن يقال: كان بين حاجبيه فرجة دقيقة لا تتبين إلا لمتأمل فهو غير أقرن في الواقع وإن كان أقرن بحسب الظاهر، فكأنه جمع من لطافة العرب وظرافة العجم صلى الله عليه وسلم، وفي بعض الروايات من غير قرن ففي بمعنى من وغير بمعنى لا ؛ أي بلا قرن وهو حال والأحسن أن يكون متداخلا. وقوله: (بينهما عرق) : وارد على المعنى لأن الحواجب في معنى الحاجبين وهو أيضا حال من الحاجب، ويجوز في الجملة الاسمية ترك الواو، والعرق بكسر العين وهو أجوف يكون فيه الدم والعصب غير أجوف. (يدره." (١)

"الفرق» ، وهو بفتحتين ويروى بتسكين الراء، واختلف في مقداره، والمشهور عند الجمهور أنه ثلاثة آصع، وقيل صاعان، ويؤيد الأول ما رواه ابن حبان من طريق عطاء، عن عائشة، بلفظ: «قدره ستة أقساط» ، والقسط بكسر القاف نصف صاع باتفاق أهل اللغة. واختار بعض العلماء جواز اغتسال الرجل بفضل المرأة وعكسه، وعليه الجمهور، وبعضهم على جواز طهارة المرأة بفضل الرجل دون العكس، وقيد بعضهم المنع فيما إذا خليا به، والجواز فيما إذا اجتمعا وتمسك كل بظاهر خبر دل على ما ذهب إليه، وعلى تقدير صحة الجميع يمكن الجمع بحمل النهي على ما تساقط من الأعضاء، والجواز على ما بقي في الإناء بذلك، جمع الخطابي وجمع بعضهم بأن الجواز فيما إذا اغترفا معا والمنع فيما اغترف أحدهما قبل الآخر. وبعضهم حمل النهي على التنزيه والفعل على الجواز، وهو الظاهر، والله أعلم بالسرائر. (وكان له) : أي لرأسه الشريف. (شعر) : أي نازل. (فوق الجمة) : بضم الجيم وتشديد الميم ما سقط على المنكبين. (ودون الوفرة) : بفتح الواو وسكون الفاء بعده راء ما وصل إلى شحمة الأذن كذا في جميع الأصول والنهاية، وهذا بظاهره يدل على أن شعره صلى الله عليه وسلم كان أمرا متوسطا بين الجمة والوفرة ليس بجمة ولا وفرة، لكن سبق أنه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، وهذا ظاهر أنه كان شعره جمة وعلى أن جمته مع عظمها إلى أذنيه، ولعل ذلك باعتبار اختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم، هذا وقد روى المصنف هذا الحديث في جامعه أيضا، وقال: حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، وفي رواية أبي داود قالت: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ودون الجمة. كذا في جامع الأصول، قال ميرك: كذا وقع في الشمائل، ورواه أبو داود بهذا الإسناد، فوق الوفرة دون الجمة، قيل: وهو الصواب،

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٣٦/١

وقد جمع بينهما العراقي في شرح جامع الترمذي بأن المراد من قوله «فوق ودون» تارة بالنسبة إلى المحل وتارة بالنسبة إلى المقدار فقوله: «فوق الجمة» أي: أرفع منها في المحل، «ودون الجمة» أي: أقل منها في المقدار، وكذا في العكس. قال العسقلاني في شرح البخاري: وهو جمع جيد لولا أن مخرج الحديث متحد، انتهى كلامه. قال ملا حنفي: فيه بحث لأن مآل الروايتين على هذا التقدير متحد معنى والتفاوت بينهما إنما هو في العبارة

ولا يقدح فيه اتحاد مخرج الحديث، غاية ما في الباب أن عائشة رضي الله عنها أو من دونها أدت أو أدى معنى واحدا بعبارتين، ولا غبار عليه، هذا وقد يستعمل في الحديث أحد اللفظين المتقاربين مكان الآخر كما مر في «أفلج الثنيتين» حيث قالوا: إن «الفلج» استعمل مكان «الفرق» ويمكن أن يقال: لعل اغتسال عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وقع متعددا، ويكون ذلك الاختلاف ناشئا من اختلاف الأحوال، انتهى. ولا يخفى أن القول الأخير مبني على أن جملة «وكان» ، إلخ، حال، وأما إذا كانت معطوفا على «كنت» فلا تعلق له بالاغتسال، فيكونان حديثين مستقلين وهو الأظهر وإلا فيلزم أن يكون في كل غسل اختلاف حال وهو غير ملائم كما لا يخفى، واعلم أن ابن حجر ذكر الحديث في شرح شمائله بلفظ «وأنزل من الوفرة» ، وقال: أي من محلها وهو شحمة الأذن. وهذه الرواية بمعنى رواية أبي داود، ثم قال: نعم في نسخ هنا «فوق الجمة ودون الوفرة» ، وهذه عكس رواية أبي داود، انتهى. وقوله: «أنزل» غير موجود في الأصول المعتمدة ولا أحد من الشراح أيضا ذكره.

(حدثنا أحمد بن منيع) : بفتح ميم فكسر نون فعين مهملة، أبو جعفر الأصم، ثقة، حافظ، روى عنه أصحاب." (١)

"ويستثنى من هذه المادة تطهير النجاسة الحقيقية على البدن أو غيره. (وفي ترجله) : بضم الجيم المشددة أي تمشيط شعر رأسه ولحيته. (إذا ترجل) : أي وقت إيجاد هذا الفعل وفي معناه التدهين. (وفي انتعاله) : أي لبس نعله. (إذا انتعل) : أي وقت إرادة لبس النعل، وفيه احتراز من حال الاختلاع فإنه يبتدئ باليسار تشريفا لليمين ومراعاة لكرامتها أيضا، وفي معناه لبس الثوب والخف ونحوهما بل المراد أنه كان يحب التيمن في هذه الأشياء وأمثالها مما هو من باب التكريم: كالأخذ، والعطاء، ودخول المسجد والبيت، وحلق الرأس، وقص الشارب، وتقليم الظفر، ونتف الإبط، والاكتحال، والاضطجاع، والأكل والشرب،

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٧٦/١

والاستياك بالنسبة إلى الفم واليد جميعا، بخلاف ما لا شرف فيه كخروج المسجد، ودخول الخلاء، وأخذ النعل، ونحو ذلك فإنه باليسار كرامة لليمين أيضا. قال النووي: قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزين وما كان بضده فاستحب فيه التياسر، ويدل على العموم ما رواه الشيخان عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وفي طهوره وفي شأنه كله. وما في رواية النسائي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن يأخذ بيمينه، ويعطي بيمينه، ويحب التيمن في جميع أمره. ويدل على استثناء ما ليس من باب التكريم ما رواه أبو داود عن عائشة قالت: كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى. قال

النووي في شرح مسلم: أجمع العلماء على أن تقديم اليمنى في الوضوء سنة، من خالفها فقد فاته الفضل وتم وضوءه. قال العسقلاني: مراده بالعلماء أهل السنة وإلا فمذهب الإمامية الوجوب وممن نسب الوجوب إلى الفقهاء الشيعة. وفي كلام الرافعي ما يوهم أن أحمد قال بوجوبه ولا يعرف ذلك عنه، بل قال الشيخ الموفق في المغني: لا نعلم في عدم الوجوب خلافا. يعني من الأئمة الأربعة، وغلط المرتضى علم الهدى فنسب الوجوب إلى الشافعي وكأنه ظن أن ذلك لازم من قوله بوجوب الترتيب لكنه لم يقل بذلك في اليدين والرجلين لأنهما بمنزلة العضو الواحد ولأنهما جمعا في لفظ القرآن، لكن يشكل على أصحابه حكمهم على الماء بالاستعمال إذا انتقل من يد إلى يد مع قولهم أن الماء ما دام مترددا على العضو لا يسمى مستعملا، انتهى كلامه. وفيه أن الترتيب إنما يفيد بين الأجناس المذكورة، وأما الترتيب بين اليدين والرجلين فإنما هو مستفاد من هذا الحديث وأمثاله، وفي أمثاله وقع الإجماع على استحباب التيامن دون وجوبه، فبطل قول الشيعة وظهر مذهب أهل السنة، وأما وجه عدم اعتبار غسل الوجه ومسح الرأس باليمين فلدفع الحرج والمشقة في تحقيق تيامنهما وتياسرهما كما في غسل اليدين ابتداء ومسح الأذنين، قال الجزري في تصحيح المصابيح: يستثنى من تقديم اليمنى على اليسرى في الوضوء مسح الأذنين فلا يسن فيهما تقديمه على الصحيح. قال الماوردي: ليس في أعضاء الطهارة عضو لا يستحب تقديم الأيمن منهن في تطهيره إلا الأذنين. قال ميرك: وفي الأذنين وجه نقل عن البحر للروياني في تقديم مسح اليمنى من الأذن. أقول: **يمكن الجمع** بأنه لا يستحب إذا أراد الجمع بين مسحهما ويستحب حالة التفريق بينهما، والله أعلم، ثم قول العصام «إذا تنعل» ، وفي رواية «إذا انتعل» مخالف للأصول المصححة والنسخ المعتمدة في أنها من باب الافتعال المناسب لمصدره المذكور المتفق عليه، ومما يدل على بطلان كلامه سكوت الشراح عن

خلافه، ثم قوله: وكأن الراوي لم يحفظ تتمة الحديث، وهو وفي شأنه كله على ما في البخاري ومسلم مطعن مردود، فإنه في غير محله لأن الحديث وقع في إسناد الترمذي بهذا المقدار، ووقع في رواية الشيخين بالزيادة، وزيادة الثقة مقبولة كما هو مقرر في الأصول مع أنه يجوز تقطيع الحديث وإتيان بعضه عند أكثر المحدثين ؛ وبهذا تبين ضعف قوله، والمراد بالأمور الثلاثة هي مخصوصة بقرينة قوله: «وفي شأنه كله» ، فمن قال: المراد هذه الأمور لا بخصوصها بقرينة قوله: «وفي شأنه كله» ، استمد مما يفيد خلاف المقصود، انتهى. وهو ظاهر البطلان لأن الحديث على ما وقع في الصحيحين لا خلاف فيه أنه من باب تعميم بعد تخصيص، وأما على رواية الترمذي فظاهر الانحصار في الأمور الثلاثة لكن المراد به الأعم بقرينة حديثهما مع أنه لو لم يكن حديثهما لكان فيه ما يستفاد منه العموم أيضا ؛ لأن المذكورات هي جزئيات كالأمثلة تحت القاعدة الكلية المستفادة من قولها يحب التيمن، هذا وذكر ميرك أنه وقع في صحيح البخاري من طريق شعبة عن الأشعث بإسناده بلفظ: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره في شأنه كله. كذا
أكثر الروايات." (١)

"من ليس له سلطان، ولو قيل: هذا الحديث منسوخ، فلا يتم الاستدلال به، أجيب بأن الذي نسخ منه لبس خاتم الذهب أو لبس الخاتم المنقوش على نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي تحقيقه في الباب الذي بعده، قال العسقلاني: الذي يظهر لي أن لبس الخاتم لغير ذي سلطان، خلاف الأولى ؛ لأنه ضرب من التزين، والأليق بحال الرجال خلافه أي إلا لضرورة، فتكون الأدلة الدالة على الجواز هي الصارفة للنهي عن التحريم ويؤيده ما وقع في بعض طرق هذا الخبر، أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الزينة والخاتم، ويحمل أن يراد بالسلطان من له سلطنة على شيء من الأشياء بحيث يحتاج إلى الختم عليه لا السلطان الأكبر خاصة، والمراد بالخاتم ما يختم به فيكون لبسه عبثا لمن لا يحتاج إلى الختم به وأما من لبس الخاتم الذي لا يختم به وكان من الفضة للزينة فلا يدخل تحت النهي، وعلى ذلك يحمل حال من لبسه ويؤيده ما ورد من صفة نقش خواتيم بعض من كان يلبس الخاتم، مما يدل على أنها لم تكن بصفة ما يختم به.
أقول: الظاهر ممن لبسه أنه ما بلغه النهي عن الزينة والخاتم ؛ لأن ظاهره العموم ومعياره الاستثناء السابق أو ما صح النهي عندهم، ويؤيده أنه سئل مالك عن حديث أبي ريحانة فضعفه، وقال: سأل صدقة بن يسار

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ١/٨٦

سعيد بن المسيب فقال: البس الخاتم وأخبر الناس أني قد أفتيتك به، والله أعلم.
والتنبيه الثالث: ذهب بعض العلماء إلى جواز نقش الخاتم باسم من أسماء الله تعالى من غير كراهة، وورد في ذلك آثار عن جماعة من الصحابة والسلف الأخيار، ومنها ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه أن نقش خاتم علي: «لله الملك» ونقش خاتم الإمام محمد الباقر: «العزة لله» ، ونقش خاتم النخعي: «الثقة بالله» ، ونقش خاتم مسروق: «بسم الله» ، وصح عن الحسنين أنهما قالا: لا بأس بنقش ذكر الله على الخاتم. أقول لأن الظاهر أنه المحترم، قال النووي: وهو قول الجمهور، ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل العلم كراهته انتهى. وقال العسقلاني: أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن سيرين أنه لم ير بأسا أن يكتب الرجل في خاتمه حسبي الله، فهذا يدل على أن الكراهة لم تثبت عنه.
أقول: يمكن أنه ثبت عنه ويكون له في المسألة قولان تعارض فيهما الدليلان، ويمكن تأخير أحدهما عن الآخر، قال: ويمكن الجمع بأن الكراهة حيث يخاف عليه حمله للجنب ونحوه أو الاستنجاء بالكف التي هو فيها، والجواز حيث الأمن من ذلك فلا تكون الكراهة لذاتها، بل من جهة ما يعرض لذلك، وإذا جاز نقش أسماء الله تعالى على الخاتم، فبالأولى جواز نقش اسم الشخص وأبيه قلت: هذا
لا خلاف في عدم كراهته عند الحاجة، بل مستحب لفعله صلى الله عليه وسلم، ولا يحتاج إلى دليل آخر، حيث قال: وقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عمر أنه نقش على خاتمه عبد الله بن عمر، وكذا أخرج عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه نقش اسمه على خاتمه، وكذا القاسم بن محمد، وكان مالك يقول: من شأن الخلفاء والقضاة نقش أسمائهم في خواتيمهم، أقول: وفي معناهم من يحتاج إلى الختم والله أعلم انتهى.
وذهب جمع من المتأخرين من العلماء الشافعية إلى تحريم ما زاد على مثقال، للحديث الحسن بل صححه ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم قال: للابس خاتم الحديد ما لي أرى عليك حلية أهل النار، فطرحه. وقال: يا رسول الله من أي شيء أتخذه قال من ورق، ولا تتمه مثقالا. لكن رجح الآخرون الجواز منهم الحافظ العراقي في شرح الترمذي فإنه حمل النهي المذكور على التنزيه، على أن النووي في شرح مسلم ضعفه، ونقل النووي في شرح المهذب عن صاحب الإبانة كراهة الخاتم المتخذ من حديد أو نحاس للخبر المذكور، وفي رواية أنه رأى خاتما من صفر، فقال: ما لي أجد ريح الأصنام، فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لي أرى عليه حلية أهل النار. وعن المتولي لا يكره واختاره فيه وصححه في شرح مسلم، لخبر الصحيحين في قصة الواهبة «اطلب ولو خاتما من حديد» ، ولو كان مكروها لم يأذن فيه

ولخبر أبي داود كان خاتمه صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة، قال: والحديث في النهي ضعيف، واعترض على تضعيفه بأن له شواهد عدة إن لم ترقه إلى درجة الصحة، لم تدعه ينزل عن درجة الحسن، أقول: ويحمل حديث: «كان خاتمه من حديد» ، وقوله: «اطلب ولو خاتما من حديد» على ما قبل النهي، مع أن الحديث الثاني لا يراد به الحقيقة، بل المبالغة في الطلب على أنه لا يلزم من وجوده لبسه، وقد صرح قاضي خان من علمائنا في باب الكراهة بقوله: لا يتختم الرجل إلا بالفضة، أما قوله: لا يتختم بالذهب، فللحديث المعروف، وأما التختم بالحديد فلأنه خاتم أهل النار، وكذا الصفر.

(باب ما جاء في تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم)." (١)

"بالهمزة ويجوز تخفيفه، والتاء مبدلة من الواو مأخوذ من الوكاء، وهو ما يشد به الكيس ونحوه، ونصبه على الحال أي لا أقعد متكئا على وطاء تحتي ؛ لأن هذا فعل من يريد أن يستكثر الطعام، وإنما أكلي بلغة منه، فيكون قعودي له مستوفرا

وليس المتكئ هنا المائل على أحد شقيه، كما تظنه العامة، ذكره الخطابي، قال ابن حجر: ومراده أن المتكئ هنا لا ينحصر في المائل، بل يشمل الأمرين، فيكره كل منهما ؛ لأنه فعل المتكبرين الذين لهم نهمة وشره، واستكثار من الأطعمة، ويكره أيضا مضطجعا، إلا فيما ينتقل به، ولا يكره قائما لكنه قاعدا أفضل.

قال ميرك: اعلم أن المحققين من العلماء قالوا: الاتكاء على أربعة أنواع: الأول الاتكاء على أحد الجنبين، الثاني: وضع إحدى اليدين على الأرض والاتكاء عليها، والثالث: التربع على وطاء والاستواء عليه، والرابع: استناد الظهر على وسادة ونحوها، وكل ذلك مذموم حالة الأكل منهي عنه ؛ لأن فيه تكبرا، والسنة أن يقعد عند الأكل مائلا إلى الطعام، وكان سبب هذا الحديث قصة الأعرابي المذكورة في حديث عبد الله بن بسر، عند ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن، قال: أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة، فجثى على ركبتيه يأكل، فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني عبدا كريما، ولم يجعلني جبارا عنيدا، قال ابن بطال: إنما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله، ومن ثمة قال: إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد، ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهري قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها، فقال: إن ربك يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا، أو ملكا نبيا، قال: فنظر إلى جبريل

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ١/١٤٨

كالمستشير له، فأومأ إليه أن تواضع، فقال: بل عبدا نبيا، قال: فما آكل متكئا» ، وهذا مرسل أو معضل، وقد وصله النسائي من طريق آخر عن ابن عباس نحوه، وأخرج أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه قال: «ما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط» .

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد، قال: «ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم متكئا إلا مرة واحدة، ثم فزع، فقال: إني أعيذ بك رسولك» ، وهذا مرسل، ويمكن الجمع بأن تلك المرة التي في أثر مجاهد، ما اطلع عليها عبد الله بن عمرو، وأخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار، أن جبريل رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا فنهاه، ومن حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه جبريل عن الأكل متكئا، بعد ذلك، واختلف السلف في حكم الأكل متكئا، فزعم ابن القاص أنه من خصائص النبوة، وتعقبه البيهقي، فقال: قد يكره لغيره أيضا ؛ لأنه من فعل المتنعمين، وأصله مأخوذ من ملوك العجم، قال: فإن كان بالمرء مانع لا يمكن معه من الأكل إلا متكئا، لم يكن في ذلك كراهة، ثم ساق عن جماعة من السلف أنهم أكلوا كذلك، وأشار إلى حمل ذلك عنهم على الضرورة.

وفي الحمل نظر، إذ قد أخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد وعبيدة السلماني، ومحمد بن سيرين، وعطاء بن يسار، والزهري، جواز ذلك مطلقا، قال العسقلاني: ورد فيه نهي صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل، قال مالك: هو نوع من الاتكاء وفي هذا إشارة منه إلى كراهة كل ما يعد الآكل فيه متكئا، ولا يختص بصفة بعينها، وإذا ثبت

كونه مكروها أو خلاف الأولى، فالمستحب في صفة الجلوس للأكل أن يكون جاثيا على ركبتيه، وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى، ويجلس على اليسرى، واستثنى الغزالي من كراهة الأكل مضطجعا، أكل." (١)

"وجه، وبعضهم على وجه آخر، مخالف له، ويقع الاضطراب في الإسناد تارة، وفي المتن أخرى، وفيهما أخرى، من راو واحد أو أكثر، ثم إن أمكن الترجيح بحفظ رواة إحدى الروايتين أو كثرة صحبة المروي عنه، أو غير ذلك، فالحكم للراجح، ولا اضطراب حينئذ، وإلا فمضطرب يستلزم الضعف، انتهى.

والحاصل أنه تخالف روايتين أم أكثر إسنادا أو متنا مخالفة لا يمكن الجمع بينهما ما لم يترجح إحداهما بنحو كثرة طرق إحدى

الروايتين أو كونها أصح أو أشهر أو رواتها أتقن أو معهم زيادة علم كما هنا فإن المسند معه زيادة علم على

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ١/١٨٥

المرسل سيما والمرسل أسند مرة أخرى، فوافق إسناد غيره له دائما، وهو أبو أسيد في الرواية السابقة.

(حدثنا السنجي) بكسر السين المهملة وسكون النون، وبالجيم نسبة إلى سنج، قرية من قرى مرو (وهو أبو داود سليمان بن معبد) بفتح فسكون ففتح (المروزي) بفتحتين بينهما ساكن (السنجي) ذكره أولا، وثانيا إش ا رة إلى أنه قد يقع في كلام المحدثين ذكر نسبته فقط، وقد يقع ذكر اسمه ونسبه ونسبته (حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) أي مثله لفظا ومعنى (ولم يذكر فيه عن عمر) يعني فيكون الحديث بهذا الطريق مرسلا، فالحديث مضطرب، والاضطراب إنما نشأ من عبد الرزاق.

(حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر، وعبد الرحمن بن مهدي، قالا: حدثنا شعبة عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه) بصيغة المضارع من باب الأفعال وفاعله (الدباء) وفي رواية مسلم أنها كانت تعجبه، أي يرضيه أكله، ويستحسنه ويحب تناوله، وهو بضم الدال، وتشديد الموحدة، ممدود، ويجوز القصر، حكاه الفراء، وأنكره القرطبي وقيل: خاص بالمستدير منه، قال النووي: الدباء هو اليقطين وهو بالمد، وهذا هو المشهور، وحكى القاضي فيه القصر أيضا، الواحدة: دباءة أو دباة، انتهى.

واقتصر صاحب المهذب وتاج الأسماء على الأول، وقال ميرك: الدباء هي القرع، واحدها: دباءة، وزنها فعال، ولامها همزة، ولا يعرف انقلاب لامها عن واو أو ياء، قاله الزمخشري، وأخرجها الهروي في الدال مع الباء على أن الهمزة زائدة، وأخرجها الجوهري في المعتل، على أن همزته منقلبة، وكأنه أشبه كذا في النهاية (فأتي) بصيغة المجهول من الإتيان أي فجيء (بطعام) أي فيه دباء (أو دعي) بصيغة المفعول، أي طولب النبي صلى الله عليه وسلم (له) أي للطعام، والشك من أنس، أو ممن دونه، قال أنس: (فجعلت أتتبعه) أي أطلب الدباء من حوالي القصعة (فأضعه بين يديه) أي قدامه صلى الله عليه وسلم.

وفيه دليل على أن الطعام إذا كان مختلفا، يجوز أن يمد يده إلى ما لا يليه، إذا لم يعرف من صاحبه كراهة ومناولة الضيفان بعضهم بعضا، مما وضع بين أيديهم اعتمادا على رضى المضيف، وإنما يمتنع أخذ شيء من قدام الآخر لنفسه إذا علم أنه لم يرض بذلك ؛ لكونه مخصوصا بغيره أو لغيره (لما أعلم) ما مصدرية

أو موصولة أي لعلمي أو للذي أعلمه (أنه) أي النبي
صلى الله عليه وسلم (يحبه) أي الدباء وفي بعض النسخ، بفتح اللام." (١)

"(حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي) نسبة إلى الرملة وهي مواضع أشهرها بلد بالشام، كما في القاموس (حدثنا) وفي نسخة أنبأنا (عبد الله بن زيد بن الصلت) بفتح فسكون (عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان) بضم الراء (عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب) أراد المصنف أن له طرقا كثيرة عن عائشة، وكذا عن غيرها، فقد رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد، والطبراني عن عبد الله بن جعفر، وكذا أبو داود والبيهقي عن عائشة، هذا وروى الحاكم عن أنس، كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق، ولعل الطبق غير طبق الرطب، وإلا فقد روى الشيرازي عن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم: نهى أن تلقى النواة على الطبق الذي يؤكل منه الرطب أو التمر، على أنه يمكن حمل فعله على بيان الجواز أو الاختصاص، فإنه لا يستقذر منه شيء بخلاف غيره، وأما حديث: «العنب دو دو - يعني اثنتين اثنتين - والتمر يك يك» يعني واحدة واحدة، فهو مشهور بين الأعاجم لا أصل له، ذكره شيخ مشايخنا السخاوي وغيره من المحدثين، وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل العنب خرطا، يقال: خرط العنقود واخترطه إذا وضعه في فيه، ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه كذا في النهاية.

والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وكتابه هذا خال عن الموضوع، فلا يعارضه ما ذكره ابن حجر من قوله: وفي الغيلانيات عن ابن عباس، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا، وفي رواية بالصاد بدل الطاء، لكن قال العقيلي: لا أصل لهذا الحديث، انتهى.

مع أنه **يمكن الجمع** بأن يقال لا أصل لسنده الذي هو في الغيلانيات، وأما حديث النهي عن الجمع بين التمرتين فهو صحيح، وذكرناه مشروحا في كتاب المشكاة، ثم أغرب ابن حجر حيث ذكر في هذا الباب الموضوع للفاكهة، أنه روى أبو داود في سننه عن عائشة: «آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل» انتهى.

وقد شرحناه في شرح كتاب المشكاة في بابه المناسب له.

(حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح) إشارة إلى تحويل السند، وقد أكده بالواو العاطفة، حيث

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ١/٢٠٦

قال: (وحدثنا إسحاق بن موسى حدثنا معن) بفتح فسكون (حدثنا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، قال: كان الناس) وهو أعم من الصحابة، كما لا يخفى (إذا رأوا أول الثمر) أي باكورة كل فاكهة (جاءوا به) أي بأول الثمر والباء للتعدية (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) إيثارا له بذلك على أنفسهم، حبا له وتعظيما لجنابه، وطلبا للبركة، فيما جدد الله عليهم من نعمه ببركة وجوده، وطلبا لمزيد استدرار إحسانه وكرمه وجوده، ويرونه أولى الناس بما سيق إليهم من رزق ربهم، وينبغي أن يكون خلفاؤه من الأولياء والعلماء كذلك، (فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أي مستقبلا للنعمة المجددة بالتضرع والمسألة، والتوجه والإقبال التام إلى المنعم الحقيقي، طلبا لمزيد الإنعام على وجه يعم الخاص والعام، (اللهم بارك لنا في ثمارنا، وبارك لنا في مدينتنا) أي عموما شاملا لأهلها وثمارها، وسائر منافعها (وبارك لنا في صاعنا) أي خصوصا وكذا قوله: (وفي مدنا) والمراد به الطعام الذي يكال بالصيعان والأمداد، فيكون لهم بالبركة في." (١)

"وقال إمام الحرمين: بالوقف، وقال آخرون: نعم كان متعبدا بشرع ثم أحجم بعضهم عن التعيين وجسر عليه بعضهم، وعليه فقيل آدم وقيل نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى وقيل جميع الشرائع، والقول بأنه كان على شريعة إبراهيم وليس له شرع ينفرد به بل القصد من بعثته إحياء شرع إبراهيم لقوله تعالى: أن اتبع ملة إبراهيم حماقة وجهالة إذ المراد به الاتباع في أصل التوحيد كما في قوله تعالى: فبهداهم اقتده إذ شرائعهم مختلفة لا **يمكن الجمع** بينها، فلم يبق إلا ما أجمعوا عليه من التوحيد، ومعنى متابعتهم في التوحيد المتابعة في كيفية الدعوى إليه بطريق الرفق، وإيراد الأدلة مرة بعد أخرى على ما هو المألوف، والمعروف في القرآن، والمبالغة في التوكل والإخلاص، ونفي السمعة والريا والالتحاء إلى السوى قال شيخ الإسلام: الإمام السراج البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده، ولكن روى ابن إسحاق وغيره أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج إلى حراء في كل عام شهرا يتنسك فيه وكان من نسك قريش في

الجاهلية أن يطعم الرجل من جاء من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة، وقيل كانت عبادته التفكر، أقول: الظاهر والله أعلم أنه - صلى الله عليه وسلم - كان متعبدا بالعبادات الباطنية من الأذكار القلبية، والأفكار في الصفات الإلهية، والمصنوعات الآفاقية والأنفسية، والأخلاق السنية، والشمائل البهية، من التراحم على الضعفاء، والشفقة على الفقراء، والتحمل من الأعداء،

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢٤٢/١

والصبر على البلاء، والشكر على النعماء، والرضا بالقضاء، والتسليم والتفويض والتوكل على رب الأرض والسماء، والتحقق بحال الفناء ومقام البقاء على ما يكون منتهى حال أكمل الأولياء والأصفياء، ولذا قيل بداية الأنبياء نهاية الأولياء، وأما ما قاله بعضهم من أن بداية الولي نهاية النبي ؛ فإنما هو باعتبار التكاليف الشرعية من الأوامر الفرضية، والزواجر المنهية فما لم يتصف السالك بما انتهى إليه أمر دينه – صلى الله عليه وسلم – لم يدخل في باب الولاية، ولم يكن له حظ من حسن الرعاية، وحفظ الحماية.

(حدثنا قتيبة بن سعيد، وبشر بن معاذ قالا: حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (أبو عوانة، عن زياد بن علاقة) بكسر العين وبالقاف وجهل من ضبطه بالفتح (عن المغيرة بن شعبة قال: قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) أي: اجتهد في الصلاة (حتى انتفخت) أي: تورمت (قدماه فقيل له أتتكلف هذا) أي: أتلزم نفسك بهذه الكلفة، والمشقة التي لا تطاق (وقد غفر الله لك) وفي نسخة،: «وقد غفر لك» بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ففي النهاية: تكلفت الشيء إذا تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك، والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه، ومنه الحديث: «أنا وأمتي براء من التكلف» انتهى، والمعنى الأول هو المناسب للمقام ؛ فتأمل (قال أفلا أكون عبدا شكورا) الفاء للعطف على مقدر تقديره: أترك الصلاة اعتمادا على الغفران فلا أكون عبدا شكورا؟ ! وقد قال تعالى في حق نوح إنه كان عبدا شكورا وقيل للتسبيب عن غير مذكور أي: أترك صلاتي بما غفر لي فلا أكون عبدا شكورا؟ ! يعني أن غفران الله إياي: سبب لأن أصلي شكرا له فكيف." (١)

"كان يتحرى صيام الاثنين والخميس، وحديث أسامة رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصوم يوم الاثنين والخميس فسألته، فقال: إن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم، أخرجه النسائي، وأبو داود وصححه ابن خزيمة، فعلى هذا فالجواب على الإشكال أن يقال لعل المراد الأيام المسئول عنها الأيام الثلاثة من كل شهر فكان لما سمع أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يصوم ثلاثة أيام، ورغب في أنها تكون أيام البيض سأل عائشة هل كان يخصه بالبيض فقالت: لا كان عمله ديمة يعني لو جعلها البيض لتعينت، وداوم عليها ؛ لأنه كان يحب أن يكون عمله دائما لكن أراد التوسعة لعدم تعيينها فكان لا يبالي من أي الشهر صامها كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة أيضا كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وما يبالي من أي الشهر صام، وقد أورد ابن حبان حديث الباب وحديث عائشة

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢/٦٥

في صيام الاثنين والخميس وحديث كان يصوم حتى نقول لا يفطر، وأشار إلى أن بينها تعارضا، ولم يفصح عن كيفية الجمع، وقد فتح الله لذلك بفضله كذا ذكره العسقلاني في فتح الباري في شرح البخاري، وقال شارح: فإن قيل الجواب في مقابلة السائل إما نعم أو لا قلنا هذا جواب بأبلغ الوجوه ؛ لأنه جواب عن السؤال المذكور، وعن سؤال آخر مقدر لأن دوام العمل في أيام البيض، ويوم الاثنين ويوم الخميس بالصوم يستلزم اختصاصه تلك الأيام بالصوم مع المداومة عليه (وأيكم) جزم ابن حجر تبعا للشارح أن الخطاب للصحابة، وأن غيرهم يفهم بالأولى، وهو غير صحيح ؛ لأن السائل من جملة التابعين، فالأولى أن يقال المعنى وأي فرد من أفرادكم أيها الصحابة، والتابعون أو الأئمة (يطيق ما) أي: العمل الذي (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطيق) أي: يطيقه ويداوم

عليه من غير ضرر صلاة كان أو صوما أو نحوهما، أو أيكم يطيق في العبادة كمية أو كيفية من خشوع وخضوع وإخلاص وحضور ما كان يطيقه مع قطع النظر عن المداومة، والمواظبة.

قال ميرك: واعلم أن ظاهر الحديث إدامته - صلى الله عليه وسلم - العبادة ومواظبته على وظائفها ويعارضه ما صح عن عائشة أيضا مما يقتضي نفي المداومة وهو ما أخرجه مسلم من طريق أبي سلمة، وعبد الله بن شقيق جميعا عن عائشة أنها سئلت عن صيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: كان يصوم حتى نقول قد صام، ويفطر حتى نقول قد أفطر.

وأخرج البخاري نحوه، **ويمكن الجمع** بأن قولها كان عمله ديمة معناه أن اختلاف حاله في الإكثار من الصوم ثم من الفطر كان مستمرا مستداما أو بأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يوظف على نفسه العبادة فربما يشغله عن بعضها شاغل، فيقضيها على التوالي فيشتبه الحال على من يرى ذلك، فقول عائشة كان عمله ديمة منزل على التوظيف، وقولها كنت لا تشاء تراه صائما إلا رأيته صائما منزل على الحالة الثانية، وقيل معناه أنه كان لا يقصد ابتداء إلى يوم معين فيصومه بل إذا صام يوما بعينه كالخميس مثلا داوم على صومه كذا ذكره العسقلاني، ولا يبعد أن يقال المراد بالدوام الغالب لا التمام أو كان يداوم إذا لم يخف المشقة على الأمة بالمتابعة أو عند عدم خشية الوجوب أو إذا لم يمنع مانع أو لم يحدث أمر أفضل مما كان يداوم عليه والله أعلم.

وأغرب الحنفي حيث قال عند قوله: وأيكم يطيق إلى آخره ؛ لأن الاستقامة على الشريعة صعبة جدا، وبهذا الحديث ينكر ترك الأوراد والنوافل كما ينكر الفرائض، ولذا قيل تارك الورد ملعون انتهى، واستغرابه من وجوه لا يخفى.

(حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: دخل." (١)

"عليه وسلم – القرآن في كل رمضان " فأشار إلى أن كلا منهما كان يعرض على الآخر ويؤيده ما وقع عند البخاري أيضا بلفظ فيدارسه القرآن، وفي حديث فاطمة قالت: أسر إلي النبي – صلى الله عليه وسلم – أن جبريل كان يعارضني بالقرآن إذ المدارسة والمعارضة مفاعلة من الجانبين فأفاد أن كلا منهما تارة يقرأ ويسمع الآخر قال: وفي رواية للبخاري وكان يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان حتى ينسلخ أي رمضان، وهذا ظاهر في أنه كان يلقاه كذلك في كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، ولا يختص برمضان بعد الهجرة، وإن كان صيام شهر

رمضان إنما هو فرض بعد الهجرة؛ لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه قلت: ولعل مدارسة القرآن كان سببا لوجوب صيامه واستحباب قيامه كما يشير إليه قوله سبحانه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ثم قال: وفي الحديث إطلاق القرآن على بعضه وعلى معظمه؛ لأن أول رمضان من بعد السنة الأولى لم يكن ينزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك إلى أن نزلت اليوم أكملت لكم دينكم يوم عرفة والنبي بها بالاتفاق، قال: وفي الحديث أن ليل رمضان أفضل من نهاره لا سيما للقراءة فإن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، والليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل الدينية والعوارض الدنيوية قلت ويدل عليه قوله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا قال: وقد أخرج أبو عبيد من طريق داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي: قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أوما كان ينزل عليه في سائر السنة قال: بلى ولكن جبريل كان يعارض مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في رمضان ما أنزل فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء قال: ولا يعارض ذلك قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إذا قلنا لا نافية كما هو المشهور وقول الأكثر؛ لأن المعنى أنه إذا أقرأه لا ينسى ما قرأه ومن جملة الإقراء مدارسة جبريل أو المراد أن المنفي بقوله " فلا تنسى " النسيان الذي لا ذكر بعده لا النسيان الذي يعقبه الذكر في الحال، قلت لهذا ورد في دعاء ختم القرآن: اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت.

قال: واختلف في العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها، وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان الناس أو غيره فقد روى أحمد وأبو داود والطبراني من

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ١٠٧/٢

طريق عبيدة بن عمر والسلماني أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة ومن طريق محمد بن سيرين قال كان جبريل يعارض النبي – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن في آخره نحو حديث ابن عباس، وزاد في آخره فيرون أن قراءتنا أحدث القرآن عهدا بالعرضة الأخيرة وعند الحاكم نحو من حديث سمرة وإسناده حسن، وقد صححه هو.

ولفظه عرض القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عرضات ويقولون إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة ومن طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أي القراءتين ترون آخر القراءة قالوا: قراءة زيد أي: ابن ثابت قال لا إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يعرض القرآن على جبريل فلما كان في السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين فكانت قراءة ابن مسعود آخرها، وهذا يغاير حديث سمرة ومن وافقه **ويمكن الجمع** بأن يكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين." (١)

"(حدثنا إسحاق بن منصور أنبأنا) وفي نسخة أخبرنا (عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – احتجم، وهو محرم) قال النووي: إذا أراد المحرم الحجامة بغير حاجة فإن تضمنت قطع شعر فهي حرام لقطع الشعر، وإن لم يتضمن بأن كان في موضع لا شعر فيه أو كان في موضع فيه شعر ولم يقطع جازت عند الجمهور، ولا فدية، وكرهها مالك وعن الحسن فيها الفدية، وإن لم يقطع شعرا، وإن كان لضرورة جاز قطع الشعر ويجب الفدية وخص أهل الظاهر الفدية بشعر الرأس انتهى.

واستدل بهذا الحديث على جواز الفصد وربط الجرح والدمل وقطع العرق وقلع الضرس وغير ذلك من وجوه التداوي إذا لم يكن في ذلك ارتكاب ما نهي المحرم عنه من تناول الطيب وقطع الشعر، ولا فدية عليه في شيء من ذلك، والله أعلم، ثم قوله (بملل) ظرف لاحتجم والجملة ما بينهما حالية، وهو بفتح الميم واللام الأولى موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة على ما ذكره صاحب النهاية (على ظهر القدم) قال العسقلاني: كذا وقع في حديث أنس، وهو حديث صحيح أخرجه أبو داود أيضا والنسائي وصححه ابن خزيمة وابن حبان، ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا داود حكى عن أحمد أن سعيد بن أبي عروبة رواه عن قتادة فأرسله وسعيد أحفظ من معمر وليست هذه بعلة قادحة قال ميرك: وأما ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس وعبد الله بن

بحينة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – احتجم، وهو محرم في وسط رأسه من شقيقة كانت به، ولفظ

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢/١٦٩

ابن عباس في إحدى الروايات عنه، وفي أخرى عنه أيضا احتجم النبي – صلى الله عليه وسلم – في رأسه، وهو محرم من وجع به بماء يقال له (لحي جمل) ولفظ حديث ابن بحينة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – احتجم بلحي جمل من طريق مكة، وهو محرم في وسط رأسه، فظاهره التعارض في مكان الاحتجام ومحله أيضا من البدن ويمكن الجمع بالحمل على التعدد وجزم الحازمي وغيره أن الحجامة وقعت في وسط الرأس كانت في حجة الوداع فيمكن أن تكون التي في ظهر القدم وقعت فيها أيضا ويمكن أن يكون في إحدى عمراته، والله أعلم قال ميرك: وقوله (لحي جمل) وقع في بعض الروايات بالتثنية، وفي بعضها بالإفراد واللام مفتوحة، ويجوز كسرها والمهملة ساكنة، وجمل بفتح الجيم والميم موضع بطريق مكة ذكره البغوي في معجمه في اسم العقيق، وقال هي بئر جمل التي ورد في حديث أبي جهم في التيمم، وقال ابن وضاح وغيره هي بقعة معروفة، وهي عقب الجحفة على سبعة أميال من السقيا وزعم بعضهم أن المراد بلحي الجمل الآلة التي احتجم بها أي احتجم بعظم جمل، وهو وهم والمعتمد الأول لما في حديث ابن عباس المتقدم ذكره حيث قال بماء يقال له لحي جمل، وقوله في وسط رأسه بفتح الواو والمهملة، ويجوز تسكينها أي: متوسطه، وهو ما فوق اليافوخ فيما بين أعلى القرنين، قال الليث: كانت هذه الحجامة في فأس الرأس، وأما التي في أعلاه فلا؛ لأنها ربما أعمت، وقوله من شقيقة كانت به، قال الشيخ العسقلاني: بشين معجمة وقافين على وزن عظيمة وجع بأحد جانبي الرأس وفي مقدمه، وذكر أهل الطب أن من الأمراض المزمنة أبخرة مرتفعة أو أخلاطا حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ فإن لم تجد منفذا أحدثت الصداع فإن مالت إلى أحد شقي الرأس أحدثت الشقيقة، وإن مالت إلى قمة الرأس أحدثت داء البيضة قال: وقد أخرج أحمد من حديث بريدة أنه – صلى الله عليه وسلم – كان ربما أخذته الشقيقة فمكثت يوما أو يومين لا يخرج قال وأخرج ابن سعد في الطبقات من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – احتجم، وهو محرم من أكلة أكلها من شاة سمتها امرأة من أهل خيبر فلم يزل شاكيا.

وأخرج من طريق عقيل عن ابن شهاب الزهري عن سعد بن أبي وقاص أنه وضع يده على المكان الناتئ من الرأس فوق اليافوخ فقال هذا موضع محجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال عقيل وغير واحد: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يسميها المغيثة أمرني جبريل حين أكلت طعام اليهودية، وأخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: احتجم النبي – صلى الله عليه وسلم – على رأسه حين طب يعني سحر قال وورد في فضل الحجامة على الرأس حديث أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه (الحجامة في الرأس تنفع من سبع: من الجنون والجذام

والبرص والنعاس والصداع
ووجع الضرس والعين) وعمرو متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب قال ميرك: ولكن للحديث شاهد أخرجه ابن سعد من طريق." (١)

"أحمد الحامدين لربه؛ لأنه ما ثبت في الصحيح: يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد من قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويخص بالمقام المحمود كما اختص بسورة الحمد، ثم لم يكن محمدا حتى كان أحمد حامد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم في قول موسى اللهم اجعلني من أمة أحمد وقول عيسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما بعث كان محمدا ذكر بالفعل فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد ولذلك في الشفاعة يحمد ربه أولا بتلك المحامد التي لم يفتح بها على أحد قبله فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيشفع فيحمد على شفاعته فيكون أحمد المحمودين فتقدم أحمد ذكرا ووجودا ودنيا وأخرى انتهى.
هو أبلغ من الحماد خلافا لما فهمه ابن القيم فإنه مبالغ الحامد فأين هو من الأحمد المطلق مع أن صيغة الفعال قد تأتي لغير المبالغة كما لا يخفى بل من صفة أمته الحمادون على ما ورد، ولعله قدم محمدا في الحديث لكونه أشهر من أحمد وأظهر بل ورد عند أبي نعيم أنه سمي بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام وورد عن كعب أن اسم محمد مكتوب على ساق العرش، وفي السماوات السبع، وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور العين وعلى قصب آجام الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، ومن مزاياه موافقته لمحمود من أسمائه تعالى قال حسان
(وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد)
ففي الجنة للاسمين الكريمين مزية تامة على سائر أسمائه - صلى الله عليه وسلم - فينبغي تحري التسمية بها ففي خبر أبي نعيم: قال الله: وعزتي وجلالي لا عذبت أحدا يسمى باسمك في النار.
وورد: إني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه أحمد، ولا محمد، وروى الديلمي عن علي: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين هذا.
وقال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته أنه لم يسم به أحد قبله صيانة لهذا الاسم كما قال تعالى في حق يحيى عليه السلام لم نجعل له من قبل سميا إلا أنه لما قرب زمانه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالاته وأشهرهم خمسة عشر خلافا لمن قال: ثلاثة

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢/ ١٨٠

أو ستة (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) إما من بلاد العرب ونحوها مما وعد له أن يبلغ ملك أمته وإما بمعنى الغلبة بالحجة كقوله تعالى (ليظهره على الدين كله) قال العسقلاني: تخصيص محو الكفر من بلاد العرب فيه نظر؛ لأنه وقع في رواية عقيل وحمزة عند مسلم (يمحو الله بي الكفر) انتهى.

وغرابته لا يخفى؛ لأنه لا فرق بين الروايتين، وإنما حمل على العهد لا على الاستغراق لعدم تحققه في الوجود، وقيل إنه محمول على الأغلب أو أنه يمحى به لكن بالتدريج إلى أن يضمحل في زمن عيسى ابن مريم؛ لأنه يرفع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وفيه نظر؛ لأن كفر يأجوج ومأجوج موجود حينئذ ويجاب بأنه وجد في الجملة، وأما عدم الاستمرار فأمر آخر بل

فيه إيماء إلى أنه لما وصل إلى الكمال تعقبه الزوال، ولذا لا تقوم الساعة، وفي الأرض من يقول الله.

قال العسقلاني: وفي رواية نافع بن جبير عند ابن سعد (وأنا الماحي) فإن الله يمحو به سيئات من تبعه، وهذا يشبه أن يكون من قول الراوي قلت ويوضحه أنه قال يمحو به لا يمحو بي إلا أنه **يمكن الجمع** بأن يقال وجه التسمية قد يكون متعددا، قال الكرماني فإن قلت: الماحي ونحوه صفة لا اسم قلت يطلق الاسم على الصفة كثيرا انتهى.

وكان الظاهر في الحديث أن يقول الذي يمحو الله به الكفر اعتبارا للموصول إلا أنه المعنى المدلول للفظ أنا كقول علي – كرم الله وجهه – (

أنا الذي سمتني أمي حيدره.

وكذا القول في قوله (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) حيث لم يقل على قدميه أو على قدمه بناء على الرواية بلفظ التثنية أو الإفراد قال العسقلاني: بكسر الميم مخففا على الإفراد ولبعضهم بالتشديد على التثنية والميم المفتوحة، ثم كل من الماحي والحاشر في الحقيقة هو الله سبحانه على ما يستفاد مما ذكر في صفتهما فإطلاقهما عليه لكونه سببا لهما، ثم قوله يحشر على بناء المفعول، والمعنى أنه – صلى الله عليه وسلم – يحشر قبل الناس كما جاء في حديث آخر «أنا أول من تنشق عنه الأرض» ، فالمعنى أنهم يحشرون بعدي أو يتبعوني، وقال الجزري أي: يحشر الناس على إثر زمان نبوتي ليس بعدي نبي.

فالمراد: بالقدم الزمان أي: وقت قيامي بظهور علامات الحشر ويرجحه ما وقع في رواية نافع أنا حاشر بعثت مع الساعة، وقال العسقلاني: في المواهب: الحديث رواه الشيخان، وقد روي على قدمي بتخفيف الياء على الإفراد وبالتشديد على التثنية قال." (١)

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢/٢٨١

"ذلك الماء صيانة لقطعه فلا يصح قياس غيره عليه مع أنه - صلى الله عليه وسلم - مع سائر الصحابة أولى بالاتباع فعليك بترك الابتداع.

قال النووي: وأما روي أن عليا لما غسله اقتلص ماء محاجر عينيه فشربه وأنه ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فليس بصحيح قال ابن حجر: ومن عجيب ما اتفق عليه ما رواه البيهقي في الدلائل عن عائشة أنهم لما أرادوا غسله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: لا ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أي: بالاكتفاء بالإزار أو بما يستر الغليظتين أم نغسله وعليه ثيابه أي: من القميص وغيره فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص وصح إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس، وهو بفتح معجمة فسكون راء فسين مهملة بئر مشهورة بالمدينة، هذا وصح عن عائشة أنه كفن في ثلاثة أثواب سحولية بيض من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة والسحولية بالفتح على الأشهر الأكثر في الروايات منسوبة إلى السحول، وهو القصار؛ لأنه يسحلها أي: يقصرها أو إلى سحول قرية باليمن وبالضم جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقي، ولا يكون إلا من قطن، وفيه شذوذ؛ لأنه نسب إلى الجمع، وقيل اسم القرية بالضم أيضا، وأما الكرسف فبضم فسكون فضم هو القطن قال الترمذي وروي في كفنه - صلى الله عليه وسلم - روايات مختلفة وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم ونقل البيهقي عن الحاكم تواتر الأخبار عن علي وابن عباس وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل - رضي الله عنهم - أجمعين في تكفين النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ولا عمامة وخبر أحمد أنه كفن في سبعة أثواب وهم رواية.

أقول الظاهر أن يقال المعنى ليس فيها قميص متعارف أو ليس فيها قميص من قميصه الذي كان يلبسها إذ الصواب على ما نص

عليه النووي وغيره أن قميصه الذي غسل فيه نزع عنه عند تكفينه فإنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفان وبه يحصل الجمع بين ما سبق من الروايات وبين ما روي أنه كفن في ثلاثة أثواب الحلة ثوبان وقميص.

وقيل تأويله أنه ليس في الثلاثة قميص وعمامة بل كانا زائدين عليها، وهو إنما يستقيم على مذهب المالكية في قولهم إنهما مندوبان للرجال والنساء، وأما مذهبنا فالكفن ثلاثة أثواب إزار وقميص ورداء واستحب العمامة بعض علمائنا للرجال.

نعم يزاد للمرأة الخمار وخرقة يربط بها ثديها وتفاصيل المسائل وأدلتها محررة في كتب الفروع المبسوطة المدونة وحفر أبو طلحة لحده في موضع فراشه حيث قبض وقد اختلفوا أيضا هل يلحد قبره أو يشق فاتفقوا على أن يرسل أحد إلى من يلحد وآخر إلى من يشق وكل من سبق يعمل عمله فاتفق أن أبا طلحة جاء قبله وأصح ما روي فيمن نزل في قبره أنه علي والعباس وابناه الفضل وقثم وكان آخر الناس به عهدا قثم وورد أنه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة بحرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وأخذ منه البغوي أنه لا بأس بفرشها لكنه شاذ والصواب كراهته وأجابوا عن فعل شقران بأنه شيء انفرد به ولم يوافقه أحد من الصحابة، ولا عملوا به على أن ابن عبد البر قال إنها أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع قال رزين: ورش قبره بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصا العرصة حمراء بيضاء ورفع قبره من الأرض قدر شبر.

وروى البخاري عن عائشة أنه – صلى الله عليه وسلم – قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا ورواية الفتح صريحة في أنه أمرهم بذلك بخلاف رواية الضم فإنها تشعر بأن ذلك اجتهاد منهم، قال ابن حجر: ومعنى لأبرز قبره كشف ولم يتخذ عليه حائل قلت، والأظهر أن معناه دفن في البراز لا في الحجرة قبل، وإنما قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد، ولهذا لما وسع جعلت حجرتها مثلثة الشكل حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر الشريف مع استقباله القبلة كذا ذكره ابن حجر، وفيه أنه **يمكن الجمع** بين الاستقبالين في بعض المواضع من المسجد الشريف كما هو ظاهر مشاهد، ثم البخاري روى عن سفيان التمار أنه رأى قبره – صلى الله عليه وسلم – مسنما أي: مرتفعا على هيئة السنام زاد أبو نعيم في المستخرج وقبر أبي بكر وعمر كذلك، وهو الموافق لما عليه جمهور العلماء من الأئمة الثلاثة والمزني وكثير من الشافعية خلافا لبعضهم بل ادعى القاضي حسين اتفاق أصحاب الشافعي عليه وأغرب البيهقي في رد قول التمار حيث قال." (١)

"حجر الهيتمي، قال: **ويمكن الجمع** بتعداد الواقعة قبل إسلامه، هذا كلامه فليتأمل ما فيه.

قال: ومن ذلك أي مما كان سببا لإسلام عمر «أن أبا جهل بن هشام، قال: يا معشر قريش إن محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم، وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون في النار، ألا ومن قتل محمدا فله علي مائة ناقة حمراء وسوداء، وألف أوقية من فضة: أي وفي لفظ: جعلوا لمن يقتله كذا وكذا أوقية من

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل الملا على القاري ٢١٨/٢

الذهب، وكذا كذا أوقية من الفضة، وكذا كذا نافجة من المسك، وكذا كذا ثوبا وغير ذلك، فقال عمر: أنا لها، فقالوا له: أنت لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك، قال عمر:

فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي: أي جعلتها في منكبي أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمررت على عجل يذبح، فسمعت من جوفه صوتا يقول: يا آل ذريح، صائح يصيح، بلسان فصيح، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت في نفسي: إن هذا الأمر لا يراد به إلا أنت، وذريح اسم للعجل المذبوح، وقيل له ذلك من أجل الدم، لأن الذريح شديد الحمرة، يقال أحمر ذريحي: أي شديد الحمرة، ثم مر برجل أسلم وكان يكتم إسلامه خوفا من قومه، يقال له نعيم: أي ابن عبد الله النحام كما تقدم، فقال له: أين تذهب يا بن الخطاب؟ فقال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم:

والله لقد غرتك نفسك: أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلت محمدا؟ فلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال:

ختنك أي زوج أختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأختك قد أسلما فعليك، وإنما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل الذي لقيه سعد بن أبي وقاص، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمدا، قال له: أنت أصغر وأحقر من ذلك، تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف أن تمشي على الأرض، فقال له عمر: ما أراك إلا وقد صبأت فأبدأ بك فأقتلك، فقال سعد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا، ثم قال سعد لعمر: ما لك يا عمر لا تصنع هذا بختنك وأختك، فقال صبآ قال نعم، فتركه عمر وسار إلى منزل أخته» أي ولا مانع أن يكون لقي كلا من نعيم وسعد بن أبي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر.

وفي هذه الرواية «وجد عندهم خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم، وإنه دق عليهم الباب، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب: أي وترك الصحيفة، فلما دخل قال لأخته: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالت له: ما سمعت." (١)

"شيئا غير حديث تحدثنا به بيننا، قال بلى والله لقد أخبرت أنكما- يخاطب أخته وزوجها- بايعتما محمدا على دينه، وبطش بزوج أخته فألقاه إلى الأرض وجلس على صدره وأخذ بلحيته، فقامت إليه أخته

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ١/ ٤٧٠

لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها: أي فلما رأت الدم قالت له: يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله تعالى؟ لقد أسلمت على رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع، فلما رأى ما بأخته وما صنع بزوجها ندم وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة أنظر ما هذا الذي جاء به محمد؟ وكان عمر كاتبا، قالت: أخشاك عليها، فحلف ليردنها إذا قرأها إليها، فقالت له: يا أخي أنت نجس ولا يمسه إلا الطاهر، فقام واغتسل: أي وفي لفظ فذهب يغتسل، فخرج إليها خباب وقال: أتدفعين كتاب الله تعالى إلى عمر وهو كافر؟ قالت نعم، إني أرجو أن يهدي الله أخي، ورجع خباب إلى محله ودخل عمر، فأعطته تلك الصحيفة؛ فلما قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١٦) [طه: الآية ١٦] قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله» اهـ أي وفي رواية «أنه لما قرأ الصحيفة قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه: أي وقيل إنه لما انتهى إلى قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري (١٤) [طه: الآية ١٤] قال: ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال: يا عمر إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر، فقال له عند ذلك:

دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم: أي عنده وعند أصحابه، فلا ينافي ما في الرواية الأولى أنه أسلم، فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه؛ فعمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» الحديث.

أقول: ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد؛ بأنه يجوز أن يكون زوج أخته استخفى أولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فأوقع به وبأخته ما ذكر، وأنه في الرواية الأولى اقتصر على ذكر أخته والصحيفة تعددت، واحدة فيها سبح لله ما في السماوات والأرض [الحديد: الآية ١] والثانية فيها طه، اقتصر في الرواية الأولى على إحداهما وهي التي فيها سبح لله [الحديد: الآية ١] وفي الرواية الثانية على الأخرى التي فيها (طه) وإنه في الرواية الأولى أسلم، وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك، والله أعلم.

وعن ابن عباس أيضا رضي الله تعالى عنهما: لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال المشركون: لقد انتصف القوم منا.

وعن ابن عباس أيضا رضي الله تعالى عنهما: لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد استبشر أهل." (١)

"الأعناق واضربوا منهم كل بنان [الأنفال: الآية ١٢] أي مفصل، فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمه النار. ولا ينافي ذلك وصفه بالخضرة في بعض الروايات، لأن الأخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود، وتلك الآثار في الأعناق، والبنان الظاهر أن ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الرأس أو اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة، وينبغي أن يكون هذا: أي ضربهم فوق الأعناق والبنان أكثر أحوالهم، فلا ينافي وجود أثر ضربهم في الكتفين كما تقدم وفي الوجه والأنف.

فعن بعض الصحابة رضي الله عنهم: كنا ننظر إلى المشرك أمامنا مستلقيا فننظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق في وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك الموضع، وفسر بعضهم الأعناق بالرؤوس، وهو غير مناسب لما ذكر هنا.

وروي عن سهل بن حنيف عن أبيه رضي الله عنه قال «لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك» أي يرفعه عليه «فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف» **ويمكن الجمع** بين هذا وما قبله بأن ضرب الملائكة في الأعناق تارة يفصلها وتارة لا، وفي الحالتين يرى أثر ذلك أسود في العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم.

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال «انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله، قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، قال: فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده، فبدر» أي سقط سيفه «فأخذته فضربته حتى قتلته، ثم خرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أقل من الأرض» أي أحمل من شدة الفرح «فأخبرته، فقال: الله الذي لا إله إلا هو» وفي لفظ تقدم «لا إله غيره ردها ثلاثا» وفي رواية عن ابن مسعود «فاستحلفني صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، ثم قال: الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله ثلاث مرات وخر ساجدا: أي خمس سجدات شكرا» كما تقدم.

وفي رواية: صلى ركعتين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ثم إنه صلى الله عليه وسلم خرج يمشي معي حتى قام عليه فقال: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة» زاد في لفظ «ورأس قاعدة الكفر، ونفلني سيفه أي وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة» ومع قصره كان أقصر من سيف ابن

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٤٧١/١

مسعود فلا منافاة.

أقول: يجوز أن يكون المضي إليه بعد إلقاء الرأس بين يديه صلى الله عليه وسلم استعظاما لقتله، أي وأن ابن مسعود في هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا مخالفة؛ وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد أخذ بمجامع ثوبه «أولى." (١)

"وفيه أن قوله ونحن مشركان يدل على أنه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن الغمام الذي ظلل بني إسرائيل في التيه هو الذي يأتي الله تعالى فيه يوم القيامة، وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر.

أي وعن علي رضي الله تعالى عنه «هبت ريح شديدة ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك، ثم جاءت أخرى كذلك، ثم جاءت أخرى كذلك، فكانت الأولى جبريل نزل في ألف من الملائكة» أي لعلها أمامه أخذا من قوله «وكانت الثانية ميكائيل، نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم» وفي ذلك سكوت عن الرابعة، أي زاد في الإمتاع «وكان إسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة» .

وظاهر هذا أن كلا من جبريل وميكائيل قاتل، وتقدم أنهم في هذه الغزاة التي هي غزاة بدر قيل لم يمدوا إلا بألف من الملائكة، ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن علي رضي الله تعالى عنه، فتكون هذه الرواية التي جاءت عن علي أيضا كذلك، ولا نظر لما تقدم عن بعضهم أن إمدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف أولا، وأنهم وعدوا أن يمدوا بخمسة آلاف إن ثبتوا وصبروا وهو ما عليه الأكثر، لما علمت أن ذلك إنما كان في أحد، وسيأتي ذلك مع زيادة. قال بعضهم: ولم تقاتل الملائكة إلا في يوم بدر، أي وفي غيره يكونون مددا من غير مقاتلة، وسيأتي أنهم قاتلوا يوم أحد ويوم حنين.

ففي مسلم عن سعد بن أبي وقاص «أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام، يقاتلان كأشد القتال» .

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه أن قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب، خلافا لمن زعم اختصاصه، فإن هذا صريح في الرد عليه.

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٢/٢٣٨

أقول: **يمكن الجمع** بأن المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن أصحابه، وفي غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصته، فلا منافاة؛ ثم رأيتني ذكرت هذا الجمع في غزوة أحد عن البيهقي، وتعقبته بما جاء أن الملائكة قاتلت في ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف. وعلى تسليم ورود ذلك فيه أنهم لو قاتلوا يوم أحد لظهر أثر قتلهم كما ظهر في يوم بدر.." (١)

"ادنوه مني فوسده قدمه الشريف، فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم.

وقاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا.

وقيل القاتل لمصعب رضي الله عنه أبي بن خلف لعنه الله، فإنه أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا، فاستقبل مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل مصعبا، فاعترضه رجال من المسلمين؟ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه، أي فأقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر، وتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض أصحابه أي وهو الحارث بن الصمة أو الزبير بن العوام على ما سيأتي، فخدشه بها في عنقه خشدا غير كبير احتقن الدم: أي لم يخرج بسبب ذلك الخدش، فقال قتلني والله محمد، فقالوا: ذهب والله فؤادك، أي وفي لفظ: ذهب والله عقلك، إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمي بها، فما هذا والله ما بك من بأس، ما أخدعك، إنما هو خدش، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره، فقال: واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز؟ أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم. وفي لفظ: لو كان بربيعة ومضر أي وفي لفظ: بأهل الأرض لماتوا أجمعون. إنه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني أي فضلا عن هذه الضربة لأنه كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة: يا محمد إن عندي العود يعني فرسا له أعلفه في كل يوم فرقا بفتح الراء: هو مكيال معروف يسع اثني عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله، فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم.

هذا، وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن أبي بن خلف قال حين أفتدي:

أي من الأسر ببدر: والله إن عندي لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا، فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله.

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٢/٢٤٤

أقول: يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

وفي رواية «أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته» بالفتح لا بالضم «من فرجة من سابغة الدرع» وهي ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم «فطعنه طعنة أي كسر فيها ضلعا» بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها «من أضلاعه» أي وهو المناسب لما في بعض الروايات «أن النبي صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها مرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور إذا ذبح، وإنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الحربة من الحارث بن الصمة، وقيل من الزبير بن العوام رضي الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه في عنقه» .

أقول: ولا مخالفة بين كون الطعنة في عنقه وكونها في ترقوته، لأن الترقوة في أصل العنق.." (١)

"الهلال ليلة استهلاله، ستر ذلك الوجه الحسن الأصلي بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح، فأعجب لجمال أصلي له الجمال العارض وقاية وساتر، فهو: أي ما ظهر بذلك الجرح كالزهر إذا ظهر من ستره وكالعود الذي يتطيب به إذا أزيل عنه قشره، وقال حسان رضي الله عنه في وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم:

متى يبدو في الداجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجناته صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر في وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه الله، وقال له لما ضربه: خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقمأك الله عز وجل: أي صغرك وأذلك. وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنه بعد الوقعة خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل: أي أعلى الجبل، فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه أرداه من شاهق الجبل فتقطع. وفي رواية: فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

أقول: ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل إلى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة في نكاله وخزيه ووباله، لعنة الله عليه، والله أعلم.

«ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه الشريف، وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم. وفي لفظ: ينشف دمه وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم» أي وفي رواية «اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) [آل عمران: الآية ١٢٨] أي

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٢/٣١٥

وفي رواية «صار صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم العن فلانا وفلانا: أي اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية« .

فإن قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس [المائدة: الآية ٦٧] .

أجيب بأن هذه الآية نزلت بعد أحد.

وعلى تسليم أنها نزلت قبله، فالمراد عصمته من القتل. قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله: لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له، وعلى قدر ما يقاسيه منهم. وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر أجرا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يتفق لنبي من الأنبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثير من طائعي أمة أجابته، ولا في كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الإجابة.

وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما." (١)

"لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة» فأخذ سلاحه وخرج وأقبل على القبلة وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائبا إلى أهلي فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره. منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته» أي كشف له عن حاله يوم القيامة، أي وفي رواية أنه قال «يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» .

أقول: لكن يمكن الجمع بأنه في أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة. وعمرو بن الجموح رضي الله عنه كان في الجاهلية على أصنامهم: أي سادنا لها، وكان في الإسلام يولم عنه صلى الله عليه وسلم إذا تزوج.

وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لأنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم «فإنه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الأنصار فطلب أهلها القصاص، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع، وصار كلما يقول صلى الله عليه وسلم: كتاب الله القصاص، يقول والله لا تكسر ثنية الربيع، فرضي القوم بالأرش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» وقال صلى الله عليه وسلم ذلك في حق

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٣١٨/٢

البراء بن مالك أخي أنس بن مالك رضي الله عنهما. فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» ومصداق ذلك ما وقع له رضي الله عنه في مقاتلة الفرس، فإن الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم، فحمل رضي الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس، ثم قتل البراء رضي الله عنه.

ومما وقع أنه كان مع أخيه أنس رضي الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة في سلاسل محماة يخطفون بها الإنسان، فكان من جملة من خطف أنس رضي الله عنه، فأقبل البراء رضي الله عنه وصعد محلا عاليا وأمسك السلسلة بيده ولا زال حتى قطع السلسلة، ثم نظر إلى يده فإذا عظمها يلوح ليس عليه لحم، ونجى الله أنسا رضي الله عنه بذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم في حق أويس القرني رضي الله عنه.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني، فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم» وفي رواية خطابا لعمر رضي الله عنه «يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم، له أم هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» والله أعلم.." (١)

"وعند إنشاده الأبيات المذكورة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله وجبت، أي الشهادة يا رسول الله، لولا: أي هلا أمتعتنا به؟ أي أبقيته لنا لنتمتع به، ومنه أمتعني الله ببقائك: أي هلا أخرت الدعاء له بذلك إلى وقت آخر، لأنه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك لأحد في مثل هذا الموطن إلا واستشهد.

وفي لفظ أن القائل له أسمعنا رجل من القوم. قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه صريحا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعه قال: من هذا السائق؟ قالوا:

عامر، قال صلى الله عليه وسلم: يرحمه الله، فقتل في هذه الغزاة رجع إليه سيفه فقتله، فإنه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك رضي الله عنه فقال الناس: قتله سلاحه، وفي رواية: قتل نفسه أي فليس بشهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إنه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم والمسلمون. وفي رواية قال سلمة بن الأكوع: يا رسول الله

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٣٢٩/٢

فداك أبي وأمي زعموا أن أخي عامرا حبط عمله. وفي لفظ: يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك أن عامرا حبط عمله إذ قتل بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال: أي أخطأ في قوله، وإن له أجرين وجمع بين أصبعيه، وفي رواية إنه لشهيد. وفي لفظ إنه لجاهد مجاهد. وفي لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد في أمره، فلما قام بوصفين كان له أجران، وقيل هو من باب: جاد مجد، وشعر شاعر، فهو تأكيد، وكون عامر أخا سلمة هو خلاف ما تقدم أنه عمه وهو الصحيح المشهور.

قال في النور: **ويمكن الجمع** بأن يكون عمه من النسب وأخاه من الرضاعة، أي وحينئذ يكون هذا محمل قول ابن الجوزي رحمه الله: من الإخوة الذين حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الأكوع.

وفي فتح الباري عن بعض الصحابة: فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذ الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له عامر رضي الله عنه يقول:

قد علمت خيبر أني عمار ... شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه، فذهب عامر يسفل لمرحب، أي يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه: أي أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك، الحديث.

وكون عامر ارتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي حدا به لا ينافي ما جاء أن البراء بن." (١)

"وذكر الزمخشري أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة، حيث قال: إنه يعني الزبير رضي الله عنه أول من استحق السلب، وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو، فقال رجل ورجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قم يا زبير، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: واحدي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيهما علا صاحبه فقتله، فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله، فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «السلب للقاتل» هذا كلامه فليتأمل، فإني لم أقف في كلام أحد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة.

وفي رواية أن القاتل لياسر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. أي **ويمكن الجمع** بمثل ما تقدم، وكان شعار المسلمين «أمت أمت» وفي رواية «يا منصور أمت أمت» .

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٤٧/٣

ومن جملة من قتل من المسلمين الأسود الراعي، كان أجيرا لرجل من اليهود يرعى غنمه، وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم، أي وفي الإمتاع اسمه يسار، فجاء إليه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر، وقال: يا رسول الله اعرض علي الإسلام فعرضه عليه فأسلم.

وفي رواية أنه قال: إن أسلمت فماذا لي؟ قال: الجنة، فأسلم، فلما أسلم قال: يا رسول الله إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها؟ وفي لفظ إنها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم له: اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى ربها، فقام الأسود فأخذ حفنة من حصباء فرمى بها في وجهها وقال ارجعي إلى صاحبك فو الله لا أصحبك، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم رضي الله عنه إلى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر. وفي رواية: سهم غرب بفتح الراء والإضافة، وبتسكين الراء بلا إضافة وهو ما لا يعرف راميه فقتله، ولم يسجد لله سجدة، فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه؟ فقال: إن معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له: ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك، زاد في لفظ: لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير، قد كان الإسلام من نفسه حقا.

وفتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم، وهو أول حصن فتح من حصون النطاة على يد علي كرم الله وجهه.

أي وعن عائشة رضي الله عنها: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قمة، أي وهي أول دار فتحت بخيبر وهي بالنطاة، وهي منزل ياسر أخي مرحب، وظاهر السياق أنها حصن ناعم.." (١)

"وخمسمائة قوس عربية بجعابها، أي ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها، فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها إليهم.

وهو يخالف ما قاله أئمتنا أن كتبهم التي يحرم الانتفاع بها لكونها مبدلة تمحى إن أمكن أو تمزق، وتجعل في الغنيمة فتباع، إلا أن يدعى أن تلك الصحف لم تكن مبدلة، وغيبوا الجلد الذي كان فيه حلي بني النضير، أي وعقود الدر والجوهر الذي جلوا به، لأنهم لما جلوا كان سلام بن أبي الحقيق رافعا له ليراه الناس وهو يقول بأعلى صوته: هذا أعددناه لرفع الأرض وخفضها كما تقدم، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٥٧/٣

وسلم لسعية بن عمرو: أي وهو عم حيي بن أخطب. وفي لفظ: سعية بن سلام بن أبي الحقيق. وفي الإمتاع: وسأل صلى الله عليه وسلم كنانة بن أبي الحقيق: أين مسك: أي جلد حيي بن أخطب، أي وإنما نسب إليه الجلد المذكور، فقيل كنز حيي، لأن حييا كان عظيم بني النضير، وإلا فهو لا يكون إلا عند بني الحقيق، فقال: أذهبته الحروب والنفقات، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية بن عمرو للزبير رضي الله تعالى عنه فمسه بعذاب، فقال: رأيت حييا يطوف في خربة هاهنا فذهبوا إلى الخربة، ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد.

قال: وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بكنانة، وهو زوج صفية تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم، وبالربيع أخوه، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين آنيتكما التي كنتم تعيرونها أهل مكة، أي لأن أعيان مكة إذا كان لأحدهم عرس ويرسلون فيستعيرون من ذلك الحلي انتهى، أي والآنية والكنز عبارة عن حلي كان أولا في جلد شاة، ثم كان لكثرته في جلد ثور، ثم كان لكثرته في جلد بعير كما تقدم فقالا: أذهبته النفقات والحروب، فقال صلى الله عليه وسلم: العهد قريب، والمال أكثر من ذلك، إنكما إن كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما، فقالا: نعم، فأخبره الله بموضع ذلك الحلي، أي فإنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار: اذهب إلى محل كذا وكذا، ثم ائت النخل، فانظر نخلة عن يمينك أو قال عن يسارك مرفوعة فائتني بما فيها فانطلق فجاءه بالآنية.

ويمكن الجمع بين هذا وما تقدم وما يأتي أنهم فتشوا عليه في خربة حتى وجدوه، بأن التفتيش كان في أول الأمر، وإعلام الله تعالى له بذلك كان بعد، فجيء به فقوم بعشرة آلاف دينار؛ أي لأنه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطة وخواتيم الذهب، وعقود الجوهر والزمرد، وعقود أظفار مجزع بالذهب، فضرب أعناقهما وسبى أهلهما.

أي وفي لفظ آخر: لما فتحت خيبر أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وفي لفظ: ابن ربيعة بن أبي الحقيق، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله صلى الله عليه وسلم عنه، فجحد." (١)

"بعد ذلك على الصحيح، خلافا لمن عده في الصحابة، ثم قال: يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد: أي وهم بنو عامر وبنو سليم، فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخشى أهل نجد عليهم، قال أبو براء: أنا لهم جار وهم في جواري وعهدي، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، وخرج أبو براء إلى ناحية نجد وأخبرهم أنه قد أجار أصحاب

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٦٢/٣

محمد، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضي الله تعالى عنه في أربعين، وقيل في سبعين، وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي: أي لأنه الذي في الصحيح البخاري، وقيل في ثلاثين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين.

أي وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القيل وهم، وأنه **يمكن الجمع** بين كونهم سبعين وكونهم أربعين بأن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا أتباعا، ويقال لهؤلاء القراء: أي لملازمتهم قراءة القرآن، فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا في ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن، فيظن أهلوهم إنهم في المسجد، ويظن أهل المسجد أنهم في أهاليهم، حتى إذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاؤوا بذلك إلى حجر النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي كلام بعضهم إنهم كانوا يحتطبون بالنهار، ويتدارسون القرآن بالليل، وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لأصحاب الصفة.

وقد يقال: لا منافاة، لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا أخرى، أو بعضهم يفعل أحد الأمرين وبعضهم يفعل الآخر، وكان منهم عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه.

وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، والحرة: أرض فيها حجارة سود، فلما نزلوها بعثوا حرام، بالحاء المهملة والراء، ابن ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله. أي وهو رأس بني سليم. وفي لفظ سيد بني عامر وابن أخي أبي براء عامر بن مالك كما تقدم، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله، أي بعد أن قال: يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، فآمنوا بالله ورسوله، فجاء إليه رجل من خلفه قطعنه بالرمح في جنبه حتى نفذ من جنبه الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقال: بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه، ثم استصرخ عليهم: أي استغاث بني عامر. فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: إنا لن نخفر بأبي براء: أي لا نزيل خفارته وتنقض عهده، وقد عقد لهم عقدا وجوارا، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم. قال الحافظ الدمياطي: عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم: وبني لحيان، قال بعضهم: وليس في محله.." (١)

"وابعث له داء يقتله اه. أي ثم قال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا قوم آمنوا، ثم قال: اللهم

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٢٤١/٣

اهد بني عامر، واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وأني شئت.

وفي البخاري: «أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر، وأكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء، فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد: ويلك يا أربد، أين ما كنت أمرتك به، والله ما كان على وجه الأرض من رجل أخافه على نفسي منك أبدا، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا، فقال: لا أبالك، لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين هذا الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ أي وفي رواية: إلا رأيت بيني وبينه سورا من حديد. وفي رواية:

لما وضعت يدي على قائم السيف يبست فلم أستطع أن أحركها. وفي رواية: لما أردت سل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل فاغر فاه بين يدي يهوي إلي، فو الله لو سللته لخفت أن يبتلع رأسي.

ويمكن الجمع بأن ما في الرواية الأولى كان بعد أن تكرر منه الهم، وما في الرواية الثانية كان بعد أن حصل منه هم آخر، وكذا يقال في الثالثة، وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه: أي وفي لفظ حلقه، أي وأوى لبيت امرأة سلولية من بني سلول، وكانوا موصوفين باللؤم.

وفي كلام السهيلي: إنما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لأنها منسوبة إلى سلول بن صعصعة، والطفيل من بني عامر بن صعصعة أي فهي تأسف عليه، وصار يأسف الذي كان موته ببيتها، وصار يمس الطاعون ويقول: يا بني عامر غدة: أي أغد غدة كغدة البعير، وموتا في بيت امرأة من بني سلول، ائتوني بفرسي، ثم ركب فرسه وأخذ رمحه، وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا.

أي ويذكر أنه صار يقول: ابرز يا ملك الموت. وفي لفظ: يا موت ابرز لي:

أي لأقاتلك، وهذا يدل على أن موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء في رواية:

فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها، فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه، وأقبل يجول وهو يقول: غدة كغدة البكر، وموت في بيت سلولية، فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا.

ويحتاج للجمع بينه وبين قول الأوزاعي قال يحيى: فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا، وقدم صاحباه على قومهما، فقالوا لأربد: ما." (١)

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٣٠٨/٣

"استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة» قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة، ننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر. وفي لفظ: وفرجه يقطر منيا، أي قد جامع النساء. أي وفيه أنهم لا ينطلقون إلى منى إلا بعد الإحرام بالحج، لأنهم يحرمون من مكة إلا أن يقال مرادهم أنا كيف نجامع النساء بعد إحرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الإحرام بالحج كما سيأتي في بعض الروايات.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار، فقال: أو ما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون؟» .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت الخ» تأسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع، كذا قال الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه، لأنه يرى أن التمتع أفضل. ورد بأنه لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل، وإنما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه في بقائه محرما على إحرامه وأمره لهم بالإحلال. وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

«لو تفتح عمل الشيطان» محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف.

ويروى «أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى، فقال: أما بعد، فتعلمون أيها الناس لأنا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت هديا ولا حللت» وفي رواية: «قالوا: كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج؟ فقال صلى الله عليه وسلم: اقبلوا ما أمرتكم به، واجعلوا إهلالكم بالحج عمرة، فلولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به، ففعلوا وأهلوا، ففسحوا الحج إلى العمرة» وكان من جملة من ساق الهدي أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعلى رضي الله تعالى عنهم، فإن عليا كرم الله وجهه قدم إلى مكة من اليمن ومعه هدي. وعن جابر رضي الله تعالى عنه: «لم يكن أحد معه هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة» وفي رواية: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه: انطلق وطف بالبيت وحل كما أحل أصحابك، فقال: يا رسول الله أهللت كما أهللت، فقال له: ارجع فأحل كما أحل أصحابك، قال: يا رسول الله إني قلت حين أحرمت: اللهم إن أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد، فقال: هل معك من هدي؟ قال لا، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على إحرامه، وهذا صريح في أن إحرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج.

ويمكن الجمع بين رواية أن عليا قدم من اليمن ومعه هدي، وبين رواية أنه لم يكن معه هدي بأن الهدي

تأخر مجيئه بعده، لأنه تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه. ويؤيد ذلك قول بعضهم: كان الهدي الذي قدم به علي كرم الله وجهه من." (١)

"الثاني: أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمدا. رواه الوليد بن مسلم بسنده إلى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر في التمهيد.

الختان من الأمور الظاهرة المحتاجة إلى فعل آدمي فخلق سليما منها لئلا يكون لأحد عليه منة، وبهذا لا ترد العلقة التي أخرجت بعد شق صدره؛ لأن محلها القلب ولا إطلاع عليه للبشر، فأظهره الله على يد جبريل ليتحقق الناس كمال باطنه كظاهره، انتهى ملخصا.

"الثاني: أنه ختنه جده عبد المطلب" الظاهر: أن المراد أمر بختنه وأنه بالموسى إذ لو ختن بغيره لنقل لخرقه للعادة، والخوارق إذا وقعت توفرت الدواعي على نقلها، "يوم سابعه" لأن العرب كانوا يختنون؛ لأنها سنة توارثوها من إبراهيم وإسماعيل لا لمجاورة اليهود؛ كما أشار له في قوله في حديث هرقل: "أرى ملك الختان قد ظهر"، "وصنع له مأدبة" بضم الدال وفتحها اسم لطعام الختان، كما أفاده القاموس والمصباح، وأفاد الثاني: أنه يسمى إعذارا أيضا، "وسماه محمدا.

وفي الخميس: روى أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا، وفي بعض الكتب: كان ذلك يوم سابعه، فلما فرغوا من الأكل قالوا: ما سميته فقال سميته محمدا، فقالوا: رغبت عن أسماء آبائه، فقال: أردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الأرض لخلقه، وقيل: بل سمته بذلك أمه لما رأته، وقيل لها في شأنه **ويمكن الجمع** بأن أمه لما نقلت ما رأته لجده سماه، فوقعت التسمية منه، وإذا كان بسببها يصح القول بأنها سمته به، انتهى.

"رواه الوليد بن مسلم" القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي عن مالك والأوزاعي والثوري وابن جريج وخلق، وعنه الليث أحد شيوخه وابن وهب وأحمد وابن راويه وابن المديني متفق على توثيقه، وإنما عابوا عليه كثرة التدليس والتسوية، أخرج له الستة مات أول سنة خمس وتسعين ومائة "بسنده إلى ابن عباس وحكاه" شيخ الإسلام أبو عمر الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد "بن عبد البر" بن عاصم النمري، بفتح النون والميم القرطبي الفقيه المكثر العالم بالقراءات والحديث والرجال والخلاف الدين الصين، صاحب السنة والاتباع والتصانيف الكثيرة، ساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان وانتهى إليه مع إمامته علو الإسناد. توفي

---

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون نور الدين الحلبي ٣٦٩/٣

ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام، "في"كتاب "التمهيد" لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ولمؤلفه فيه شعر:." (١)

"ورواه الطبراني من حديث ابن عباس.

وفي مسلم: "استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكر الآخرة".

هانئ ضعفه ابن معين، قال السيوطي: فهذه علة تقدح في صحته والعجب من الذهبي كيف صححه في الميزان اعتمادا على تصحيح الحاكم، مع أنه خالفه في مختصره، قال: وله علة ثانية هي مخالفته لما في البخاري وغيره من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له، ووردت أحاديث أخر في الترمذي وغيره فيها سبب غير قصة آمنة، فإن كان الذهبي رد حديث الإحياء لمخالفته هذا الحديث، فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته في صحيح البخاري وغيره، انتهى.

"ورواه الطبراني من حديث ابن عباس" بلفظ: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة واعتمر هبط من ثنية عسفان، فنزل على قبر أمه، فذكر نحو حديث ابن مسعود وفيه نزول الآية، قال السيوطي: وله علتان مخالفة الحديث الصحيح كما سبق وإسناده ضعيف، ثم قال: فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة خصوصا قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار؛ لأنه لا **يمكن الجمع** بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره، وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة: أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه في ألف مقنع، فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ هذا القدر، لا علة له وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نهي عن الاستغفار، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل لزيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه، انتهى.

والحافظ ابن حجر لما أبدى احتمالا أن لنزول الآية سببين متقدم وهو أمر آمنة رده بأن الأصل عدم تكرار النزول، ثم لا يشكل بأن موت أبي طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وبراءة من أواخر ما نزل بالمدينة؛ لأن هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية، كما نقله في الإتقان عن بعضهم وأقره، فلا حاجة لجواب الطيبي ونحوه بجواز أنه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له إلى نزولها، فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة؛ لأنه مجرد تجويز مبني على أن جميع السورة مدني.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٣٧/١

"وفي مسلم" من حديث أبي هريرة مرفوعا "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة" وكذا رواه ابن ماجه، إلا أنه قال: "فإنها تذكركم الموت"، فهذا حديث صحيح معارض لحديث إحيائهما وكلام الرازين وهذا الذي أراده المصنف أورده في الفوائد بطريق السؤال، فقال: كيف قررت." (١)

"بنيان قريش الكعبة:

"ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة" فيما جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء وقيل: خمسا وعشرين سنة، رواه ابن عبد البر عن محمد بن جبير وعبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد، وجزم به موسى بن قبة في معاوية ويعقوب بن سفيان في تاريخه، قال الحافظ: والأول أشهر، **ويمكن الجمع** بأن الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء.

وحكى الأزرقي: أنه كان غلاما، قال الحافظ: ولعل عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال: لما بلغ صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت الكعبة امرأة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فذكر القصة، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، حكى الأخير المصنف ولعله غلط قائله.

وأما قول الشامي ما حاصله: وسن المصطفى خمس وثلاثون سنة، وقيل: قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وقيل: ابن خمس وعشرين وغلط قائله فعجيب، فإن الثالث هو عين الثاني،." (٢)

"وثماني عشرة امرأة.

وكان منهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصر هناك................

وكلام العيون كما في النور يقتضي اختياره؛ لأنه قال في تعدادهم: وعمار بن ياسر، وفيه خلاف، وقيل: إن أبا موسى كان فيهم، وليس كذلك، ولكنه خرج في طائفة من قومه إلى أرضهم باليمن يريدون المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر، انتهى.

وروى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود: بعثنا صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم ابن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري ... الحديث. واستشكل ذكر أبي موسى؛ لأن الذي في الصحيحين عنه: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٣٤/١

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٧٩/١

باليمن، فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا المدينة فوافتنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فقال: "لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان"، قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأن موسى هاجر أولا إلى مكة، فأسلم، فبعثه صلى الله عليه وسلم مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحققوا استقراره صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار، فليعتمد.

وعلى هذا فقول أبي موسى بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم، أي: إلى المدينة لا بلغنا مبعثه؛ لأنه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه إلى مضي نحو عشرين سنة، ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلا بد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك؛ إذ يبعد أيضا أن يخفي عنهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين، ويحتمل أن إقامة أبي موسى بالحبشة طالت لتأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة حتى يؤذنه صلى الله عليه وسلم بالقدوم، وذكر ابن مظعون فيهم، وإن كان مذكورا في الأولى؛ لأنهم رجعوا معهم، كما ذكره ابن إسحاق وابن عقبة وغيرهما.

"وثماني عشر امرأة" إحدى عشرة قرشيات وسبع غرباء؛ كما في العيون، فالجملة مائة أو واثنان إن عد عمار وأبو موسى، قال ابن إسحاق: فلما سمعوا بمهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا وثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد منهم بدرا أربعة وعشرون.

"وكان منهم: عبيد الله" بضم العين "ابن جحش" أخو عبد الله بفتح العين المستشهد بأحد "مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك" روى ابن سعد عنها: رأيت في المنام كان زوجي عبيد الله بأسوأ صورة ففزعت فأصبحت فإذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام." (١)

"لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ [التوبة: ١١٣] .....

منطلق وأكثر ما تحذف الألف إذا وقع بعدها القسم ليدل على شدة اتصال الثاني بالأول؛ لأن الكلمة إذا بقيت على حرف لم تقم بنفسها فعلم بحذف ألف ما افتقارها إلى الاتصال بالهمز، انتهى.

"لأستغفرن لك" كما استغفر إبراهيم لأبيه "ما لم أنه" بضم الهمزة وسكون النون مبني لمفعول، "عنك" أي:

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٢/٢

إن لم ينهني الله عن الاستغفار لك، "فأنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ [التوبة: ١١٣] ، ما صح الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، أي: ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك فهو كالعلة للمنع من الاستغفار ولا يشكل بأن براءة من أواخر ما نزل بالمدينة وهذه القصة قبل الهجرة بثلاث سنين؛ لأن هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية؛ كما نقله في الإتقان عن بعضهم وأقره فلا حاجة لتجويز أنه كان يستغفر له إلى نزولها؛ لأن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة، ثم لفظ البخاري في التفسير: فأنزل الله بعد ذلك، فقال في الفتح الظاهر نزولها بعده بمدة لرواية التفسير، انتهى. وكأنه لم يقف على القول باستثنائها من كونها مدنية، فإن صح فلا يعارضه قوله بعد ذلك لكون المعنى بعد موته والاستغفار له بمكة أو بالمدينة فالبعدية محتملة، وأما قول السيوطي في التوشيح المعروف أنها نزلت لما زار -صلى الله عليه وسلم- قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها، كما رواه الحاكم وغيره فتساهل جدالا يليق بمثله فإنها لا تعادل رواية الصحيح.

وقد رد الذهبي في مختصر المستدرك تصحيح الحاكم بأن في إسناده أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وتعجب السيوطي نفسه في الفوائد من الذهبي كيف أقر الحديث في ميزانه مع رده في مختصر المستدرك، قال وله علة ثانية وهي مخالفته للمقطوع بصحته في البخاري من نزلها عقب موت أبي طالب، ثم قال السيوطي بعد طعنه في جميع أحاديث نزولها في آمنة، فبان بهذا إن طرقه كلها معلولة، خصوصا قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار؛ لأنه لا يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في أبي طالب، انتهى.

وقد تقدم ذلك مبسوطا بما يشفي، ثم هذه الآية وإن كان سببها خاصا عامة في حقه وحق غيره، ولذا استشكل قوله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد: "اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون"، وأجيب بأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم بدليل رواية من روى: "اللهم اهدي قومي"، وبأنه أراد مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من مسخ وخسف.." (١)

"وقت الإسراء:

ولما كان في شهر ربيع الأول أسرى بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام................

فقالت له قريش: أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك، ويمكن الجمع بأن الأربعة عند الأركان والمطعم وباقيهم

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٢/٢

في المطاف، قال في النور: وفي جواب سهيل والأخنس نظر؛ لأنهما لو لم يكونا ممن يجير لما سألهما النبي صلى الله عليه وسلم، كيف وعامر الذي هو جد سهيل وكعب أخوان ولدا لؤي، انتهى.

قيل: ولذا قال -صلى الله عليه وسلم- في أسارى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له"، وقيل: لقيامه في نقض الصحيفة ولا مانع أنه لكليهما وسماهم نتنى لكفرهم؛ كما في النهاية وغيرها. وقول المصنف: المراد قتلى بدر الذين صاروا جيفا يرده قول الحديث في أسارى بدر وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم الكريمة تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل، ولم يذكر قوله صبح الإسراء كل أمرك كان قبل اليوم أمما هو يشهد أنك كاذب، وقد قال واصفه: لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولما مات المطعم قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت؛ كما سأذكره إن شاء الله في غزوتها، ولا ضير فيه؛ لأن الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت، ولا ريب أن فعله مع المصطفى من أجلها، فلا مانع منه ومن ذكر نحو كرم أصله وشرفهم هذا، وذكر ابن الجوزي في دخوله -صلى الله عليه وسلم- في جوار كافر، وقوله في المواسم: "من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي"، حكمتين، إحداهما: اختبار المبتلى، أي: معاملته معاملة من يختبر ليسكن قلبه إلى الرضا بالبلاء فيؤدي القلب ما كلف به من ذلك، والثانية: أن بث الشبهة في خلال الحجج لثبات المجتهد في دفع الشبهة، انتهى.

وقت الإسراء:

"ولما كان في شهر ربيع الأول" أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال، أقوال خمسة "أسرى بروحه وجسده يقظة" لا مناما مرة واحدة في ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عنه، وقيل: وقع الإسراء والمعراج في مرتين مناما ويقظة، وقيل: الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة، وقيل: الإسراء يقظة والمعراج منام، وقيل: الخلاف في أنه يقظة أو منام خاص بالمعراج لا بالإسراء، وقيل: الإسراء مرتان يقظة الأولى بلا معراج والثانية به، "من المسجد الحرام" عند البيت في الحطيم أو الحجز.." (١)

"ومن أهل العلم بالسير، من يجعل فيهم عبادة بن الصامت، ويسقط جابر بن رئاب، فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم: "تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي".

فقالوا: يا رسول الله، إنما كانت بعاث أول عام أول، يوم من أيامنا، اقتتلنا به،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٧/٢

والبغوي عنه، قال: كنت في وفد عبد القيس مع أبي فنهاهم -صلى الله عليه وسلم- عن الشرب في الأوعية.. الحديث.

"ومن أهل العلم بالسير" كما قال أبو عمر "من يجعل فيهم عبادة بن الصامت" أبا الوليد البدري وحضر سائر المشاهد، مات بفلسطين ودفن ببيت المقدس عن الأشهر، وقيل: بالرملة سنة أربع وثلاثين، وحكى ابن سعد أنه بقي إلى خلافة معاوية وأمه قرة العين بنت عبادة أسلمت وبايعت. "ويسقط جابر بن رياب" نسبة لجده كما علم، ولكن الأول قول ابن إسحاق وتبعه جماعة وبه صدر في الفتح، ثم قال: وقال موسى بن عقبة عن الزهري وأبو الأسود عن عروة هم أسعد ورافع ومعاذ بن عفراء، ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة، ويقال كان فيهم عبادة بن الصامت وذكوان، انتهى.

واختلف في أول الأنصار إسلاما، فقال ابن الكلبي وغيره: أولهم رافع بن مالك، وقال ابن عبد البر: جابر بن عبد الله بن رياب، وقال مغلطاي: لما ذكر ابتداء إسلام الأنصار فأسلم منهم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس، فلما كان من العام المقبل في رجب أسلم منهم ستة، وقيل: ثمانية فذكرهم، انتهى. **ويمكن الجمع** بأن أسعد ما أظهره إلا مع الخمسة أو السبعة المذكورين معه وإن رافعا وابن رياب أول من أظهره من الستة.

"فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم: "تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي"، فقالوا: يا رسول الله، إنما كانت بعاث" بضم الموحدة، وحكى القزاز فتحها وتخفيف المهملة فألف فمثلثة، وذكر الأزهري أن الليث صحفه عن الخليل بغين معجمة، وذكر عياض أن الأصيلي رواه بالمهملة والمعجمة، وأن رواية أبي ذر بالمعجمة فقط، ويقال: إن أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا وهو مكان، ويقال: حصن، يقال: مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج قتل فيها كثير منهم وكان رئيس الأوس حضير والد أسيد الصحابي، ويقال له رئيس الكتاب، ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أولا للخزرج، ثم ثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس، ذكره الفتح، قال في المطالع: يجوز صرف بعاث وتركه. قال العيني: إذا كان اسم يوم صرف وإذا كان اسم بقعة منع للتأنيث والعلمية، انتهى. "أول عام أول" بالإضافة ومنعه ابن السكيت وأجازه غيره كالعام الأول، وهو "يوم من أيامنا اقتتلنا به" ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني أن سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٧٧/٢

"لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو، وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء –وقال أسعد بن زرارة وهو الراجح– ثم ثارت، وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول،..........................

"لسهل" مكبرا ذكره اليعمري في البدريين، وقال أبو عمر: لم يشهدها. وقال ابن منده: يقال: شهد أحدا ومات في خلافة عمر، "وسهيل" مصغرا بدرا وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر، قاله ابن عبد البر. قال في الإصابة: وزعم ابن الكلبي أنه قتل مع علي بصفين. "ابني رافع بن عمرو" كما عند ابن الكلبي، وتبعه الزبير بن بكار وابن عبد البر والذهبي وغيرهم، وقال الزهري وابن إسحاق: هما ابنا عمرو. وقال اليعمري: وهو الأشهر. والحافظ في الإصابة: هو الأرجح. وحاول السهيلي التوفيق، فقال: هما ابنا رافع بن عمرو، يعني كما صرح به الجماعة فنسبهما الزهري وابن إسحاق إلى جدهما، وهذا حسن. وابن عقبة في الإصابة بأن أرجح قول الزهري وتلميذه؛ لأنه ذكر في الفتح ما جمع به السهيلي عن نص الزبير بن بكار وهو ابن الكلبي إماما أهل النسب، فتعين جمع السهيلي.

"وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء" كما عند ابن إسحاق وأبي عبيد في التقريب، "وقال: أسعد" بالألف "ابن زرارة" أبو أمامة من سباق الأنصار إلى الإسلام، ذكر ابن سعد أن أسعد كان يصلي فيه قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم "وهو الراجح" إذ هو الثابت في البخاري وغيره. قال في الإصابة: **ويمكن الجمع** بأنهما كانا تحت حجرهما معا، ولذا وقع في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "يا بني النجار، ثامنوني". ووقع في رواية أبي ذر وحده للبخاري سعد بلا ألف، والصواب كما في الفتح والنور: أسعد، بالألف وهو الذي في رواية الباقين. قال الحافظ: وسعد تأخر إسلامه، انتهى. وذكره غير واحد في الصحابة، قال عياض: لم يذكره كثيرو؛ لأنه ذكر في المنافقين. وحكى الزبير أنهما كانا في حجر أبو أيوب.

قال في فتح الباري: وأسعد أثبت وقد يجمع باشتراكهم أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكروا واحدا بعد واحدا. "ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها" ومشت "حتى بركت على باب أبي أيوب" خالد بن زيد بن كليب "الأنصاري" من بني مالك بن النجار من كبار الصحابة، شهد بدرا والمشاهد ومات غازيا الروم سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: اثنتين وخمسين، وهو الأكثر. "ثم ثارت" بمثلثة وفوقية: قامت "منه وبركت في مبركها الأول" عند المسجد إشارة إلى أن بروكها في الأول بطريق القصد لا الاتفاق، قاله الحافظ.

أو إلى أنه منزله حي وميتا، وقد يكون مشيها قليلا ثم رجوعها إشارة إلى الاختلاف اليسير الذي وقع في دفنه، ثم الموافقة لرأي أبي بكر في أنه يخط له تحت الفرش الذي توفي عليه، قاله البرهان البقاعي.." (١)

"وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا.

وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه، سبعا وعشرين...............

وغزا" بنفسه، وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية وبعثا، "وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا" جماعات بعد جماعات جاءوه بعد الفتح من أقطار الأرض طائعين، "وكان عدد مغازيه عليه السلام" قال في الفتح: جمع مغزى، يقال: غزا غزوا ومغزى، والأصل: غزو، والواحد غزوة وغزاة والميم زائدة.

وعن ثعلب: الغزوة المرة والغزاة عمل سنة كاملة، وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده، والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي صلى الله عليه وسلم الكفار بنفسه أو بجيش من قبله وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق، انتهى.

"التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين" كما قاله أئمة المغازي موسى بن عقبة وابن إسحاق وأبو معشر والواقدي وابن سعد، وأسنده عن هؤلاء وجزم به الجوزي والدمياطي والعراقي وغيرهم. وقال ابن إسحاق في رواية البكائي عنه ستا وعشرين، وجزم به في ديباجة الاستيعاب، قائلا: وهذا أكثر ما قيل.

قال السهيلي: وإنما جاء الخلاف لأن غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادي القرى، فجعلهما ابن إسحاق غزوة واحدة، وقيل: خمسا وعشرين، ولعبد الرزاق بسند صحيح عن ابن المسيب: أربعا وعشرين. وعند أبي يعلى بإسناد صحيح عن جابر: أنها إحدى وعشرين غزاة، وروى الشيخان والترمذي عن زيد بن أرقم: أنها تسع عشرة.

وفي خلاصة السير للمحب الطبري جملة، المشهور منها: اثنتان وعشرون، **ويمكن الجمع** على نحو ما قال السهلي بأن من عدها دون سبع وعشرين نظر إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره، فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة، فضم للأبواء بواطا لقربهما جدا؛ إذ الأبواء في صفر، وبواط في ربيع الأول، وضم حمراء الأسد لأحد، لكونها صبيحتها. وقريظة للخندق، لكونها ناشئة عنها وتلتها. ووادي القرى لخيبر، لوقوعها

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٦١/٢

في رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة. والطائف لحنين، لانصرافه منها إليها، فبهذا تصير اثنتين وعشرين، وإلى هذا أشار الحافظ، فقال بعد نقل كلام السهيلي المار، وقول جابر: إحدى وعشرين، فلعل الستة الزائدة من هذا القبيل.

وأما من قال: تسع عشرة فلعله أسقط الأبواء وبواطا، وكان ذلك خفي عليه لصغره ويؤيد ما قلته: ما وقع عند مسلم، بلفظ: قلت: ما أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العسير أو العسيرة،." (١)

"وكان المشركون ألفا ويقال: تسعمائة وخمسون رجلا، معهم مائة فرس، وسبعمائة بعير.

يركبوا، أو أن الثلاثة تركب مدة يدفعونه إلى غيرهم ليركبه مدة أخرى، والعقبة النوبة، كما في المصباح. فالمراد: أن كل واحد يركب مدة وركوب أبي لبابة معهم كان قبل رده من الروحاء وبعده أعقب مرثدا، كما عند ابن إسحاق، أو زيدا، كما عند غيره.

وذكر ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير، قال: وكان أمامه عليه السلام رايتان سوداوان بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. قال اليعمري: والمعروف أن سعد بن معاذ كان على حرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وأن لواء المهاجرين كان بيد علي ثم روى بسنده عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا الراية يوم بدر، وهو ابن عشرين سنة. وأجيب عن الأول بأن هذا كان عند خروجهم وفي الطريق، فيحتمل أن سعد لغيره أدفعه لغيره بإذنه صلى الله عليه وسلم ليحرسه في العريش، إذ هو ببدر.

"وكان المشركون ألفا" كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس عن عمر، ورواه ابن سعد عن ابن مسعود، "ويقال" هم "تسعمائة وخمسون رجلا" مقاتلا "معهم مائة فرس وسبعمائة بعير" قال ابن عقبة وابن عائذ، والتقييد بمقاتلا لفظهما، فيمكن الجمع بأن باقي الألف الخمسين غير مقاتلين. وعند ابن إسحاق: أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا والزبير وسعد بن مالك في نفر إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا رواية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وغريض أبو يسار غلام بني العاصي فأتوا بهما، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سلم، قال: "أخبراني عن قريش" قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي تراه بالعدوة القصوى، قال: "كم القوم"؟ قالا: كثير، قال: "ما عدتهم"؟ قال: ما ندري قال: "كم ينحرون كل يوم" قالا: يوما تسعا ويوما عشرا، قال صلى الله عليه وسلم: "القوم ما بين التسعمائة والألف"، ثم قال: "فمن فيهم من أشرف

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٢٠/٢

قريش"، فسميا له خمسة عشر، فأقبل صلى الله عليه وسلم على الناس، فقال: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها" أي: قطع كبدها، شبه أشرافهم بفلذة الكبد بفاء ومعجمة المستور في الجوف وهو أفضل ما يشوى من البعير عند العرب، وأمرؤ.

قال ابن عقبة: وزعموا أن أول من نحر لهم عشر جزائر حين خرجوا من مكة أبو جهل، ثم صفوان تسعا بسعفان، ثم سهيل عشرا بقديد، ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا، فأقاموا يوما فنحر شيبة تسعا، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر مقيس الجمحي تسعا، ونحر العباس عشرا، والحارث تسعا، وأبو البختري على ماء بدر عشرا، ومقيس عليه تسعا، ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم.." (١)

"ابن إسحاق وغيره.

واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي منهم انتهى.

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم قريبا من بدر، نزل قريش بالعدوة القصوى من الوادي، ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء...

ابن إسحاق وغيره" كابن أبي شيبة وابن عائذ وابن مردويه. قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين، الأولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير، وذلك بين من لفظ مسلم: أنه شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، كانت بعد أن خرج، كما في حديث الجماعة. ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب، انتهى.

"واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا، ولم يذكره" موسى "ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي" محمد بن عمر بن واقد المدني أبو عبد الله الأسلمي الحافظ المتروك مع سعة علمه، "المدائني" أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الأخباري صاحب تصانيف، وثقه ابن معين. وقال ابن عدي: ليس بالقوي، مات سنة أربع وخمسين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة. "وابن الكلبي منهم، انتهى" كلام العيون. وفي فتح الباري إشارة إلى أنه ليس بخلاف حقيقي؛ لأنه قال: لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وإن عد منهم، لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره. وفي العيون بعد ما نقله المصنف عنه، وروين عن ابن سعد أنه كان

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٢٦١

يتهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش قبل أن يخرج فأقام، فقال صلى الله عليه وسلم: "لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا". قال وروى بعضهم أنه عليه السلام ضرب بسهمه وأجره، انتهى. وهو أيضا إيماء إلى أن الخلاف بالاعتبار لا حقيقي.

"ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم" من المكان الذي كان فيه وهو ذفران. بفتح المعجمة وكسر الفاء فراء فألف فنون: واد قرب الصفراء، وسار حتى نزل "قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة" بضم العين وكسرها وبهم قرئ في السبع، وقرئ شاذا بفتحها جانب الوادي وحافته. وقال أبو عمرو: المكان المرتفع، "القصوى" البعدي من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاسم، كالقعود، وهو أكثر استعمالا من القصيا، كما في الأنوار.

"من الوادي، ونزل المسلمون على كثيب" بمثلثة: رمل مجتمع، "أعفر" أحمر أو أبيض ليس بالشديد ولعله المراد، "تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء." (١)

"وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه في الدعاء، فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمرات الموت. والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون وراء الجند لا يقاتل معه، فكان الكل في جد واجتهاد، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين وأنصار الله وملائكته يجتهدون، ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون. انتهى.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يديه، وجعل يهتف..............................

"وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه" بفتحتين: تعبه، "في الدعاء، فإنه" كما قال السهيلي " رأى الملائكة تنصب" بفتح الصاد، "في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون" يقتحمون "غمرات الموت" شدائده "والجهاد على ضربين جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء. ومن سنة الإمام" عادته وطريقته "أن يكون وراء الجند" خلف الجيش، "لا يقاتل معه، فكان الكل في جد" بكسر الجيم "واجتهاد" عطف تفسير، "ولم يكن" مريدا "ليريح نفسه من أحد الجدين وأنصار الله وملائكته يجتهدون" جملة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/ ٢٧٠

حالية، "ولا ليؤثر الدعة" الراحة، "وحزب الله" المؤمنون "مع أعدائه يجتلدون، انتهى" كلام السهيلي.

"وفي صحيح مسلم" وسنن أبي داود والترمذي "عن ابن عباس، قال": حدثني "عمر بن الخطاب،" قال: "لما كان يوم بدر ونظر رسول الله إلى المشركين وهم ألف" هذ أولى بالصواب لصحته وكونه عن عمرو، وافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان، ومر قول ابن عقبة وابن عائذ أنهم تسعمائة وخمسون مقاتلا وأنه **يمكن الجمع** بأنه الخمسين باقي الألف غير مقاتلين، وهذا خير من تأويل الحديث بأنه في نظر الرائي؛ لأن فيه رد الحديث لصحيح المسند عمن حضر الواقعة إلى كلام أهل السير بلا إسناد على أن الرائي إنما كان يراهم قليلا، كما في القرآن وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، "وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا" بفوقية فسين مهملة، ونسخة وبضعة عشر بموحدة فضاد تحريف من النساخ للعز، ولمسلم: فإن بضعة رواية البخاري عن البراء.

أما رواية مسلم عن عمر فتسعة بفوقية وسين، وكذا نقله عنه اليعمري والحافظ جامعا بأنه ضم إلى الثلاثمائة عشر من لم يؤذن له في القتال، "دخل العريش، فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف" بفتح أوله وكسر الفوقية، قال النووي: أي يصيح ويستغيث بالدعاء، وفيه." (١)

"أن يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم.

وفي حديث أنس عند الإمام أحمد: استشار عليه الصلاة والسلام الناس في الأسرى يوم بدر فقال: "إن الله قد أمكنكم منهم"، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم،...

المصطفى، والمذكور في الفتح عقب رواية ابن عائذ لفظه، فكان الأنصار لما فهموا رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه سألوه، "أن يترك له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم" كما أخرج البخاري من حديث ابن شهاب: حدثنا أنس بن مالك أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، قال: "والله لا تذرون منه درهما"، قال الحافظ: وأم العباس ليست من الأنصار بل جدته أم عبد المطلب هي الأنصارية فسموها أختا لكونها منهم، وعلى العباس ابنها لأنها جدته وهي سلمى بنت عمر والخزرجية، قال: وإنما لم يجبهم؛ لأنه خشي أن يكون فيه محاباة لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء، وفيه أيضا إشارة إلى أن القريب لا ينبغي له أن يتظاهر بما يؤذي قريبه،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٨٣/٢

وإن كان في الباطن يكره ما يؤذيه، ففي ترك قبول ما تبرع له الأنصار به من الفداء تأديب لمن يقع منه مثل ذلك، انتهى. أو للتسوية بينهم حتى لا يبقى في نفوس أصحابه الذين لهم أقارب أسرى شيء بسبب مسامحته وأخذ الفداء منهم.

"وفي حديث أنس عند الإمام أحد استشار عليه الصلاة والسلام الناس في الأسرى يوم بدر" أي: زمنه "فقال: "إن الله قد أمكنكم" وفي نسخة: "مكنكم" وهما بمعنى "منهم" أسقط من رواية أحمد عن أنس: "وإنما هم إخوانكم بالأمس" "فقام عمر" ظاهره أنه تكلم قبل أبي بكر، وفي حديث عمر عند مسلم إن أبا بكر تكلم قبل عمر، ولفظه: استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلي، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا، فقال: "ما ترى يا عمر"؟ قال: والله ما أرى ما رأى أبو بكر.... الحديث مطولا.

وأخرجه بنحوه أحمد والترمذي وغيرهما، عن ابن مسعود وابن مردويه عن ابن عباس **ويمكن الجمع** بأنه صلى الله عليه وسلم استشار الناس عموما وخصوصا. فلما خص تكلم أبو بكر قبل عمر، ولما عم، بادر عمر في الجواب على عادته في الشدة في دين الله تعالى، "فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم" أمر أو مضارع ويؤيد الأول رواية مسلم والجماعة بلفظ: ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين." (١)

"وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا: ستة من المهاجرين،.................................

به، أي: يتجر فيه، وإني لأرجو من الله المغفرة، أي: لقوله تعالى: ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ [الأنفال: ٧٠] الآية. وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، قال: قال العباس: في والله نزلت حين أخبرت رسول اله صلى الله عليه وسلم بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معني، فأعطاني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله.

وفي الصحيح عن أنس: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين، فقال: "انثروه في المسجد"،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٣٢٠

وكان أكثر مال أتى به، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس، فقال: أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا، فقال له: "خذ" فحثا في ثوب ثم ذهب يقله فلم يستطيع، فقال: يا رسول الله، مر بعضهم يرفعه إلي، قال: "لا"، قال: فارفعه أنت علي، قال: "لا"، فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق وهو يقول: إنما أخذت ما وعد الله فقد أنجز، فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرص، فما قام صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم.

وعند ابن أبي شيبة: أن المال كان مائة ألف، وهذا كله صريح في أنه لم يفد إلا نفسه وعقيلا، قيل وفدى نوفلا لقوله صلى الله عليه وسلم: "فاد نفسك وابني أخيك نوفلا وعقيلا"، ولما أسلم نوفل آخى بينه وبين العباس، ذكره ابن إسحاق. وقيل: بل فدى نوفل نفسه، فقد روى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لنوفل: "أفد نفسك"، قال: ليس لي مال أفتدي به، فقال: "أفد نفسك بأرماحك التي بجدة"، قال: والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحا غير الله، أشهد أنك رسول الله، وفدى نفسه بها وكانت ألف رمح. **ويمكن الجمع** بأنه أمر العباس قبل أن يعلم أن لنوفل مالا فلما أعلمه الله بذلك أمر نوفلا بفداء نفسه ويؤيد ذلك قول العباس في الصحيح: فاديت نفسي وعقيلا ولم يذكر نوفلا وصدر السهيلي بأن نوفلا أسلم عام الخندق، وهاجر ومات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر.

"وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا" قيل: وأسهم لهم صلى الله عليه وسلم "ستة من المهاجرين" عبيدة بن الحارث المطلبي قطعت رجله في المبارزة، فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها، وقيل: مات بالروحاء. ومهجع بكسر الميم وإسكان الهاء وفتح الجيم وعين مهملة، مولى عمر. قال ابن إسحاق: وابن سعد كان أول قتيل من المسلمين وأول من جرح، قتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله إليه، وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ: "مهجع سيد الشهداء". وروى الحاكم عن واثله رفعه: "خير السودان لقمان وبلال ومهجع" قاله البرهان. ونقل بعض مشايخي أنه أول من يدعى." (١)

"ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢] .

وفي الإكليل: "فقد آذانا بشعره، وقوى المشركين".

﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ ، مانعا من عذابه، ذكر ابن عائذ في صدر هذه الرواية عن أبي الأسود،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٢٥/٢

عن عروة قال: أنبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم، ويحرضهم عليهم، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قريش فاستقواهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو سفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه، وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟، فقال: أنتم أهدى سبيلا وأفضل، إلى أن قال: فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ [آل عمران: ٢٣] الآية، وخمس آيات فيه وفي قريش، فجزم عروة بأنها نزلت في كعب، ونحوه ما روى أحمد وغيره، عن ابن عباس قال: لما قدم كعب مكة قالت قريش: ألا ترى إلى هذا المنبصر المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج، وأهل السقاية، قال: أنتم خير، فنزل فيهم: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر: ٣] ، ونزلت: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ إلى ﴿نصيرا﴾ [آل عمران: ٢٣] .

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس، كان الذين خربوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع، والربيع، وعمارة، وهوذة، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتب الأولى، فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ [آل عمران: ٢٣] ، إلى قوله: ﴿ملكا عظيما﴾ [النساء: ٥٤] ، ولذا قال الجلال والبيضاوي: أنها نزلت في كعب، وفي جمع من اليهود خرجوا إلى مكة وساقا نحو القصة، وزاد البيضاوي: إنهم سجدوا لآلهة الكفار، ليطمئنوا إليهم.

وقوله في صدر عبارته نزلت في يهود، قالوا: عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يقول محمد، وقيل: في حيي وكعب في جمع من اليهود.. إلخ، ليس بخلاف محقق، لإمكان حمل الأول المبهم على الثاني المبين، خصوص من نزلت فيه كما هو الواقع.

"وفي الإكليل" لأبي عبد الله الحاكم من حديث جابر: "فقد آذانا بشعره وقوى المشركين" علينا، قال الحافظ: ووجدت لقتل كعب بن الشرف سببا آخر في فوائد عبد الله بن إسحاق الخراساني، بسند ضعيف من مرسل عكرمة، وهو أنه صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود، أنه يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوليمة، فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل بما أضمروا بعد أن جالسه، فقام يستره جبريل بجناحه، فلما فقدوه تفرقوا، فقال حينئذ: "من ينتدب لقتل كعب؟ "، **ويمكن الجمع** بتعدد الأسباب، انتهى.." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٣٧١

"فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة -بنون وبعد الألف تحتية-

---

وفي البخاري ومسلم: فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، زاد الواقدي: ونحن ما نجد ما نأكل، وفي مرسل عكرمة: إن نبينا أراد منا الصدقة، وليس مال نصدقه. انتهى. وأنه قد عنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال كعب: وأيضا والله لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا يجب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين.

وفي رواية عروة: وأحب أن تسلفنا طعاما، قال: وأين طعامكم؟ قالوا: أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه، قال: ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل، انتهى. قال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟، قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ زاد ابن سعد من مرسل عكرمة: ولأنا منك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك.

وفي رواية الخراساني: وأنت رجل حسان يعجب النساء، وحسان بضم الحاء، وشد السين المهملتين، ولعلهم قالوا له: أنت أجمل العرب تهكما، وإن كان هو في نفسه جميلا كما قال الحافظ، انتهى. قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا، فيسب أحدهم، فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة، يعني السلاح. وفي مرسل عكرمة: ولكنا نرهنك سلاحنا مع علمك بحاجتنا إليه، قال: نعم.

وفي رواية الواقدي: وإنما قالوا له ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم إليه بالسلاح، انتهى. فواعده أن يأتيه هكذا في الصحيح: أن الذي خاطب كعبا بذلك، هو محمد بن مسلمة، وعند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي: أنه أبو نائلة جاءه وقال له: ويحك يابن الأشرف، إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السيل حتى جاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا، فقال كعب: أنا ابن الأشرف، فأما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول، فقال: إني أردت أن تبيعنا طعاما لك، ونرهنك ونوثق لك، وتحسن في ذلك وإن معي أصحابا على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن نرهنك من الحلقة ما فيه وفاء، فقال: إن في الحلقة لوفاء، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه، قال الحافظ: ويحتمل أن كلا منهما كلمه في ذلك لأن أبا نائلة أخوه من الرضاعة، ومحمد بن مسلمة ابن أخيه، "فاجتمع في قتله،" أي: الذهاب له، "محمد بن مسلمة وأبو نائلة، بنون بعد الألف

تحتية،" وهذا لفظ الفتح. وفي شرح المصنف: وبعد الألف همزة، **ويمكن الجمع** أنه يكتب بالياء، وينطق بالهمزة،." (١)

"....................................

تفردت الخزرج بقتل سلام بن أبي الحقيق، قاله عبد الغني الحافظ، وفي البخاري عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار: أن ابن مسلمة جاء معه برجلين، قال سفيان: وقال غير عمرو، وأبو عبس بن جبر والحارث بن أوس، وعباد بن بشر.

قال الحافظ: فعلى هذا كانوا خمسة، وكذا سماهم في رواية ابن سعد، ويؤيده قول عباد بن بشر، وكان الله سادسنا، وهو أولى مما وقع في رواية الحاكم وغيره، إنهم ثلاثة فقط، **ويمكن الجمع** بأنهم كانوا مرة ثلاثة، وفي الأخرى خمسة، انتهى.

ووقع في الشامية عدهم ستة، فزاد الحارث بن عبس، وفيه نظر، فليس في الصحابة من سمي بذلك إلا الحارث بن عيسى، وقيل: ابن عبس، بالموحدة العبدي أحد وفد عبد القيس، كما في الإصابة وقدوم عبد القيس سنة تسع ولهم قدمة قبل ذلك سنة خمس وأياما كان، فهذه القصة سابقا على القدمتين؛ لأنها في الثالثة، وأيضا فليس أوسيا، والذاهبون لقتله أوسيون، باتفاق. وأخرج ابن إسحاق بإسناد حسن.

عن ابن عباس قال: مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: "انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم" ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة مقمرة، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، وكان حديث عهد بعرس، فهتف به أبو نائلة، فوثب على ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرؤ تحارب، وإن أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر، ولم تسم امراة كعب كما في مقدمة الفتح.

وقوله في الفتح: تقدم أن اسمها عقيلة سهو، وإذ المتقدم أن عقيلة أمه، وفي البخاري قالت: أسمع صوته كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، انتهى. فنزل فتحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه وقالوا: هل لك يابن الأشرف أن تمشي إلى شعب العجوز، فنتحدث به بقية ليلتنا، فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده، بمعجمة وميم مخففا، أدخلها في فود رأسه، ثم شد يده، فقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر، ثم

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٧٣/٢

مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بقود رأسه وقال: اضربوا عدو الله.

وفي البخاري: أن ابن مسلمة قال لأصحابه: إذا ما جاء كعب فإني قائل بشعره، أي: آخذ به من إطلاق القول على الفعل مجازا وأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحا، أي: أطيب، فقال: عندي أعطر نساء العرب، وأكمل العرب، فقال ابن مسلمة: أتأذن لي أن أشم." (١)

"فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا،

القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه. قال الحافظ: هذا يقتضي أن ذلك وقع منه أول ما أسروهم.

وفي رواية ابن إسحاق: فخرجوا بالنفر الثلاثة، حتى إذا كانوا بمر الظهران أشرع عبد الله بن طارق يده، وأخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بمر الظهران، فيحتمل أنهم إنما ربطوهم بعد أن وصلوا إلى مر الظهران، وإلا فما في الصحيح أصح، انتهى.

"فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة،" والذي باعهما زهير وجامع الهذليان.

قال ابن هشام: باعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

وعند سعيد بن منصور: أنهم اشتروا خبيبا بأمة سوداء، **ويمكن الجمع**، قاله الحافظ.

وقال الواقدي: بيع خبيب بمثقال ذهبا، ويقال: بخمسين فريضة، وبيع الثاني بخمسين فريضة.

وعند ابن سعد وابن إسحاق: فأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية، فقتله بأبيه.

وعند ابن سعد: أن الذي قتله نسطاس مولى صفوان، ويقال: اشترك فيه ناس من قريش، ودخلوا بهما في شهر حرام في ذي القعدة، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم.

"فابتاع بنو الحارث بن عامر" بن نوفل بن عبد مناف "خبيبا"، وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير -بضم الحاء المهملة، وفتح الجيم وسكون التحتية وبالراء- ابن أبي إهاب -بكسر أوله وبالموحدة- التميمي، حليف بني نوفل، وبين ابن إسحاق أنه الذي تولى شراءه وقد أسلم الثلاثة بعد ذلك وصحبوا.

قال في حديث البخاري: وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٣٧٥

قال الحافظ: هكذا وقع في حديث أبي هريرة، واعتمده البخاري، فذكر خبيب بن عدي فيمن شهد بدرا وهو متجه، لكن تعقبه الدمياطي بأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أن خبيب بن عدي شهد بدرا ولا قتل الحارث بن عامر، وإنما ذكروا أن الذي قتل الحارث ببدر خبيب بن إساف الخزرجي، وابن عدي أوسي، قلت: يلزم من كلامه رد الحديث الصحيح، فلو لم يقتل ابن عدي الحارث ما كان لاعتناء بن الحارث بن عامر بأسر خبيب معنى، ولا بقتله، مع تصريح الحديث الصحيح أنهم قتلوه به، لكن يحتمل أنهم قتلوه لكون ابن أساف قتل الحارث على عادة الجاهلية بقتل بعض البيلة عن بعض، ويحتمل أن يكون خبيب بن عدي شارك في." (١)

"فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك، فقال -عليه الصلاة والسلام: "إني أخشى أهل نجد عليهم". قال أبو براء: أنا لهم جاء فابعثهم.

فبعث -عليه الصلاة والسلام- المنذر بن عمرو، ومعه القراء وهم سبعون -وقيل: أربعون، وقيل: ثلاثون. وقد بين قتادة في روايته أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل

وأرسل إليه أنني قد أصابني وجع، أحسبه قال: يقال له الدبلة، فابعث إلي شيء أتداوى به، فأرسل إليه بعكة عسل، وأمره أن يستشفي به، ورد عليه هديته، وقال: "إني نهيت عن زبد المشركين" انتهى. وهذا قبل ما تقدم بلا ريب لا بعده؛ لموته أسفا على ما صنع عامر سريعا. "فعرض عليه الإسلام فلم يسلم، ولم يبعد" بفتح أوله وضم العين، بل قال: يا محمد، إني أرى أمرك هذا حسنا شريفا، وقومي خلفي، فلو أنك بعث معي نفرا من أصحابك؛ لرجوت أن يتبعوا أمرك، فإنهم إن اتبعوك فما أعز أمرك، "وقال: يا محمد، لو بعثت رجال من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم" بفتح التاء خطابا، أي: بواسطة من ترسله إليهم، "إلى أمرك لرجوت" بضم التاء على التكلم "أن يستجيبوا لك، فقال -عليه الصلاة والسلام: "إني أخشى أهل نجد عليهم" هو في الأصل ما أشرف من الأرض.

"قال أبو براء: أنا لهم جار" أي: هم في ذمامي وعهدي وجواري، "فابعثهم، فعث -عليه الصلاة والسلام- المنذر بن عمرو، ومعه القراء" وانفصل المصنف عن رواية ابن إسحاق التي هو فيها دون بيان، فقال: "وهم سبعون" كما في البخاري ومسلم من طرق عن أنس.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٨٢/٢

قال السهيلي: وهو الصحيح، "وقيل: أربعون،"كما في رواية ابن إسحاق وموسى بن عقبة.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء، وبقية العدة أتباعا "وقيل: ثلاثون".

قال الحافظ: هو وهم، لكن قال في الغرر: إن رواية القليل لا تنافي رواية الكثير، وهو من باب مفهوم العدد، وكذا قول من قال ثلاثين، انتهى.

"وقد بين قتادة" بن دعامة "في روايته"، عن أنس في الصحيح "أنهم كانوا يحتطبون،" يجمعون الحطب "بالنهار، ويصلون بالليل"، ولفظه: استمدوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم، فأمدهم بسبعين من الأنصار، كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، وادعى الدمياطي أن هذه الرواية وهم، فإنهم لم يستمدوه –صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي استمدهم عامر بن الطفيل على الصحابة.

قال الحافظ: ولامانع أن يستمدوه –صلى الله عليه وسلم– في الظاهر، وقصدهم الغدر بهم، ويحتمل أن." (١)

"فقال صلى الله عليه وسلم: "والله ما صليتها"، فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب.

وقد يكون ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة أو غيرها، ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر.

وفي الموطأ: الظهر والعصر.

قبل الغروب، وهو خلاف تصريحه بأنه جاء بعدما غربت الشمس، ويوهم أيضا أن عمر لم يصل العصر قبل الغروب، مع أن الحديث كالنص في أنه صلاها قبل الغروب كما علم "فقال صلى الله عليه وسلم: "والله ما صليتها " " فيه جواز اليمين من غير استحلاف، إذا اقتضته مصلحة من زيادة طمأنينة أو نفي توهم، وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق، وحسن التأني مع أصحابه وتألفهم، "فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان".

قال الحافظ: بضم أوله وسكون ثانيه، واد بالمدينة، وقيل: بفتح أوله وكسر ثانيه، حكاه أبو عبيد البكري، ونسب عياض الأول للمحدثين، والثاني للغويين، وحكى الفتح مع السكون أيضا.

"فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها فصلى" زاد الإسماعيلي: بنا، "العصر بعدما غربت الشمس،" ففيه قضاء الفائتة جماعة، وبه قال الأكثر إلا الليث، مع إجازته صلاة الجمعة جماعة إذا فاتت، "ثم صلى بعدها المغرب"

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٩٨/٢

ووقع عند أحمد، أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم الأحزاب، فلما سلم قال: "هل علم رجل مسلم أني صليت العصر"؟ قالوا: لا يا رسول الله فصلى العصر، ثم صلى المغرب.

قال الحافظ: وفي صحته نظر، لمخالفته لحديث الصحيحين، هذا ويمكن الجمع بينهما بتكلف. قال: واختلف في سبب تأخير الصلاة ذلك اليوم، فقيل: النسيان، واستبعد وقوعه من الجميع، وقيل: شغلهم إياهم، فلم يتمكنوا من ذلك وهو أقرب لا سيما، ولأحمد والنسائي عن أبي سعيد، أن ذلك كان قبل أن ينزل الله في صلاة الخوف، فرجالا أو ركبانا، "وقد يكون ذلك" أي: التأخير عن إيقاعها قبل الغروب "للاشتغال بأسباب الصلاة أو غيرها" كخوف عود العدو قبل الغروب، "ومقتضى هذه الرواية المشهورة" في الصحيحين وغيرهما، عن جابر وعلي، "أنه لم يفت غير العصر".

"وفي الموطأ" من طريق أخرى، أنه فاتهم "الظهر والعصر".." (١)

"في كل ناحية، ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم، ولم يلقوا كيدا.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

في كل ناحية" من نواحيهم "ثم خرج حتى أتى عسفان، فبعث أبا بكر في" مع "عشرة فوارس لتسمع بهم قريش، فيذعرهم" بفتح الياء، وذال معجمة وفتح العين المهملة، أي: يفزعهم، "فأتوا كراع" بضم الكاف، وخفة الراء وعين مهملة، "الغميم" بفتح الغين المعجمة، وكسر الميم، فتحتية ساكنة فميم، واد أمام عسفان، بثمانية أميال يضاف إلى كراع، جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه، والكراع ما سال من أنف الجبل، أو الحرة، وطرف كل شيء، كما في النور، "ولم يلقوا كيدا" قاله ابن سعد.

وقال ابن إسحاق: لما أخطأه من غرتهم ما أراد، قال صلى الله عليه وسلم: "لو أنا نزلنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة"، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كروا يمكن الجمع بأنه بعثهما، ثم بعث أبا بكر في العشرة أو عكسه، "وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيدا"، أي: حربا، "وهو يقول،" كما رواه ابن إسحاق وابن سعد عن جابر: سمعت رسول الله صلى الله علي وسلم يقول حين وجه راجعا: "آيبون" بمد الهمزة،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٩/٣

أي: نحن راجعون إلى الله، نحن "تائبون" إن شاء الله تعالى، كما في الرواية إليه سبحانه، فيه إشارة إلى التقصير في العبادة قاله تواضعا أو تعليما لأمته، نحن "عابدون" من استحقت ذاته للعبادة "لربنا" متعلق بالصفات الثلاثة على طريق التنازع، وكذا بقوله نحن "حامدون" له تعالى.

وقال الطيبي: يجوز أن يتعلق قوله لربنا بقوله عابدون؛ لأن عمل اسم الفاعل ضعيف، فيقوى به، أو بحامدون ليفيد التخصيص، أي: نحمد ربنا لا نحمد غيره، وهذا أولى؛ لأنه الخاتمة للدعاء، وبقية حديث جابر عندهما: أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

زاد الواقدي: اللهم بلغنا بلاغا صالحا، ينظر إلى خير مغفرتك ورضوانا، قالوا: وهذا أول ما قال هذا الدعاء، ووعثاء بمثلثة مشقة وكآبة حزن، وأصل الحديث في الصحيح عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم إذا قفل يقول، كلما أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا، ثم قال: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"، "وغاب عن
المدينة أربع عشرة ليلة،" والله سبحانه وتعالى أعلم.." (١)

"–وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة –ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء، في أربعين فارسا فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر.

وقال ابن إسحاق: وكان فيها رجل من بني غفار وامرأة، فقتلوا الرجل وسبوا المرأة

وخفة القاف، "وهي ذوات اللبن، القريبة العهد بالولادة"، بشهر، واثنين، وثلاثة وهو اسم لا صفة، فيقال هذه لقحة لا ناقة لقحة، فإن أريد الوصف فناقة لقوح ولاقح، وقد يقال ذلك قبل الوضع، ثم هي بعد الثلاثة لبون، وقد جاء اللقحة في البقر والغنم أيضا، كما في النور. "ترعى بالغابة" قاله ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي، ومثله في حديث سلمة الطويل عند مسلم.

وفي البخاري ومسلم: كانت ترعى بذي قرد.

قال عياض: هو غلط.

قال الشريف: ويمكن الجمع بأنها كانت ترعى هنا تارة وهناك تارة.

"وكان أبو ذر فيها" وابنه وامرأته، "فأغار عليهم" على أبي ذر ومن معه، فلا حاجة لدعوى أنه غلب العاقل

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٠٨/٣

على غيره، وأن الأولى عليها، أي: الإبل، "عيينة بن حصن الفزاري"كما عند ابن سعد وغيره.
ورواه الطبراني، عن سلمة بن الأكوع، وروى عنه أحمد، ومسلم، وابن سعد، أن الذي أغار عبد الرحمن بن عيينة بن حصن، ولا منافاة، فكل من عيينة وابنه كان في القوم، وذكر ابن عقبة وابن إسحاق أن مسعدة الفزاري كان رئيسا أيضا في فزارة، في هذه الغزوة، قاله في الفتح "ليلة الأربعاء" من ربيع الأول فقط؛ لأن هذا الذي ساقه المصنف كلام ابن سعد، القائل أنها في في ربيع، ولم يعين الليلة هل هي أول الشهر، أو غيرها "في أربعين فارسا، فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر" وأسروا المرأة، قاله ابن سعد.
قال الدمياطي: والولد المقتول هو ذر، وكان راعي اللقاح، ونقله عنه في الإصابة.
"وقال ابن إسحاق: وكان فيها" أي: الإبل "رجل من بني غفار" هو ابن أبي ذر، كما صرح به ابن سعد، "وامرأة" لأبي ذر نفسه، "فقتلوا الرجل" الذي هو ابن أبي ذر، "وسبوا المرأة" التي هي زوجة أبي ذر، واسمها ليلى، كما في أبي داود.
وعند الواقدي: أن أبا ذر استأذنه عليه السلام إلى لقاحه، فقال: إني أخاف عليك، ونحن لا نأمن عيينة، فألح عليه فقال صلى الله عليه وسلم: "لكأني بك قد قتل ابنك، وأخذت امرأتك، وجئت توك." (١)
"وذكر ابن عقبة: أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية.

عليه ما أخذ منه، فقبل، وقال لها: "أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له".
وروى البيهقي بسند قوي أن زينب قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا العاصي إن قرب فابن عم وإن بعد، فأبو ولد، وإني قد أجرته.
قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية، الذين أصابوا مال أبي العاصي، فقال لهم: "إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي فاء عليكم، فأنتم أحق به"، فقالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه حتى أن الرجل ليأت بالدلو، والرجل بالإداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا، ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، قال: ەل أوفيت ذمتي؟ قالوا: اللهم نعم، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيا كريما، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ووالله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١١١/٣

أن آكل أموالكم، فلما ردها الله تعالى إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم المدينة.

وأخرج أبو أحمد الحاكم بسند صحيح عن الشعبي أن زينب هاجرت وأبو العاصي على دينه، فخرج إلى الشام في تجارة، فلما كان قرب المدينة، أراد بعض المسلمين الخروج إليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه، فبلغ ذلك زينب، فقالت: يا رسول الله، أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا؟، قال: "نعم"، قالت: فاشهد أني قد أجرت أبا العاصي، فلما رأى ذلك الصحابة خرجوا إليه بغير سلاح، فقالوا له: إنك في شرف من قريش، وأنت ابن عم رسول الله، فهل لك أن تسلم، فتغنم ما معك من أموال أهل مكة، فقال: بئسما أمرتموني به، أن أفتتح ديني بغدرة، فمضى إلى مكة، فسلمهم أموالهم، وأسلم عندهم، ثم هاجر، والجمع بينهما عسر، وقد قال في الإصابة: **يمكن الجمع** بين الروايتين.

"وذكر" موسى "ابن عقبة" الحافظ تبعا لشيخه الزهري كما رواه عنهما البيهقي: أن الذي أخذ هذه العير أبو جندل، وأبو بصير، و"أن أسره كان على يد أبي بصير" بفتح الموحدة، وكسر المهملة، فتحتية ساكنة فراء، ومن معه من المسلمين، لما أقاموا بالساحل، يقطعون الطريق على تجار قريش في مدة الهدنة "بعد الحديبية" وصوبه ابن القيم، واستظهره البرهان.

قال الشامي: ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: "ولا يخلصن إليك"، أي: لا يطأك فإنك لا تحلين له؛ لأن تحريم المؤمنات على المشركين، إنما نزل بعد الحديبية انتهى، ثم الآخذ للعير على هذا القول ليس من السرايا، فإن أبا بصير ومن معه كانوا بالساحل، يقطعون الطريق على تجار قريش، ولم." (١)

"وقال: "أغر، بسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر، ولا تقتل وليدا، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج، ابنة ملكهم".

فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا، وكان رئيسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية.

وتزوج عبد الرحمن تماضر -بضم المثناة الفوقية، وكسر الضاد المعجمة- بنت الأصبغ، وقدم بها المدينة

الله وسيرة نبيه فيكم"، فأخذ عبد الرحمن اللواء، "وقال" كما عند ابن سعد: "أغز بسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر" ثلاثي، أي: تترك الوفاء "ولا تقتل وليدا" أي: صبيا، فكان اختلاف الأمر جمعا، وإفرادا من تصرف الرواة، أو خاطبه مرة، وجميع الجيش أخرى، و"بعثه في سبعمائة، كما عند

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢٦/٣

الواقدي "إلى كلب بدومة الجندل، وقال: "إن استجابوا لك" أطاعوك فأسلموا، "فتزوج ابنة ملكهم"، فسار عبد الرحمن" بجيشه، "حتى قوم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام".

زاد الدارقطني: وقد كانوا أبو أول ما قدم أن لا يعطوا إلا السيف، "فأسلم" في اليوم الثالث "الأصبغ" بفتح الهمزة، وسكون الصد المهملة، وفتح الموحدة، وبالغين المعجمة "ابن عمرو" بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب "الكلبي" القضاعي، ذكره صاحب الإصابة في القسم الثالث، فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، ولذا قال البرهان: لم تثبت له صحبة، "وكان نصرانيا وكان رئيسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن تماضر".

قال الواقدي: وهي أول كلبية نكحها قرشي.

"بضم المثناة الفوقية، وكسر الضاد المعجمة" ومنع الصرف للعلمية، والتأنيث "بنت الأصبغ"، وقيل: بنت رباب بن الأصبغ، كما في الإصابة، "وقدم بها المدينة"، ففازت بشرف الصحبة، والمصنف تابع في هذا الذي ذكره في هذه السرية، لابن سعد، وقد أسنده عن شيخه الواقدي بسند له مرسل عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف.

وعند الدارقطني: فكتب عبد الرحمن مع رافع بن مكيث الجهني إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره، وأنه أراد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج ابنة الأصبغ، فتزوجها، وقد **يمكن الجمع** بين الروايتين، بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا: "فإن استجابوا لك، فتزوج ابنة ملكهم" لاحتمال." (١)

"حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

"حتى نزحوه" بنون فزاي فحاء مهملة أي لم يبقوا منه شيئا.

يقال: نزحت البئر على صيغة واحدة في التعدي واللزوم قال الحافظ: ووقع في شرح ابن التين بفاء بدل الحاء ومعناهما واحد، وهو أخذ الماء شيئا بعد شيء إلى أن يبقى منه شيء، "وشكي" بضم أوله مبني للمفعول "إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش" بالرفع نائب الفاعل، "فانتزع" أخرج "سهما من كنانته" بكسر الكاف جعبته التي فيها النبل، "ثم أمرهم أن يجعلوه فيه" في الثمد. قال الحافظ في المقدمة: روى ابن سعد من طريق أبي مروان حدثني أربعة عشر رجلا من الصحابة بالأنصار أن الذي نزل البئر ناجية

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٣٥/٣

بن الأعجم وقيل: هو ناجية بن جندب وقيل: البراء بن عازب، وقيل: عبادة بن خالد.

حكاه عن الواقدي ووقع في الاستيعاب خالد بن عبادة، وقال في الفتح: يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره، "فوالله ما زال يجيش" بفتح أوله وكسر الجيم آخره معجمة أي يفور "بالري".

قال الحافظ: بكسر الراء ويجوز فتحها "حتى صدروا عنه" أي رجعوا رواء بعد ورودهم.

زاد ابن سعد حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر، وكذا في رواية أبي الأسود عن عروة وعند ابن إسحاق فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن.

وفي حديث البراء عند البخاري أنه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال: " دعوها ساعة" فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ويمكن الجمع بأن الأمرين وقعا معا، وقد روى الواقدي عن أوس بن خولي: أنه صلى الله عليه وسلم توضأ في الدلو، ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها، وهكذا ذكر أبو الأسود عن عروة وهذه القصة غير القصة التي في حديث جابر عند الشيخين قال: عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها، فأقبل الناس نحوه، فقال: "ما لكم" قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقتين، وكان ذلك قبل قصة البئر وسيأتي في الأشربة يعني من كتاب البخاري بيان أن حديث جابر كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن الماء لما تفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضئوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الباقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها، وقد أخرج أحمد حديث جابر وفيه: فجاءه رجل بإداوة فيها شيء من ماء ليس في." (١)

"قال ابن إسحاق: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بقية شهر المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها.

وقيل: كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

قال الحافظ ابن حجر: والراجح ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبي شيبة فرويا من حديث أبي سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٨١/٣

وسلم إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، وإسناده حسن، لكنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت. وتوجيهه: بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما.

على التقريب فلا ينافي أنها أربعة بالسير المعتدل، ويؤيده قول التهذيب على نحو أربعة أيام أو هو بحسب الاختلاف في الميل أو الأربعة بالنظر إلى داخل السور، والثلاثة بالنظر إلى خارجه.

"قال ابن إسحاق": أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، ثم "خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم" إلى خيبر "سنة سبع"، وذكر ابن عقبة عن الزهري أنه أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها، وعند ابن عائذ عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع إلى المدينة عشر ليال.

وفي مغازي التيمي أقام خمسة عشر يوما "فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة" موزعة على حصونها "إلى أن فتحها" في صفر هكذا في نقل الفتح عن ابن إسحاق. "وقيل: كانت في آخر سنة ست" حكاه ابن التين عن ابن الحصار "وهو منقول عن مالك" الإمام "وبه جزم ابن حزم".

"قال الحافظ ابن حجر" وهذه الأقوال متقاربة، "والراجح" منها "ما ذكره ابن إسحاق" قال في زاد المعاد: وهو قول الجمهور، "ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول" وهو ابن حزم، ولذا جزم أن خيبر سنة ست لكن الجمهور على أن التاريخ وقع من المحرم.

قال الحافظ وأما ما ذكره الحاكم، وابن سعد عن الواقدي أنها في جمادى الأولى فالذي رأيته في مغازي الواقدي أنها كانت في صفر، وقيل: في ربيع الأول "وأغرب ابن سعد، وابن أبي شيبة فرويا من حديث أبي سعيد الخدري" قالا: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، وإسناده حسن لكنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت" لتقارب اللفظين، "وتوجيهه" مع أن حنينا لست خلت من شوال أو لليلتين بقيتا من رمضان "بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما"، فيصح." (١)

"قال: وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة: أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، لعله انتقال من الخندق إلى خيبر.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٢٤٤

وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من

إطلاقه على غزوة حنين بجعلها من غزوة الفتح، لكونها ناشئة عنها والخروج من المدينة لهما واحد.

"قال" الحافظ ابن حجر "وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة أنها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر"، وأجاب البرهان بأنه أسقط سنة الهجرة، أي وقطع النظر عن سنة الغزوة.

قال الحافظ: وذكر ابن هشام أنه استعمل على المدينة نميلة بنون مصغر ابن عبد الله الليثي، وعند أحمد والحاكم عن أبي هريرة أنه سباع بن عرفطة وهو أصح. انتهى.

ويمكن الجمع بأنه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر، كما مر نظيره "وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس".

هذا مخالف لما عند ابن إسحاق أن عدة الذين قسمت عليهم خيبر ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم، الرجال ألف وأربعمائة والخيل مائتا فرس لكل فرس سهمان ولفارسه سهم. انتهى.

فإن لم يكن ما في المصنف مصحفا بزيادة الألف في راجل وفارس، فلا ينافي ما مر من الخلاف في عدد أهل الحديبية.

أما لما تقدم من أن من ذكر القليل كألف وثلاثمائة نظر إليهم في ابتداء الخروج، ثم زادوا بعد وأما لأنه خرج لخيبر من لم يخرج في الحديبية، فقد ذكر الواقدي أنه جاء المخلفون في الحديبية ليخرجوا رجاء الغنيمة، فقال عليه السلام: "لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا". فلعله خرج معه جماعة لم يحضروا الحديبية ولم يأخذوا من الغنيمة، فلا ينافي قوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم﴾ الآية، "ومعه أم سلمة زوجته" رضي الله عنها التي كانت معه في الحديبية. "وفي البخاري من حديث سلمة بن" عمرو بن "الأكوع" واسمه سنان فنسب لجده لشهرته به الأسلمي أبو مسلم، وأبو إياس شهد بيعة الرضوان ومات سنة أربع وسبعين، روى له الستة، "قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم"." (١)

"القوم لعامر: عامر، ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٤٥/٣

قال الحافظ لم أقف على اسمه صريحا، وعند ابن إسحاق من حديث نصر بن دهر الأسلمي، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع. ففي هذا أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بذلك. انتهى.

ويمكن الجمع بأن الرجل لما قال له لم يسرع حتى أمره صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ذلك إتيانه بالفاء، لأن الحال أزمنة من الماضي والآتي والحاكم فيها العرف، ولا قوله من هذا السائق، لاحتمال تعدد الحدأة أو بعده فلم يحقق صوته، فجوز أنه غيره "لعامر" ابن الأكوع عم سلمة، كما في حديث نصر، وفي مسلم قال سلمة لما كان خيبر قاتل أخي قتالا شديدا إلى أن قال: فقال صلى الله عليه وسلم: "من هذا"؟. قلت: أخي.

قال البرهان: والصحيح أن "عامرا" عم سلمة، وقد ذكر مسلم بعد هذا من طريق آخر، فجعل عمي عامر يرتجز قال، ويمكن الجمع بأنه أخوه رضاعة عمه نسبا "ألا تسمعنا من هنيهاتك" بهاءين أولاهما مضمومة بعدها نون مفتوحة فتحتية ساكنة جمع هنيهة تصغير هنة كما قالوا: في تصغير سنة سنيهة، للكشميهني: هنياتك بحذف الهاء الثانية وشدة التحتية أي من أراجيزك.

وللبخاري في الدعوات من وجه آخر من هناتك بلا تصغير قاله الحافظ والمصنف، وقال: أي من أخبارك وأمورك وأشعارك فكنى عن ذلك كله، "وكان عامر رجلا شاعرا" وللكشميهني حداء "فنزل يحدو بالقوم يقول:

"اللهم لولا أنت ما اهتدينا" فيه زحاف الخزم بمعجمتين وهو زيادة سبب خفيف في أوله، قاله الحافظ.

وفي رواية ابن إسحاق: والله لولا الله. ولا خزم فيه، "ولا تصدقنا، ولا صلينا" قال في الفتح: أكثر هذا الرجز تقدم في الجهاد عن البراء، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر. واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة، "فاغفر فداء" بكسر الفاء والمد، وحكى ابن التين فتح أوله مع القصر، وزعم أنه هنا بالكسر مع القصر لضرورة الوزن فلم يصب فإنه لا يتزن إلا بالمد.

قال الحافظ: وقال القاضي عياض رويناه فداء بالرفع على أنه مبتدأ، أي لك نفسي فداء." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٤٦/٣

"وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر، وقاتلوه أشد القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون.

وفتحها الله عليه حصنا حصنا، وهي: النطاة، وحصن أصعب وحصن ناعم،

السابق بما أبهمه في حديث سهل هذا من أن هذه القصة كانت بخيبر وهو ظاهر سياق المصنف كظاهر سياق البخاري فإنه أورد في المغازي حديث سهل ثم عقبه بحديث أبي هريرة، ثم أورد بعده حديث سهل بطريق آخر، وكذا في القدر فإنه روى حديث أبي هريرة، ثم حديث سهل لكن بين السياقين اختلاف فسياق أبي هريرة أن الرجل استخرج أسهما من كنانته فنحر بها نفسه وأنه عليه السلام قال: لما أخبروه بقصته قم ... إلخ.

وسياق سهل أنه اتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره وأن المصطفى قال: حين أخبرته أن الرجل ... إلخ، ولذا جنح ابن التين إلى التعدد وأنهما قصتان متغايرتان في موطنين لرجلين.

قال الحافظ: ويمكن الجمع وأنها قصة واحدة بأنه عليه السلام قال: إن الرجل ... إلخ، وأمر بالنداء بذلك وأنه نحر نفسه بأسهمه فلم تزهق روحه وأشرف على الموت فاتكأ على سيفه استعجالا له. والله أعلم.

"وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر" نسب إليه القتال لأمره به وصدوره عن رأيه وتصرفه، "قاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر" رجلا من ابن سعد، وزاد عليه غيره، وسردهم الشامي أربعا وثلاثين. فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: أخبرني عبد الله بن نجيح أنه ذكر له: إن الشهيد إذا أصيب نزلت زوجتاه من الحور العين عليه تنقصان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك، "وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون" بفوقية قبل السين لعنهم الله "وفتحها الله عليه حصنا" نصب على الحال "حصنا" نصب تأكيدا عند الزجاج، وصفة للأول عند ابن جني وبالأول عند الفارسي؛ لأنه لما وقع موقع الحال جاز عليه.

قال المرادي والمختار أنهما منصوبان بالعامل الأول لأن مجموعهما هو الحال ونظيره في الخبر، هذا حلو حامض، "وهي النطاة" بنون فطاء مهملة بوزن حصاة "وحصن أصعب" بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين وبالموحدة ابن معاذ.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عمن حدثه عن بعض أسلم، والواقدي عن معتب بشد الفوقية المكسورة الأسلمي أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله لقد

جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم نجد عنده شيئا، فقال: "اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها غنى وأكثرها." (١)

"ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم.

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فرأيت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل، أخرجه البغوي في معجمه.

قال: لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين وعنده من حديث جابر قال: أصيب بمؤتة ناس من المشركين وغنم المسلمون بعض أمتعتهم، وفي مغازي أبي الأسود عن عروة فحمل خالد على الروم فهزمهم، وهذا يدل على الأول وهو وإن كان ضعيفا من جهة الواقدي وابن لهيعة الراوي عن أبي الأسود، ففي مغازي موسى بن عقبة وهي أصح المغازي ما نصه: ثم اصطلح المسلمون على خالد فهزم الله العدو وأظهر المسلمين **ويمكن الجمع** بأنهم هزموا جانبا من المشركين، وخشي خالد أن تتكاثر الكفار عليهم فانحاز بهم عنهم حتى رجع بهم إلى المدينة.

وقال العماد بن كثير يمكن أن خالدا لما حاز المسلمين وبات، ثم أصبح وقد غير تعبية العسكر، كما تقدم وتوهم العدو أنهم جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا ولم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى، ثم وجدت في مغازي ابن عائذ بسند منقطع أن خالدا لما أخذ الراية قاتلهم قتالا شديدا حتى انحاز الفريقان عن غير هزيمة، وقفل المسلمون فمروا على طريقهم بقرية بها حصن كانوا في ذهابهم قتلوا من المسلمين رجلا، فحاصروهم حتى فتحه الله عليهم عنوة وقتل خالد مقاتلتهم، فسمي ذلك المكان نقع الدم إلى الآن، انتهى.

"ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم" كما في مغازي ابن عقبة، "وعن عباد" بفتح المهملة وشد الموحدة "ابن عبد الله بن الزبير" بن العوام كان قاضي مكة زمن أبيه وخليفته إذا حج، ثقة أخرج له الستة، "قال: حدثني أبي الذي أرضعني" يعني أنه أبوه من الرضاعة "وكان أحد بني مرة" بن عوف، "قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه فرأيت جعفرا حين التحم القتال اقتحم"

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٢٦٤

نزل "عن فرس له شقراء" قيل هذا يفعله الفارس من العرب إذا أرهق أي غشيه العدو وعرف أنه مقتول فينزل ويجادل العدو راجلا، "ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل".

"أخرجه البغوي" الحافظ الكبير الثقة مسند العالم أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغدادي طال عمره، وتفرد في الدنيا حتى توفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة عن مائة وثلاث سنين "في معجمه" في الصحابة وهو متقدم على محيي السنة صاحب المصابيح،." (١)

"قد تجمعوا للإغارة فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار. ومعهم ثلاثون فرسا.

فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث رافع بن مكيث -بفتح الميم- الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء.

السلاسل بلاد بلى وعذرة وبني القين نقله عنه البخاري.

قال الحافظ: الثلاثة بطون من قضاعة وبلى بفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب قبيلة كبيرة ينسبون إلى بلى بن عمرو بن الحارث بن قضاعة، وعذرة بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة قبيلة كبيرة ينسبون إلى عذرة بن سعد ونسبه إلى قضاعة وبنو القين بفتح القاف وسكون التحتية قبيلة كبيرة ينسبون إلى القين ونسبه إلى قضاعة، قال: ووهم ابن التين. فقال: بنو القين قبيلة من تميم "قد تجمعوا للإغارة" وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة، كما هو المنقول عن ابن سعد، وذكر ابن إسحاق أن أم أبيه العاصي بن وائل كانت من بلى فبعث صلى الله عليه وسلم عمرا يستفز العرب إلى الشام ويستألفهم.

قال في الروض: واسمها سلمى فيما ذكر الزبير، وأما أم عمرو فهي ليلى تلقب بالنابغة.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بين السببين. انتهى.

وروى أحمد والبخاري في الأدب صححه أبو عوانة، وابن حبان، والحاكم عن عمرو بن العاصي. قال بعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني أن آخذ ثيابي، وسلاحي، فقال: "يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك". قلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: "نعم المال الصالح للمرء الصالح".

"فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والنصار" بفتح المهملة، وقد تضم جمع سري بفتح فكسر وهو النفيس الشرف وقيل السخي ذو مروءة، قاله ابن الأثير.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٣٥٠

قال الجوهري: وهو جمع عزيز أن يجمع فعيل على فعلة ولا يعرف غيره، وفي القاموس أنه اسم جمع "ومعهم ثلاثون فرسا" قال ابن سعد وأمره أن يستعين بمن مر به من بلى وعذرة وبلقين "فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم" بأن وصل إلى الماء المسمى بالسلاسل "بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع" براء وفاء "ابن مكيث بفتح الميم" وكسر الكاف وسكون التحتية وبمثلثة "الجهني" بضم الجيم وفتح الهاء والنون صحابي شهد الحديبية والفتح ومعه لواء جهينة "إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده"، أي: يطلب منه مددا أي جيشا يعينونه "فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح" القرشي أمين هذه الأمة، "وعقد له لواء" لم نر من عين لونه إلا قوله في بعض." (١)

"وابتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم.

فلما فني الذي بطريق العموم اقتضى رأي أبي عبيدة أن يجمع الذي بطريق الخصوص لقصد المساواة بينهم في ذلك ففعل، فكان جميعه مزودا بكسر الميم وسكون الزاي ما يجعل فيه الزاد.

وعند مسلم عن أبي الزبير عن جابر بعثنا صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة وظاهره مخالف لرواية وهب **ويمكن الجمع** بأن الزاد العام كان قدر جراب، فلما نفذ وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص اتفق أنه أيضا قدر جراب ويكون كل من الراويين ذكر ما لم يذكر الآخر، وأما تفرقته تمرة تمرة فكان في ثاني الحال، وقول عياض يحتمل أنه لم يكن في أزوادهم تمر غير الجراب المذكور مردود بأن حديث وهب صريح في المجتمع من أزوادهم مزود تمر رواية، ورواية أبي الزبير صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فصح أن التمر كان معهم من غير الجراب، وقول غيره يحتمل أن تفرقته عليهن تمرة تمرة كان من الجراب النبوي قصدا لبركته، وكان يفرق عليهم من الأزواد التي جمعت أكثر من ذلك بعيد من ظاهر السياق، بل في رواية هشام بن عروة عند ابن عبد البر، فقلت: أزوادنا حتى ما يصيب الرجل منا إلا تمرة. انتهى.

"وابتاع قيس بن سعد" بن عبادة الصحابي ابن الصحابي الجواد ابن الجواد "جزورا ونحرها لهم"، كذا في النسخ لأفراد، أما على أن المراد به الجنس أو أن الواو زادت من الكاتب وأصله جزرا بضم الجيم والزاي جمع جزور كقوله:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٥٩/٣

ويجمع أيضا على جزائر وهو البعير ذكرا كان أو أنثى فلا ينافي ما رواه الواقدي بأسانيده أنهم أصابهم جوع شديد، فقال قيس: من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر هنا؟ فقال له رجل من جهينة من أنت؟ فانتسب. فقال: عرفت نسبك. فابتاع منه خمس جز ائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة، وامتنع عمر لكون قيس لا مال له، فقال الأعرابي: ما كان سعد ليخنى بابنه في أوسق تمر بفتح التحتية وسكون الخاء وبالنون يقصر.

قال: وأرى وجها حسنا، وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة لا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله؟ فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول: اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما. وبلغ سعدا مجاعة القوم، فقال: إن يك قيس كما أعرف فسينحر لهم. فلما لقيه قال: ما صنعت في مجاعة القوم؟." (١)

"وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها، وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا.

وفي رواية جابر عند الأئمة الستة: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة راكب، أميرنا

قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نهيت. قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك؟ فقال: لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل قيس، فقال: "إنه في قلب جود".

وفي رواية ابن خزيمة، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الجود من سمة أهل ذلك البيت". قال في الفتح: اختلف في سبب نهي أبي عبيدة قيسا أن يستمر على إطعام الجيش، فقيل: خيفة أن تفنى حمولتهم، وفيه نظر؛ لأن القصة أنه اشترى من غير العسكر، وقيل: لأنه كان يستدين على ذمته ولا مال له فأريد الرفق به، وهذا أظهر. انتهى.

بقي أن البخاري روى هنا عن جابر قال: كان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر بالتكرار ثلاث مرات كما قال المصنف.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٦٦/٣

قال في المقدمة: هو قيس بن سعد كما عند المصنف. انتهى. ولم يتكلم الفتح ولا المصنف هنا على الجمع بينه وبين رواية أنه اشترى خمسا نحر منها ثلاثا، ثم منع مع ذكرهما لها في شرح هذا الحديث، **ويمكن الجمع** بأنه نحر أولا ستا مما معه من الظهر، ثم اشترى خمسا نحر منها ثلاثا، ثم نهي، فاقتصر من قال: ثلاثا على ما نحره مما اشتراه، ومن قال: تسعا ذكر جملة ما نحره، فإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح، والله أعلم.

"وأخرج الله لهم من البحر دابة" بمهملة وشد الموحدة حيوان الأرض الذكر، والأنثى "تسمى العنبر" قال أهل اللغة: العنبر سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة، ويقال: إن العنبر المشموم رجيعها.

وقال ابن سينا بل المشموم يخرج من الشجر وإنما يوجد في أجواف السمك الذي يبتلعه، ونقل الماوردي عن الشافعي قال: سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله، وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها، وقال الأزهري العنبر سمكة بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا يقال لها: بالة وليست بعربية. انتهى.

من الفتح "فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا" أي حربا.

"وفي رواية جابر عند الأئمة الستة": البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة راكب أميرنا" جملة حالية بلا واو، ولأبي ذر: وأميرنا." (١)

"**ويمكن الجمع**: بأن الحرس لما أخذوه استنقذه العباس.

وروي أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذا أبو سفيان، دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله! إني قد أجرته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب يا عباس به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به".

"**ويمكن الجمع**" كما قال في الفتح بين هذا وبين ما مر عن البخاري من مرسل عروة أن الحرس أخذوا الثلاثة فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه في مرسل أبي سلمة عند ابن أبي شيبة "بأن الحرس لما أخذوه" أي أبا سفيان" استنقذه العباس" وأردفه خلفه وأتى به المصطفى، ويؤيده ما رأيته عن ابن عقبة قريبا، وقد روى ابن أبي شيبة عن عكرمة أن أبا سفيان لما أخذه الحرس، قال دلوني على العباس فأتى العباس وأخبره الخبر وذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان العباس سمع صوت أبي سفيان

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٣٦٧

وهو مع الحرس فأجاره مع صاحبيه وأتى بهم المصطفى، فمن نسب إليه أنه أتى بهم فلإجارته لهم وتخليصه إياهم من الحرس، واستئذانه لهم في الدخول على المصطفى، ومن نسبه للحرس فلكنهم السبب فيه إذ وقفوا به حتى أدركه العباس واستنقذ منهم غير أنه يعكر على ذا الجمع قول عمر احبسوا أبا سفيان فحبسوه حتى أصبح فغدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر من مرسل أبي سلمة، وقد لا يعكر بحمله على ضرب من المجاز أي كان مرادهم ذلك حتى أجازه العباس وأخذه وذهب به وبالجملة فحقيقة الجمع بين هذا التباين لم تنقدح.

"وروي" عن ابن إسحاق وغيره "أن عمر رضي الله عنه لما رأى سفيان رديف العباس" قال: عدو الله الحمد له الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس: وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، "ودخل" عمر "على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله إني قد أجرته"، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب يا عباس به إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به". كذا في رواية ابن إسحاق وغيره.." (١)

"فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا. وفي قول: يجب مطلقا، وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب، وهو أولى بعدم الوجوب.

والمشهور عند الأئمة الثلاثة: الوجوب. وفي رواية عن كل منهم: لا يجب، وجزم الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة، واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات، والله أعلم.

وقد زعم الحاكم في الإكليل: أن بين حديث أنس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة.

وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك، فحكى كل منهما ما رآه.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤١٩/٣

ويؤيده: أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء. أخرج مسلم أيضا: وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول. وهذا الجمع للقاضي عياض.

فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا" سواء تكرر دخوله أم لا، "وفي قول" للشافعي: "يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب" مفرع على القولين "وهو أولى بعدم الوجوب، والمشهور عند الأئمة الثلاثة الوجوب" ودخوله بلا إحرام من خصائصه.

"وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة" كحطاب وصياد "واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات، والله أعلم" بحكمه.

"وقد زعم الحاكم في الإكليل أن بين حديث أنس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء، معارضة وتعقبوه" بأن التعارض إنما يتحقق إذا لم يمكن الجمع، وهنا يمكن "باحتمال أن يكون دخوله كان على رأسه المغفر، ثم أزاله ولبس العمامة، بعد ذلك، فحكى كل منهما، ما رآه ويؤيده" أي: التعقب "أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء".

"أخرجه مسلم أيضا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضي عياض" ولا يرد عليه ما ذكره ابن إسحاق والواقدي، أنه لما وصل لذي طوى كان معتجرا بشقة برد حبرة حمراء، وعند الثاني وعليه عمامة سوداء لأنه بفرض صحته يحتمل أنه لما وصل لذي طوى نزعها ولبس المغفر، ثم دخل به مكة ثم بعد أن استقر نزع المغفر ولبس." (١)

"وقال: "خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا ما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف". قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه فقال: "ألم يكن الذي قلت لك"؟ قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: "لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت". قلت:.

وروى الفاكهي عن جبير بن مطعم أنه صلى الله عليه وسلم لما ناول عثمان المفتاح قال له: "غيبه".

قال الزهري: فلذلك يغيب المفتاح وفي هذه الأحاديث كلها أن الذي طلب منه المفتاح، وأتى به عثمان ودفع إليه ووقع عند ابن أبي شيبة بسند جيد عن أبي السفر لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة دعا شيبة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٤٤١

بن عثمان بالمفتاح مفتاح الكعبة فتلكأ، فقال لعمر: "قم فاذهب معه فإن جاء به وإلا فأخله رأسه". فجاء به فوضعه في حجره، **ويمكن الجمع** بأن أم عثمان لما امتنعت من دفعه حين أرسل يطلبه المصطفى منها فذهب لها ابنها عثمان وأبطأت عليه دعا شيبة فطلبه منه حتى لا يساعد المرأة في المنع فأرسله مع عمرو، قال له هذه المقالة لتذهب عنه حمية الجاهلية فسلمته لعثمان وهو الذي أتى به، ثم دفع إليه ونسب إليه المجيء به في هذه الرواية، لمجيئه مع ابن عمه، وسكوته على ذلك وإلا فما في الصحيح من أن عثمان هو الآتي به أصح، وقال: "خذوها" أي سدنة الكعبة "خالدة تالدة" معنى كل منها مقيمة، كما في القاموس وغيره فالثاني تأكيد للأول حسنه اختلافا للفظ، وقال المحب الطبري لعل تالدة من التالد وهو المال القديم، أي هي لكم من أول الأمر وآخره، واتباعها لخالدة بمعناها "لا ينزعها منكم إلا ظالم".

وفي رواية: "لا يظلمكموها إلا كافر". أي كافر نعمة الفتح العظيم عليه ويحتمل الحقيقة، أي إن استحل. "يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت" ، أي: بسبب خدمته على سبيل التبرع والبر "بالمعروف".

قال المحب الطبري: ربما تعلق به الجهال في جواز أخذ الأجر على دخول الكعبة، ولا خلاف في تحريمه وأنه من أشنع البدع، وهذا إن صح احتمل أن معناه ما يأخذونه من بيت المال على خدمته والقيام بمصالحه ولا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه أو ما يقصدون به من البر والصلة، على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف، قال الشمس الحطاب المالكي: والمحرم إنما هو نزع المفتاح منهم لا منعهم من انتهاك حرمة البيت وما فيه قلة أدب.

فهذا واجب لا خلاف فيه، لا كما يعتقده الجهلة أنه لا ولاية لأحد عليهم وأنهم يفعلون في البيت ما شاءوا فهذا لا يقوله أحد من المسلمين "قال" عثمان: "فلما وليت نادناني فرجعت إليه، فقال: "ألم يكن الذي قلت لك". فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: "لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت". قلت: بلى" جواب للنفي أي قد كان ذلك ولم يقل له." (١)

"جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه.

وليس بين الروايتين مخالفة، لكن قوله في الرواية الأخرى: وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل؛ لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، ولهذا عقبه البخاري برواية إسماعيل بن أبي أويس التي قال فيها: عمودين عن يمينه.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣/٤٧٠

ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه: حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث أفرد أشار إلى ما صار بعد ذلك، ويرشد إليه قوله: وكان البيت يومئذ. لأن فيه إشعارا بأنه تغير عن هيئته الأولى.

ويحتمل أن يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت والثالث.

قال: "وجعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه" بإفراد عمود.

فيهما كما هو الثابت في البخاري، "وثلاثة أعمدة وراءه، وليس بين الروايتين" رواية مالك هذه ورواية جويرية عن نافع المروية في البخاري قبلها بلفظ: صلى بين العمودين المقدمين، وبمعناها الرواية التي ساقها المصنف فوقها: بين العمودين اليمانيين، وهي في البخاري من رواية الزهري عن سالم عن أبيه، "مخالفة" فإن معنى البينية جعل واحدا عن يساره وآخر عن يمينه.

"لكن قوله في الرواية الأخرى" التي هي رواية مالك، كان اللائق للمصنف أن يقول في بقية هذه الرواية: "وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل، لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره، كان اثنين" فينافي قوله: في أولها عمود عن يساره وعمود عن يمينه بإفراد عمود فيهما، "ولهذا عقبه البخاري برواية" شيخه "إسماعيل بن أبي أويس" عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي المدني الصدوق، المتوفى سنة ست وعشرين مائتين، "التي قال فيها" البخاري ما لفظه، وقال لنا إسماعيل: حدثني مالك فقال: "عمودين عن يمينه" وعمودا عن يساره.

"**ويمكن الجمع** بين الروايتين بأنه حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك" حيث هدم وبني في زمن ابن الزبير، "ويرشد إليه" أي الجمع المذكور "قوله: وكان البيت يومئذ، لأن فيه إشعارا بأنه تغير عن هيئته الأولى".

وقال الكرماني لفظ العمود جنس يحتمل الواحد الاثنين، فهو مجمل بينته رواية عمودين، "ويحتمل أن يقال لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت والثالث." (١)

"والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد، في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، وفعل ذلك العباس لأنه صلى الله عليه

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٧٧/٣

وسلم كان يتقدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه.

"والفضل بن العباس" أكبر ولده، وبه كان يكنى استشهد في خلافة عمر "وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب"، زاد ابن إسحاق في حديث جابر: وأخوه ربيعة وابنه، قال ابن هشام واسمه جعفر، قال: وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبي سفيان، ويأتي فيه نظر لأن قثما كان صغيرا يومئذ، "وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه" منهم أيمن ابن أم أيمن وقتل يومئذ.

قال الحافظ: وأكثر ما وقفت عليه قول ابن عمر وما معه عليه السلام مائة رجل.

وللبخاري عن أنس فأدبروا عنه حتى بقي وحده، ويجمع بينهما بأن المراد بقي وحده متقدما مقبلا على العدو والذين ثبتوا معه، كانوا وراءه أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأبو سفيان بن الحارث وغيره، كانوا يخدمونه في إمساك البغلة وغير ذلك، ولأبي نعيم في الدلائل تفصيل المائة: بضعة وثلاثون من المهاجرين، والبقية من الأنصار.

ومن الأنصار من النساء أم سلم وأم حارثة. انتهى، ويأتي مزيد لذلك حيث أعاد الكلام فيه المصنف، "قال العباس" في رواية مسلم وغيره: شهدت يوم حنين، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث، فلم نفارقه ... الحديث، وفيه تولي المسلمين مدبرين، فطفق صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، "وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، فعل ذلك العباس؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو"، أي: صدره، أي: أوله، "وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه".

وفي حديث البراء عند البخاري وغيره وأبو سفيان بن الحارث: آخذ برأس بغلته البيضاء وفي رواية له وابن عمه يقود به. قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بأن أبا سفيان كان آخذا أولا بزمامها، فلما ركضها صلى الله عليه وسلم إلى جهة المشركين، خشي العباس فأخذ بلجامها يكفها، وأخذ أبو سفيان بالركاب، وترك اللجام للعباس، إجلالا له، لأنه عمه. انتهى.

قال ابن عقبة: فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وهو على البغلة يدعو: "اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا".

وروى أحمد برجال الصحيح عن أنس كان من دعائه صلى الله عليه وسلم يوم حنين: "اللهم إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم". وعند الواقدي كان من دعائه حين انكشف الناس ولم يبق معه إلا المائة." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٠٧/٣

"قاله ابن الأثير.

وفي البخاري: عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم.

وروى الواقدي عن شيوخ من الأنصار قالوا: رأينا يومئذ كالبجاد السود هوت من السماء ركاما، فنظرنا فإذا نمل مبثوث، فإن كان ننفضه عن ثيابنا، فكان نصر الله أيدنا به، قال شيخنا: ولعل نزولهم في صورة النمل ليظهروا للمسلمين فيسألوا عنه، ويتوصلوا بذلك للعلم بهم، فيعلموا أن ذلك من معجزاته، فقوى بذلك إيمانهم. "قاله ابن الأثير".

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: في يوم حنين أيد الله تعالى رسوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، ويومئذ سمى الله الأنصار مؤمنين، قال الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [الفتح: ٢٦] ، وأخرج أيضا عن السدي الكبير في قوله تعالى: ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ [التوبة: ٢٦] ، قال: هم الملائكة، ﴿وعذب الذين كفروا﴾ ، قال: قتلهم بالسيف، "وفي البخاري" في مواضع بطرق "عن" أبي إسحاق السبيعي سمع "البراء" بن عازب، "وسأله رجل من قيس". قال الحافظ: لم أقف على اسمه، "أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين" وفي رواية له أيضا: أفررتم م النبي صلى الله عليه وسلم، **ويمكن الجمع** بينهما بحمل المعية على ما قبل الهزيمة، فبادر إلى إخراجه، "فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر" قال النووي: هذا الجواب من بديع الأدب؛ لأن تقديره أفررتم كلكم، فيدخل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال البراء: لا والله ما فر صلى الله عليه وسلم ولكن جرى كيت وكيت، فأوضح أن فرار من فر لم يكن على نية الاستمرار، وكأنه لم يستحضر الرواية الثانية، ويحتمل أن السائل أخذ التعميم من قوله تعالى: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ [التوبة: ٢٥] فبين له أنه من العموم الذي أريد به الخصوص. انتهى.

وفي رواية: أما أنا فأشهد على النبي أنه لم يزل، وفي أخرى: ولا والله ما ولى يوم حنين دبره. وبين سبب التولي بقوله: "كانت" بالتأنيث، كما هو الثابت في البخاري، فما في نسخ: كان بالتذكير تصحيف "هوازن رماة"، وللبخاري في الجهاد تكملة لهذا السبب، قال: خرج شبان أصحابه وأخفارهم حسرا، بضم الحاء وشد السين المهملتين، ليس عليهم سلاح، فاستقبلهم جمع هوازن وبنو نصر ما يكادون يسقط لهم سهم،

فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون، "وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا" أي: انهزموا، كما هو روايته في الجهاد، "فأكببنا" بفتح الموحدة الأولى وسكون الثانية بعدها نون، أي وقعنا "على الغنائم" وفي الجهاد فأقبل الناس على." (١)

"وعند ابن سعد أيضا: أن الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ثم سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب -موضع بالحجاز- أرض عذرة وبلي، وقيل: أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة.

قصة كعب بن زهير

عليك، قال: قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني، فقدم رهط من طيء، فأخبرته أن لي فيهم ثقة، وبلاغا فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام على أخي، فقال: ما ترين في هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يك نبيا فللسابق إليه فضيلة، وإن يك ملكا فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت، فقلت: والله إن هذا هو الرأي، وقدم فأسلم والقصة طويلة، وروى ابن المبارك في الزهد عندما دخل وقت صلاة قط: ألا وأنا أشتاق إليها، وفي رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وكان جوادا.

وقد روى أحمد أن رجلا سأله مائة درهم، فقال: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك.

"وعند ابن سعد أيضا أن الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه" لا علي كرم الله وجهه، ولا **يمكن الجمع** بأنه كان في جيش علي؛ لأن جيشه كانوا كلهم من الأنصار فالله أعلم، "ثم سرية عكاشة" بضم العين، وشد الكاف وتخفيفها، وشين معجمة "ابن محصن" بكسر فسكون الأسدي من السابقين الأولين البدري ممن يدخل الجنة بغير حساب، كما في الصحيحين، استشهد في قتال الردة.

"إلى الحجاب" بكسر الجيم وموحدتين، بينهما ألف "أرض عذرة" بضم العين المهملة، وسكون الذال المعجمة "وبلى" بفتح الموحدة، وكسر اللام، وشد التحتية "وهي اسم قبيلتين" كلاهما من قضاعة بضم القاف ومعجمة فألف فمهملة، "وقيل: أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة".

قال ابن سعد: كانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع، كذا ذكره ولم يزد وتبعه اليعمري وغيره ولم يبينوا سببها، ولا عدد من ذهب فيها، ولا ما جرى والله أعلم.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥١٦/٣

"قصة كعب بن زهير" بن أبي سلمى بضم أوله، واسمه ربيعة بن رياح بكسر الراء، وتحتانية المزني الشاعر ابن الشاعر، أخو الشاعر، وكان ولدا كعب عقبة، والعوام شاعرين قال الحطيئة، لكعب: أنتم أهل بيت ينظر إليكم في الشعر، فاذكرني في شعرك ففعل، وروى ابن أبي الدنيا عن الشعبي قال: أنشد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر:

تزال الأرض أما مت خفا ... وتحيا ما حييت بها ثقيلا

فقال النعمان: إن لم تأت ببيت بعده يوضح معناه، وإلا كان إلى الهجاء أقرب، فتعسر." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون إلى العسكر بالجرف.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فدخل أسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور، وهو اليوم الذي لدوه فيه، فطأطأ أسامة فقبله، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال أسامة. فعرفت أنه يدعو لي. ورجع أسامة إلى معسكره.

ثم دخل يوم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخرجون إلى العسكر، وهو ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة من قريش، كما عند الواقدي، وعنده أيضا عن أبي هريرة كانت عدة الجيش سبعمائة ولا تنافي، فلعله اقتصر على القرشيين "بالجرف" موضع على فرسخ من المدينة، كما عند ابن إسحاق، "فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه".

قال أهل المغازي فجعل يقول: "أنفذوا بعث أسامة"، "فدخل أسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه" بدال مهملة قال الحافظ: أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وعند الطبراني عن العباس: أنهم أذابوا القسط، أي العود الهندي بزيت فلدوه به؛ لأنهم ظنوا أنه به ذات الجنب، فلما أفاق قال: كنتم ترون أن الله يسلط على ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى أحد في البيت إلا لد، فما بقي أحد إلا لد حتى ميمونة وهي صائمة.

أخرجه ابن سعد عن عائشة وعبد الرزاق بسند صحيح عن أسماء بنت عميس نحوه وفيه ضعف ما رواه أبو يعلي بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة رضي الله عنها: أنه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب لكن

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٠/٤

يمكن الجمع بأنها تطلق على ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن وهو المنفي هنا وفي المستدرك ذات الجنب من الشيطان وعلى ريح بين الأضلاع وهو المثبت ولا محذور فيه وإنما لدهم تأديبا لئلا يعودوا لا قصاصا ولا انتقاما، وأنكر التداوي مع أنه كان يتداوى لأنه غير ملائم له إذ هو ملائم لذات الجنب وليست به انتهى ملخصا، وفي الصحيح عن عائشة لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: "ألم أنهكم أن تلدوني" قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: "لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا" انظر إلا العباس لم يشهدكم "فطأطأ" بهمزة ساكنة بعد الطاء الأولى، وهمزة مفتوحة بعد الثانية "أسامة فقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي ورجع أسامة إلى معسكره، ثم دخل" أسامة "يوم." (١)

"وشهدت أم عطية غسلها، وروت قوله عليه الصلاة والسلام: "اغسلنها، ثلاثا أو خمسا أو سبعا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك،

وللطبراني عن أم سليم شيئا يوميء إلى أنها حضرت ذلك أيضا، "وشهدت أم عطية غسلها وروت" فيه "قوله عليه الصلاة والسلام" كما جزم به ابن عبد البر، والداودي، وأخرجه ابن ماجه عن أم عطية بسند صحيح، وابن بشكوال من طريق آخر عنها، فعزوه النووي تبعا لعياض لبعض أهل السير قصور شديد، لكن المشهور أنها زينب، كما في مسلم، فيمكن ترجيح الأول بتعدد طرقه، ويمكن الجمع بأن تكون حضرتهما معا، فقد جزم ابن عبد البر في ترجمتها بأنها كانت غاسلة الميتات، قاله الحافظ، والحديث في الموطأ، والصحيحين بإبهام الميتة عن أم عطية، قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفيت ابنته، فقال: "اغسلنها" زاد البخاري في رواية "وترا" "ثلاثا، أو خمسا، أو سبعا" أو للترتيب، لا للتخيير، قال النووي: المراد اغسلنها وترا، وليكن ثلاثا، فإن احتجتن إلى زيادة فخمسا، وحاصله أن الإيتار مطلوب، والثلاث مستحبة، وإن حصل الإنقاء بها لم يشرع ما فوقها وإلا زيد وترا حتى يحصل الإنقاء، وقال ابن العربي في قوله، أو خمسا، أن المشروع الإيتار؛ لأنه نقلهن من الثلاث إلى الخمس، وسكت عن الأربع، "أو أكثر من ذلك" بكسر الكاف؛ لأنه خطاب للمؤنث، ولم أر في شيء من الروايات بعد وسبعا التعبير، بأو أكثر من ذلك إلا في رواية لأبي ذر، وأما سواها، فأما، أو سبعا، وأما أو أكثر من ذلك، فيحتمل تفسيره بالسبع وبه، قال أحمد، وكره الزيادة على سبع، وقال ابن عبد البر، لا أعلم أحدا، قال: بمجاوزة السبع، وساق عن

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٥١/٤

قتادة أن ابن سيرين كان يأخذ الغسل عن أم عطية ثلاثا، ولا خمسا إلا، فأكثر.
قال: فرأينا أن أكثر من ذلك سبع، "إن رأيتن ذلك" بكسر الكاف تفويض إلى اجتهادهن بحسب الحاجة، لا التشهي، وقال ابن المنذر إنما فوض إليهن بشرط الإيتار، واستدل بالأمر على وجوب الغسل، وهو ينبني على رجوع قوله أن رأيتن إلى الغسل، أو العدد، والثاني أرجح فيثبت المدعي، قاله ابن بزيزة، قال ابن دقيق العيد، لكن قوله ثلاثا ليس للوجوب على المشهور من مذاهب العلماء، فيتوقف الاستدلال به على تجويزه إرادة المعنيين المختلفين بلفظ واحد؛ لأن قوله ثلاثا غير مستقل بنفسه فلا بد أن تكون داخله تحت صيغة الأمر، فيراد به الوجوب بالنسبة إلى أصل الغسل، والسنية بالنسبة إلى الإيتار انتهى.
وقواعد الشافعية، لا تأبى، وذهب الكوفيون، وأهل الظاهر، والمزني إلى إيجاب الثلاث انتهى ملخصا من فتح الباري، والخطاب في المحلين لأم عطية ومن معها من النسوة التي علمت أسماءهن، وخصت مع الجمع قبل وبعد، فلم يقل ذلك لأنها رئيستهن وفضلها في." (١)
"الحديث أخرجه أبو عمر.
وفي حديث أم رافع سلمى أنها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت، ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة وقالت: إني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد، ولا يغسلني، ثم قبضت مكانها، ودخل علي فأخبر بالذي قالت، فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك، ولم يكشفها ولا غسلها أحد، رواه أحمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصرا، وهو مضاد لخبر أسماء المتقدم.
قال أبو عمر: وفاطمة أول من غطي نعشها على الصفة المذكورة في خبر أسماء

"الحديث أخرجه أبو عمر" بن عبد البر، واستبعده ابن فتحون بأن أسماء كانت حينئذ زوج الصديق، فكيف تنكشف بحضرة علي في غسل فاطمة، وهو محل الاستبعاد، كذا في الإصابة، ولا يلزم من التغسيل انكشافها، فلا استبعاد، فتغسل، وهي مستورة، أو تصب وعلي يغسل، فعند ابن سعد عن محمد بن موسى أن عليا غسل فاطمة، "وفي حديث أم رافع سلمى" مولاة صفية، ويقال لها أيضا مولاة النبي وخادم النبي صلى الله عليه وسلم لها صحبة وأحاديث، ويقع في النسخ أم سلمى، وهو خطأ، فالذي في مسند أحمد وغيره أم رافع، واسمها سلمى، وهي مشهورة باسمها، وكنيتها، كما في الإصابة فصحف من قال أم سلمة "أنها لما اشتكت اغتسلت" ولفظ أحمد، وابن سعد عن أم رافع، قالت: مرضت فاطمة، فلما كان اليوم

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٢٩/٤

الذي توفيت فيه، قالت لي: يا أمه أسكبي لي غسلا، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، "ولبست ثيابا" لها "جددا" ثم قالت: اجعلي فراشي وسط البيت، فجعلته "واضطجعت" عليه في "وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة، وقالت: إني مقبوضة الآن" وفي رواية الساعة، وقد اغتسلت، "فلا يكشفني أحد، ولا يغسلني ثم قبضت مكانها، ودخل علي، فأخبر" من أم رافع، ففي رواية ابن سعد فجاء علي، فأخبرته "بالذي، قالت: فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك، ولم يكشفها، ولا غسلها".

"رو اه أحمد في المناقب" بسند ضعيف، وكذا ابن سعد، "والدولابي" بفتح الدال، وضمها، كما تقدم مرارا "وهذا لفظه مختصرا، وهو مضاد" مخالف "لخبر أسماء" بنت عميس "المتقدم" فوقه، ولا يمكن الجمع بينهما، كما تعسفه من سود به وجه الطرس، بلا فائدة، فإن وجه المخالفة كونها دفنت بتغسيل نفسها، بلا غسل بعد الموت، وكون علي وأسماء غسلاها، بعده "قاله أبو عمر" بن عبد البر "وفاطمة أول من غطى نعشها على الصفة المذكورة في خبر." (١)

"ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء صلى الله عليه وسلم حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

وكان تزويجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث.

نسائه يقول لهن، كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت: "ثم إنهم قاموا، فخرجوا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء" صلى الله عليه وسلم "حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب"، أي الستر "بيني وبينه، فأنزل الله تعالى" بعد خروج القوم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية، إلى قوله: ﴿عظيما﴾ .

وفي البخاري عن أنس أيضا، أنا أعلم الناس بآية الحجاب لما أهديت زينب بنت جحش إلى رسول الله كانت معه في البيت فدعا القوم فذكر نحوه، وروى البخاري أيضا عن أنس قال عمر: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة: كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قعب، فمر عمر، فدعاه، فأكل، فأصاب أصبعه، فقال: أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤/٣٣٨

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس: دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس، فخرج صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال عمر: لعلك آذيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: "لقد قمت ثلاثا لكي يتبعني، فلم يفعل"، فقال عمر: يا رسول الله لو اتخذت حجابا فإن نساءك لسن كسائر النساء وذلك أطهر لقولهم، فنزلت آية الحجاب.

قال الحافظ **يمكن الجمع** بأن ذلك وقع قبيل قصة زينب فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب ولا مانع من تعدد الأسباب انتهى. "وكان تزويجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة" كلامه صريح في ترجيحه ولم أجده، "وقيل سنة ثلاث" ذكره ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة، وصدر به في الإصابة والسبل وقيل سنة أربع وقدمه في العيون، قالت أم سلمة كانت زينب معجبة لرسول الله، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة صوامة قوامه صنعاء تصدق بذلك كله على المساكين، رواه ابن سعد، وقالت عائشة، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيح، أي تضاهيني وتفاخرني بجمالها ومكانتها عنده عليه السلام.

وعن راشد بن سعد قال: دخل صلى الله عليه وسلم منزله ومعه عمر، فإذا هو بزينب تصلي، وهي تدعو في صلاتها، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنها لأواهة"، رواه الطبراني، وعن ميمونة كان صلى الله عليه وسلم يقسم ما أفاء الله على رهط من المهاجرين، فتكلمت زينب بنت جحش، فانتهرها عمر، فقال صلى الله عليه وسلم: "خل عنها يا عمر." (١)

"نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.

وذكر ابن قتيبة في المعارف عن أبي اليقظان، أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي، ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد.

وقال عروة بن الزبير: كانت خولة بنت حكيم، من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة:

نفسها له صلى الله عليه وسلم، فلم يقبلها" لكبر سنها، "فلم تتزوج حتى ماتت" ورجحه الواقدي، ورواه ابن سعد عن عكرمة وعلي بن الحسين، وأخرج ابن سعد أيضا عن منير بن عبد الله الدوسي: أن أم شريك غزية بن جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جميلة، فقبلها، فقالت

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤/٤١٣

عائشة: ما في المرأة حين تهب نفسها لرجل خير، فقالت أم شريك: فأنا تلك فسماها الله مؤمنة، فقال: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة إن الله ليسرع لك في هواك، **ويمكن الجمع** بين القبول ونفيه، بأنه عقد عليها ولم يدخل.

قال في الإصابة: والذي ظهر في الجمع أن أم شريك واحدة اختلف في نسبها أنصارية أو عامرية من قريش، أو أزدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاثة ممكن، كأن تكون قرشية تزوجت في دوس، فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار، فنسبت إليهم أو لم تتزوج، بل نسبت أنصارية بالمعنى الأعم انتهى منه في ترجمة العامرية، وأما أم شريك بنت جابر الغفارية، التي ذكرها أحمد بن صالح المضري في الزوجات اللاتي لم يدخل بهن، فلا تذكر هنا؛ لأنها لم تهب نفسها.

"وذكر ابن قتيبة في المعارف عن أبي اليقظان أن الواهبة نفسها خولة" بفتح المعجمة وسكون الواو، فلام، فتاء تأنيث، ويقال لها خويلة بالتصغير "بنت حكيم" بن أمية "السلمي" بضم السين، نسبة إلى جده سليم، صحابية، صالحة، فاضلة، لها أحاديث يقال كنيتها أم شريك.

قال أبو عمر، "ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد بين الروايات.

"وقال عروة بن الزبير" ابن العوام: "كانت خولة بنت حكيم من اللائي" بالهمز "وهبن أنفسهم للنبي صلى الله عليه وسلم" فهذا يؤيد الجمع المذكور لقوله من، وقد قال الحافظ: في شرحه سمي منهن أم شريك، وخولة، وليلى بنت الخطيم.

ذكره ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة معمر بن المثني، ولم يدخل بهؤلاء.

وروي عن قتادة وغيره أن ميمونة بنت الحارث ممن وهبت نفسها، فتزوجها، وكذا قيل في زينب بنت خزيمة أم المساكين، "فقالت عائشة:" فيه إشعار بأن عروة حمل الحديث عنها، فلا." (١)

"وسلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل من رام هرمز، أول مشاهدة الخندق، ومات سنة أربع وثلاثين، ويقال بلغ ثلاثمائة سنة.

"وسلمان" بن عبد الله "الفارسي، أبو عبد الله" العالم الزاهد، كان ينسج الخوص، ويأكل من كسب يده، ويتصدق بعطائه "ويقال له" سلمان ابن الإسلام، و"سلمان الخير" قال ابن حبان: ومن زعم أن سلمان الخير غيره فقد وهم، "أصله من أصبهان" بكسر الهمزة، وفتحها وفتح الموحدة، ويقال بالفاء، وهذا رواه

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤/٤٣٨

أحمد وغيره عن ابن عباس، "وقيل من رام هرمز" بفتح الراء والميم بينهما ألف وضم الهاء والميم بينهما راء ساكنة، وآخره زاي مدينة معروفة بأرض فارس بقرب عراق العرب، كما في الفتح، قال المصنف: مركبة تركيب مزج كمعديكرب، فينبغي كتابة رام منفصلة عن هرمز، وهذا رواه البخاري عن أبي عثمان، قال: سمعت سلمان يقول أنا من رام هرمز، فعلى المصنف مؤاخذة لا تخفى، حيث جزم بالأول ومرض الثاني، وقد قال في الفتح: يمكن الجمع باعتبارين.

وروى الحاكم وابن حبان عن سلمان في قصته أنه كان ابن ملك، وأنه خرج في طلب الدين هاربا، وانتقل من عابد إلى عابد، وسمع به صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه، فأسر وبيع بالمدينة، وتداوله بضعة عشر، فاشتغل بالرق حتى كان "أول مشاهده الخندق".

قال ابن عبد البر: ويقال إنه شهد بدرا ومناقبه كثيرة، وروى أحاديث وعنه أنس وكعب بن عجرة وابن عباس وأبو سعيد وغيرهم من لصحابة وآخرون من التابعين وفي قصة إسلامه طول واختلاف يتعسر معه الجمع، "ومات سنة أربع وثلاثين" كما جزم به في التقريب وقال في الإصابة: مات سنة ست وثلاثين في قوله أبي عبيد، أو سبع في قول خليفة.

وروى عبد الرزاق عن أنس: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، فهذا يدل على أنه مات قبله، ومات ابن مسعود سنة أربع وثلاثين، فكان سلمان مات سنة ثلاث، أو ثنتين، وعمر طويلا حتى قيل إنه أدرك عيسى بن مريم، وقيل بل أدرك وصي عيسى، "ويقال بلغ ثلاثمائة سنة" وقال الذهبي: وجدت الأقوال في سنه كلها دالة على أنه جاوز مائتين وخمسين، والاختلاف إنما هو في الزائد، ثم رجعت عن ذلك وظهر لي أنه ما زاد على الثمانين، قال في الإصابة: لم يذكر مستنده في ذلك، وأظنه أخذه من شهود سلمان الفتوح بعده صلى الله عليه وسلم، وتزوجه امرأة من كندة، وغير ذلك مما يدل على بقاء بعض النشاط، لكن إن ثبت ما ذكروه يكون ذلك من خوارق العادات في حقه، وما المانع من ذلك، فقد روى أبو الشيخ في طبقات الأصفهانيين عن العباس بن بريدة.

قال أهل العلم: يقولون عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتين وخمسين، فلا." (١)

"الوفد السابع: وفد كنده

وقدم عليه -صلى الله عليه وسلم- وفد كندة، في ثمانين أو ستين راكبا من كندة، فدخلوا عليه مسجده،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤/٥٣٠

"الوفد السابع":

"وقدم عليه -صلى الله عليه وسلم- وفد كندة" بكسر الكاف وإسكان النون، قبيلة من اليمن، ينسبون إلى كندة، لقب جدهم: ثور بن عفير "في ثمانين، أو ستين راكبا من كندة" إشارة إلى قول ابن سعد: وفد الأشعث الكندي في ستين راكبا من كندة سنة عشر، والأول رواه ابن إسحاق عن الزهري، **ويمكن الجمع** بأن بعضهم أتباع فلم يعد، "فدخلوا عليه مسجده" منصوب على التوسع، نحو: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ ، أي: فيه؛ لأن ظرف المكان لا يكون إلا مبهما كفرسخ، وبريد وليس شيء من مسجد ودار وبيت بمبهم؛ لأنه اسم لحصة معينة من المحل بالتحديد، وإن لم يعين المسجد ونحوه؛ لأنه يكفي التحديد بقدر كل، والفرق بين إبهام فرسخ وبريد في نحو قولهم:." (١)

"ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن وثقيف بالطائف. قاله ابن القيم في الهدي النبوي.

أحدهما: أنهم وفدوا وأسلموا، وأمر عليهم مالكا، وهذا الحديث الصحيح، أنه بعث إليهم خالدا، ثم عليا، فلو كان كذلك ما بعثهما واحدا بعد واحد، **ويمكن الجمع** بينهما بأن البعث لمن لم يسلم ولم يأت، والتأمير إنما هو على القوم الذين أسلموا، وإن جمع الكل اسم همدان، فلا خلف على أنه في فتح الباري. قال في حديث البراء: إن البعث كان بعد رجوعهم من الطائف، وقسمة الغنائم بالجعرانة. انتهى، فالوفد إنما كان بعد البعث؛ لأنه في آخر الثامنة، والوفد في التاسعة، والوجه الثاني ما ذكره بقوله: "ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا، ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيف بالطائف" وهذه علة أقوى من الأولى، ويحتمل على بعد أنه -عليه السلام- أمره إذا مر عليهم في عوده لليمين بقتالهم ففعل، وأغار على سرحهم، ولم يمكنه القتال لتحصنهم بحصنهم، ولا يخالف ذلك التعبير بكان مع المضارع، فإنه يصدق ولو بمرة، كحديث كان يبعث ابن رواحة يخرص تمر خيبر، مع أنه إنما بعثه مرة واحدة، ولأن كلا من وفدي ثقيف وهمدان قدم مراجعة من تبوك؛ لاحتمال أن همدان سبقوهم "قاله" أي: جميع ما ذكره في ذا الوفد "ابن القيم في الهدي النبوي" أي: كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد.." (٢)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٦٠/٥

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٧٨/٥

"وعن أبي هريرة أنه –صلى الله عليه وسلم– كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص. رواه البيهقي.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا أخمص له، يطأ على قدمه كلها. رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبي هالة: خمصان الأخمصين، مسيح القدمين.

بعض نسخه تقويته بما حاصله، أنه ما خص نبي بمعجزة أو كرامة، إلا ولنبينا مثلها، وأثر قدمي إبراهيم بالمقام، بمكة متواتر، وفيه يقول أبو طالب:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير فاعل

وفي البخاري، حديث تأثير ضرب موسى في الحجر ستا أو سبعا؛ إذ فر بثوبه حين اغتسل أ. هـ، إلا أن مثل هذا لا يدفع إنكار وروده، والمثلية التي لنبينا إما من جنسها، أو بغيرها أعلى، أو مساو، كما نصوا عليه، "وعن أبي هريرة أنه –صلى الله عليه وسلم: كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص"، بزنة أحمر، أي: انخفاض باطن قدم، بل كانت قدمه مستوية، فالأخمص من باطن القدم ما لم يصب الأرض عند المشي، كما يأتي "رواه البيهقي" والبزار، وعبد الرزاق، "وعن أبي أمامة الباهلي قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا أخمص له"، ولذلك "يطأ على قدمه كلها، رواه ابن عساكر، وقال ابن أبي هالة: خمصان" بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم– كما قاله الصغاني وغيره، لا بفتح الميم، كما يوهمه القاموس، والاقتصار على ضم الخاء قصور "الأخمصين" تثنية أخمص، سمي به لضموره، وخوله في الرجل، قال الزمخشري: يريد أنهما مرتفعان عن الأرض، ليس بالأرح الذي يمسها أخمصاه أ. هـ.

وهذا كما قال البرهان الحلبي في شرح الشفاء: مناف لقوله: "مسيح" بفتح الميم، وكسر المهملة، وإسكان التحتية، ومهملة، "القدمين"، أي: أمسلهما، ولذا قال: ينبو عنهما الماء، ومنابذ لقول أبي هريرة، وأبي أمامة: لا أخمص له، **ويمكن الجمع** باحتمال أنه في أول أمره كان له أخمص، لما لم يكن جسده ممتلئا باللحم، ثم لما امتلأ باللحم استوت قدمه، فلم يضر بها خمص، وقد يؤيد ذلك أن الإثبات رواية ابن أبي هالة، وهو ربيبه وتربيته، فقد يكون إخباره عن أول أمره، والنفي رواية أبي هريرة، وهو متأخر؛ لأنه إنما جاء سنة سبع من الهجرة، عام خيبر، وكذا أبو أمامة، من الأنصار، أسلم بالمدينة؛ وكان المصطفى قد أسن، فهو إخبار عن آخر أمره، وقد جمع أيضا بأن مرادا لنا في سلب نفي الاعتدال فيمن أثبته، أراد أن في قدميه

خمصا يسيرا، ومن نفاه نفى شدته، وهذا قد يؤيده جمع هند بين أخمص، ومسيح، فأتى به عقبه؛ ليبين." (١)

"رجل فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقالوا: هذا الأمغر المرتفق.

والأمغر: المشرب بحمرة، والمرتفق: المتكئ على مرفقه.

وفي البخاري من حديث أنس: ليس بأبيض أمهق.

قال الحافظ بن حجر: ووقع عند الداودي تبعا لرواية المروزي: أمهق ليس بأبيض. وفي رواية عند ابن أبي حاتم وغيره: أسمر.

واستشكله بعضهم وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع، وبعضها ممكن الجمع؛ كالأبيض مع رواية المشرب بالحمرة والأزهر، وبعضها غير ممكن الجمع؛ كالأبيض الشديد الوضح مع الأسمر.

واعترض الداودي رواية: أمهق ليس بأبيض، وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي.

تضاف لمتعدد "جاء رجل" هو ضمام بن ثعلبة، "فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ " نسبه إلى جده لشهرته به، "فقالوا: هذا الأمغر" بميم وغين معجمة وراء، "المرتفق" وفي رواية الصحيح، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، "والأمغر: المشرب بحمرة، والمرتفق: المتكئ على مرفقه". قال الليث: الأمغر الذي في وجهه حمرة في بياض صاف.

"وفي البخاري" ومسلم، كلاهما "من حديث" ربيعة، عن "أنس": أزهر اللون "ليس بأبيض أمهق" بفتح الهمزة والهاء بينهما ميم ساكنة- أي: شديد البياض كلون الجص، ولا آدم، كما في الصحيحين، بالمد أي: شارح البخاري "تبعا لرواية المروزي" أبي زيد محمد بن أحمد، الفقيه، أحد رواة البخاري عن الفربري: "أمهق ليس بأبيض"، وهي مقلوبة، أولها وجه -كما يأتي، "وفي رواية عند ابن أبي حاتم، وغيره: أسمر، واستشكله بعضهم، وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع، وبعضها ممكن الجمع، كالأبيض مع رواية المشرب بالحمرة والأزهر"، فيجمع بينها بحمل أبيض على ما خالطه حمرة، وكذا أزهر، ويبقى المشرب بحمرة على ظاهره، "وبعضها غير ممكن الجمع؛ كالأبيض الشديد الوضح" بفتحتين- أي: الخالص المنكشف البياض، "مع الأسمر"، وهذا وقع في زيادات عبد الله بن أحمد في المسند عن علي: أبيض شديد الوضح، ومخالفته لقول أنس: ليس بأبيض أمهق واضحة، قال الحافظ: ويمكن الجمع بحمل رواية

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٨٣/٥

علي على ما تحت الثياب مما لا يلاقي الشمس، "واعترض الداودي رواية أمهق: ليس بأبيض، وهي التي وقعت عنده" في شرحه، "تبعا لرواية المروزي"؛ لأن المهق شدة." (١)

"ورجحه من المالكية ابن العربي، وحجتهم أن النهي مقدم على الإباحة، ولم يصححوا حديث جابر المتقدم.

وقال قوم بالجواز مطلقا، وهو قول عائشة وعروة بن الزبير وربيعة، محتجين بأن الأحاديث تعارضت، فلنرجع إلى أصل الإباحة.

وفي البخاري عن أنس، كان -صلى الله عليه وسلم- إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام،

حنيفة، وأحمد"، وقال به أبو نور صاحب الشافعي، "ورجحه من المالكية ابن العربي"، ومن الظاهرية ابن حزم، "وحجتهم أن النهي" في حديث أبي أيوب "مقدم على الإباحة" التي دل عليها حديث ابن عمر، "ولم يصححوا حديث جابر المتقدم" الصريح في النهي، ولكن قد صححه ابن خزيمة وابن حبان.

"وقال قوم بالجواز مطلقا، وهو قول عائشة، وعروة بن الزبير، وربيعة" بن أبي عبد الرحمن، وداود، "محتجين بأن الأحاديث تعارضت، فلنرجع إلى أصل الإباحة"، ويرد عليهم: إن محل ذلك ما لم **يمكن الجمع**، وقال قوم بجواز الاستدبار دون الاستقبال، حكي عن أبي حنيفة وأحمد، وتمسكوا بحديث ابن عمر، فخصصوا به عموم حديث أبي أيوب، ولم يصححوا حديث جابر، ولم يلحقوا الاستقبال بالاستدبار قياسا؛ لأنه لا يصح، وقيل بجواز الاستدبار في البنيان فقط؛ لحديث ابن عمر، وهو قول أبي يوسف، وقيل بعموم التحريم حتى القبلة المنسوخة، وقيل: يختص التحريم بأهل المدينة ومن على سمتها، أما من قبلته المشرق أو المغرب، فيجوز له الاستدبار والاستقبال مطلقا؛ لعموم وله: "شرقوا أو غربوا"، "وفي البخاري، عن أنس، كان -صلى الله عليه وسلم- إذا خرج" من بيته، أو من بين الناس "لحاجته"، أي: البول أو الغائط، ولفظ: كان، يشعر بالتكرار والاستمرار، "أجيء أنا وغلام"، زاد في رواية للبخاري منا، أي: من الأنصار؛ وبه صرح الإسماعيلي، ولمسلم: نحوي، أي: مقارب لي في السن، والغلام هو المترعرع، قاله أبو عبيد، وفي المحكم: من لدن الفطام إلى سبع سنين، وفي الأساس: الغلام الصغير إلى حد الالتحاء، فإن قيل له بعده غلام فمجاز، قيل: الغلام ابن مسعود؛ لقول أبي الدرداء، لعلقمة بن قيس: أليس فيكم صاحب النعلين والطهور والوساد -يعني: ابن مسعود- الحديث في الصحيح، فيكون أنس سماه غلاما مجازا، ويكون معنى قوله:

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٢٧/٥

منا، أي: من الصحابة، أو من خدمه -صلى الله عليه وسلم؛ وقوله في رواية الإسماعيلي: من الأنصار؛ لعلها من تصرف الراوي، رأى في الرواية منا، فحملها على القبيلة، فرواها بالمعنى، أو لأن إطلاق الأنصار على جميع الصحابة سائغ، وإن خصه العرف بالأوس والخزرج؛ لكن يبعده رواية مسلم: غلام نحوي، فوصفه بالصغر، ويحتمل أنه أبو هريرة، فعنه، كان النبي -صلى الله عليه وسلم، إذا أتى الخلاء أتيته بماء في ركوة فاستنجى؛ ويؤيد ما رواه البخاري في ذكر." (١)

"فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

والثمد -بالمثلثة والتحريك- الماء القليل.

نصب على أنه مفعول مطلق من باب النقل للتكلف، "فلم يلبثه الناس".

قال الحافظ: بضم أوله، وسكون اللام من الألبان، وقال ابن التيمي: بفتح أوله، وكسر الموحدة المنقلة، أي: لم يتركوه يلبث، أي: يقيم، انتهى.

وقال المصنف: بضم أوله، وفتح اللام، وشد الموحدة، وسكون المثلثة في الفرع، وأصله مصححا عليه، "حتى نزحوه" بنون، فزاي، فحاء مهملة، أي: لم يبقوا منه شيئا.

قال الحافظ: ووقع في شرح ابن التين، بفاء بدل الحاء، ومعناهما واحد، وهو أخذ الماء شيئا بعد شيء حتى لا يبقى منه شيء، "وشكى" بالبناء للمفعول "إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش" بالرفع نائب الفاعل، "فانتزع سهما من كنانته" بكسر الكاف: جعبته التي فيها النبل، "ثم أمرهم أن يجعلوه فيه" أي: الثمد.

روى ابن سعد من طريق أبي مروان، قال: حدثني أربعة عشر رجلا من الصحابة: أن الذي نزل البئر ناجية بن الأعجم، وقيل: هو ناجية بن جندب، وقيل: البراء بن عازب، وقيل: عباد بن خالد، حكاه الواقدي، ووقع في الاستيعاب: خالد بن عبادة.

قال في الفتح: **ويمكن الجمع** بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره، "فوالله ما زال يجيش" بفتح أوله، وكسر الجيم، وسكون التحتية ومعجمة، "لهم بالري" بكسر الراء، ويجوز فتحها "حتى صدروا عنه" أي: رجعوا بعد ورودهم.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥/٥٦٥

زاد ابن سعد: حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر.
وعند ابن إسحاق: فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن، "والثمد بالمثلثة" المفتوحة "والتحريك" أي: "فتح الميم "الماء القليل".
وقال في الفتح أي: حفرة فيها ماء قليل، يقال: ماء مثمود، أي: قليل؛ فقوله: قليل الماء تأكيدا لدفع توهم أن يراد لغة من يقول الثمد الماء الكثير، وقيل: الثمد ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف، انتهى، وهذا أولى من تفسير المصنف بالماء القليل؛ لأنه يصير في قوله قليل الماء خزازة، لرجوع معناه إلى أنهم نزلوا على ماء قليل، أي: قليل الماء لكن تعقب بعض كلام الحافظ؛ بأنه إنما يتم إن ثبت لغة أن الثمد الماء الكثير، واعترض الدماميني قوله تأكيد؛ بأنه لو اقتصر على قليل أمكن، أما مع إضافة إلى الماء فيشكل؛ كقولنا: هذا ماء قليل الماء نعم، قال الرازي: الثمد العين، وقال غيره: حفرة فيها ماء؛ فإن صح فلا إشكال.." (١)

"واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها". وهم ألف. فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو، رواه البخاري ومسلم.
وقوله: "فانكفأت" أي: انقلبت.

هي غرف الطعام، ولا ينافيه أن لفظ البخاري: فلتخبزي معي؛ لأن المراد وقولي لها لتخبزي معي، أي: تعاونيني فيه، كذا أملانيه شيخنا قائلا، ويدل عليه قوله: "واقدحي" بسكون القاف، وفتح الدال، وكسر الحال المهملتين، أي: اغرفي "من برمتكم" والمغرفة تسمى المقدمة، وقدحه من المرق غرفه منه، "ولا تنزلوها" بضم الفوقية، وكسر الزاي، أي: البرمة من فوق الأثافي، بفتح الهمزة والمثلة فألف، ففاء مكسورة، فتحتية مشددة: حجارة ثلاثة يوضع عليها القدر، "وهم" أي: القوم الذين أكلوا "ألف" وفي مستخرج أبي نعيم، وهو سبعمائة أو ثمانمائة، وللإسماعيلي ثمانمائة أو ثلاثمائة، وفي مسلم: ثلاثمائة.
قال الحافظ والحكم: لزائد لمزيد علمه، ولأن القصة متحدة.
وفي رواية أبي الزبير عن جابر وأقعدهم عشرة عشرة يأكلون، "فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا"، أي: مالوا عن الطعام، "وإن برمتنا لتغط" بكسر الغين المعجمة، وشد الطاء المهملة، أي: تغلي وتفور بحيث يسمع لها غطيط، "كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو" لم ينقص من ذلك شيء، وما في، كما

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٠/٧

كافة، وهي مقمحة لدخول الكاف على الجملة، وهي مبتدأ، والخبر محذوف، أي: كما هي قبل ذلك.
"رواه البخاري ومسلم" في المغازي من حديث سعيد بن مينا عن جابر، وأخرجه البخاري وحده من رواية أيمن عن جابر نحوه، وفي آخره: فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطو، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرم والتنوم إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا أو بقي بقية، قال: "كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة" وفي رواية يونس بن بكر: فما يزال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا، فقال: "كلي وأهدي" فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع، وفي رواية أبي الزبير عن جابر: فأكلنا نحن وأهدينا لجيراننا، فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك، انتهى.
وصريح هذا أن الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم، فيخالف ظاهر قوله: "واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها". أي: اغرفي من أن مباشرة المرأة، **ويمكن الجمع** بينهما؛ بأنها كانت تساعد في الغرف، ولم يتعرض الحافظ ولا المصنف لهذا.
"وقوله: فانكفأت، أي: انقلبت" بالهمز وتركه، وهو الرواية على ظاهر كلام الحافظ بن." (١)
"المهملة، أي: تغلي ويسمع غطيطها.
وعن أنس قال: قال أبو طلحة لأم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه -أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم- ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت به فوجدت

المهملة" المشددة، "أي: تغلي ويسمع غطيطها" صوتها بالغليان، كغطيط النائم.
"وعن أنس" بن مالك "قال: قال أبو طلحة" زيد بن سهل الأنصاري، زوج أم سليم، والدة أنس "لأم سليم" قال الحافظ: اتفقت الطرق على أن الحديث المذكور من مسند أنس، وقد وافقه على ذلك أخوه لأمه عبد الله بن أبي طلحة، فرواه مطولا عن أبيه، قال: دخلت المسجد، فعرفت، في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ... الحديث، أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن، "لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا؛ أعرف فيه الجوع" فيه العمل بالقرائن، وكأنه لم يسمع من صوته حين تكلم الفخامة المألوفة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٢/٧

منه، فحمله على الجوع، ولأحمد عن أنس، أن أبا طلحة رآه طاويا، وفي مسلم جئت وقد عصب بطنه بعصابة، فسألت، فقالوا: من الجوع، فأخبرت أبا طلحة، فدخل على أم سليم، قال: "فهل عندك من شيء" يأكله النبي صلى الله عليه وسلم؟، "فقالت: نعم، فأخرجت أقراصا" جمع قرص، بالضم: قطعة عجين مقطوع منه "من شعير" ولأحمد: عمدت أم سليم إلى نصف مد من شعير فطحنته. وللبخاري: عمدت إلى مد من شعير جشته، ثم عملته عصيدة، وفي لفظ خطيفة، وهي العصيدة وزنا ومعنى، وفي مسلم وأحمد: أتي أبو طلحة بمدين من شعير، فأمر، فصنع طعاما، قال الحافظ: ولا منافاة لاحتمال تعدد القصة، او أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، ويمكن الجمع بأن يكون الشعير في الأصل كان صاعا، فردت بعضه لعيالهم وبعضه للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على التعدد ما بين العصيدة والخبز المفتوت، الملتوت بالسمن من المغايرة، "ثم أخرجت خمارا" بكسر الخاء المعجمة، أي: نصيفا لها، "فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته" أي: أخفته "تحت يدي" بكسر الدال، أي: إبطي "ولاثتني بمثلثة، ففوقية ساكنة، فنون مكسورة: لفتني، "ببعضه" ببعض الخمار، "أي: أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين، كالعمائم" وفي الفتح، أي: لفتني به يقال: لاث العمامة على رأسه، أي: عصبها، والمراد أنها لفت بعضه على بعض رأسه، وبعضه على إبطه، وللبخاري في الأطعمة، فلفت الخبز ببعضه، ودست الخبز تحت ثوبي وردتني ببعضه، يقال: دس الشيء يدسه دسا، إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة، "ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت به، فوجدت." (١)

"فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بأمرين: أحدهما أن جعلهن أمهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن، وتفضيلهن على سائر النساء بقوله: ﴿لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢] ، والثاني: أن حرم الله عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية، فكان تحريم طلاقهن مستداما.

دخل على عائشة، قالت: فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة في فتح الباري، فاتفق الحديثان على أن آية التخيير نزلت عقب فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه، لكن اختلفا في سبب الاعتزال، ويمكن الجمع بأن يكونا جميعا سبب الاعتزال، فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهما، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة، ومناسبة آية التخيير لقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين، انتهى، "فلما اخترنه" كلهن على

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٤/٧

الصحيح الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما، وما يروى عند ابن إسحاق أن فاطمة بنت الضحاك الكلابية اختارت الدنيا، فكانت تلقط البعر، وتقول هي الشقية.

وعند ابن سعيد: أن العامرية اختارت قومها، فكانت تقول: هي الشقية، فضعفه ابن عبد البر، وتبعه بأن الآية إنما نزلت وفي عصمته التسع اللاتي توفى عنهن، وقد صرحت عائشة في الصحيحين بأنهن كلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وقد تقدم بسط ذلك في الزوجات، "وصبرن معه عوضهن" أي: قابلهن "الله على صبرهن بأمرين" الباء للمقابلة، وهي الداخلة على الأعواض أثمانا أو غير أثمان نحو: اشتريته بألف وكافأت إحسانه بضعف، فالمعنى جعل لهن عوضا عن صبرهن أمرين، "أحدهما: أن جعلهن أمهات المؤمنين" في الاحترام والتعظيم لا في الخلوة بهن ومنه نكاح بناتهن وأخواتهن، كما أفاده قوله: "تعظيما لحقهن، وتأكيدا لحرمتهن، وتفضيلهن على سائر النساء" وهذا يصلح جعله أمرا مستقلا، وإن أدمجه المصنف فيما قبله، "بقوله: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢] ".

قال السبكي: ظاهر الآية أن أزواجه صلى الله عليه وسلم أفضل النساء مطلقا حتى مريم، وظاهرها أيضا تفضيلهن على بناته إلا أن يقال بدخولهن في اللفظ، لأنهن من نساء النبي، نقله عنه السيوطي في الإكليل وأقره، "والثاني، أن حرم عليه طلاقهن والاستبدل بهن، فقال تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، فكان تحريم طلاقهن مستداما" في أحد الوجهين، والآخر أن له الفراق بعد اختيارهن البقاء معه، وهو الأصح، كما مر، وأما قوله تعالى: ﴿من بعد﴾ ، أي: من بعد التسع، ففيه خلاف، فقيل: إنها حظرت عليه النساء إلا التسع اللواتي كن عنده.." (١)

"كما يبحث عن سائر الرواة. قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة: ١٤٣] ، أي: عدولا، وقال عليه السلام:

في شهادة ولا رواية "كما يبحث عن سائر الرواة" وغيرهم لأنهم خير الأمة ومن طرأ له منهم قادح كسرقة وزنا عمل بمقتضاه، ولكن لا يفسقون بما يفسق به غيرهم كما ذكره الحلال المحلي في شرح الجوامع فتقبل رواياتهم وشهاداتهم، ولو وقعت كبيرة من بعضهم أقيم حدها أم لا؟ وإن لم يبلغنا توبته. ومن فوائد عدالتهم مطلقا أنه إذا قيل عن رجل من أصحاب النبي، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة كتعيينه باسمه بخلاف غيرهم فلا يقبل المبهم لاحتمال أنه ليس عدلا وسواء من لابس الفتنة وغيره على

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢٨/٧

المختار طال اجتماعهم به أو قصر، وقول المازري في شرح البرهان: لسنا نعني بعدالة الصحابة كل من رآه يوما أو زاره أو اجتمع به لغرض وانصرف عن قرب، بل الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. قال العلائي الحافظ: غريب لا يوافَ عليه، والجمهور على التعميم، انتهى. ويؤيد العموم رواية الأئمة أحاديثهم مطلقا بدون تردد مع ورود النهي عن روايته عن غير العدل، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تأخذوا الحديث إلا عمن تجوزون شهادته"، رواه الخطيب وغيره عن ابن عباس، وقال ابن سيرين: هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. وقال مالك: لا تحمل العلم عن أهل البدع، ولا تحمله عمن لم يعرف بالطلب، ولا عمن يكذب في حديث الناس، وإن كان في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب، رواه ابن عساكر، وكان عروة بن الزبير يسمع الحديث يستحسنه ولا يرويه لكونه لا يثق ببعض رواته لئلا يؤخذ عنه رواه الشافعي، فلو لم تكن الصحابة كلهم عدولا لامتنع مالك وغيره من الأئمة عن رواية كثير منهم.

"قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ" يعني الصحابة: ﴿وكذلك﴾ أي: كما هديناكم إلى صراط مستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل، ﴿جعلناكم أمة وسطا﴾ ، أي عدولا" مزكين بالعلم والعمل أو خيارا، وكذا قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ، قال الحافظ العراقي: قيل اتفق المفسرون على أن الخطاب في الآيتين للصحابة الموجودين، انتهى. لكن البيضاوي والجلال جعلا الخطاب لأمة محمد الشامل لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة، ويؤيده حديث البخاري وغيره في جحد الأمم تبليغ أنبيائهم فيؤتى بأمة محمد فيشهدون بالبلاغ ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم **ويمكن الجمع** بأن الخطاب للصحابة حقيقي لوجودهم، وإن كان المراد ما يشملهم وغيره لاشتراك الجميع في العلم.

"وقال عليه السلام" فيما أخرجه الشيخان وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري، وفي بعض طرقه عند مسلم، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف." (١)

"فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة. رأى ثابت بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل.

ومنها أنه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها، وعمدها وسهوها.

"فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة" بكسر اللام الكذاب، "رأى ثابت" من بعض المسلمين "بعض

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣١٤/٧

الانكشاف، وانهزمت طائفة منهم، فقاتل حتى قتل" وظهر بذلك مصداق خبره صلى الله عليه وسلم، وروى ابن أبي حاتم، قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة، كان في بعضنا بعض الانكشاف، فأقبل، وقد تكفن وتحنط، فقاتل حتى قتل.

وأخرج البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: أنا أعلم لك علمه، فأتاه، فوجده جالسا في بيته منكسا في رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي، فقال: إنه قال كذا وكذا، فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه، فقل له: "إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة"، وأخرجه مسلم من وجه آخر، عن أنس: سأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ: "ما شأن ثابت اشتكى"؟ فقال: إنه لجاري، وما علمت له شكوى، الحديث.

وروى ابن المنذر من طريق آخر عن أنس، فقال سعد بن عبادة: هو جاري، الحديث.

قال الحافظ: وهذا أشبه بالصواب لأن ابن عبادة من قبيلة ثابت، فهو أشبه أن يكون جاره من ابن معاذ لأنه من قبيلة أخرى.

وقد استشكل بعض الحفاظ رواي مسلم بأن نزول الآي في سنة تسع، وموت ابن معاذ في سنة خمس، **ويمكن الجمع**؛ بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت، والذي نزل في قصة الأقرع أول الصورة، وهو ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الآية، وقد نزل قوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ الآية، في قصة عبد الله بن أبي بن سلول قبل أن يسلم عبد الله كما في الصحيح، وإسلامه كان بعد بدر، وللطبري وابن مردويه، عن ثابت: لما نزلت هذه الآية، قعد ثابت يبكي، فمر به عاصم بن عدي، فقال: ما يبكيك؟ قال: أتخوف أن تكون نزلت في فقال صلى الله عليه وسلم: "أما ترضى أن تعيش حميدا" الحديث، وهذا لا يغاير أن يكون الرسول إليه من النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، انتهى، ولم يظهر لي جمعه المذكور مع ما في البخاري، كما مر أنها نزلت بسبب اختلاف العمرين فيمن يؤمره من القعقاع، أو الأقرع، وهما من وفد تميم، وقدومهم سنة تسع.

"ومنها: أنه معصوم من الذنوب" بعد النبوة وقبلها، "كبيرها وصغيرها، وعمدها وسهوها"." (١)

"ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم، ولم تحل لأحد قبلها

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٢٧/٧

فضلا من الله ونعمة.

"ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم" وابتداء ذلك في غزوة بدر، وفيها نزل: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾ الآية، كما في الصحيح من حديث ابن عباس، وعند ابن إسحاق: أول غنيمة خمست غنيمة السرية التي كان عليها عبد الله بن جحش، وهو قبل بدر بشهرين.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بما ذكر ابن سعد؛ أنه صلى الله عليه وسلم أخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر، فقسمها مع غنائم أهل بدر، "ولم تحل لأحد" من الأمم، وفي نسخة لأمة "قبلها" والمراد بها ما أخذ من الكفار بقهر وغيره، فنعم الفيء؛ إذ كل منهما انفرد عن الآخر.

روى النسائي، عن أبي هريرة رفعه: "إن الله أطعمنا الغنائم، رحمة رحمنا بها، تخفيفا خففه عنا، لما رأى من ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا".

وفي حديث جابر في الصحيحين: "وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي".

قال الخطابي: كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم يكن لهم مغانم، ومنهم من أذن له فيه، لكن كانوا إذا اغتنموا شيئا لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نار فأحرقته.

وقيل: المراد أنه خاص بالتصرف في الغنيمة، يصرفها حيث شاء، والأقل الأول أصوب، وهو أن من مضى لم تحل لهم الغنائم أصلا، ذكره الحافظ، ويرجع ما صوبه قوله: "ولم تحل لأحد قبلي"؛ لأنه التقييد بالقبلية بطريق المفهوم؛ أنها حلت له ولأمته.

وروى الترمذي بسند صحيح، عن أبي هريرة رفعه: "لم تحل الغنائم لأحد، سود الرءوس من قبلكم، كانت تجمع فتنزل نار من السماء فتأكلها".

قال في الفتح: كان من مضى يغزون ويأخذون أموال أعدائهم وإسلابهم، لكن لا يتصرفون فيها، بل يجمعونها، وعلامة قبول غزوهم أن تنزل نار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله أن لا ينزل، ومن أسباب عدم القبول الغلول، وقد من الله على هذه الأمة بشرف نبيها عنده، فأحل لهم الغنيمة، وستر عليهم الغلول، وستر عليهم فضيحته، ودخل في عموم أكل النار الغنيمة السبي وفيه بعد، لأن مقتضاه إهلاك الذرية ومن لم يقاتل من النساء، ويمكن أن يستثنوا من ذلك، ويلزم منه استثناؤهم من تحريم الغنائم عليها، ويؤيده أنه كانت لهم عبيدا وإماء، فلو لم يجز لهم السبي لما كان لهم أرقاء، ولم أر من صرح بذلك انتهى، ونظر فيه

شيخنا بأنه كان في شرع يعقوب إذا سرق إنسان شيئا، ووجد عنده جعل السارق رقيقا للمسروق منه، وجزم بعضهم باستثناء الذرية من أكل." (١)

"وفي قصة جريج الراهب: أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام.

ما يعتقده الجبار، فلا ينازعه فيها، وتعقب بأنه لو كان كذلك لقال: هي أختي وأنا زوجها، فلم اقتصر على قوله هي أختي، وأيضا فهذا الجواب إنما يفيد لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا أن يغصبها نفسها، وقيل: أراد إبراهيم أنه إن علم أنك امرئتي ألزمني بالطلاق، ولا يشكل قوله: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك بلوط، وقد قال تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ الآية، لأن مراده بالأرض التي وقع له فيها ذلك، ولم يكن لوط معه فيها، وقوله: فغط بضم المعجمة.

وحكى ابن التين: فتحها والصواب الضم حتى ركض برجله، يعني أنه اختنق كأنه مصروع، وفي رواية مسلم: فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت قبضة شديدة، **ويمكن الجمع** بأنه عوقب تارة بقبض يده، وتارة بصرعه، ويجاب عن قولها إن كنت تعلم أنها قاطعة بأنه تعالى يعلم ذلك، بأنها قالته على سبيل الفرض هضما لنفسها، وفيه إجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب، لمن أخلص بعمله الصالح، ونظيره قصة أصحاب الغار، وابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، ويقال: إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة، وأنه لم يصل منها إلى شيء ذكره في التيجان، ولفظه: فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر، وقام إلى سارة، فجعل الله القصر لإبراهيم، كالقارورة الصافية، فصار يراهما ويسمع كلامهما، انتهى.

"وفي قصة جريج" بجيمين مصغر "الراهب" روى أحمد عن أم سلمة: كان رجل يقال له جريج من بني إسرائيل تاجرا، وكان ينقص مرة ويزيد أخرى، فقال: ما في هذه التجارة خير، لألتمسن تجارة هي خير من هذه، فبى صومعة، وترهب فيها، الحديث.

قال الحافظ: دل أنه كان بعد عيسى ومن أتباعه، لأنهم الذين ابتدعوا الترهب، وحبس النفس في الصوامع "أنه قام، فتوضأ وصلى" ركعتين، كما في حديث عمران، "ثم كلم الغلام"، نفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافا لزاعمه، روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي، جاءته أمه، فدعته، فقال: أجيبها،

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٢٣/٧

أو أصلي؟ فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة، فكلمته، فأبى، فأتت راعيا، فأمكنته من نفسها فولدت غلاما، فقالت: من جريج، فأتوه، فكسروا صومعته، فأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين" ... الحديث.." (١)

"فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل، لا أصل الوضوء.

قال الحافظ: لم أقف في شيء من الطرق على اسم أم جريج، ولا على اسم الزانية، لكن في حديث عمر أنها كانت بنت ملك القرية، ولأحمد: فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج، فقالت: بغي منهم إن شئتم لأفتننه، قالوا: قد شئنا فأتته، فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأمكنت نفسها من راع كان يؤوي غنيمة إلى أصل صومعته، وله من وجه آخر، وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم، وفي أخرى: كان عند صومعته راعي ضأن، وراع معز، **ويمكن الجمع** بين هذه الروايات، بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجا، فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية، ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته، وفي رواية: أنه طعن الغلام بأصبعه، فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ قال: أنا ابن الراعي.

وفي مرسل الحسن عند ابن المبارك؛ أنه سألهم أن ينظروه، فأنظروه، فرأى في المنام من أمره أن يطعن في بطن المرأة، فيقول: أيتها السخلة من أبوك؟ ففعل، فقال: راعي الغنم.

وفي رواية: ثم مسح رأس الصبي، فقال: من أبوك؟ قال: راعي الضأن، ولأحمد: فوضع أصبعه على بطنها، وفي رواية: فأتى بالمرأة والصبي وفمه في ثديها، فقال له جريج: يا غلام من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي، وقال: أبي راعي الضأن، وفي أخرى: فلما أدخل على ملكه، قال جريج: أين الصبي الذي ولدته؟ فأتى فقال له: من أبوك؟ فسمى أباه، ولم أقف على اسم الراعي، ويقال: اسمه صهيب.

وأما الابن، فللبخاري في أواخر الصلاة بلفظ، فقال: يا ناموس، وليس اسمه كما زعم الداودي، إنما المراد به الصغير.

وفي حديث عمران: ثم انتهى إلى شجرة، فأخذ منها غصنا، ثم الغلام، وهو في مهده فضربه بذلك الغصن، فقال: من أبوك؟ ولأبي الليث السمرقندي بلا إسناد، قال للمرأة: أين أصبتك؟ قالت: تحت شجرة، فقال:

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٢٨/٧

يا شجرة أسألك بالذي خلقك من زنى بهذه المرأة؟ فقال: كل غصن منها راعي الغنم، ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر، بأنه مسح رأس الصبي، ووضع أصبعه على بطن أمه، وطعنه بأصبعه وضربه بطرف العصا التي كانت معه، وأبعد من جمع بينها بتعدد القصة؛ وأنه استنطقه، وهو في بطن أمه مرة قبل أن تلد ثم بعد أن ولد، زاد في رواية: فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه، وفي أخرى: فأبرأ الله جريجا، وأعظم الناس أمره، انتهى ملخصا، وحيث ثبت وضوء سارة وجريج وليسا نبيين.

"فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل" زاد بعضهم أو التثليث أو الكيفية، أو مزيد الحث عليه، والمبالغة في التأكيد "لا أصل الوضوء" وقول ابن بطال: يحتمل." (١)

"ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه، بينه وبين الله تعالى، لا يوازيها ولا يقارنها لذة أصلا.

ومنها: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه، أو متعسرا عليه.

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها، كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا أدلهم، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه، يراه كل أحد.

الرزق لا تنقصه المعصية، ولا تزيده الحسنة، وترك الدعاء معصية".

وعند العسكري بسند ضعيف، عن ابن مسعود، رفعه: "ليس أحد بأكسب من أحد قد كتب الله النصيب والأجل، وقد قسم المعيشة والعمل، والرزق مقسوم وهو آت على ابن آدم على أي سيرة سارها، ليس تقوى تقي بزائدة، ولا فجور فاجر يناقصه، وبينه وبينه ستر وهو في طلبه".

وعند ابن أبي الدنيا وغيره مرفوعا: "إن الرزق ليطلب العبد، كما يطلبه أجله"، وفي ذا المعنى أحاديث، **ويمكن الجمع** بينها كما أشرت إليه؛ بأن الذي يحرمه الرزق الحلال أو البركة فيه أو صرفه في وجوه الخير ونحو ذلك، فلا معارضة.

وأسلفت في مراتب الوحي شيئا من ذلك، "ومنها: وحشه يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالى لا يوازيها" أي يقابلها، يقال: وازاه موازاة، أي حاذاه، "ولا يقارنها" "بالنون"، أي لا يجتمع معها "لذة أصلا" بالعبادات وإن فعلها.

قال وهيب ابن الورد لمن سأله: أيجد طعم العبادة من عصى الله سبحانه؟، قال لا، ولا من هم بالمعصية.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٢٩/٧

"ومنها: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه" بحيث لا يصل إليه بوجه، "أو متعسرا عليه" بحيث يناله تعب في الوصول إليه.

"ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم" الأسود "إذا أدلهم" أي اشتد سواده وكثفت ظلمته، "وكلما قويت الظلمة ازدادت حيوته حتى يقع في البدع" الأمور القبيحة المخالفة للشرع، وإن أطلقت البدع على غير القبيح، فليس المراد هنا كما هو بين، "والضلالات والأمور المهلكة، وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل أحد" بحاسة البصر.." (١)

"ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة، وفي رواية وهيب عن هشام ستة أشهر. **ويمكن الجمع** بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعون يوما من استحكامه.

وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر، حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري: أنه لبث سنة. قال الحافظ ابن حجر: وقد وجدناه موصولا بالإسناد الصحيح فهو المعتمد.

وقال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويزها بعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أن جبريل يكلمه وليس هو ثم، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء.

ومر أن عند ابن سعد أن متولي السحر أخوات لبيد، وكن أسحر منه، وأنه هو الذي ألقاه في البئر.

"ووقع في رواية أبي ضمرة" بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم أنس بن عياض الليثي، والمدني "عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة".

"وفي رواية وهيب" بالتصغير ابن خالد بن عجلان البصري، "عن هشام" بن عروة، راوي حديث الباب، عن أبيه، عن عائشة: أقام "ستة أشهر" في السحر، "**ويمكن الجمع** بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعون يوما من استحكامه" إتقانه وشدته.

"وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به" أي وجدته، وأصل معناه الفوز والفلاح "في جامع معمر عن الزهري" مرسلا "إنه لبث سنة".

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٤٧/٩

"قال الحافظ ابن حجر: وقد وجدناه موصولا" عند أحمد والإسماعيلي "بالإسناد الصحيح، فهو المعتمد" إذ الموصول مع صحة إسناده مقدم على المرسل عند التعارض.

"وقال المازري" في شرح مسلم: "أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة" أي شرفها ورفعتها، "قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل" وهذه كلمة حق أريد بها باطل، "وزعموا أن تجويزها" أي فعلة السحر بهم، والأظهر تجويزه "بعدم" يبطل "الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أجبريل يكلمه، وليس هو، ثم" بفتح المثلثة وشد الميم، أي هناك موجودا، "وأنه يوحى إليه، ولم يوح إليه." (١)

"إحداهما ذات غنيمة دون الأخرى، فأخبر الله تعالى عما في ضمائرهم، وأنجز لهم ما وعد، ولا شك أن الوعد كان قبل اللقاء، لأن الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] ، وهذا إخبار عن المستقبل، لأن "السين" تعين الاستقبال، يعني كفار قريش يوم بدر، وقد كان عددهم ما بين تسعمائة إلى ألف، وكانوا مستعدين بالمال والسلاح، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة عشر رجلا، وليس معهم إلا فرسان، إحداهما للزبير بن العوام، والأخرى للمقداد بن الأسود فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل أبطالهم واغتنام أموالهم.

إتيانهم بسورة من مثله "تقضي العادة بخلافه" لأنهم كانوا غاية في البلاغة، مع استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في الفصاحة، فما فعلوا ولا قدروا، ومر بسط هذا في المعجزات.

"ومن ذلك قوله تعالى": اذكر ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ [الأنفال: ٧] ، العير أو النفير ﴿أنها لكم وتودون﴾ تريدون ﴿أن غير ذات الشوكة﴾ ، أي البأس والسلاح ﴿تكون لكم﴾ " لقلة عددها، وعددها بخلاف النفير، "الآية فإنها" أي القصة، وفي نسخة: فإنه، أي الشأن "كان لقريش قافلتان، إحداهما ذات غنيمة دون الأخرى، فأخبر الله تعالى عما في ضمائرهم" وهو ودهم للغنيمة دون القتال، "وأنجز لهم ما وعد" من النصر البالغ يوم بدر، "ولا شك أن الوعد كان قبل اللقاء، لأن الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز" إذ هو مجرد عبث.

"ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] ، قال الزجاج: يعني الأدبار، لأن اسم

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٤٧/٩

الواحد يقع على الجمع، أي سيفرق جمعهم ويغلبون، "وهذا إخبار عن المستقبل، لأن السين تعين الاستقبال يعني" بالجمع "كفار قريش يوم بدر" وفيه علم من أعلام النبوة، لأن الآية: نزلت بمكة، وأخبرهم أنهم سيهزمون في الحرب، فكان كما قال.

وعند ابن أبي حاتم عن عكرمة، وعبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت، أي جمع يهزم، أي جمع يغلب، قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبت في الدرع، وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذ، "وقد كان عددهم ما بين تسعمائة إلى ألف" أي تسعمائة وخمسين مقاتلا عند ابن عقبة وابن عائذ.

وفي صحيح مسلم عن عمر: كانوا ألفا، وهو أولى بالصواب على أنه **يمكن الجمع**، بأن الخمسين غير مقاتلين، لأنهما قيدا بمقاتلا، ومر بسط ذلك، "وكانوا مستعدين بالمال والسلاح." (١)

"جماعة منهم في هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا **يمكن الجمع** بينها، فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى.

فإن قيل النبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية، وإذا كان كذلك لم يكن متابعا لأحد، فيمتنع حمل قوله: ﴿أن اتبع﴾ على هذا المعنى، فوجب حمله على الشرائع التي صح حصول المتابعة فيها.

إسحاق بن إبراهيم، "على قول من يقول: إنه ليس برسول" وإنما هو نبي على شريعة أبيه يعقوب، أو على ملة إبراهيم، والجمهور على أنه رسول بعث إلى القبط، لقوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ [غافر: ٣٤] ، فإن المراد يوسف بن يعقوب، والقائل بأنه ليس برسول، قال: المراد في الآية حفيده يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب "وقد سمى الله تعالى جماعة منهم" سرد أسماءهم على التوالي "في هذه الآية" ثم أمره بالاقتداء بهم "وشرائعهم مختلفة، لا **يمكن الجمع** بينها" حتى يؤمر باتباعهم جميعا في فروع الشرائع العلمية التعبدية، "فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى" القلبية التي لم يختلف فيها ونحوها من أصول الدين، وهذا أورده عياض ردا على من قال: كان يتعبد قبل البعثة على شريعة إبراهيم، فأورده المصنف ردا على من قال: كان بعدها على شريعته، لأنه أهم بالاعتناء برده، وكلاهما حسن، ولما كان ساقطا صادرا عن قلة العقل، لم يعتن عياض برده، وإنما قال عقب قوله: بل الصحيح أنه لم يكن

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٠/١١٥

لنبي دعوة عامة إلا لنبينا، ولا حجة أيضا للآخرين، أي القائلين بأنه كان قبل البعثة متبعا لشريعة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ [النساء: ١٢٥] ، ولا للآخرين في قوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ فحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد، كقوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] وقد سمى فيهم من لم يبعث ... إلخ ما ذكر المصنف هنا بالحرف، وقال بعده: هل يلزم من قال بمنع الاتباع بهذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا أو يخالفون بينهم، أما من منع الاتباع عقلا، فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية، وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر تبعه، ومن قال بالوقف فعلى أصله، ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فليلتزمه بمساق حجته في كل نبي. ا. هـ.

"فإن قيل: النبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية" العقلية والنقلية "وإذا كان كذلك لم يكن متابعا لأحد، فيمتنع حمل قوله: ﴿أن اتبع﴾ على هذا المعنى" الذي هو التوحيد، "فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها"." (١)

"تعلق به الوجوب، وليس الأمر هنا كذلك.

وعنها توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء، ثم نحى رجليه فغسلهما. رواه البخاري.

وفيه التصريح بتأخير غسل الرجلين في وضوء الغسل إلى آخره، وهو مخالف لظاهر رواية عائشة.

ويمكن الجمع بينهما إما بحمل رواية عائشة على المجاز، أو بحمله على حالة أخرى، وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء، فذهب الجمهور إلى استحباب تأخير غسل الرجلين. وعن مالك: إن كان المكان غير

لمجمل تعلق به الوجوب" فيدل عليه من هذه الجهة لا من مجرد الفعل "وليس الأمر هنا كذلك" بل مجرد فعل، "وعنها" من رواية سفيان الثوري، عن الأعمش، عن سالم، عن كريب، عن ابن عباس، عن ميمونة قالت: "توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة" احترازا عن اللغوي الذي هو غسل اليدين "غير رجليه" فأخرهما لتكون البداءة والتمام بأعضاء الوضوء، قاله المازري: "وغسل فرجه وما أصابه من الأذى" من رطوبة فرج المرأة والبول وغيرهما.

قال الحافظ: فيه تقديم وتأخير، لأن غسل الفرج كان قبل الوضوء، إذ الواو لا تقتضي الترتيب، وقد بين

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٩٣/١٠

ذلك ابن المبارك عن الثوري عند البخاري، فأتى بثم الدالة على الترتيب في الجميع، ويأتي في المتن قريبا لفظ رواية ابن المبارك، "ثم أفاض عليه الماء" أي على جسده، وللدارقطني: ثم غسل سائر جسده، ولابن ماجه: ثم أفاض على سائر جسده، "ثم نحى رجليه فغسلهما، رواه البخاري" ومسلم وأصحاب السنن، "وفيه التصريح بتأخير غسل الرجلين في وضوء الغسل إلى آخره، وهو مخالف لظاهر رواية عائشة" السابقة، حيث قالت: ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، فإن ظاهره أنه لم يؤخر غسل رجليه كما في الفتح، لا من قولها: ثم يفيض الماء على جلده كله كما وهم فيه الشارح.

"**ويمكن الجمع** بينهما إما بحمل رواية عائشة على المجاز" بأن أطلقت الوضوء مريدة ما عدا غسل رجليه تعبيرا بالكل عن البعض، وفي شرح المصنف للبخاري حمله القائل بالتأخير على أكثر الوضوء حملا للمطلق على المقيد.

وأجيب بأنه ليس من المطلق والمقيد، لأن ذلك في الصفات لا في غسل جزء وتركه، "أو بحمله على حالة أخرى" بأن يكون فعل عند كل واحدة ما روته، إذ ليس هو غسلا واحدا "وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء" في أيهما أفضل، "فذهب الجمهور إلى استحباب تأخير غسل الرجلين" مطلقا.." (١)

"وقالت أم سلمة: كان صلى الله عليه وسلم إذا سلم مكث في مكانه يسيرا، قال الزهري: فنرى - والله أعلم- لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال رواه البخاري.

رواية البخاري دلت على كثرة انصرافه عن يساره وهو لا يستلزم أنه الأكثر بل يشعر بأن الأكثر، انصرافه عن يمينه وهو ما ذكره أنس، قال -أعني الحافظ: أما رواية مسلم، أي: لحديث مسعود فظاهرها التعارض، لأنه عبر في كل منهما بصيغة أفعل، وجمع النووي بينهما، بأنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل تارة هذا وتارة هذا، فأخبر كل بما اعتقد أنه الأكثر، وإنما كره ابن مسعود أن يعتقد وجوب الانصراف عن اليمين، وجمع الحافظ بحمل حديث ابن مسعود على حالة الصلاة في المسجد، لأن حجره صلى الله عليه وسلم كانت من جهة يساره، وحمل حديث أنس على ما سوى ذلك كحال السفر، ثم إذا تعارض اعتقاد ابن مسعود وأنس رجح ابن مسعود، لأنه أعلم وأسن وأجل وأكثر ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأقرب إلى ترقبه في الصلاة من أنس، وبأن في حديث أنس من تكلم فيه وهو السدي، وبأنه متفق عليه بخلاف حديث أنس في الأمرين، وبأن رواية ابن مسعود توافق ظاهر الحال، لأن حجر النبي صلى الله عليه وسلم كانت

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٦٩/١٠

على جهة يساره كما مر، ثم ظهر لي أنه يمكن الجمع بوجه آخر، وهو أن من قال: كان أكثر انصرافه عن يساره نظر إلى هيئته في حال الصلاة، ومن قال: كان أكثر انصرافه عن يمينه نظر إلى هيئته في حال استقباله القوم بعد سلامه من الصلاة، فعلى هذا لا يختص الانصراف بجهة معينة، ومن ثم قال العلماء: يستحب الانصراف إلى جهة حاجته، لكن إذا استوت الجهتان في حقه فاليمين أفضل لعموم الأحاديث المصرحة بفل التيامن كحديث عائشة: كان يحب التيامن ... إلخ. انتهى.

"وقالت أم سلمة" أم المؤمنين: "كان صلى الله عليه وسلم إذا سلم" من الصلاة "مكث في مكانه" الذي صلى فيه "يسيرا".

"قال الزهري" محمد بن مسلم راوي الحديث عن هند بنت الحارث عن أم سلمة "فنرى"، "بضم النون" أي: نظن "والله أعلم" أن مكثه صلى الله عليه وسلم في مكانه "لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال" وفي لفظ: لكي ينفذ من ينصرف من النساء، وفي أخرى: لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم، "رواه البخاري" في مواضع ثلاثة متقاربة، وفي كل موضع ذكر تعليل الزهري كما ذكرت واختلاف ألفاظه من الرواة والمعنى واحد.

قال الحافظ: وفي الحديث مراعاة الإمام أحوال المأمومين واحتياط في اجتناب ما قد يفضي إلى المحذور، واجتناب مواقع التهم وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلا عن البيوت، ومقتضى التعليل المذكور أن المأمومين إذا كانوا رجالا فقط لا يستحب هذا المكث،." (١)

"هو الذي زاده فهو المعتمد.

وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الأثر عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى: أول من زاد الأذان بالمدينة عثمان، فقال عطاء: كلا، إنما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير أذان واحد. انتهى.

لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان، فرواية من أثبت ذلك عنه مقدمة على إنكاره. ويمكن الجمع بأن الذي كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان، ثم رأى أن يجعله أذانا وأن يكون على مكان عال، ففعل ذلك، فنسب إليه لكونه بألفاظ الأذان، وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد إعلام.

وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال: الأذان الأول يوم الجمعة بدعة.

فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار، وأن يكون أراد به: إنه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام، لأن كل ما لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنا، ومنها

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٦٢/١٠

ما يكون غير ذلك. ثم إن

إلى أن مات بالشام في طاعون عمواس.

"وقد تواردت الأخبار أن عثمان هو الذي زاد فهو المعتمد" دون هذا الأثر، "و" لكن "قد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الأثر عن ابن جريج" عبد الملك، "قال: قال سليمان بن موسى" الأموي، مولاهم الدمشقي، صدوق، فقيه في حديثه بعض لين: "أول من زاد الأذان بالمدينة عثمان، فقال عطاء: "كلا" ردع عن ذلك القول: "إنما كان عثمان يدعو الناس" للصلاة "ولا يؤذن غير أذان واحد. ا. هـ. لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من أثبت ذلك عنه مقدمة على إنكاره" ولا سيما وممن أثبت السائب وهو صحابي.

وفي صحيح البخاري متصلا: "**ويمكن الجمع** بأن الذي كان في زمن عمر بن الخطاب" ليس أذانا، بل ذكرا مجردا يدعو به الناس إلى الصلاة، "استمر على عهد عثمان ثم رأى أن يجعله أذانا، وأن يكون على مكان عال، ففعل ذلك، فنسب إليه لكونه بألفاظ رأى أن يجعله أذانا، وأن يكون على مكان عال، ففعل ذلك، فنسب إليه لكؤن بألفاظ الأذان، وترك ما كان يفعل عمر لكونه مجرد إعلام"، وهذا وإن كان بعيدا يحتمل لأجل الجمع على تقدير الصحة "وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر" عبد الله، "قال: الأذان الأول يوم الجمعة بدعة، فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار، وأن يكون أراد به أنه لم يكن في زمنه علي الصلاة والسلام لأن ما لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام." (١)

"لكن وقع عند أحمد في حديث عبد الله بن زيد التصريح بأنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة، وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن ماجه، حيث قال: فصلى بنا ركعتين بغير أذان ولا إقامة، والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني.

ولم يقع في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة وهي ركعتان ولا ما يقرأ فيها، وقد أخرج الدارقطني من حديث ابن عباس أنه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد، وأنه يقرأ فيهما بـ"سبح" و"هل أتاك". وفي إسناده مقال. لكن أصله في السنن بلفظ: ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين. فأخذ بظاهره الشافعي فقال: يكبر فيهما.

الثاني: استسقاؤه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٠/٤٩٦

خرج حتى أتى المصلى فرقي المنبر "لكن وقع عند أحمد في حديث عبد الله بن زيد التصريح بأنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة، وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن ماجه، حيث قال: فصلى بنا ركعتين بغير أذان ولا إقامة" وكل منهما صريح، فيقدم على المحتمل "والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني" أي: الصلاة قبل الخطبة، وإليه رجع مالك.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع** بين مختلف الروايات؛ بأنه -صلى الله عليه وسلم- بدأ بالدعاء ثم صلى ركعتين، ثم خطب، فاقتصر بعض الرواة على شيء، وبعضهم على شيء، وعبر بعضهم عن الدعاء بالخطبة، فلذا وقع الاختلاف، قال: وقال القرطبي: يعتضد القول بتقديم الصلاة على الخطبة بمشابهتها بالعيد، وكذا ما تقرر من تقديم الصلاة أمام الحاجة "ولم يقع في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة، وهي ركعتان" بإجماع من قال بها "ولا ما يقرأ فيها".

"وقد أخرج الدارقطني من حديث ابن عباس أنه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد، وأنه يقرأ فيهما بـ ﴿سبح﴾ و ﴿هل أتاك﴾ ، وفي إسناده مقال، لكن أصله في السنن" الأربع "بلفظ: ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين، فأخذ بظاهره الشافعي، فقال: يكبر فيهما" سبعا وخمسا، ولم يأخذ به غيره كمالك لضعف الرواية المصرحة بالتكبير، ولما يطرق الثانية من احتمال نقص التشبيه.

زد الحافظ: ونقل الفاكهي شيخ شيوخنا عن الشافعي استحباب التكبير حال الخروج إليها كما في العيد وهو غلط منه عليه.

"الثاني: استسقاؤه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة: عن أنس أن رجلا" قال." (١)

"بحصى الخذف، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وأمر الأنصار أن ينزلوا من وراء المسجد، قال: ثم نزل الناس بعد ذلك.

وفي رواية عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال: "لينزل المهاجرون ههنا"، وأشار إلى ميمنة القبلة، "والأنصار ههنا" وأشار إلى ميسرة القبلة، ثم قال: "لينزل الناس حولهم".

وعن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجلين من بني بكر قالا: رأينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١١/١٢٠

وفعلها والجمار الأحجار الصغار، سميت حمار الحج بذلك للحصى التي يرمي بها "فوضع أصبعيه السبابتين" اليمنى واليسرى "ثم قال:" "ارموا" "بحصى الخذف" أي: الحصى اصغار، أي: مثله، والخذف أن يؤخذ حصاة بين السبابتن ويرمي بها "ثم أمر المهاجرين فنزلوا بمقدم المسجد، وأمر الأنصار أن ينزلوا من" هكذا في أبي داود، لفظ: من "وراء المسجد، قال: ثم نزل الناس بعد ذلك" ففيه تقريب أهل الفضل والعلم على حسب مراتبهم في ذلك.

قال الولي العراقي: قد يسأل عن الجمع بين هذا الحديث وبين قوله عليه الصلاة والسلام: "منى مناخ من سبق"، فإنه دال على استحقاق السابق لبقعة للنزول فيها ولو كان غيره أفضل، وهو مخالف لتعيينه للمهاجرين بقعة وللأنصار بقعة، هكذا سأل وبيض للجواب.

"وفي رواية عبد الرحمن بن معاذ" الصحابي المذكور فيما قبله عند أبي داود أيضا "عن رجل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس بمنى ونزلهم منازلهم، فقال: "لينزل" بلام الأمر، كما في أبي داود "المهاجرون ههنا، وأشار إلى ميمنة القبلة والأنصار ههنا، وأشار إلى ميسرة القبلة، ثم قال: "لينزل الناس حولهم"" وفي الرواية الأولى: أنزل المهاجرين في مقدم المسجد والأنصار وراء المسجد.

قال الولي العراقي: وظاهرهما التنافي، فيحتاج إلى الجمع إن أمكن وإلا تعين الترجيح، **ويمكن الجمع** بأنه أنزل المهاجرين في ميمنة القبلة في مقدم المسجد، وأنزل الأنصار في ميسرة القبلة وراء المسجد، ويلزم عليه أن يخلو من المسجد ميسرته بكمالها ومؤخر ميمنته، فيحصل أنه -صلى الله عليه وسلم- أخلى ذلك لنفسه.

"وعن ابن أبي نجيح" الابن هو عبد الله المكي أبو يسار الثقفي، مولاهم ثقة من رجال الجميع، ورمي بالقدر، وربما دلس "عن أبيه" أبي نجيح، واسمه يسار المكي مولى ثقيف مشهور بكنيته وهو ثقة، روى له مسلم والسنن الثلاثة "عن رجلين من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخطب بين أوسط أيام التشريق" ظاهره مشكل، فالجمع بين أوسط.." (١)

"ويهب لي ولدا، فقال -صلى الله عليه وسلم: "اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وأته بالحياء، وهب له ولدا" قال مازن: فأذهب الله عني كل ما كنت أجد، وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر، ووهب الله لي حيان بن مازن. رواه البيهقي.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٥٦/١١

ولما نزل -صلى الله عليه وسلم- بتبوك، صلى إلى نخلة، فمر رجل بينه وبينها، فقال -صلى الله عليه وسلم: "قطع صلاتنا قطع الله أثره" فأقعد فلم يقم. رواه أبو داود والبيهقي، لكن بسند ضعيف.

وأكل عنده -صلى الله عليه وسلم- بشماله فقال: "كل بيمينك" قال: لا أستطيع، قال: "لا استطعت" فما رفعها إلى فيه بعد. والرجل هو بسر -بضم الموحدة وسكون المهملة- ابن راعي العير -بفتح العين وسكون المثناة التحتية.

ولدا، فقال -صلى الله عليه وسلم: "اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وأته بالحياء وهب له ولدا"، قال مازن: فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عمان" أسقط من الحديث: وحججت حججا، وحفظت شطر القرآن، "وتزوجت أربع حرائر، ووهب الله لي حيان" بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة تحت، كذا رأيته مضبوطا، ولا أعرف له ترجمة، قاله في نور النبراس "ابن مازن".

رواه البيهقي" في الدلائل، والطبراني وابن السكن والفاكهي في كتاب مكة، وابن قانع كلهم من طريق هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: حدثني عبد الله العماني، قال: قال مازن بن العضوية: فذكر حديثا طويلا اقتصر المصنف منه على حاجته، "ولما نزل -صلى الله عليه وسلم- بتبوك، صلى إلى نخلة، فمر بينه وبينها، فقال -صلى الله عليه وسلم: "قطع صلاتنا" أي: فعل: ما ينقص ثوابها "قطع الله أثره"، ولعله فهم منه انتهاك حرمة الله، فدعا عليه لأنه كان لا ينتقم لنفسه، "فأقعد فلم يقم" أي: فلم يستطع القيام بعد. "رواه أبو داود والبيهقي، لكن بسند ضعيف. وأكل عنده -صلى الله عليه وسلم- رجل بشماله، فقال: "كل بيمينك" قال: "لا أستطيع"، قال: "لا استطعت"، فما رفعها إلى فيه بعد" فما استطاع رفعها، ذلك لا أنه تركه مع القدرة عليه، والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع، وزاد في رواية مسلم: لم يمنعه إلا الكبر، واستدل به عياض على أنه كان منافقا، وزيفه النووي بأن ابن مندة وأبا نعيم وابن ماكولا وغيرهم ذكروه في الصحابة، قال في الإصابة: وفيه نظر؛ لأن كل من ذكره إنما استند لهذا الحديث، فالاحتمال قائم، **ويمكن الجمع** بأنه لم يكن في تلك الحالة أسلم، ثم أسلم بعد، "والرجل" المبهم في رواية مسلم "هو بسر -بضم الموحدة وسكون المهملة- كما ضبطه الدارقطني وابن ماكولا وغيرهما، وقيل: فيه بشر بالمعجمة، ذكره ابن منده ونسبه أبو نعيم إلى التصحيف، لكن في سنن البيهقي، أنه بمعجمة أصح "ابن راعي العير -بفتح." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢/ ١٤

"كررها مرتين، فعرف أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة.
وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عن الإسماعيلي، كان يقول: "أين أنا غدا" حرصا على بيت عائشة، فلما كان يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي.
وعن عائشة: أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أجد صداعا في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه، فقال: "بل أنا وا رأساه" ثم قال: ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك، ودفنتك، فقالت: لكأني بك والله لو فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، فتبسم -صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه. رواه أحمد والنسائي.

هذه المقالة "مرتين فعرف" وفي نسخة: فعرفنا على لغة أكلوني البراغيث "أزواجه أنه إنما يريد عائشة فقلن: يا رسول الله، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة".
"وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند الإسماعيلي: كان -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أين أنا غدا؟ " حرصا على بيت عائشة" أي: على أن يكون في بيتها، كما في رواية: "فلما كان يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي"، **ويمكن الجمع** بين هذه الروايات بأن كان يقول: "أين أنا غدا؟ " قبل يوم عائشة، وأمر فاطمة أن تستأذنهن فأخبرتهن بذلك، فلما كان يوم عائشة قال وهن عنده: "أين أنا غدا؟ " وكرها، ففهم أزواجه أنه يريد عائشة، وأكد ذلك قول فاطمة: إنه يشق عليه الاختلاف، فوهبن أيامهن لعائشة، فقال -صلى الله عليه وسلم- زيادة في تطييب قلوبهن: "أني لا أستطيع....." إلخ.
وكان ذلك في يومها كما قالت، فلما كان في يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي، هكذا ظهر لي.
"وعن عائشة: أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم من جنازة" لبعض أصحابه "بالبقيع" بموحدة- مقبرة المدينة، "وأنا أجد صداعا في رأسي" جملة حالية، "وأنا أقول: وا رأساه" ندبت نفسها وأشارت إلى الموت، قاله الطيبي: كأنها فهمت أن وجع رأسها يتولد منه الموت، فقال -صلى الله عليه وسلم- مشيرا إلى أنها لا تموت منه بالإضراب "بل أنا وا رأساه"، ثم قال مشيرا إلى أنها لو ماتت قبله لكان خيرا لها: "ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك" بنفسي على ظاهره، ففيه أن الزوج أحق بتغسيل زوجته، "وكفنتك وصليت عليك ودفنتك"، فقالت: لكأني بك والله لو فعلت" أي: لو قام بي "ذلك" فهو -بضم التاء أو بفتحها خطابا، أي: لو فعلت الغسل وما بعده "لقد رجعت إلى بيتي فأعرست، من أعرس، أي: غشي "فيه

ببعض نسائك، فتبسم –صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه، ورواه أحمد والنسائي" من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنها.." (١)

"والصالحين وحسن أولئك رفيقا".

وفي البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو صحيح – يقول: "إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا أو يخير" فلما اشتكى وحضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة، غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: "اللهم في الرفيق الأعلى".

ونبه السهيلي على أنه النكتة في الإتيان بهذه الكلمة بالإفراد، الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد.

والصديقين" أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق، "والشهداء" القتلى في سبيل الله، "والصالحين" غير من ذكر، "وحسن أولئك رفيقا" أي: رفقاء في الجنة، بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم.

"وفي البخاري من حديث" الزهري، عن "عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو صحيح يقول: "إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة" ، وصريحه أن ذلك من خواص الأنبياء، ولا يخالفه حديث الصحيحين: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي....." الحديث، للفرق بأن الأنبياء تعرض عليهم، ثم يخيرون بخلاف غيرهم فلا يخيرون، وإن كان العرض عليهم قبل الموت كما هو مفاد الحديث الصحيح، فالخصوصية أيضا عرضه حال الحياة بخلاف غيرهم، "ثم يحيا" بضم أوله وفتح المهملة وتشديد التحتانية بعدها، "أو يخير" شك الراوي هل قال: يحيا أو قال: يخير" قاله الحافظ، "فلما اشتكى" مرض، "وحضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة".

كذا في البخاري، وكأنه التفات، وقدمه المصنف: على فخذي بالمعنى، "غشي" أي: أغمي "عليه، فلما أفاق شخص" ارتفع بصره" بالرفع فاعل، "نحو سقف البيت، ثم قال: "اللهم" اجعلني "في الرفيق الأعلى" ، وفي بمعنى مع، أي: مع الجماعة الذين يحمد مرافقتهم، وهذا الحديث مر قريبا وكأنه أعاده؛ لأن ابن رجب ذكره كالمعارض لما قبله عن المسند، **ويمكن الجمع** بينهما بحمل قبض نفسه على شدة الاستغراق

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢/٨٦

في رؤية الثواب، حتى كأنه قبض، فلا يخالف حديث البخاري الصريح في أن التخيير قبل القبض.
"ونبه السهيلي على أن النكتة في الإتيان بهذه الكلمة" أي: لفظ الرفيق "بالإفراد، الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد"، وهي نكتة في الآية والحديث جميعا.." (١)

"قال السهيلي: وجدت في بعض كتب الواقدي: إن أول كلمة تكلم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو مسترضع عند حليمة: "الله أكبر" ، وآخر كلمة تكلم بها: "في الرفيق الأعلى".
وروى الحاكم من حديث أنس قال: "إن آخر ما تكلم به النبي -صلى الله عليه وسلم: "جلال ربي الرفيع".
ولما توفي -صلى الله عليه وسلم- كان أبو بكر غائبا بالنسخ -يعني: العالية، عند زوجته بنت خارجة- وكان -صلى الله عليه وسلم- قد أذن له في الذهاب إليهما، فسل عمر بن الخطاب سيفه

عباس، قال: توفي وهو إلى صدر علي، فقلت: إن عروة حدثني عن عائشة، قالت: توفي بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: لقد توفي وأنه لمسند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل، وأبي أبى أن يحضر، فيه الواقدي وسليمان لا يعرف حاله، وأبو غطفان -بفتح المعجمة ثم المهملة- اسمه: سعد، مشهور بكنيته، وثقه النسائي.
وأخرج الحاكم في الإكليل من طريق حبة العربي: أسندته إلى صدري فسالت نفسه. وحبة ضعيف، ومن حديث أم سلمة، قالت: علي آخرهم عهدا به -صلى الله عليه وسلم. وحديث عائشة أثبت من هذا، ولعلها أرادت أنه آخر الرجال عهدا، ويمكن الجمع بأن يكون علي آخرهم عهدا به، وأنه لم يفارقه حتى مال، فظن أنه مات، ثم أفاق بعد أن توجه، فأسندته عائشة بعده إلى صدرها فقبض، ولأحمد في أثناء حديث عنها، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي؛ إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة، فوقعت على نقرة نحري، فاقشعر جلدي، وظننت أنه غشي عليه، فسجيته ثوبا، انتهى.
فلم يذكر فيها شيعيا، وإنما ذكر ضعف رواته كما ترى، "قال السهيلي: وجدت في بعض كتب الواقدي أن أول كلمة تكلم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو مسترضع عند حليمة" السعدية "الله أكبر"، وآخر كلمة تكلم بها "في الرفيق الأعلى".
وفي حديث عائشة عند البخاري: فكانت آخر كلمة تكلم بها: "اللهم الرفيق الأعلى" وروى الحاكم من

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢١/١٢

حديث أنس قال: إن آخر ما تكلم به النبي -صلى الله عليه وسلم: "جلال" أي: أختار جلال "ربي الرفيع" فقد بلغت ثم قضي، هذا بقية الحديث.

وجمع بينهما بأن هذا آخريه مطلقة وما عداه آخرية نسبية، "ولما توفي -صلى الله عليه وسلم- كان أبو بكر غالبا بالسنح" بضم السين المهملة فنون ساكنة، وبضمها أيضا فحاء مهملة "يعني: بالعالية، أي: بأقربها، على ميل من المسجد النبوي "عند زوجته" حبيبة "بنت خارجة بن زيد الخزرجية، صحابية بنت صحابي، "وكان -عليه السلام- قد أذن له في الذهاب إليها"؛ لأنه أصبح يوم الإثنين." (١)

"ما أمر عيش من فارق الأحباب، خصوصا من كان رؤيته حياة الألباب.

لو ذاق طعم الفراق رضوى ... لكان من وجده يميد

قد حملوني عذاب شوق ... يعجز عن حمله الحديد

وقد كانت وفاته -صلى الله عليه وسلم- يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء.

فعند ابن سعد في الطبقات، عن علي: توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء، وعنده أيضا عن عكرمة: توفي يوم الإثنين، فحبس بقية يومه وليلته، ومن الغد حتى دفن من الليل، وعنده أيضا: عن عثمان بن محمد الأخنسي: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس، ودفن يوم الأربعاء، وروي أيضا عن أبي بن

فلما دفن ترك بلال الأذان. ما أمر عيش من فارق الأحباب، خصوصا من كانت رؤيته حياة الألباب: العقول، وأنشد:

لو ذاق طعم الفراق رضوى ... لكان من وجده يميد

قد حملوني عذاب ش‍وق ... يعجز عن حمله الحديد

رضوى -بفتح الراء- جبل بالمدينة، ويميد: يتحرك "وقد كانت وفاته -صلى الله عليه وسلم- يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته، حين اشتد الضحاء" بالفتح والمد قرب الزوال، "ودفن يوم الثلاثاء، وقيل:" دفن "ليلة الأربعاء"، فعند ابن سعد في الطبقات عن علي قال: "توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم الإثنين"، وهذا مروي في الصحيح عن عائشة وأنس، "ودفن يوم الثلاثاء".

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٣٣/١٢

وكان رواه ابن سعد عن ابن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وزعم ابن كثير أنه قول غريب، وعنه أي: ابن سعد "أيضا عن عكرمة" أنه -صلى الله عليه وسلم- توفي يوم الإثنين فحبس" أي: منع من الدفن بقية يومه وليلته "التالية له، "ومن الغد" أي: يوم الثلاثاء، حتى دفن من الليل أي: ليلة الأربعاء وزعم ابن كثير أن هذا قول الجمهور، "وعنده" أي: ابن سعد أيضا عن عثمان بن محمد" بن المغيرة بن الأخنس "الأخنسي" بخاء معجمة ونون ومهملة- نسبة إلى جده المذكور، الثقفي الحجازي، صدوق، له أوهام.

روى له الأربعة، "توفي يوم الإثنين حين زاغت:" مالت "الشمس، ودفن يوم الأربعاء" ويأتي مثله عن سهل بن سعد، فحاصل الخلاف هل دفن يوم الثلاثاء أو ليلة الأربعاء أو يوم الأربعاء، **ويمكن الجمع** على تقدير صحة الكل بالتجوز في دفن يوم الثلاثاء على أن معناه شرع." (١)

"ولم يبين في هذه الرواية -من الطريقين- محل الإفاقة، من أي الصعقتين، ووقع في رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر: إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة.

والمراد بقوله: "ممن استثنى الله" قوله تعالى: ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧] .

الكسوف في قول أسماء بنت أبي بكر: فقمت حتى تجلاني الغشي، فنقله هنا من نقل الشيء في غير موضعه، وإنما قال: هنا مثل لفظ المصنف بالحرف.

"ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين" الأولى أم الثانية.

"ووقع في رواية الشعبي" عامر بن شراحيل، "عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر" من البخاري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة" أي: الثانية، ولفظ البخاري: الآخر، قال المصنف: بمد الهمزة.

وبقية هذه الرواية في البخاري: "فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري" أكذلك كان أم بعد النفخة، زاد الحافظ: ووقع في حديث أبي سعيد: "فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض"، كذا عند البخاري في كتاب الأشخاص بهذا اللفظ، وله في غيره: "فأكون أول من يفيق"، وجزم المزي بأنه الصواب، وأن تلك وهم من راويها، وكونه أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه في حديث آخر ليس فيه ذكر موسى، نقله عنه ابن القيم في كتاب الروح، **ويمكن الجمع** بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٤٨/١٢

جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع، كما قال تعالى: ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧] ، ثم تعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه، وللأحياء موتا، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعون، فمن كان مقبورا انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس مقبورا ألا يحتاج إلى ذلك، وموسى ممن قبر في الدنيا، كما قال -صلى الله عليه وسلم: "مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره".

أخرجه مسلم عن أنس، عقب حديث أبي هريرة، وأبي سعيد المذكورين، ولعله أشار بذلك إلى ما قررته. انتهى.

"والمراد بقوله: ممن استثنى الله قوله تعالى: ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧] ، وقال الداودي: أي: جعله ثانيا لي، قال الحافظ: وهو غلط شنيع، وفي البعث لابن أبي الدنيا من مرسل الحسن: "فلا أدري أكان ممن استثنى الله أن." (١)

"الآية: من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا؟ قال: هم شهداء الله. وصححه الحاكم.

وقيل: هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت، ثم يموتون، وآخرهم "موتا" ملك الموت، وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة.

بالمعنى، ولفظ أبي يعلى: ومن عطف عليه عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "سألت جبريل عن هذه الآية: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] الآية "من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا، قال" جبريل: "هم شهداء الله"، يتقلدون أسيافهم حول عرشه. هذا بقية الحديث الذي "صححه الحاكم، وقيل: هم حملة العرش" الثمانية "وجبريل وميكائيل" زاد في رواية: "وإسرافيل، "وملك الموت" قال السيوطي: ولا تنافي بين هذا وبين الشهداء؛ لإمكان الجمع بأن الجميع من المستثنى، "ثم يموتون، وآخرهم" موتا "ملك الموت" كما أخرجه البيهقي عن أنس رفعه: "كان ممن استثنى الله ثلاثة: جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول الله وهو أعلم: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: بقي وجهك الباقي الكريم الدائم، وعبدك جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: توف نفس ميكائيل، ثم يقول -وهو أعلم: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: وجهك الباقي الكريم وعبدك جبريل وملك الموت، فيقول: توف جبريل، ثم يقول وهو أعلم: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: بقي وجهك الباقي الكريم وعبدك

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢/٢٧٠

ملك الموت، وهو ميت، فيقول: مت، ثم ينادي: أنا بدأت الخلق ثم أعيده، فأين الجبارون المتكبون، فلا يجيبه أحد، فيقول: هو الله الواحد القهار". وورد أيضا آخرهم موتا جبريل.
أخرج الفريابي عن أنس أنهم قالوا: يا رسول الله، من الذين استثنى الله، قال: "جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل وحملة العرش، فإذا قبض الله أرواح الخلائق قال لملك الموت: من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس إسرافيل، فيقول: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيقع كالطود العظيم، فيقول: يا ملك الموت، من بقي، فيقول: بقي وجهك الدائم وجبريل الميت الفاني، قال: لا بد من موته، فيقع ساجدا يخفق بجناحيه"، قال -صلى الله عليه وسلم: "إن فضل خلقه على ميكائيل كالطود العظيم" ولا يمكن الجمع بينهما، فيترجح الأول بأن في حديث أبي هريرة عند ابن جرير وأبي الشيخ وغيرهم مرفوعا في حديث طويل: "إن آخرهم موتا ملك الموت".
"وقيل: هم الحور العين والولدان في الجنة" وخزنة الجنة والنار وما فيها من الحيات." (١)

"جدعان: قال أنس: كأني أنظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي، ويرحبون بي، فيقولون: مرحبا، فآخر ساجدا، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال: ارفع رأسك". الحديث. رواه الترمذي وقال: حسن.
وفي حديث سلمان: "فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب، فيقرع الباب فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح".

ثم زفرت زفرة ثانية، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهب العقول" الحديث، "فيأتون آدم" فذكر الحديث في إتيانهم الأنبياء الخمسة، "إلى أن قال: "فيأتوني فأنطلق معهم".
"قال ابن جدعان" بضم الجيم وسكون الدال وعين مهملتين- علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، نزل البصرة وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان، ينسب أبوه إلى جده الأعلى، ضعيف، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: قبلها -كما في التقريب.
"قال أنس" بن مالك: "كأني انظر" حال تحديثي بذلك "إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم" إشارة إلى

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢٧٤/١٢

تحقق ما أخبر به، واستحضاره ونفي الشك عنه "قال:" أي قائلا: "فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها" أي: أدق عليها فتصوت، إلى هنا ما رواه عن أنس -كما أفاده السيوطي، ثم عاد إلى حديث أبي سعيد "فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد" بالبناء للمفعول فيهما للعلم به، "فيفتحون لي" لا يعارضه ما مر أن الذي يفتح رضوان، الجواز أنه لما يقوم للفتح تبعه جنده؛ لأنهم في خدمته، وهو كالملك عليهم، "ويرحبون بي فيقولون" كلهم "مرحبا" زيادة في تعظيم المصطفى؛ إذ رحبوا به أجمعون، "فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد" ما لا أقدر عليه الآن، "فيقال: ارفع رأسك...." الحديث" تمامه: "وسل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك" وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [الإسراء: ٧٩].

"رواه الترمذي وقال حسن"، ورواه ابن خزيمة أيضا، "وفي حديث سلمان الفارسي: "فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب" يخالفه ما لأبي يعلى عن أنس، رفعه: "أقرع باب الجنة، فيفتح لي باب من ذهب وحلقة من فضة" ويمكن الجمع بأن كونها من فضة حكم على المجموع، فلا ينافي أن حلقة منها ذهب، أو أنها لمجاورتها للذهب سماها اسمه مجازا، "فيقرع" يدق -صلى الله عليه وسلم "الباب، فيقال" أي: يقول الخازن "من هذا؟ فيقول" عليه السلام "محمد، فيفتح الباب".." (١)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٧٩/١٢